كتاب

الطبائع والأخلاق المذمومة

تشابه الناس في الطبائع وذمهم

حدثني محمد بن عُبيد قال حدثنا يحيى بن هاشم الغسّاني عن إسماعيل بن أبي خالد عن مُصْعَب بن سعد قال، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الناسُ بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم. قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان قال قال أبو الدَّرداء: «وجدتُ الناسَ اُخْبُرْ تَقْلِهْ»[1].

قال حدثني محمد بن عُبيد قال حدثنا شُرَيحُ بن النعمان عن المُعَافَى بن عمر أن عمرَ ابن الخطاب رضي الله عنه مرّ بقوم يَتبعُون رجلا قد أُخِذَ في رِيبة فقال: لا مرحبا بهذه الوجوه التي لا تُرَى إلا في الشرّ.

قال وحدثني محمد بن داود قال، حدثنا الصَّلْتُ بن مسعود قال حدثنا عثّامُ ابن عليّ عن الأعمش عن أبي إسحاق عن عَبِيدَةَ أن الوليد السُّوائيّ قال: لَغَطَ قومٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل: يارسولَ الله لو نَهَيْتَهُم! فقال: "لو نَهَيْتُهُم أن يأتُوا الحَجُونَ لأتاه بعضُهم ولو لم تَكُنْ له حاجةٌ".

(١) القلي البغض وهو من باب نصر ورمى ورضى والهاء فيه للسكت اذ أصله اخبر الناس تقلهم لحذف الضمير وحل محله الهاء وقد روى برفع الناس على الحكاية كقوله * سمعت الناسُ ينتجعون غيثا * البيت. ومعناه وجدت: الناسُ مقول فيهم ذلك. وروى أيضا بنصبه، وتقديره وجدت: الناسَ اخبر تَقْلَه أى وجدت الأمر كذلك، وعلى كل حال فلفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر، يريد أنك اذا خبرتهم قليتهم، وهو مثل يضرب في ذم الناس وسوء معاشرتهم.

قال وحُدّثنا عن عفّانَ عن مهدىّ بن ميمون عن غَيلانَ بن جرير قال قال مطرّف: هم الناس وهم النَّسْنَاس وناسٌ غُمِسُوا فى ماءِ الناس .

قال يونس بن عُبيد : لو أُمِرْنَا بالجزَع لَصَبَرْنَا .

وكان يقال : لو نُهِى الناسُ عن فتّ البَعْر لَفَتُّوه، وقالوا : ما نُهِينَا عنه إلا وفيه شىءٌ . وقال الشاعر

ولما أن أتيتُ بنى جُوَين ، جلوسًا ليس بينهُـمُ جَلِيسُ
يَئِستُ مِنَ التى أقبلتُ أبغى * لديهم ، إنّنى رجلٌ يئُوسُ
إذا ما قلتُ أيُّهُـــمُ لأىٍّ * تَشَابَهَتِ المناكبُ والرءوسُ

ويقال : "لا يزالُ الناسُ بخيرٍ مَا تباينُوا فإذا تساووْا هَلَكُوا"(١) .

وقال آخر

النَّاسُ أَسْوَاءٌ(٢) وشتّى فى الشِّيَمْ * وكُلُّهُــمْ يَجْمَعُهُمْ بيتُ الأَدَمْ

وقال آخر — يذكر قوما —

سَوَاءٌ(٣) كأسنانِ الحمارِ ولا(٤) تَرَى * لِذِى شَيبةٍ منهم على نَاشِئٍ فضلا

وقال آخر «سَوَاسِيَةٌ كأسنانِ الحمارِ»(٥)

وكان يقال «المرءُ تَوَاقٌ الى مالم يَنَلْ»(٥)

والعجم تقول : كلُّ عزٍّ دخل تحت القدرةِ فهو ذليل .

---

(١) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال بلفظ «لن يزال الناس» الخ وساقه ابن الأثير فى النهاية والمرتضى فى تاج العروس على أنه حديث وأورداه بلفظ "لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا" الخ .

(٢) رواه فى اللسان : الناس أخياف الخ ، والأخياف الضروب المختلفة فى الأخلاق والأشكال .

(٣) كذا بالأصل . وفى اللسان «سواس» والبيت منسوب فيه لكثير .

(٤) كذا بالأصول . وفى اللسان « فما » . وفى مجمع الأمثال «فلا» ، ولا يخفى أنّ الفاء هنا أحسن موقعا من الواو وأنسب للسياق .

(٥) كلاهما مثل كما فى مجمع الأمثال ولسان العرب .

وقالوا : كلُّ مقدورٍ عليه مملولٌ محقورٌ .

وقال الشاعر

وزاده كَلَفًا بالحُبِّ أن مَنَعَتْ * أَحَبُّ(١) شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا

وقال آخر

تَرَى الناسَ أسواءً إذا جلسوا معًا * وفي الناسِ زَيفٌ مثلُ زَيفِ الدَّراهمِ

ويقالُ : الناسُ سيلٌ وأسرابُ طيرٍ يتبعُ بعضُها بعضًا .

وقال طَرَفَةُ

كلُّ خليلٍ كنتُ خالَلتُهُ * لا تَرَكَ اللهُ له واضحَهْ
كلُّهُمُ أَرْوَغُ منْ ثعلبٍ * ما أشْبَهَ الليلةَ بالبارِحَهْ

وقال آخر

فإنكَ لا يَضُرُّكَ بعد حَوْلٍ * أظبيٌ كان أُمَّكَ أم حمارُ
فقد لَحِقَ الأسافلُ بالأعالِي * وماجَ اللُّؤمُ واختلطَ النِّجارُ
وعاد العبدُ(٢) مثلَ أبي قُبَيسٍ * وسِيقَ معَ المُعَلْهِجَةِ(٣) العِشارُ

يقول : سِيقتِ الإبلُ الحوامِلُ في مهرِ اللئيمة .

---

(١) كذا بالأصول . وفي لسان العرب في مادة «حبّ»

* وحَبَّ شيئًا الى الانسانِ ما مُنِعَا *

وأصله حَبُبَ بضم الباء ثم أسكنت وأدغمت في الثانية ، وما في قوله ما مُنِعَا في موضع الرفع بحَبَّ .

(٢) وفي رواية حكاها صاحب خزانة الأدب في ج ٣ ص ٢٣١ «الفند» بكسر الفاء وسكون النون بدل العبد ، وفسره بأنه قطعة من الجبل طولا ، وقيل الجبل العظيم . وأبو قبيس جبل بمكة والمراد به الرجل الشريف كما يراد بالفند الرجل الوضيع .

(٣) المعلهجة : المرأة اللئيمة الأصل الفاسدة النسب . ورواه سيبويه في كتابه عن خداش بن زهير ج ١ ص ٢٣ * وصار مع المعلهجة العشار *

قال أبو محمد: بلغنى عن إسماعيل بن محمد بن جُحَادَةَ عن أبيه، قال: كنت عند الحسن فقال: أسمعُ حَسيسا ولا أرَى أَنِيسا، صبيانٌ حيارَى مَا لَهُم تفَاقَدُوا [عُقُولَهُم][1] وفَرَاشُ نار وذِبَانُ طَمَع.

وقال أبو حاتم عن الأصمعىّ: لو قَسمتَ فى النـاس مائةَ ألفِ درهم كان أكثرَ لِلآئمِى مِن لو أَخَذتُها[2] منهم.

ونحوه قولُ محمد بن الجهم: مَنْعُ الجميع أَرْضَى للجميع.

وقال ابن بشير

سَـــوْءَةٌ للناسِ كُلِّهِــمُ * أَنَا فى هـــذا مِنَ أوّلِهِمْ
لستَ تَدرِى حِين تَنْسُبُهُمْ * أينَ أدناهم مِنَ أفضَـلِهِمْ

وقال نهارُ بن تَوْسِعَةَ

عَتِبتُ على سَــلْمٍ فلمّـا فَقَدْتُه * وجَرَّبتُ أقوامًا بكيتُ على سَلْمِ

وهذا مِثل قولهم: ما بكيتُ من زمان إلا بكيتُ عليه.

وقال الأحنف بن قيس

وما مَرَّ يومٌ أرتَجِى فيـــه راحةً * فَأُخْبَرَه إلّا بَكَيتُ على أمسِ

وقال آخر

ونَعْتِبُ أحيانا عليـه ولو مضى * لكُنّا على الباقى مِنَ الناس أعْتَبَا

وقال آخر

سَـبَكْنَاه ونحسَــبُه لُجَيْنًـا * فَأَبْدَى الكِيرُ عن خَبَثِ الحديدِ

قال، وحدّثنى أبو حاتم، قال حدّثنى الأصمعىّ عن آبن أبى الزِّناد عن أبيه قال: لَا يزالُ فى الناس بَقِيّةٌ ما تُعُجِّبَ مِنَ العَجَب.

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ (٢) فى النسخة الفتوغرافية «أن» بدل من.

رجوعُ المتخلّق الى طبعه

بلغنى أن أعرابيا ربّى جَرْوَ ذئب حتى شَبَّ وظنّ أنه يكون أغنَى عنه مِنَ الكلب وأقوَى على الذبِّ عن الماشية فلما قَوِىَ وَثَبَ على شاةٍ فقتلها وأكل منها فقال الأعرابىّ

أَكَلْتَ شُوَيْهتى ورَبِيتَ فينا * فما أدراكَ أنّ أباكَ ذيبُ

ويُروَى

* وُلِدتَ بِقَفْرةٍ ونَشَأْتَ عندى *

إذا كان الطِّباعُ طِباعَ سُوءٍ * فليسَ بنافعٍ أدبُ الأديبِ (١)

وقال الخُرَيمىّ

يُلَامُ أبو الفضل فى جُودِه * وهل يملك البحرُ ألّا يَفيضَا

وقال أبو الأَسَد

ولائمةٍ لَامَتْكَ يا فَيضُ فى النَّدَى * فقلتُ لها هل يَقدَحُ اللّومُ فى البحرِ

أرادتْ لِتَثْنِى الفَيضَ عن عادةِ الندى * ومَنْ ذَا الّذى يَثْنِى السَّحابَ عن القَطْرِ

مَواقِعُ جُودِ الفَيضِ فى كُلِّ بلدةٍ * مَوَاقِعُ ماءِ المُزْنِ فى البَلَدِ القَفْرِ

وقال كُثَيِّر

ومَنْ يَبتدِعْ ماليس مِنْ سُوسِ نفسه (٢) * يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ على النفس خِيمُها

وقال زهير

ومَهما تكُنْ عند ٱمرِئٍ مِنْ خَليقةٍ * وإن خالَها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ

(١) كذا فى الأصول، وعليه يكون فى البيت إقواء، وروى فى حياة الحيوان ج ١ ص ٣١٢

* فليس بنافع فيها الأديب * وبهذا يكون البيت سالما من هذا العيب.

(٢) الذى فى اللسان: «مِن خِيمِ» والخيم الطبيعة والأصل كالسوس.

وأنشدنى ابن الأعرابىّ لذى الإصبع العَدْوانىّ

كلّ امرئٍ راجعٌ يومًا لشيمته * وإن تخلّق أخلاقًا الى حين

وقال آخر

إرجع الى خُلقك المعروف ديدنه * إنّ التخلّق يأبى دونه الخُـلُقُ

وقال كُثَيِّر فى خلاف هذا

وفى الحلم والإسلام للمرء وازعٌ * وفى ترك أهواء الفؤاد المتيَّم

بصائرُ رُشْدٍ للفتى مُستبينةٌ * وأخلاقُ صدقٍ علمُها بالتعلّم

ونحوه للتلمس

تجاوزْ(١) عن الأدنَيْنَ واستبقِ وُدَّهمْ * ولَنْ تستطيعَ الحِلْمَ حتّى تحلّمَا

وقال الطائىّ

لَبِسَ الشَّجَاعَةَ إنهـا كانت له * قِدَمًا نَشُوءًا فى الصِّبا ولَدُودَا

بَأْسًا قَبِيليًّا وبأسَ تَكَرُّمٍ * فينا(٢) وبأسَ قريحـةٍ مَوْلُودَا

وقال أبو جعفر الشِّطْرَنجىّ مولى المهدىّ فى سَوداءَ

أَشْبَهكِ المسكُ وأَشْبَهْتِهِ * قائمةً فى لونِه قاعِـدَهْ

لا شَكَّ إذْ لَونُكُما واحدٌ * أنّكما من طينـةٍ واحِدَهْ

وقال أبو نُوَاس

تَلْقَ النَّدَى فى غيره عَرَضًا * وتَراه فيـه طَبيعةً أَصْـلَا

واذا قَرَنْتَ بِعَـاقلٍ أَمَلًا * كانت نَتِيجَـةُ قَوْلِه فِعْـلَا

وأنشدنا الرِّيَاشىّ

لا تَصْحَبَنَّ امرءًا على حَسَبٍ * إنّى رأيتُ الأحسابَ قد دُخِلَتْ

(١) الذى فى اللسان فى مادّة «حلم» وكتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٤٠ «تحلّم» .

(٢) الذى فى الديوان «بَجَرٍ» بدل «فينا» .

مالَكَ مِنْ أن يُقَالَ إنّ له * أبًا كريما فى أُمّـةٍ سَلَفَتْ
بل آصْحَبْنَــهُ على طبائعــه * فكلُّ نَفْسٍ تَجْرِى كما طُبِعَتْ

وقال العباس بن مرداس

إنكَ لم تكُ كآبن الشَّريد * ولَكِنْ أبوكَ أبو سالِمِ
حَمَلْتَ المِئِينَ وأثقالَها * على أُذُنَىْ قُنفُذٍ رازِمِ
وأشْبَهْتَ جَدَّكَ شرَّ الجُدُو * دِ والعِرقُ يَسْرِى إلى النائِمِ

وقال بعض العبْديين

وما يَستوِى المرْءَانِ هـذا آبنُ حُرَّةٍ * وهـذا آبنُ أخرى ظَهْرُها مُتَشَرَّكُ
وأدرَكَتْهُ خالاتُه فخَذَلْنَـهُ * ألا إن عِرقَ السُّوءِ لا بدّ يُدْرِكُ

باب الشيء يُفْرِطُ فيَنتَقِلُ الى غير طبعه

قرأت فى كتاب للهند : لا ينبغى الّجاجُ فى إسقاط ذى الهمّة والرأى وإذالته فانه إمّا شَرِسُ الطبع كالحية إن وُطِئَتْ فلم تَلسَعْ لم يُغـتَرَّ بها فيعادَ لوطئها ، وإما سُجُحُ الطبع كالصندل البارد إن أُفرِطَ فى حكّه عاد حارًا مؤذيا . وقال أبو نواس

قُلْ لزهـيرٍ إذا حَدا وشَـدا * أقْـلِلْ وأكثِر فانتَ مِهْـذَارُ
سَخُنْتَ مِنْ شدّةِ البرودة حتّى صِرتَ عنـدى كأنك النـارُ
لا يَعْجَبِ السامعونَ مِنْ صفتى * كذلك الثَّـلجُ باردٌ حَارُ

ويقال : إنمـا مَلُحَ القِردُ عند الناس لإفراط قبحه . قال الطائىّ

أخرجتموه بِكُرْهٍ مِنْ سَجيّتـه * والنار قد تُنْتَضَى[1] من ناضر السَّلَمِ

(١) فى الأصل «تقتضى» والتصويب عن الديوان .

أمِنْ عَمًى نزل الناسُ الرُّبَى فنجَوْا * وأنتمُ نُصْبَ سيلِ الفتنةِ العَرِمِ
أم ذاكَ مِن هِمَمٍ جاشَتْ فكمْ ضَعَةٍ * حدا اليهِ غلُوُّ القومِ فى الهِمَمِ

وكان يقال : مِن التوقّى تركُ الإفراط فى التوقى

باب الحسـد

قال حدثنا اسحاق بن راهَوَيْهِ قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاثةٌ لا يسلمُ منهنّ أحدٌ الطِّيَرَةُ والظَّنُّ والحسد" قيل : فما المخرَجُ منهنّ يارسول الله؟ قال : "اذا تطيَّرتَ فلا ترجِعْ واذا ظَننتَ فلا تُحقِّقْ وإذا حَسدتَ فلا تَبْغِ" . وقال بكر بن عبدالله : حصَّتُكَ من الباغى حسنُ المُكاشَرَة، وذنبُكَ الى الحاسد دوامُ النعم من الله عليك . وقال رَوْحُ بن زِنْباعٍ الجُذَامىُّ : كنتُ أرَى قوما دُونِى فى المنزلة عند السلطان يدخلونَ مداخلَ لا أدخلها فلما أذهبتُ عنّى الحسدَ دخلتُ حيثُ دخلوا . وقال آبن حُمَام

تمنّى لِىَ الموتَ المعجَّلَ خالدٌ * ولاخيرَ فِيمَنْ ليس يعرِفُ حاسِدَهْ

وقال الطائىّ

واذا أراد اللهُ نشرَ فضيلةٍ * طُوِيَتْ أتاحَ لها لسانَ حَسُودِ
لولا آشتعالُ النارِ فيما جاورتْ * ما كانَ يُعرَفُ طيبُ عَرْفِ العُودِ
لولا التَّخوّفُ للعواقبِ لم تَزَل * للحاسدِ النُّعْمَى على المحسودِ

وقال عبد الملك للحجاج : إنه ليس من أحد إلا وهو يعرِفُ عيبَ نفسه فَعِبْ نفسَكَ قال : أعْفِنِى ياأميرالمؤمنين . قال : لتَفعلنّ . قال : أنا لجوجٌ حقودٌ حسود . قال عبد الملك : مافى الشيطان شرٌّ مما ذكرتَ . قال بعض الحكماء : الحسدُ مِن تَعادِى الطبائع واختلاف التركيب وفساد مِزَاجِ البِنْيةِ وضَعْفِ عَقْدِ العقل والحاسدُ طويلُ الحَسَرات .

قال ٱبن المقفع : أقلّ ما لتارك الحسد فى تركه أن يَصْرِف عن نفسه عذابا ليس بمُدْرِكٍ به حظًّا ولا غائظ به عدوًّا، فإنا لم نَرَ ظالمًا أشبهَ بمظلومٍ من الحاسد، طولُ أَسَفٍ ومحالفةُ كآبةٍ وشِدّةُ تحرّقٍ، ولا يبرح زاريًا على نعمة الله ولا يجدُ لها مَزَالًا ويُكدِّرُ على نفسه ما به من النعمة فلا يجدُ لها طَعْمًا ولا يزالُ ساخطا على مَنْ لا يترضّاه ومُتَسَخِّطًا لِمَا لَنْ ينالَ فوقه، فهو مُنغَّصُ المعيشة دائمُ السَّخْطةِ محرومُ الطَّلِبَةِ، لا بما قُسِمَ له يَقْنَعُ ولا على ما لم يُقْسَمْ له يَغْلِبُ ، والمحسود يتقلّبُ فى فضل الله مُباشرًا للسّرور مُنتفِعًا به مُمَهَّلًا فيه الى مدّة ولا يَقدرُ الناس لها على قَطْعٍ وٱنتقاصٍ .

قيل للحسن البصرى : أيحْسُدُ المؤمنُ أخاه ؟ قال : لا أبا لَكَ ، أنسيتَ إخوةَ يوسُفَ . وكان يقال : إذا أردتَ أن تَسْلَمَ من الحاسد نَعَمِّ عليه أُمورَكَ . ويقال : إذا أراد الله أن يُسَلِّطَ على عبده عدوًّا لا يرحَمُه سلّط عليه حاسدا . وقال العُتْبى —وذكر ولده الذين ماتوا—

وحتّى بَكَى لِى حُسَّادُهُمْ * وقدأقْرَحُوا(1) بالدّموعِ العُيونَا
وحسبُكَ من حادثٍ بامرئٍ * يَرَى حاسِديه له راحِمينَا

قيل لسفيان بن معاوية : ما أسْرَعَ حَسَدَ الناس الى قومك! فقال

إنّ العَرانِينَ تلقاها مُحَسَّدةً * ولا تَرَى لِلِئامِ النـاسِ حُسَّادَا

وقال آخر

وتَرَى اللبيبَ مُحَسَّدًا لم يَجْتَرِمْ * شَتْمَ الرجال وعِرْضُه مشتُومُ
حسَدُوا الفتَى إذلم يَنالُوا سعيَهُ * فالقومُ أعداءٌ له وخُصُومُ
كضرائرِ الحسْناءِقُلْنَ لوجهها * حَسَدًا وظُلْمًا إنه لذَمِيمُ(2)

---

(١) فى النسخة الألمانية «أترعوا» . (٢) هكذا فى النسختين بالذال المعجمة وهى رواية ثعلب، قال صاحب اللسان : وقد رُدّ ذلك عليه . والأصح رواية «إنه لدميم» بالدال المهملة .

وقال يحيى بن خالد : الحاسد عدوّ مَهِينٌ لا يُدرِك وَتْره إلا بالتمنّى . قيل لبعضهم: أىّ الأعداء لا تُحبّ أن يعودَ لك صديقا ؟ قال : مَنْ سَبَبُ عَدَاوته النعمةُ . وقال الأحنف : لا صَـديقَ لِمَلُولٍ ولا وَفاءَ لِكَذُوبٍ ولا راحةَ لحسُود ولا مُرُوءةَ لبخيلٍ ولا سُؤْدُدَ لسيّئ الخلق . وقال معاوية : كلّ الناس أستطيعُ أن أُرضيَه إلا حاسِدَ نعمةٍ فانه لا يُرضيه إلا زَوالُها . وقال الشاعر

كُلُّ العَـدَاوةِ قـد تُرْجَى إماتَتُها * إلا عداوةَ مَنْ عاداكَ مِنْ حَسَدِ

وفى بعض الكتب يقول الله : الحاسدُ عدوٌّ لنعمتى مُتَسخِّطٌ لقضائى غيرُ راضٍ بِقَسْمِى بين عبادى . وكان يقال : قد طلبكَ مَنْ لا يُقصِّر دون الظَّفَرِ وحسَدَكَ مَنْ لا ينامُ دون الشِّفَاءِ . وخطب الحجاج يوما بُرُسْتُقُبَاذَ بقول سُوَيد بن أبى كاهل

كيف يَرْجُونَ سِقَاطِى بعد ما * جَلَّلَ الرأسَ بيـاضٌ وصَـلَعْ
رُبَّ مَنْ أنضَجْتُ غيظًا صَدْرَهُ * قـد تمنّى لِىَ مَوْتًا لم يُطَعْ
ويَرانى كالشَّـجَا فى حَلْقِـه * عَسِرًا مَخْرَجُـهُ ما يُنْـتَزَعْ
مُزْبِدًا يَخْطِـرُ ما لَمْ يَرَنِى * فاذا أسْمعتُه صَوْتِى انْقَمَـعْ
لم يَضِرْنِى غيرَ أنْ يَحْسُـدَنِى * فهو يَزْقُو مثلَ ما يَزْقُو الضُّوَعْ(١)
ويُحَيِّيـنِى إذا لاقيتُـهُ * وإذا يَخْـلُو له لَحْمِى رَتَـعْ
قد كَفَانِى اللهُ ما فى نفسه * وإذا ما يَكْفِ شيئًا لا يُضَعْ(٢)

وقال آخر

إنْ تَحْسُـدُونِى فإنّى لا أَلُومُـكُمُ * قبْلِى مِنَ الناسِ أهلُ الفضلِ قد حُسِدُوا

(١) الضوع : طائر ليلىّ .

(٢) كذا بالأصول . وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة * ومتى ما يَكْفِ شيئا لم يُضَعْ *

فدامَ لِي ولَكُم ما بِي وما بِكُمُ * وماتَ أكثرُنا غيظًا بما يجِدُ
أنا الّذى تجِدونِى فى حُلوقِكُم * لا أرتَقِى صُعُدًا فيها ولا أرِدُ

وقال بعضهم : الحسدُ أوّلُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به فى السماء، يعنى حسدَ إبليسَ آدمَ، وأوّل ذنب عُصِي اللهُ به فى الأرض، يعنى حسد ابن آدم أخاه حتى قتله . وأنشدنى شيخٌ لنا عن أبى زيد الأعرابىّ

لا تقبلُ الرشدَ ولا ترْعوِى * يا نِىَ رأسٍ كابنِ عـوّاءِ
حسَدْتنِى حين أفدتُ الغنى * ما كنتَ إلا كابن حـوّاءِ
عادَى أخاه مُحـرِمًا مُسلِمًا * بطعنـةٍ فى الصُّلب نجْـلاءِ
وأنتَ تقْلِينِى ولا ذنبَ لِى * لكِنَّنى حمّـالُ أعبـاءِ
مَنْ يأخذِ النارَ بأطرافِه * ينْضَحْ على النـارِ منَ المـاءِ

مرَّ قيسُ بن زُهير ببلاد غَطَفانَ فرأى ثروةً وجماعاتٍ وعددًا فكرِه ذلكَ ، فقال له الربيع بن زياد : إنه يَسوءُكَ ما يَسُرُّ الناسَ ! فقال له : يا أخى إنكَ لا تدْرِى ، إنّ مع الثروةِ والنعمة التحاسدَ والتخاذلَ ، وإنّ مع القِلّةِ التحاشُدَ والتناصُرَ .

قال الأصمعىّ : رأيت أعرابيـا قد أتتْ له مائةٌ وعشرون سـنةً ، فقلت له : ما أطْوَلَ(١) عمرَكَ ! فقال : تركت الحسدَ فبقيتُ . وقال زيد بن الحكم الثقفىّ

تملّأتَ مِنْ غيظٍ علىّ فلم يزَلْ * بكَ الغيظُ حتى كدتَ بالغيظ تنْتَوِى
وما برِحَتْ نفسٌ حَسُـودٌ حُشِيتَها * تُذِيبُكَ حتى قيل هل أنتَ مُكْتَوِى
وقال النِّطاسيُّون إنكَ مُشْـعَرٌ * سُلالًا ألا بل أنت من حسَدٍ جَوِى(٢)

(١) فى النسخة الألمانية : ما طوّل .

(٢) فى الأصل «ذَوِى» والتصويب عن خزانة الأدب للبغدادىّ ج ١ ص ٤٩٧ و« جَوِى » من الجَوَى وهو السلّ وداء فى الصدر .

بدا منك غِشٌّ طَالَمَا قد كتَمتَه * كما كَتَمَتْ داءَ ٱبنِها أُمُّ مُـدْوِى
جَمَعتَ وفُحْشًا غيبــةً ونميـمةً * خِلالًا ثلاثًا لستَ عَنهـا بِمُرْعَوِى

وكان يقال : ستَّةٌ لا يَخلُونَ مِنَ الكآبة : رجلٌ ٱفتقرَ بعد غِنًى . وغَنِيٌّ يخافُ على ماله التَّوَى ، وحَقودٌ ، وحسودٌ ، وطالبُ مَرتَبةٍ لا يبلغُها قَدرُه ، ومُخالِطُ[1] الأُدَباءِ بغيرِ أدبٍ .

باب الغِيبة والعُيوب

قال حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا عبد الأعلى عن داود بن عطاء[2] عن ابن خُثَيم عن شَهرِ بنِ حَوْشَب عن أسماءَ بنتِ يزيدَ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : «ألا أُخبِرُكُم بشِرَارِكم» قالوا : بلى . قال : "مِنْ شِرارِكم المشّاءُونَ بالنّميمةِ المفسِدُون بينَ الأحبّةِ الباغُونَ البُرَآءَ العَنَتَ" .

قال وحدّثنى حُسينُ بن الحسن المروزىّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا الأجلحُ عن الشّعبىّ قال : سمعتُ النعمانَ بن بَشِيرٍ يقول على المنبر : يأيُّها الناسُ خُذُوا على أيدى سُفَهائكم ، فإنّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إنّ قومًا رَكِبُوا البحرَ فى سَفِينة ، وٱقتَسمُوها فأصابَ كُلٌّ واحد منهم مَكانًا ، فأخذَ رجلٌ منهمُ الفأسَ فنقرَ مَكانَه ، فقالوا : ما تَصنعُ ؟ فقال : مَكانِى أَصنعُ به ما شِئتُ ، فإن أخَذُوا على يديه نَجَا ونَجَوْا ، وإن تَركوه غَرِقوا وغَرِقَ" .

بلغنى عن حمّاد بن زيد عن ابن عَوْن قال ، قال أبو الدرداء : ليس من يوم أُصبِحُ فيــه لا يَرمِينِى الناسُ بداهية إلا كان نعمةً من الله علىَّ . وقال حسان : قلتُ شِعرًا لم أقلْ مثلَه

وإن ٱمرَءًا أَمسَى وأَصبحَ سالمًا * من الناس إلا ما جنَى لَسَـعيدُ

(١) فى النسخة الفتوغرافية «ومُخالَطة» .
(٢) فى الأصل : «العطاء» بالتعريف والتصويب عن تهذيب التهذيب .

وبلغني عن ابن عيينة قال، قال مِسْعَرٌ : ما نصحتُ أحدًا قطُّ إلّا وجدتُه يُفَتِّشُ عن عيوبي . وقال بعضهم : مَنْ عَابَ سَفِلَةً[1] فقد رفعه، ومَنْ عاب شريفا فقد وضَعَ نفسَه . وقال عمر بن الخطاب : أحبُّ الناسِ إليَّ مَنْ أَهـدَى إليَّ عُيوبِي

أحمد بن يونُس عن الفُضَيل أنه سمعه يقول : إن الفاحشة لتَشِيعُ في الذين آمنوا حتى إذا صارت إلى الصالحين صاروا لها خُزّانًا . قال وسمعته يقول أيضا : حسناتُكَ مِنْ عَدوِّكَ أكثرُ منها مِنْ صَدِيقِكَ . لأن عدوَّكَ إذا ذُكرتَ عنده يَغتابُكَ وإنما يَدفَع إليكَ المِسكينُ حسناتِه

محمد بن عبد الله الأنصاريّ قال حدثنا ابن عون قال: مرّ ابنُ سيرينَ بقوم فقام إليه رجل فقال : يا أبا بكرٍ إنا قد نِلنَا منك فحَلِّلْنَا . فقال: إني لا أُحِلُّ لك ما حرّم اللهُ عليك، فأما ما كان إليّ فهو لكَ .

محمد بن مسلم الطائفيّ[2] قال: جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: بلغني أنك نِلتَ مِنّي، فقال : نفسِي أعزُّ عليّ من ذلك .

الوليدُ بن مسلم عن الأوزاعيّ عن بلال بن سعد قال : أخٌ لك كلّما لقيكَ أخبرك بعيبٍ فيكَ خيرٌ لك مِنْ أخٍ لك كلّما لقيك وَضَع في كفِّك دينارا .

شَرِيكٌ عن عَقِيلٍ قال، قال الحسن: لا غِيبةَ إلا لثلاثة، فاسقٍ مجاهِرٍ بالفِسق، وذِي بدعةٍ، وإمامٍ جائرٍ . وكان يُقَالُ : [مَنْ اغتَابَ][3] خَرَقَ ومَنِ استغفرَ اللهَ رَفَأَ .

(١) كذا في الأصل، وفي اللسان نقلا عن الجوهري : يقال : هو من السَّفِلة ولا يقال : هو سَفِلَةٌ لأنه جمع والعامة تقول : رجل سَفِلَةٌ من قوم سَفِلٍ . قال ابن الأثير: وليس بعربيّ . ثم أورد صاحب اللسان حكاية وقال : ظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سَفِلَةٌ .

(٢) في الأصول «سالم» والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٧ ويؤيده أن الموجود في كتب التراجم «محمد بن مسلم الطائفي» ولم يوجد فيها من يسمى «محمد بن سالم» منسوبا الى الطائف .

(٣) الزيادة عن لسان العرب في مادة «رفأ» .

وفى بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا عَابَ أحدُكم أخاه فَلْيَستغفِرِ اللهَ" . كان يقال : إياكَ وما يُصِمُّ الأذنَ . العتبى قال : قال الوليد بن عتبة بن أبى سفيان : كنت أُسَايِرُ أبى ورجلٌ يقع فى رجل، فالتفت الىّ أبى فقال: يا بُنَىَّ نَزِّهْ سمعَكَ عن استماع الخنا كما تُنَزِّهُ لسانَكَ عن الكلام به، فإن المستمِعَ شريكُ القائل، ولقد نظر إلى أخبث ما فى وِعائه فأفرغه فى وِعائك، ولو رُدَّتْ كلمةُ جاهل فى فِيهِ لَسَعِدَ رَادُّها كما شَقِىَ قائلُها .

فُضَيلُ بن عِياض قال حدّثنا عبد الله بن رجاء عن موسى بن عُبيدَةَ عن محمد بن كعب قال : إذا أراد اللهُ بعبد خيرا زهّده فى الدنيا وفقّهه فى الدّين وبصّره عيوبَهُ . قال فضيل: وربما قال الرجلُ: لا إله إلا الله، أو سبحان الله فأخشَى عليه النارَ، قيل: وكيف ذاك ؟ ، قال : يُغتَابُ بين يديه ويُعجِبه ذلك فيقول: لا إله إلا الله، وليس هذا موضعَه، إنّما موضعُ هذا أن يَنصَحَ له فى نفسه ويقول له : اتّقِ اللهَ .

فى الحديث المرفوع أن امرأتين صامتا على عهد النبىّ عليه السلام وجعلتا تَغتابانِ الناسَ، فأُخبِرَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: "صَامَتَا عمّا أُحِلَّ لهما وأفطرَتا على ما حَرّمَ اللهُ عليهما" . وقال حمّادُ بنُ سلمةَ : ما كنتَ تقوله للرجل وهو حاضرٌ فقلته من خَلْفِه فليسَ بغِيبةٍ .

عاب رجلٌ رجلًا عند بعض الأشراف فقال له : قد استدلَلْتُ على كثرة عُيوبكَ بما تُكثِرُ (1) من عيب الناس، لأنّ الطالبَ للعيوب إنّما يطلبُها بقدر ما فيه منها . قال بعض الشعراء

وأَجْرأُ مَنْ رأيتُ بِظَهْرِ غَيْبٍ ... على عَيبِ الرجال ذَوو العُيُوبِ

(1) فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «عيوب» .

وأنشد ابن الأعرابي

اسكُتْ ولا تَنْطِقْ فأنتَ خَيَّابْ[1] * كُلُّكَ ذو عَيبٍ وأنتَ عَيَّابْ

وأنشدني أيضا

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحِ ٱلْجَيْبِ * وَٱبْنِ أَبٍ مُتَّهَمِ ٱلْغَيْبِ
وكُلُّ عَيَّابٍ له مَنْظَرٌ * مُشْتَمِلُ الثَّوبِ على العَيْبِ

وكان عتبة بن عبد الرحمن يغتابُ الناسَ ولا يَصبِرُ، ثم تَرَكَ ذلك، فقيل له: أتركتَها؟ قال: نعم، على أنّي والله أُحِبُّ أن أسمعها.

أتى رجلٌ عمرَو بنَ مَرْثَدٍ فسأله أن يُكلِّم له أميرَ المؤمنين، فوعده أن يفعلَ، فلما قام قال بعضُ مَنْ حضر: إنه ليس مُستحِقًّا لِما وعدتَه، فقال عمرو: إن كنتَ صَدقتَ في وصْفِك إياه فقد كذبتَ في ادّعائك مَودّتَنا، لأنه إن كان مُستحِقًّا كانت اليدُ موضعَها، وإن لم يكن مُستحِقًّا فما زِدتَ على أنْ أعلمتَنا أنّ لنا بمغيبنا عنك مثلَ الذي حضرتَ به مَنْ غاب مِنْ إخواننا.

وفي الحديث: "إنّ الغيبةَ أشدُّ من الزنا". قيل: كيف ذلك؟ قال: "لأنّ الرجلَ يزني فيتوبُ، فيتوبُ الله عليه، وصاحبُ الغِيبةِ لا يُغفَرُ له حتّى يَغفِرَ له صاحبُها"[2].

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد إنّي اغتبتُ رجلا وأُريدُ أن أَستحِلَّه، فقال له: لم يَكْفِكَ أن اغتبْتَه حتى أردتَ أن تَبهَتَه. اغتابَ رجلٌ رجلًا عند قتيبةَ بن مسلم فقال له قتيبةُ: أَمسِكْ أيها الرجلُ، فوالله لقد تلمَّظْتَ بمُضغَةٍ طالَما لَفَظَها الكِرامُ.

(١) في النسخ التي بأيدينا «حباب» بالحاء المهملة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان فانه ذكر هذا البيت في مادتي «خاب» و «ساب» وقال في تفسير «خَيَّاب» — بعد أن ذكر أن الخياب القِدْحُ الذي لا يُوري — : يجوز أن يكون فعّالا من الخيبة ويجوز أن يُعنَى به أنه مثل هذا القدح الذي لا يوري.
(٢) في الإحياء ج ٣ ص ٩٩ «صاحبه».

مرّ رجلٌ بجاريَيْن له ومعه رِيبةٌ، فقال أحدُهما لصاحبه: أَفَهِمتَ مامعه منَ الرِّيبةِ؟ فقال الآخَرُ: غُلامى حُرٌّ لوجه الله شكرًا له إذ لم يُعَرِّفْنِي مِنَ الشَّرِّ ما عرَّفكَ.

شعبةُ عن يحيى بن الحصين[1] عن طارق قال: دارَ بين سعدِ بن أبى وقّاصٍ و بينَ خالدِ بن الوليد كلامٌ، فذهب رجلٌ لِيَقَعَ فى خالدٍ عند سعدٍ. فقال سعدٌ: مَهْ إنّ مَا بينَنا لم يَبلُغْ دينَنَا. أى عداوةٌ وشرٌّ. وقال الشاعر

ولستُ بِذِى نَيْرَبٍ فى الكِرام[2] * ومَنَّاعَ خَـــيرٍ وسَـــبَّابَهَا
ولا مَنْ إذا كان فى جانب * أَضَاعَ العَشِـــيرَةَ وَاغْتَابَهَا
ولكن أُطاوِعُ سَادَاتِهَا * ولا أَتَعَـــلَّمُ أَلقَابَهَـــا

وقال آخرُ

لا يَأمُلُ الجارُ خيرًا مِنْ جوارِهمُ * ولا مَحالَةَ مِنْ هُزْءٍ وأَلقَابِ

وقال الفرزدقُ

تَصرَّمَ مِنّى وُدُّ بكرِ بنِ وائلٍ * وما خِلتُ عَنِّى وُدَّهُــمْ يَتَصرَّمُ
قَــوارِصُ تأتِينِى ويَحتقِرُونَهَــا * وقد يَملأُ القطرُ الإناءَ فَيَفعُـــمُ

أنشد أبو سعيد الضرير لبعض الضَّبّيين

ألا رُبَّ مَنْ يَغتَــابُنِى وَدَّ أنَّنِى * أبوه الذى يُدْعَى إليه ويُنْسَبُ
على رِشْدَةٍ مِن أُمه أو لِغَيَّةٍ * فَيغلبُهَا فَحْلٌ على النسل مُنْجِبُ
فَبِالخيرِ لا بِالشرِّ فاطلُبْ مودّتِى * وأىّ آمرئٍ يَغتَالُ منه التَّرَهُّبُ

(١) فى الأصول «حصين» بدون أل. والتصويب عن كتب التراجم.
(٢) كذا فى الأصول. وفى اللسان «فى الصديق». ثم قال قال ابن برى: وصواب انشاده
ولست بذى نيرب فى الكلام * ومنّاع قومى وسبّابها
وانظر اللسان فى مادة «نيرب».

وقال آخرُ فى نحوه :

ولما عَصَيتُ العاذِلين ولم أُبَلْ * مَلاَمَتَهم ألقَوْا على غاربى حبلى[1]

وهازِئةٍ مِـنِّى تَوَدُّ لو آبْنُهَـا * على شِيمَتى أو أن قِيَمَهَا مِثْـلِى

قيل لبُزُرْجِمْهر : هل من أحد ليس فيه عيبٌ؟ قال : لا، إن الذى لا عيب فيه لا ينبغى أن يموتَ . وقال فى مثل هذا مُوسَى شَهَوَات :

ليس فيما بدا لنـا منكَ عيبٌ * عابه النـاسُ غـيرَ أنكَ فَانِى

أنتَ خيرُ المتاع لو كنتَ تبقَى * غيرَ أنْ لا بقـاءَ للإنسانِ

وقال أبو الاسود الدؤلىّ :

وتَرَى الشَّقىَّ إذا تكاملَ عيبُه * يُرْمَى ويُقْرَفُ[2] بالذى لم يَفْعَلِ

لَقِيَ بكرُ بنُ عبد الله أخًا له فقال : إذا أردتَ أن تلْقَى مَن النعمةُ عليكَ أعظمُ منها عليه وهو أشكرُ للنعمةِ لَقِيتَه، وإذا شئتَ أن تلْقَى مَنْ أنتَ أعظمُ منه جُرْمًا وهو أخوفُ لله منكَ لَقِيتَه. أرأيتَ لو صحبكَ رجلان: أحدُهمـا مَهتوكٌ لك سِترُه ولا يُذْنِبُ ذنبًا إلا رأيتَه ولا يقول هُجْرًا إلا سمعتَه فأنتَ تُحبّه على ذلك وتُوافقه وتكرهُ أن تُفارقَه، والآخر مَستورٌ عنك أمرُه غيرَ أنك تَظُنُّ به السوءَ فأنتَ تُبْغِضُه، أعَدَلتَ بينهما؟ قال : لا؛ قال : فهل مَثَلِي ومَثَلُكَ ومَثَلُ مَنْ أنتَ راءٍ مِنَ الناس إلا كذلك ؟ إنا نعرفُ الحقَّ فى الغيب مِنْ أنفسنا فنحبها على ذلك، ونَتَظَنَّنُ الظُّنُونَ على غيرِنا فنُبْغِضُهم على ذلك، ثم قال : أنزِلِ الناسَ منك ثلاثَ مَنازلَ، فاجعل مَنْ هو أكبرُ منكَ سِنًّا بمنزلة أبيكَ، ومَنْ هو تِرْبُكَ بمنزلة أخيكَ، ومَنْ هو دونكَ بمنزلة ولدكَ، ثم انظر أىُّ هؤلاء تُحِبُّ أن تَهتِكَ له سِترًا أو تُبدِىَ له عَوْرَةً !

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفى النسخة الفتوغرافية «رحلى» . (٢) يقرف، أى يُعابُ ويُتّهم .

سعيدُ بن واقد ٱلْمُزَنِىّ قال حدّثنا صالح بن الصَّـقْر عن عبد الله بن زُهَير قال : وفَدَ العلاءُ بنُ الحَضْرمِىّ على النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : "أتقرأُ من القرآن شيئا"؟ فقرأ "عَبَسَ" وزاد فيها من عنده : وهو الذى أخرجَ من ٱلْحُبْلَى ، نَسَمَةً تَسْعَى ، مِنْ بين شَراسيفَ وحَشًى ؛ فصاح به النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال له : "كُفَّ فإنّ السورة كافيةٌ" . ثم قال : "هل تَرْوِى مِنَ الشِّعر شيئا"؟ فأنشده :

حَىِّ ذَوِى ٱلْأَضْغانِ تَسْبِ قلوبَهُمْ * تَحِيَّتَكَ القُربَى فقد تُرْقَعُ النَّعَلْ
وإن دَحَسُوا[(1)] بالكُرْهِ[(2)] فٱعْفُ تكرُّمًا * وإن خَنَسُوا[(3)] عنكَ ٱلحديثَ فلا تَسَلْ
فإنّ ٱلذى يُؤْذِيكَ منـه سَمَاعُه * وإنّ ٱلذى قالوا وراءكَ لم يُقَلْ

فقال النبى عليه السلام : "إنّ مِن الشِّعرِ حِكَمًا وإنّ مِنَ البيانِ سِحْرًا" .

وحدّثنى أبو حاتم عن ٱلأصمعىّ قال : قال رجل لبكر بن محمد بن عَلْقَمة : بلغنى أنك تَقَعُ فِىّ ؛ [قال][(4)] : أنتَ إذًا أكرمُ علىّ مِنْ نفسى ! . وقال بعض الشعراء :

لا تَلْتمِسْ[(5)] مِن مَساوِى الناسِ ما سَتَروا * فيَكْشِفَ اللهُ سِتْرًا عن مَساوِيكَا
وٱذكرْ مَحاسِنَ ما فيهم إذا ذُكِروا * ولا تَعِبْ أحدًا منهم بما فيكَا

وقال أبو ٱلدرداء : لا يُحْرِزُ ٱلإنسانَ مِنْ شِرار الناس إلا قبرُه .

قال عمر بن عبد العزيز لمُزاحِم مولاه : إنّ الوُلاةَ جعلوا العيونَ على العوامّ وأنا أجعلُكَ عينِى على نفسى ، فإن سمعتَ مِنّى كلمةً تَرْبَأُ بِى عنها أو فَعَالًا لا تُحِبّه فعِظْنِى عنده وٱنْهَنِى عنه .

العُتْبِىّ قال : تَنَقَّصَ ٱبنٌ لعامر بن عبد الله بن ٱلزبير علىَّ بنَ أبى طالب عليه السلام ؛ فقال له أبوه : لا تَتَنَقَّصْه يا بُنَىَّ ، فإن بَنِى مَروانَ ما زالوا يَشْتُمونه ستّين سنةً فلم

(1) دحس بين القوم : أفسد بينهم . (2) هكذا بالأصل . وفى اللسان فى مادة دحس «بالشرّ» .
(3) خنسوا : أخفوا . (4) زيادة من العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ يتوقف عليها سياق الكلام .
(٥) فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «لا تهتكن» ، وفيه أيضا : «فيهتك» بدل «فيكشف» .

يَزِده الله إلا رفعةً ، وإن الدِّينَ لم يَبْنِ شيئا فهدَمَته الدنيـا ، وإن الدنيا لم تَبْنِ شيئا إلا عادت على ما بَنَتْ فهدمتْه . وقال بعض الشعراء :

ابدأْ بنفسك فانْهَهَا عن غَيِّهَا * فإذا انتهتْ عنه فأنتَ حكيمُ
فهناكَ تُعذَرُ إن وَعَظْتَ ويُقتَدَى * بالقول منك ويُقبَلُ التعليمُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتِيَ مثلَه * عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

وقال آخر :

ويأخُذُ عيبَ الناس من عَيْبِ نفسه * مُرَادٌ لَعَمْرِي ما أراد قريبُ

وقال آخر :

لَكَ الخيرُ، لُمْ نفسًا عليك ذُنوبُها * ودَعْ لَوْمَ نَفْسٍ ما عليك تُلِيمُ[1]
وكيف تَرَى فى عين صاحبك القَذَى * ويَخْفَى قَذَى عينيك وهو عظيمُ

كان رجلٌ مِنَ المُتَزَمِّتِين[2] لا يزالُ يَعيبُ النبيذَ وشَرَابَه فاذا وَجَدَه سِرًّا شَرِبَه؛ فقال فيه بعضُ جيرانه :

وعَيَّابَةٍ للشُّرْبِ لو أَنَّ أُمَّه * تبولُ نبيذًا لم يزلْ يَسْتَبِيلُهَا

قال رجل لعمرو بن عُبَيد : إنى لَأَرْحَمُك ممّا تقولُ الناسُ فيك؛ قال : أفتسمَعُنى أقول فيهم شيئا؟ قال : لا؛ قال : إيّاهُم فارحَمْ .

قال أعرابىّ لامرأته :

وإمّا هَلَكْتُ فلا تَنْكِحِى * ظَلُومَ العَشيرةِ حَسَّادَهَا
يَرَى مَجْدَه ثَلْبَ أعراضها * لديه ويُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا

---

(١) تليم : من ألام الرجلُ اذا أتى ذنبا يلام عليه .

(٢) من تَزَمَّتَ اذا توقر فى مجلسه ، ومنه الزِّمِّيت كأمير، أى الوقور الساكن القليل الكلام ، والزِّمِّيت كسِكِّين أوقر منه .

باب السِّـــعَاية

روى وكيع عن أبيه عن عَطاء بن السائب قال : قَدِمت مِنْ مكة فلقيني الشعبيُّ فقال : يا أبا زيد أَطْرِفْنَا مما سمعتَ ؛ قلتُ : سمعتُ عبدَ ٱلرحمن بنَ عبد الله بن سَابِط يقول : لا يَسْكنُ مكّةَ سافِكُ دمٍ، ولا آكلُ رِبًا ، ولا مَشَّاءٌ بنميم ؛ فعجبتُ منه حين عَدَلَ النميمةَ بسَفْكِ ٱلدماء وأَكْلِ ٱلرِّبا ؛ فقال الشعبيّ : وما يُعجِبُك مِنْ هذا ! وهل تُسفَكُ ٱلدِّماءُ وتُرْكَبُ العظائمُ إلا بالنميمة !

عاتب مُصْعَب بن ٱلزبير ٱلأحنفَ بن قَيس على شيء بلغه عنه ، فاعتذَر إليه الأحنفُ من ذلك ودَفَعه ؛ فقال مُصعَبٌ : أَخبرني بذلك الثِّقةُ ؛ فقال الأحنفُ : كلّا أيها الأميرُ، إن الثقةَ لا يُبَلِّغُ . قال الأعشى :

ومَنْ يُطِعِ الواشِــينَ لا يترُكُوا له * صَديقًا وإن كانَ ٱلحبيبَ المقرَّبَا

وذُكِرَ السُّعَاةُ عند المأمون فقال رجلٌ ممن حضر : يا أميرَ المؤمنين، لو لم يَكُنْ مِنْ عيبِهم إلّا أنّهم(١) أصدقَ ما يكونونُ أبغضُ ما يكونون إلى الله(٢) لَكَفَاهُمْ .

سَعَى رجلٌ إلى بلالِ بن أبي بُرْدَةَ برجل ؛ فقال له : انصرِفْ حتى أسألَ عمّـا ذَكَرْتَ ، وبَعثَ في ٱلمسألة عن السّاعي فإذا هو لغير أبيه ٱلذي يُدْعَى له ، فقال بلالٌ : أخبرنا أبو عمرو قال حدّثني أبي قال : قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم : "السَّاعِي بالناس لغير رِشْدَة"(٣) . وقال الشاعر :

إذا الوَاشِي نَعَى يومًا صـديقًا * فلا تَدَعِ الصَّديقَ لِقَولِ وَاشِي

(١) هاتان الكلمتان (إلا أنهم) ليستا بالأصل ، وقد نقلناهما عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ، وفي الأصل «الى الناس» .

(٣) يقال : هـذا ولد رِشْـدة اذا كان لزواج صحيح ، وجاء هـذا الحديث في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ولسان العرب في مادة «رشد» بلفظ «الساعي لغير رشدة» .

أَتَى رجلٌ الوليدَ بنَ عبد الملك وهو على دِمَشْقَ لأبيه ، فقال : للأمير عندى نصيحةٌ ، فقال : إن كانت لنا فأَظْهِرْها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها ؛ قال : جارٌ لى عَصَى [وفَرّ] من بَعْثِه (١) ، قال : أمّا أنتَ فتخبر أنكَ جارُ سوء ، فإن شئتَ أرسلنا معك ، فإن كنتَ صادقا أقصيناكَ ، وإن كنتَ كاذبا عاقبناكَ ، وإن شئتَ تارَكْناكَ ؛ قال : بل تارِكْنِى .

وقال عَبْدَةُ بنُ الطَّبِيب :

وٱعصُوا ٱلذى يُسْدِى (٢) ٱلنميمةَ بينكم * مُتَنَصِّحًا وهــو السِّمامُ (٣) ٱلمُنْقَــعُ
يُزْجِى عقَـارِبَهُ لِيبعثَ بينـكم * حَرْبًا كما بَعَثَ العُـرُوقَ ٱلأَخْدَعُ (٤)
حَرّانَ لا يَشْـفِى غَلِيـلَ فُؤَادِهِ * عَسَـلٌ بمـاءٍ فى ٱلإناء مُشَعْشَعُ (٥)
لا تأمَنُوا قــوما يَشِبُّ صَبِيُّهــم * بين القبائل بالعَــدَاوة يُنْسَــعُ (٦)
إن ٱلذيــن تُرَوْنَهُــمْ خُلّانَكُمْ * يَشْفِى صُدَاعَ رُءوسِهم أن تُصْرَعُوا (٧)
فَضَلَتْ عَدَاوتُهــم على أحلامهم * وأَبَتْ ضِبَابُ (٨) صدورِهم لا تَنْزِعُ
قومٌ إذا دَمَسَ (٩) الظــلامُ عليهمُ * حَــدَجُوا قَنافِذَ (١٠) بالنميمة تَمْــزَعُ (١١)

---

(١) فى النسخة الفتوغرافيــة «من يعنه» وفى الألمـانيــة «من يعيّه» . وماوضعناه والزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ (٢) رواه صاحب المفضّليّات : يزجى النمائم ، أى يسوقها .

(٣) رواه صاحب المفضليات : ذاك السِّمام . (٤) الأخدع : عرق فى العنق فى موضع الحجامة . (٥) مشعشع : ممزوج . (٦) ينسع : يؤذى جيرانه ، وروى الشطر الأخير من هــذا البيت فى المفضليات هكذا : * بين القوابل بالعداوة ينشع *

ويُنْشَع من نُشِع فلانٌ بكذا : أُولع به . (٧) كذا فى الأصل . وروى فى المفضليّات وشواهد "المسند إليه" من تلخيص المفتاح :

إن الذين ترونهم إخوانكم * يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

(٨) الضباب جمع ضَبّ ، والمراد به : الغل المعن فى الصدر إمعان الضب فى جحره . (٩) دمس : اشــتدّت ظلمته . (١٠) حدجوا قنافذ : رحلوا ، أراد أنهم يسهرون بالنميمة والاحتيال فى الشرّ كما يسهر القنفذ ، لأنه يسير ولا ينـام ليله أجمع . كذا فى شرح المفضليات . (١١) تمزع : تسرع .

وقال أبو دَهْبَلٍ ٱلْجُمَحِىُّ :

وقــد قَطَعَ الواشونَ ما كان بيننا * ونحن إلى أن يُوصَلَ ٱلحبلُ أحوجُ
رَأَوْا عورةً فاســتقبلوها بِأَلْبِهِــمْ(١) * فَراحُوا على ما لا نُحِبُّ وأَدْلَجُــوا
وكانوا أُناسا كنتُ آمنُ غَيبَهم * فــلم ينهَهُمْ حِلمٌ ولم يَتَحَــرَّجُوا

وقال بَشَّارٌ :

تَشتهِى قُربَكَ ٱلرَّبابُ وتَخْشَى * عينَ واشٍ وتَتَّقِى أَسماعَهْ
أنتَ مِنْ قلبها مَحَــلُّ شَرابٍ * تَشتَهِى شُربَهُ وتَخشَى صُدَاعَهْ

وقال أبو نُوَاس :

كنتُ من ٱلحبّ فى ذُرَى نِيقٍ(٢) * أَرُودُ منــه(٣) مَرادَ مَوْمُــوقِ
حتى ثَنَــانِى عنــه تَخَلُّقُ وا * شٍ كَذُبَةٍ لَفْقُهَــا بِتَزْوِيقِ
جُبْتُ قَفَا ما نَمَتْــه مُعْتَــذِرًا * منه وقد فُزتُ بعــد تخريقِ(٤)
كقول كسرى فيما تَمَثَّــله * مِنْ فُرَصِ ٱللِّصِّ ضَجَّةُ السُّوقِ

وقرأت فى كتاب للهند: قَلَّمَا يُمْنَعُ القلبُ من القول إذا تَرَدَّدَ عليه، فإن ٱلمــاءَ أَلينُ من القول والحجرَ أصلب من القلب، وإذا ٱنحدَر عليه وطال ذلك أثَّر فيه، وقد تُقطعُ الشجرةُ بالفؤوس فتَنبُتُ ويُقطعُ ٱللحمُ بالسيوف فيندَمِلُ وٱللسانُ لا يندملُ جُرحُه، والنُّصُولُ تَغيبُ فى ٱلجوف فتُنْزَعُ والقولُ إذا وصل إلى القلب لم يُنْزَعْ، ولكلّ حريقٍ مُطفِئٌ: للنار المــاءُ، وللسمّ ٱلدواءُ، وللحزن الصبرُ، وللعشق الفُرقةُ، ونارُ ٱلحقد لا تَخْبُو.

(١) بألبهم : بجمعهم . (٢) نيق : مرتفع .
(٣) فى النسخة الفتوغرافية «فيه» .
(٤) فى الأصلين ونسختى الديوان المطبوعة والمخطوطة * وقد فزت منه بعد تخريق * وما أثبتناه رواية فى هامش النسخة الألمانية . وبها يستقيم الوزن .

وقال طَرَفَةُ بن العبد :

وتَصُدُّ[1] عنك مَخِيلَةَ الرجُلِ الـعِرِّيضِ مُوضِحَةٌ عن العَظْمِ

بِحُسَامِ سيفكَ أو لسانِكَ والـكَلِمُ الأصِيلُ كأوسَعِ الكَلْمِ

ونحوه قوله :

* والقولُ يَنْفُذُ ما لا تَنفُذُ الإِبَرُ *

وقال امرؤ القيس :

* وجَرْحُ اللسانِ كَجَرْحِ اليدِ *

سأل رجلٌ عبدَ الملك بن مروان الخَلْوَةَ، فقال لأصحابه : إذا شئتم [تنحَّوا][2]، فلما تهيَّأ الرجلُ للكلام قال له : إياكَ وأن تمدَحَني فإني أعرَفُ بنفسي منكَ، أو تكذِبَني فإنه لا رأيَ لكَذُوبٍ، أو تَسعَى بأحدٍ إليّ، وإن شئتَ أن أُقيلَكَ أقلتُكَ، قال : أَقِلْني.

وقال ذو الرياستين : قبولُ السِّعايةِ شرٌّ من السِّعايةِ، لأن السعايةَ دلالةٌ والقبولَ إجازةٌ، وليس مَنْ دلّ على شيءٍ كمن قَبِلَ وأجازَ، فامقُتِ الساعيَ على سِعايته وإن كان صادقا لِلُؤْمِه في هَتْكِ العورةِ وإضاعةِ الحُرمةِ، وعاقِبْهُ إن كان كاذبًا لجمعه بين هَتْكِ العورة وإضاعةِ الحرمةِ مُبارزةً للهِ بقول البهتان والزور.

وقال بعضُ المُحْدَثين لعبد الصمد بن المعذَّلِ :

لَعَمْـرُكَ ما سَبَّ الأميرَ عدُوُّه * ولكنّما سَبَّ الأميرَ المبلِّغُ

وقال رجلٌ للوليد بن عبد الملك : إنّ فلانًا شتمكَ، فأكبَّ ثم قال : أُرَاهُ شتمَكَ.

وأتى رجلٌ ابنَ عمرَ فقال له : إن فلانا شتمكَ، فقال له : إنّي وأخي عاصمًا لانُسابُّ أحدًا.

عَوانةُ قال : كان بين حاتم طيئ وبين أوس بن حارثة ألطفُ ما يكون بين اثنين؛ فقال النعمانُ بنُ المنذر لجلسائه : واللهِ لأُفسِدَنّ ما بينهما؛ قالوا : لا تقدِرُ على ذلك؛

(١) في كتاب الشعر والشعراء : «وترّد»، والعِرِّيض : الرجل الذي يتعرّض الناس بالشرّ.

(٢) زيادة في النسخة الألمانيّة.

قال : بلى فقلّما جَرت الرجالُ فى شىء إلا بَلَغتَه ؛ فدخل عليه أوسٌ ؛ فقال : يا أوسُ ما الذى يقولُ حاتمٌ ؟ قال : وما يقولُ ؟ قال : يقول إنه أفضلُ منك وأشرفُ ؛ قال: أبيتَ اللّعنَ ، صَدَقَ ! واللهِ لو كنتُ أنا وأهلى وولدى لحاتم لأَنْهَبَنا فى مجلسٍ واحدٍ ، ثم خرج وهو يقولُ :

يقولُ لِىَ النعمانُ لا مِنْ نصيحةٍ * أرى حاتمـا فى قوله مُتَـطَاوِلَا
له فَوقَنَا باعٌ كـما قال حاتمٌ * وما النُّصْحَ فيما بيننا كان حَاوَلَا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثلَ مقالته لأوس ؛ قال : صَدَقَ ، أين عسى أن أقعَ مِن أوس ! له عشرةُ ذكورٍ أخسُّهم أفضلُ مِنّى ، ثم خرج وهو يقول :

يُسائلُنِى النعمانُ كى يَسْتزِلَّنِى * وهيهاتَ لى أن أستضَامَ فأُضْرَعَا
كَفَانِىَ نقصًا أن أَضيمَ عَشيرتِى * بقولٍ أَرَى فى غيره مُتَوسَّـــعا

فقال النعمانُ : ما سمعتُ بأكرمَ من هذَين الرجلين .

ذكر يعقوبُ بن داود أيامَ كان مع المهدىّ أنه وافاه فى يوم واحدٍ ثمـانون رُقعةً كُلّها سعايةٌ ، منها ستون لأهل البَصْرة ، وعشرون لسائر البلاد .

وَشَى وَاشٍ برجلٍ الى الإسكندر ؛ فقـال له : أَتُحِبُّ أنـ أقبلَ منك ما قُلْتَ فيــه على أن نَقبلَ منه ما قال فيك ؟ قال : لا ؛ قال : فَكُفَّ عن الشرِّ يَكُفَّ عنك الشرُّ .

كتب بعضُ إخواننا من الكُتّاب إلى عاملٍ وكان سُعِىَ به إليه : لستُ أنفكُّ فيما بينى وبينك من إحدى أربع : إما كنتَ مُحسنا وإنك لكذلك فاربُبْ ، أو مُسيئًا ولستَ به فأَبْقِ ، أو أكونُ ذا ذنبٍ ولم أتعمَّدْ فتغمَّدْ ، أو مقروفا وقد تلحَقُ به حِيلُ الأشرار فتثَبَّتْ (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ)

باب الكذب والقِحَة

حدّثنى أحمد بن الخليل قال حدّثنا سليمان بن داود عن مَسْلَمَةَ بنِ علقمة عن داود بن أبى هند عن شَهْرِ بن حَوْشَبٍ عن الزِّبْرِقَان عن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يَصلُحُ الكذبُ إلا فى ثلاثةِ مواضعَ[1] الحربِ فإنها خُدْعةٌ والرجلِ يُصلحُ بين ٱثنين والرجلِ يُرْضِى ٱمرأته" .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا بَرْبَرُ[2] بنُ هارونَ قال أخبرنا سفيانُ بنُ حسين عن الزهرىّ عن حُميد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم "لم يَكْذِبْ مَنْ قال خيرًا وأصلَحَ بين ٱثنين" .

قال : حدّثنى عَبْدَةُ بن عبد الله قال حدّثنا أبو داود عن عِمران عن قتادة قال : قال أبو الأسود الدؤلىّ : إذا سَرَّكَ أن تُكْذِبَ صاحبَك فَلَقِّنْه .

حدّثنى محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن مالك عن صفوان بن سليم قال : قيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم : أيكُونُ المؤمن جبانًا ؟ قال : "نعم" قال : أفيكون بخيلا ؟ قال : "نعم" قال : أفيكون كذّابا؟ قال : "لا" . قال حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال : عاتب إنسانٌ كذّابا على الكذب، فقال : يابن أخى لو تَغرغَرتَ[3] به ما صَبَرْتَ عنه . قال : وقيل لكذوب : أصدقتَ قطُّ ؟ قال : أكره أن أقول لا فأصْدُقَ . وقال ٱبن عبّاس : الحدثُ حَدَثانِ : حدثٌ مِن فيكَ وحدثٌ مِن فرجِكَ . وقال مدينىّ : مَنْ ثَقُلَ على صديقه خَفَّ على عدوّه ، ومَنْ أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون . ومثلُه قول الشاعر :

(١) وفى رواية : «مواطن» . (٢) كذا فى الأصول ولم نقف فى كتب التراجم على من يسمى بربر ابن هارون ، ولعله يزيد بن هارون ، وهو أحد الرواة عن سفيان بن حسين كما فى تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٠٨

(٣) تغرغرت به : ردّدته فى حلقك .

وَمَنْ دَعا النـاسَ الى ذَمِّهِ * ذَمُّوه بالحـــقِّ وبالباطلِ
مَقـالَةُ السّوءِ إلى أهلِهـا * أسرعُ مِن مُنحَدِرٍ سـائلِ

بلغنى عن وكيع عن أبيه عن منصور قال: قال مجاهد: [كلّ](١) ما أصابَ الصائمُ شَوًى(٢) ما خلا الغيبةَ والكذبَ. وقال سليمان بن سعد: لو صحبنى رجلٌ فقال: آشترطْ خَصلةً واحدة لا يزيد عليها، لقلتُ لا تكذِبنى. كان آبن عبّاس يقول: الكذبُ فُجُور، والنميمة سِحرٌ، فمن كذب فقد فجَرَ، ومن نمّ فقد سحَر. وكان يقال: أسرعُ الاستماعَ وأبطئ التحقيقَ. قال الأحنف: ما خان شريفٌ ولا كذَب عاقلٌ ولا آغتاب مُؤمِنٌ. وكانوا يحلِفون فيحنَثون ويقولون فلا يكذِبون. ذمّ رجل رجلا فقال: اجتمع فيه ثلاثة: طبيعةُ العَقْعَق(٣) يعنى السَّرِقَ، وروَغانُ الثعلب يعنى الخِبّ، ولمَعانُ البرق يعنى الكذبَ. ويقال الأذِلّاء أربعة: النمّـامُ والكذّاب والمدين والفقير. قال آبن المقفّع: لا تَهاوَنَنّ بإرسال الكِذبة فى الهَزْل فإنها تُسرِعُ فى إبطال الحقّ. وقال الأحنف: آثنان لا يجتمعان أبدا: الكذبُ والمروءةُ. وقالوا: من شرفِ الصِّدق أن صاحبَه يُصَدَّق على عدوه. وقال الأحنف لآبنه: يا بُنَيّ آتّخذ الكذبَ كَنْزاً، أى لا تُخرِجه. وقيـل لأعرابىّ كان يُسهِبُ فى حديثـه: أمَا لحديثك هـذا آخِرٌ؟ فقال: إذا آنقطع وصلتُه. وقال آبن عمر: "زعموا" زاملةُ(٤) الكذب. كان يقال: عِلّةُ الكَذوب أقبحُ عِلّة، وزَلّةُ المتوقّى أشـدُّ زَلّة. كان المهلّب كذّابا وكان يقال له: راحَ يَكذِب. وفيـه يقول الشاعر

---

(١) الزيادة عن اللسان فى مادة «شوى». (٢) أى: شىء يسير هيّن. وأصل الشوى الأطراف ومعنى الحـديث أن كل شىء أصابه الصائم هين لأنه بمنزلة الأطراف التى هى ليست بمقاتل، ما عدا الغيبة والكذب فإنهما فى تأثيرهما على الصوم بمنزلة المقاتل من الإنسان. (٣) العقعق: طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب ويقال له: القعقع، والعرب تتشاءم به وتضرب به المثـل فى السرقة والخيانة والخبث. (٤) الزاملة: الدابّة التى يحمـل عليها، يريد أن لفظ «زعموا» مطيّة الكذب ومركبه.

تبدّلت المنابرُ من قُريش * مَزُونيّا بقَفْحته الصليبُ (١)
فأصبح قا فلّا كرمٌ وجودٌ * وأصبح قادمًا كذبٌ وحُوبُ

قال رجل لأبي حنيفة : ما كذبتُ كِذْبةً قطّ ، قال : أمّا هذه فواحدةٌ يُشهَدُ بها عليك . قال ميمون بن ميمون : مَنْ عُرِف بالصدق جاز كذبُه ، ومَنْ عُرِف بالكذب لم يَجز صِدقُه . قال أبو حَيّةَ النُّمَيْرِيّ — وكان كذّابا — : عنّ لي ظَبيٌ فرميتُه فراغ عن سهمي فعارضه واللهِ السهمُ ، فراغ فراوغَه السهمُ حتى صرعه ببعض الخَبَارات (٢) . وقال أيضا : رميتُ ظبيةً فلما نفذ السهمُ ذكرتُ بالظبية حبيبةً لي فشددتُ وراء السهم حتى قبضتُ على قُذَذِه (٣) . وصَفَ أعرابيّ امرأة فقيل : ما بلغ من شدّة حُبّك لها؟ قال : إني لأذكُرها وبيني وبينها عقبةُ الطائف فأجِدُ من ذِكرها ريحَ المسك .

أنشد الفرزدقُ سليمانَ بن عبد الملك :

ثلاثٌ وآثنتانِ فهنّ خمسٌ * وسَادسةٌ تميلُ الى شِمَامِ
فبِتْنَ بجانبيّ مُصَرَّعاتٍ * وبِتُّ أفُضُّ أغلاقَ الخِتَامِ
كأنّ مَفَالِقَ الرُّمّانِ فيه * وجَمْرَ غَضًا قَعَدْنَ عليه حَامِي

فقال له سليمان : ويحك يافرزدقُ ، أحللتَ بنفسك العقوبةَ ، أقررتَ عندي بالزنا وأنا إمامٌ ولا بدّ لي من أن أحُدَّكَ ، فقال الفرزدقُ : بأيّ شيء أوجبتَ عليّ ذلك؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن كتابَ الله هو الذي يَدْرَأُ عنّي الحدّ ، قال : وأين؟ قال : في قوله : (وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) فأنا قلتُ ياأمير المؤمنين مالم أفعل ، وقول الشاعر :

وإنما الشاعرُ مجنونٌ كَلِبْ * أكثرُ ما يأتي على فيه الكذِبْ

(١) كذا في لسان العرب في مادة «مزن» والذي في الأصل «المنازل» .

(٢) في الأصل «الخيارات» وفي الأغاني «الجبانات» وفي البيان والتبيين «الجنارات» والتصويب عن الشعر والشعراء لابن قتيبة . والخبارات جمع خَبَارة وهي ما لان واسترخى من الأرض وساخت فيها القوائم وفي المثل «من تجنّب الخبارَ أمِنَ العِثار» . (٣) القذذ جمع قُذّة : ريش السهم .

وقال الشاعر :

حَسْبُ الكَذُوبِ من البليّة بعضُ ما يُحكى عليه
مهما سَمِعْتَ بِكِذْبةٍ * مِنْ غيره نُسِبَتْ إليه

وقال بشّار :

وَرَضِيتُ من طُولِ العَنَاءِ بيأسه * واليأسُ أيسرُ مِنْ عِدَاتِ الكاذب

والعرب تقول : «أَكْذَبُ مِنْ سَالِئَةٍ»[1] وهى تكذب مخافةَ العين على سَمْنها . و«أَكْذَبُ مِن مُجَرِّب» لأنه يخاف أن يُطلَبَ من هِنائه[2] . و«أَكْذَبُ مِنْ يَلْمَعٍ» وهو السراب . منصور آبن سَلَمة الخُزَاعىّ قال حدّثنا شبيبُ بن شيبة أبو مَعْمَر الخطيب قال : سمعت آبن سيرين يقول : الكلامُ أوسعُ من أن يكذبَ ظريفٌ . وقال فى قول الله عزّ وجلّ : (لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ) لم ينس ولكنها من معاريض الكلام . وقال القينىّ : أَصْدُقُ فى صِغار ما يضرّنى لِأُصَدَّقَ فى كِبار ما ينفعنى . وكان يقول : أنا رجل لا أبالى ما آستقبلتُ به الأحرارَ . نافرَ رجل من جَرْم رجلا من الأنصار الى رجل من قريش ، فقال للجَرْمىّ : أبالجاهليّة تُفاخره أم بالإسلام ؟ فقال : بالإسلام ؛ فقال : كيف تُفاخره وهم آوَوْا رسولَ الله ونصروه حتى أظهر الله الإسلامَ ؟ قال الجرمىّ : فكيف تكون قلّةُ الحياء . وقال آخر : إنما قَوِيتُ على خصومى بأنّى لم أستتر قطّ بشىء من القبيح . وذكر أعرابىّ رجلا فقال : لو دُقَّ وجهُه بالحجارة لرضّها ، ولو خلا بأستار الكعبة لسَرَقَها . قيل لرجل من بنى أسد : بأىّ شىء غلبتَ الناسَ ؟ قال : أَبْهَتُ الأحياءَ وأَستشهِدُ الموتى .

وقال طُرَيْحٌ الثقفىّ يذمّ قوما :

إن يَعلَمُوا الخيرَ يُخْفُوه وإن علِمُوا * شَرًّا أُذِيعَ وإن لم يَعلَمُوا كَذَبُوا

---

(١) فى مجمع الامثال "السالئة" بالتعريف ، وهى التى تسلأ السمن أو تطبخه وتعالجه ، قال الميدانى فى مجمع الأمثال : وكذبها أنها تقول : قد ارتجن ، قد احترق . والارتجان ألّا يخلص سمنها .

(٢) الهناء : القطران .

وكان يقال : آثنانِ لا يتّفقانِ أبدًا : القناعةُ والحسدُ، وآثنان لا يفترقان أبدا : الحِرص والقِحة، وقال الشاعر :

إنْ يَبخَلُوا أو يَغدِرُوا * أو يَفجُرُوا لا يَحفِلُوا
يَغدُوا عليك مُرَجَّلِيـــنَ كأنّهُــمْ لم يَفعَلُوا (١)
كأبِي بَراقِشَ كُلَّ لو * نٍ لَونُهُ يَتَخَيَّلُ (٢)

هَجَا أبو الهولِ الحِميريُّ الفضلَ بنَ يحيى ثم أتاه راغبا إليه ، فقال له الفضل : ويلكَ بأيِّ وجه تلقاني ! قال : بالوجه الذي ألقى به ربّي وذنوبي اليه أكثرُ، فضحك ووصله .

ومن أمثال العرب في الوَقاح «رَمَتْنِي بدائِهَا وٱنسَلَّتْ» . وقال الشاعر :

أَكُولٌ لِأرزاقِ العباد إذا شَتَا * صَبُورٌ على سُوءِ الثَّنَاءِ وَقَاحُ (٣)

قال رجلٌ لقوم يغتابونَ ويكذِبونَ : توضّئُوا فإنّ ما تقولون شرٌّ من الحَدَث . وبلغني عن حمّاد بن زيد عن هشام عن محمد قال : قلتُ لعَبِيدَةَ : ما يوجبُ الوضوءَ؟ قال : الحدَثُ وأذَى المسلم . روى الصَّلْتُ بنُ دينار عن عُقْبةَ عن أنَس بن مالك قال : بعثني أبو موسى الأشعريّ من البصرة الى عمرَ، فسألني عن أحوال الناس ثم قال : كيف يَصلُحُ أهلُ بلدٍ جُلُّ أهلِهِ هَذَانِ الحَيّانِ : بكرُ بن وائل وبنو تميم، كَذَبَ بكرٌ وبَخِلَ تميمٌ . ذكر بعضُ الحكماء أعاجيبَ البحر وتَزَيُّدَ البحريِّينَ فقال : البحرُ كثيرُ العجائب، وأهلُه أصحابُ تَزَيُّد، فأفسَدُوا بقليل الكذب كثيرَ الصِّدق، وأدخَلوا ما يكونُ فيما يكادُ لا يكونُ، وجعلوا تصديقَ الناس لهم في غريب الأحاديث سُلَّمًا الى آدّعاءِ المُحَالِ .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : كان يقال : الصّدقُ أحيانا مُحَرِّمٌ .

---

(١) جزم « يغدوا » لأنه بدل من «لا يحفلوا» فان غدوّهم مرجّلين هو في معنى أنهم لم يحفلوا . كذا يؤخذ من اللسان . والترجيل : مشط الشعر وإرساله . (٢) أبو براقش : طائر يتلوّن ألوانا شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فاذا انتفش تغيّر لونه ألوانا شتّى . كذا في اللسان .

(٣) كما يستعمل الثناء في ذكر المرء بالخير يستعمل في ذكره بالشر .

حدّثنى شـيخٌ لنا عن أبى معاويةَ قال حدثنا أبو حنيفةَ عن معن بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبدُ الله بن مسعود : ما كذبتُ على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم إلا كَذْبةً واحدةً ، كُنتُ أُرَحِّلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجلٌ من الطائف فقلت : هذا يَغْلِبُنى على الرِّحال ، فقال : أىُّ الرِّحال أحبُّ الى رسول الله ؟ فقلت : الطائفيّة المكيّةُ ، فرحَّل بها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ رَحَّلَ لَنا هَذا" فقالوا : الطائفىّ ؛ فقال : "مُرُوا عبدَ الله فليُرَحِّلْ لَنَا" فعُدتُ الى الرِّحال .

باب سوء الخُلُق وسوء الجوار والسِّبَاب والشّر

حدّثنى زياد بن يحيى قال حدّثنا أبو داود عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبدالله بن غالب عن أبى سعيد الخدرىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خَصْلَتَان لاتجتَمِعانِ فى مُؤْمنٍ سُوءُ الخُلُقِ والبُخلُ" .

قال وحدّثنى أحمد بن الخليل عن أزهر بن جميل عن إسماعيل بن حكيم عن الفضل ابن عيسى عن محمد بن المنكدر عن جابر[قال](1) : قيل : يارسولَ الله ما الشُّؤمُ ؟ قال : "سُوءُ الخُلُقِ" .

قال وحدّثنى أبو الخطّاب قال حدّثنا بِشر بن المفضّل قال حدّثنا يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المُسْتَبَّانِ ماقالَا فَعَلَى البادئِ منهما مالَمْ(2) يعتَدِ المظلومُ» .

قال وحدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال : حدّثنى شـيخ يمنّى قال : صَحِبَ أيوبَ رجلٌ فى طريق مكة فآذاه الرجلُ بسوء خُلقه ، فقال أيوبُ : إنّى لأرحمُه لسوء خلقه .

(1) زيادة فى النسخة الألمانية . (2) فى الإحياء «حتى يعتدى ...» .

قال وحدّثني عبدالرحمن عن الأصمعيّ قال : قال أبو الأسود : لو أطعنا المساكينَ في أموالنا كُنّا أسوأَ حالًا منهم . وأوصَى بنيهِ فقال : لا تُجاوِدُوا اللهَ فإنه أمجدُ وأجودُ، ولو شاء أن يُوسِّعَ على الناس كُلِّهم حتى لا يكونَ محتاجٌ لَفعلَ، فلا تَجهَدُوا أنفُسَكم في التوسُّعِ فتَهلِكُوا هُزْلًا . قال : وسمع رجلا يقول : مَن يُعَشِّي الجائعَ؟ فقال : عليّ به ، فعَشّاه ثم ذهب ليخرجَ ، فقال : أين تريد؟ ، قال : أُريدُ أهلي ، قال : هيهاتَ ، عَلَيَّ ألّا تُؤذِيَ المسلمينَ الليلةَ ، ووضعَ في رجلِهِ الأدهمَ حتى أصبحَ . قال : وأكل أعرابيّ معه تمرا فسقطتْ من يدِ الأعرابيّ تمرةٌ فأخذها وقال : لا أدعُها للشيطان ، فقال أبو الأسود : لا واللهِ ولا لجبريلَ . نظر آبنُ الزبير يوما الى رجل وقد دَقَّ في صدور أهل الشأم ثلاثةَ أرماحٍ فقال : آعتزِلْ حَرْبنا فإنّ بيتَ المال لا يقومُ لهذا . وذكر أبو عبيدة أنه[1] كان يأكل في كلّ سبعة أيام أَكْلَةً ويقول في خطبته : إنما بطني شبرٌ في شبرٍ وما عسى أن يكفيَني . وقال أبو وَجْزة مولى آل الزبير :

لو كان بطنُكَ شبرًا قد شبِعْتَ وقد * أفْضَلتَ فضلا كثيرًا للمساكينِ
فإن تُصِبْكَ منَ الأيّام جائحةٌ * لانَبْكِ منكَ على دُنيا ولا دِينِ

وفيها يقول :

مازِلْتَ في سُورة الأعرافِ تَدْرُسُها * حتّى فُؤادُكَ[2] مِثلُ الخَزِّ في اللِّينِ

وفيها يقول :

إنّ آمرأً كنتُ مولاهُ فضيَّعني * يَرجُو الفلاحَ لَعندي حَقُّ مَغْبُونِ

وفيه يقول آخر :

رأيتُ أبا بكرٍ — وربُّك غالبٌ * على أمرِه — يبْغِي آلخلافةَ بالتمْرِ

(١) أي آبن الزبير كما في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢

(٢) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢ «فؤادي» .

هذا حين قال : أكلتم تمرى وعصيتم أمرى . وقال بعض الشعراء :

مِنْ دون سَيبِكَ(١) لونُ ليلٍ مُظلِم * وحَفيفُ نابِجةٍ(٢) وكلبٌ مُوسَدُ(٣)
وأخوكَ مُحتمِلٌ عليك ضَغينةً * ومُسيفُ(٤) قومِكَ لائمٌ لا يُحْمَدُ
والضَّيفُ عندكَ مثلُ أسودَ سالخٍ(٥) * لا بل أحبُّهما اليكَ الأسودُ

ومَدَح أعرابىٌّ سعيدَ بن سَلم فقال :

أيَا سَارِياً بالليل لا تَخْشَ ضِلَّةً * سَعيدُ بنُ سَلمٍ ضَوءُ كُلِّ بِلَادِ
لنا سَيِّدٌ أرْبَى على كلِّ سيِّدٍ * جَوَادٌ حثَا(٦) فى وجه كلِّ جواد

فلم يُعْطِه شيئا ، فقال يهجُوه :

لِكلِّ أخى مدحٍ ثوابٌ يُعِدُّه * وليس لِمدحِ الباهلىِّ ثَوابُ
مَدحتُ ابنَ سَلمٍ والمديحُ مَهزَّةٌ * فكان كَصفْوانٍ عليه ترابُ

وقال فيهم المُمزِّق الحَضْرَمىُّ :

اذا وَلَدتْ حليلةُ باهلىٍّ * غلاماً زِيدَ فى عَدَدِ اللِّئامِ
وعِرْضُ الباهلىِّ وإن تَوقَّى * عليه مِثلُ مِنديلِ الطَّعامِ
ولو كان الخليفةُ باهِليًّا * لقصَّرَ عن مُساماةِ الكِرَامِ

ودخل قُدامةُ بنُ جَعْدة على قُتَيبةَ بنِ مسلم فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ، بالباب ألأمُ العرب ، قال : ومن ذاك؟ قال : سَلُولىٌّ رسولُ مُحارِبىٍّ الى باهلىٍّ ، فضَحِك قتيبةُ . وقال آخر

(١) السيب : العطاء ، وفى النسختين الفتوغرافية والألمانية : «شيبك» بالشين المعجمة وهو تحريف .
(٢) النابجة بالجيم (كما فى الألمانية) وبالحاء (كما فى الفتوغرافية) : الريح الشديدة فكلتاهما صحيحة .
(٣) موسد من أوسد الكلب بالصيد : أغراه به . (٤) المسيف : من هلك ماله فافتقر .
(٥) الأسود السالخ : الأفعى ، ووصف بالسالخ لأنه ينسلخ جلده كل عام . (٦) فى النسخة الألمانية «جنى» والفتوغرافية «حنى» وكلاهما تحريف والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ١٠٧

قَومٌ اذا أكَلُوا أخْفَوْا كلامَهُمُ * وآستوثقُوا مِنْ رِتاجِ الباب والدّارِ
لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فضلَ نارِهِمُ * ولا تُكَفُّ يدٌ عن حُرمةِ الجارِ

وقال عمر بن عبد العزيز الطائىّ من أهل حِمْص :

سُمْتُ المديحَ رجالًا دون قدرِهِمُ * ضَدٌّ قبيحٌ ولفظٌ ليسَ بالحسَنِ
فلم أفُزْ منهمُ إلا بما حَمَلَتْ * رِجْلُ البعوضةِ مِن نَخّارةِ اللّبِنِ

وقال آخر :

أُلامُ وأُعطِى والبخيلُ مُجاوِرى * الى جَنْبِ بيتِى لا يُلامُ ولا يُعْطِى

ونحو هذا قولهم : مَنْعُ الجميع أرْضَى للجميع . وقال بشّار :

أعْطَى البخيلُ فما آنتفعتُ به * وكذاك مَنْ يُعطيكَ مِنْ كَدرِهْ

قيل لخالد بن صَفْوان : ما لك لا تُنفق فإنّ مالَكَ عَريضٌ؟ قال : الدهرُ أعرضُ منه ؛ قيل له : كأنك تأمُلُ أن تعيشَ الدهرَ كلّه ؛ قال : ولا أخافُ أن أموتَ فى أوّله .

قال الجاحظ : قلتُ مَرّةً للحِزَامىّ : قد رضيتَ بقول الناس : عبدُ الله بخيل ؛ قال : لا أعدَمَنِي الله هذا الأسمَ ؛ قلت : كيف؟ قال : لأنه لا يقال فلانٌ بخيلٌ إلا وهو ذو مال . فَسَلِّمْ لِى المالَ وآدعُنِي بأىّ آسم شئتَ ؛ قلت : ولا يقال سخىّ إلا وهو ذو مال ، فقد جمعَ هذا الاسمُ المالَ والحمدَ وجمعَ هذا الاسمُ المالَ والذمّ ؛ قال : بينهما فرقٌ ؛ قلتُ : هاته ؛ قال : فى قولهم بخيلٌ تثبيتٌ لإقامة المال فى مِلْكِه ، وفى قولهم سخىّ إخبارٌ عن خروج المال عن ملكه ؛ وآسم البخل آسم فيه حزم وذمّ ، وآسم السخاء آسم فيه تضييعٌ وحمد ، والمال راهنٌ(١) نافع ومُكرِمٌ لأهله مُعِزٌّ ، والحمدُ رِيحٌ وسُخْرِيةٌ وآستماعهُ

(١) أى دائم باق .

ضَعفٌ وفُسولَةٌ[(١)]، وما أقلَّ واللهِ غَنَاءَ الحمد عنه اذا جاعَ بطنُه وعَرِيَ جِلدُه وضاعَ عيالُه وشَمِتَ عَدُوُّه[(٢)]! .

وكان محمد بن الجَهْم يقول : مِنْ شأنِ مَن ٱستغنَى عنكَ ألّا يُقيمَ عليكَ ، ومَن ٱحتاج اليك ألّا يَذهَبَ عنك ، فمن ضنّ بصديقه[(٣)] وأحبّ الاستكثار منه وأحبّ التمتعَ به ٱحتال فى دوام رغبته بأن يُقيمَ له ما يقوته ويَمنَعَه ما يُغنيه عنه ، فإنّ من الزهد فيه أن تُغنيَه عنك ومن الرغبة فيه أن تُحوِجَه اليك ؛ وإبقاؤك مع الضنّ به أكرمُ من إغنائكَ له مع الزهد فيه ؛ وقيل فى مثلٍ : «أَجِع كلبَكَ يَتبعْكَ» . فمَنْ أغنَى صديقَه فقد أعانه على الغدر وقطع أسبابه من الشكر ؛ والمعينُ على الغدر شريكُ الغادرِ ، كما أن مُزَيِّنَ الفجور شريكُ الفاجر . قال : وأوصى عند موته وقال فى وصيّته : يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الثلث ، والثلث كثير" ؛ وأنا أزعمُ أن ثلثَ الثلثِ كثيرٌ ، والمساكينُ حقوقُهم فى بيت المال ، إن طلبوا طلبَ الرجالِ أخذوه ، وإن جلسوا جلوسَ النساء مُنِعُوه ، فلا يُرغِمُ اللهُ إلا أنفَهُم ولا يَرحَمُ اللهُ مَنْ يرحَمُهم .

تقدّم رجلان من قريش الى سَوّارٍ أحدهما يُنازِعُ مولًى له فى حدّ أرض أقطعها أبوه مولاه ؛ فقال سوّار : أتُنازع مولاكَ فى حدّ أرض أقطعها أبوك إياه ! ؛ فقال : الشَّحيحُ أعذرُ من الظالم ؛ فرفع سوّار يده ثم قال : اللّهم ٱردُدْ على قريش أخْطَارَها[(٤)] .

---

(١) كذا فى النسخة الألمانية ، والفسولة : النذالة وقلة المروءة ، وفى الفتوغرافية "فشولة" وهو تحريف .

(٢) كتب بهامش الأصل الفتوغرافى بمناسبة الدفاع عن البخل ما نصه : « سبحان الله ! ما رأيت أنهض جانبا للبخل والبخلاء وأبين كلاما وأصدق حجة وأبعد من المقدّمات الواهية والقضايا المردودة من هذا الرجل ولولا [أن] السخاء سجية من السجايا الراسخة فى أنفس الأسخياء كاد والله يهدم ركنه ويميل عماده ويكدر مورده بل ويمنع السحاب من المطر والبحر من رشح القطر وإن هذا لمن إحدى الكبر » اهـ .

(٣) فى النسختين «تصديقه» والظاهر أنه محرّف عما أثبتناه . (٤) الأخطار جمع خَطَر وهو الشرف ، وبهامش الأصل الفتوغرافى هذه الجملة : «إنما قال ذلك حتى لا يغلبوا الناس اثملة ما بيدهم» .

وقال الخَزْرَجىّ :

إنّ جُودَ المكّىّ جُودٌ حِجَازِىٌّ وَجُود الحجاز فيه اقتصادُ
كيف ترجو النوالَ مِن كفّ مُعطٍ * قد غَذَته الأقراصُ والأمدادُ

نظر سليمان بنُ مُزَاحِم الى درهم فقال : فى شِقٍّ «لا إله الا الله محمدٌ رسول الله» وفى وجه آخر «اللهُ لا إله إلا هُو الحيُّ القيُّومُ»(١) ، ما ينبغى أن يكون هذا إلا مَعَاذَةً وقذَفَه فى الصُّندوقِ . أنشدَنا عبدُ الرحمن بن هانئ صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل :

كفّاه لم تُخلَقَا(٢) للنَّدَى * ولم يَكُ بخلُهما بِدْعَهْ
فكفٌّ عن الخير مقبُوضَةٌ * كما نَقَصت مائةٌ تِسْعَهْ(٣)
وكفٌّ ثلاثةُ آلافِهَا * وتِسْعُمِئيها لها شِرْعَهْ(٤)

(١) فى الأصلين بعد قوله القيّوم كلمة «فقال» والسياق يأبى وجودها ، وقد وردت هذه الحكاية فى نهاية الأرب ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية ولم تذكر بها هذه الكلمة . (٢) كذا فى اللسان مادة شرع . وفى الاصلين «يخلقا» والكف مؤنث لا مذكر . وفى المصباح مادة كفف : «قال ابن الانبارى» : وزعم من لا يوثق به أن الكف مذكر ولا يعرف تذكيرها من يوثق بعلمه .

(٣) فى تاج العروس واللسان مادة شرع : * كما حطّ عن مائة سبعه *

وقد قيل : للعرب حسابا خاصا غير ما هو معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعوا كلًّا منها بإزاء عدد مخصوص ثم رتّبوا لأوضاع الأصابع آحادا وعشرات ومئات وألوفا ، فيشار عن الواحد مثلا بقبض الخنصر وعن الاثنين بقبض البنصر وهكذا ، فالعدد الذى أراده الشاعر وهو ثلاثة وتسعون تقضى قواعدهم فى هذا الحساب بأن تقبض الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمنى لتدل على عدد ثلاثة وتجعل السبّابة حلقة غير مجوّفة لتدل على عدد تسعين ، وهذا نرجح رواية اللسان على رواية الاصل ، وكذلك تقضى قواعدهم فى عد الآلاف بأن تقبض من اليد اليسرى الخنصر والبنصر والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجعل سبابة اليسرى حلقة غير مجوّفة لتدل على عدد تسعمائة . انظر «بلوغ الارب فى أحوال العرب» ج ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٩

(٤) يقال : هذا شرعة ذلك أى مثاله ؛ عن اللسان .

قال أبو عليّ الضرير :

لعمرُ أبيك ما نُسِب المُعَلّى * إلى كرم وفى الدنيا كريمُ
ولكنّ البلادَ اذا ٱقشعرتْ * وصَوَّحَ نبتُها رُعِىَ ٱلهشيمُ

وقال آخر :

أمِنْ خوف فقرٍ، تعجّلتَه * وأخّرتَ إنفاقَ ما تجمَعُ
فصرْتَ الفقيرَ وأنتَ ٱلغنىُّ * وهل كنتَ تعدُو الذى تصنعُ

خوّف رجلٌ رجلا جوادا الفقرَ وأمره بالإبقاء على نفسه، فكتب إليه : إنى أكره أن أتركَ أمرًا قد وقع، لأمرٍ لعله لا يَقَعُ. وقال أبو الشَّمَقْمق :

رأيتُ الخبزَ عَزَّ(١) لديكَ حتى * حَسِبتُ الخبزَ فى جوِّ السحابِ
وما رَوّحتَنا لِتَـذُبَّ عنّا * ولكن خِفتَ مَرْزِئَةَ الذُّبابِ

وقال دِعْبِلٌ :

صَدَّقْ أَلِيَّتَه إذ قال مُجتهدًا * لا والرغيف، فذاك البِرُّ من قَسَمِهْ
قد كان يُعجِبُنى لو أنّ غَيرتَه * على جَرَاذِقِهِ(٢) كانت على حَرَمِهْ
فإن هَمَمْتَ به فَٱفْتِكْ بِخُبزتِه * فإنّ مَوْقِعَها مِنْ لَحْمِه ودَمِهْ

وقال الشاعر :

أُرفُقْ بحَفْصٍ حين تأ * كُلُ يامُعَاوِىَ من طَعامِهْ
الموتُ أيسرُ عنده * مِن مَضْغِ ضيفٍ وٱلتقَامِهْ
وتراهُ مِن خوفِ النّزيـ * ـلِ به يُرَوَّعُ فى منامِهْ
سِيّانِ كَسْرُ رغيفه * أو كسرُ عَظْمٍ من عِظامِهْ

(١) كذا فى النسخة الألمانية، وفى الفتوغرافية "الخير" بدل "الخبز".

(٢) جمع جَرْذَق أو جرذقة، وهو الرغيف، وفى النسخة الالمانية «جرادقه» وهو اللغة الأصلية فيه.

لا تكسِرَنْ رغيفَه * إن كنتَ ترغبُ في كلامِهْ
وإذا مَرَرتَ ببابه * فاحفظْ رغيفَكَ من غُلامِهْ

وقال أبو نُوَاس :

خُبزُ إسماعيلَ كالوشْـ ـيِ إذا ما انْشَقَّ يُرْفَا
عجبًا من أثرِ الصَّنْـ ـعَةِ فيه كيف يَخفَى
إنّ رَفَّاءَكَ هذا * أحذقُ[1] الأمّة كَفَّا
فإذا قابَلَ بالنِّصْـ ـفِ من الجَرْدَقِ نِصفَا
أحكَمَ الصّنعةَ حتّى * لا تَرَى[2] موضعَ إشفَى[3]
مثلَ ما جاء من التّنّـ ـورِ ما غادرَ حَرفَا
وله في الماءِ أيضًا * عملٌ أبدعُ ظَرْفَا
مَزَجَه العذبَ بماءِ الـ ـبئرِ كَيْ يزدادَ ضعفَا
فهو لا يشرَبُ[4] منه * مثلَ ما يشرَبُ صِرفَا

باب الحُمْق

قال الشعبيُّ لرجل استجهله : «أُحوِجُكَ إلى مُحَدْرَجٍ[5] شديدِ الفَتْل جَيِّدِ الجِلاز عظيمِ الثَّمْرةِ[6] لَدْنِ المَهَزَّة يأخذُ منك فيما بين عَجْبِ[7] الذَّنَب ومَغْرِزِ العُنُق فتكثُرُ له رَقَصاتُك من غير جَذَل» فقال : وما هذا ؟ فقال : بعضُ الأمرِ .

(١) في النسخة الفتوغرافية : «أرفق» . (٢) في ديوان أبي نواس "مغرز" .

(٣) الإشفى : المثقب (٤) في ديوان أبي نواس : "لا يستقيان" ، وفي هامش النسخة الفتوغرافية «يوضح الرواية التي هنا ، وهو أن يقدر معمول الفعل الثاني هو « البئر » ويصير المعنى : لا يشرب من الممزوج مثل ما يشرب من ماء البئر ، لأن في الممزوج من العذب ما يحمله على الحرص والتقتير .

(٥) في هامش النسخة الفتوغرافية "المحدرج : السوط ، والجلاز : جودة الفتل ، ولدن ، أي لين" .

(٦) ثمرة السوط : عقد أطرافه . (٧) عجب الذنب : العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز .

قال حدّثني القُومَسِيّ عن محمد بن الصَّلْت الأَسَدىّ عن أحمدَ بن بَشِير عن الأعمش عن سَلَمةَ بن كُهَيل عن عَطاء عن جابر قال: كان فى بنى إسرائيل رجل له حمارٌ، فقال: يا ربِّ لو كان لك حمارٌ لعلفتُه مع حمارى هذا؛ فهمّ به نبىٌّ، فأوحى الله إليه: إنما أُثِيبُ كلَّ إنسان على قَدرِ عقله.

حدّثنى محمد بن خالد بن خِدَاش عن أبيه عن حمّاد بن زيد عن هِشَام بن حَسّان عن محمد بن سيرين أن رجلا رأى فى ٱلمنام أن له غنمًا وكأنه يُعطَى بها ثمانيةً ثمانيةً، ففتح عينَه فلم يرَ شيئا، فغمّضَ عينَه ومدَّ يدَه وقال: هاتوا أربعةً أربعةً.

مرّ رجل من العُبّاد وعلى عنقه عصا فى طرفيها زَبِيلانِ(٤) قد كادا يحُطّانه، فى أحدهما بُرٌّ وفى الآخر ترابٌ، فقيل له: ما هذا؟ قال: عدلتُ البرّ بهذا التراب، لأنه كان قد أمالَنى فى أحد جانبىّ فأخذ رجلٌ زبيلَ التراب فقلَبه وجعل البرّ نصفين فى الزبيلين وقال له: ٱحمِلِ الآن؛ فحمله، فلما رآه خفيفا قال: ما أعقلكَ مِن شيخ! حفر أعرابىّ لقوم قبرًا فى أيام الطاعون بدرهمين، فلما أعطَوْه الدرهمين قال: بِأبى دَعُوهُما عندكم حتى يجتمعَ لى ثمنُ ثوب. كانت أمُّ عمرو بنت جُنْدَب بن عمرو بن جُمْعة السَّدُوسىّ عند عثمانَ بن عفّان، وكانت حمقاءَ تجعلُ الخُنْفُسَاءَ فى فيها ثم تقول: حاجَيْتُكَ مافِى فَمِى؟ وهى أمّ عمرو وأبان ٱبنَىْ عثمانَ

إبراهيم بن ٱلمنذر قال حدّثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جدّه قال: رأيتُ طارقًا وهو والٍ لبعض الخلفاء من بنى أميّةَ على المدينة يدعو بالغداء فيتغدّى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكون فيه العظمُ المُخّ فينكُته على رُمّانة ٱلمنبر فيأكله.

(٤) الزبيل كأمير وسكّين وقنديل: القُفّة.

قالت أمّ غَزْوَانَ الرَّقَاشيّ لابنها — ورأته يقرأ فى المصحف — : ياغزوانُ، أما تجدُ فيه بعيرا لنا ضلّ فى الجاهليّة ؟ فما كَهَرها(١) وقال : يا أمّهْ، أجدُ والله فيه وعدًا حسنا ووعيدا شديدًا .

سفيان بن عُيينة عن أيوبَ بن موسى قال: قال ابن أبى عَتيق لرجل : ما اسمُكَ ؟ قال : وثّابٌ، قال : فما كان اسم كلبك؟ قال : عمرو، قال : واخِلاَفاه !

قال أبو الدَّرْداء : علامـةُ الجاهل ثلاثٌ : العُجْبُ، وكثرةُ المنطق فيما لا يَعْنِيه، وأن يَنْهَى عن شيء ويأتيَه . أُغْمِيَ على رجل من الأَزْد فصاحَ النساءُ واجتمعَ الجيرانُ وبعثَ أخوه إلى غاســل الموتى فجاء فوجده حيّا بعدُ، فقال أخوه : اغسله فإنك لا تَفْرُغُ مِن غَسلِه حتى يَقْضِيَ . وقال أَرْدَشِيرُ : بِحَسْبِكُمْ دلالةً على عيب الجهل أن كلّ إنسان يَنتفِي منـــه ويَغضَبُ إذا نُسِبَ إليه . وكان يقال : لا يَغُرَّنَّكَ من الجاهل قرابةٌ ولا أخوة ولا إلفٌ فإن أحقَّ الناس بتحريقِ النار أقربُهم منها .

قال عمر بن عبد العزيز : خَصْلتان لا تَعْدَمَانِكَ(٢) من الجاهل : كثرةُ الالتفات وسرعةُ الجواب . وقال عمر بن الخطاب : إيّاكَ ومؤاخاةَ الأحمق فإنه يريدُ أن ينفعَك فيضرُّكَ . وقال بعضُهم : لأَنْ أزاوِلَ أحمقَ أحبُّ إلىّ من أن أزاوِلَ نصفَ أحمقَ، يعني الأحمقَ المتعاقلَ . وقال هشام بن عبد الملك : يُعرفُ حمقُ الرجلِ بأربعةٍ : بطول لحيته، وبشناعةِ كُنيته، ونقشِ خاتمه، وإفراطِ شهوته؛ فدخل عليه ذاتَ يوم شيخٌ طويلُ العُثْنُون، فقال هشام : أمّا هذا فقد جاء بواحدة، فانظروا أينَ هو من الثلاث، فقيل له : ما كنيتُك ؟ فقال : أبو الياقوت، وقالوا : ما نقشُ خاتَمِكَ ؟ قال : ﴿ وجَاءُوا عَلَى

---

(١) كهركنع : انتهر . (٢) فى النسخة الألمانية : "لاتعد مابك"، وفى الفتوغرافية "لا يعد مابك" ولعل ما أثبتناه أقرب الى الصواب .

قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) . وفى حكاية أخرى (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) ؛ فقيل له : أىّ الطعام تشتهى ؟ فقال : جَلَنْجَبِين(١)، وفى حكاية أخرى مصاصة(٢) .

سمع عمر بن عبد العزيز رجلا ينادى رجلا : يا أبا العُمَرين ، فقال : لو كان له عقلٌ كفاه أحدُهما . وقال أبو العاج يوما لجلسائه — وكان يلى واسط — : إنّ الطويلَ لا يخلو من أن يكونَ فيه إحدى ثلاث : أن يَفْرَق الكلابَ ، أو يكونَ فى رجله قُرحةٌ ، أو يكونَ أحمقَ ، وما زلتُ وأنا صغيرٌ فى رجلى قُرحةٌ ، وما فَرِقَ الكلابَ أحدٌ فَرَقِى ، وأما الحمقُ فأنتم أعلمُ بوالِيكم . ويقال : الأحمقُ أعلمُ بشأنه من العاقل بشأن غيره(٣) . وقال بشّار :

خليلىَّ إن العسرَ سوف يُفيقُ * وإنّ يَسارًا فى غدٍ لخليقُ
وما كنتُ إلا كالزمان إذا صحا * صَحَوتُ وإن ماقَ الزمانُ أَمُوقُ
ذَرِينِي أُشِبْ همّى براحٍ فإنّنى * أرى الدهرَ فيه كُربةٌ ومَضيقُ

وقال رجل : فلانٌ إلى مَنْ يُداوِى عقلَه أحوجُ منه الى مَنْ يُداوِى بدنَه . قيل لبعض الحكماء : مَتى يكون الأدبُ شرًّا من عدمه ؟ قال : إذا كَثُر الأدبُ ونقص العقلُ .

وقرأت فى كتاب للهند : مِنَ الحمقِ التماسُ الرجلِ الإخوانَ بغير وفاء ، والأجرَ بالرياء ، ومودّةَ النساءِ بالغِلْظة ، ونفعَ نفسه بضرّ غيره ، والعلمَ والفضلَ بالدّعة والخَفْض . وفيه : ثلاثةٌ يُهزَأُ بهم : مدّعى الحرب ولقاءِ الزُّحوف وشدّة النِّكاية فى الأعداء وبَدنُه سليمٌ لا أثرَ به ، ومُنتحِلُ علمِ الدّين والاجتهادِ فى العبادة وهو غليظ

(١) فى مفردات ابن البيطار ج ١ ص ١٦٦ أنه الورد مربّى بالعسل أو بالسكر . وفى أقرب الموارد أنه معجون يعمل من الورد والعسل ، فارسى معرّب عن «كل» ومعناه ورد و«انكبين» ومعناه عسل .

(٢) لعلها محرّفة عن مصوص بفتح الميم وضم الصاد وهو كما فى القاموس طعام من لحم يطبخ وينقع فى الخلّ أو يكون من لحم الطير خاصة .

(٣) هكذا وردت هذه الجملة بالأصل ، ولعلها : «العاقل بشأن غيره أعلم من الأحمق بشأنه» لأن الكلام فى ذم الحمق .

الرقبة أسمنُ من الأئمة، والمرأةُ الخَليّةُ تَعيبُ ذاتَ الزوج . وفيه : مَنْ يَعمَلْ بجهلٍ خمسةٌ : مُستَعمِلُ الرَّمادِ فى جنّتِه بدلًا من الزِّبل، ومُظهِرُ مَستُورِ عورتِه، والرجلُ يَتَزَيّا بِزِىّ المرأة والمرأةُ تَتزيّا بزِىّ الرجل، والمتملّكُ فى بيت مُضيفِه، والمتكلّمُ بما لا يَعنيه ولا يُسألُ عنه. وفيه : الأدبُ يُذهِبُ عن العاقل السُّكرَ ويَزيدُ الأحمقَ سُكرا، كما أن النهارَ يَزيدُ كلَّ ذى بَصَرٍ بصرًا ويزيدُ الخفافيشَ سُوءَ بصر. وكانوا يكرهون أن يَزيدَ منطقُ الرجلِ على عقله .

قال الشاعر فى جاهل :

مالِى أرَى الناسَ يأخذونَ ويُعْـ * ـطُونَ ويَستَمتِعونَ بالنَّشَبِ
وأنتَ مِثـلُ الحمارِ أبهَـمُ لا * تَشكُو جِراحاتِ ألسُنِ العَـرَبِ

سمع الأحنف رجلا يقول : ما أُبالى أَمُدِحتُ أم هُجِيت ، فقال الأحنف : ٱسترحتَ مِنْ حيثُ تعبَ الكرامُ .

كان عامرُ بن كُرَيز أبو عبد الله بن عامر من حَمْقَى قريش، نظر إلى ٱبنه عبد الله وهو يخطُبُ فأقبل على رجل إلى جانبه وقال : إنه والله خرجَ مِنْ هذا وأشار إلى ذكره .

ومن حَمْقَى قريش العاصُ بن هشـام أخو أبى جَهْـل وكانَ أبو لَهَب قامَرَه فقمَرَه مالَه ثم دارَه ثم قليلَه وكثيرَه وأهلَه ونفسَه فٱتّخذه عبدًا وأسلمه قَينًا[(١)]، فلما كان يومُ بدر بعث به عن نفسه فقُتِلَ ببدر كافرا، قتله عمر بن الخطاب، وكان خالَ عمرَ .

ومن حمقى قريش الأحوصُ بن جعفر بن عمرو بن حُرَيث ، قال له يوما مُجالِسُوه : ما بالُ وجهك أصفرَ! أتشتكى شيئا؟ وأعادوا عليه ذلك، فرجع إلى أهله يلومهم ويقول لهم : أنا شاكٍ ولا تُعلِمُونى! أَلقُوا علىّ الثيابَ وٱبعثوا إلى الطبيب . وتمارَضَ مرةً فعاده أصحابُه وجعل لا يتكلم، فدخل شُرَاعةُ بن عبيد الله بن الزِّنْدَبُوذ وكان أملحَ

(١) عبارة الأغانى «فأسلمه قينا وكان يأخذ منه ضريبة» ج ٤ ص ١٩

أهل الكوفة، فعرف أنه متمارضٌ فقال: يا فلانُ كنا أمس بالحِيرة فأخذنا الخمرَ ثلاثين قِنّينة بدرهم، والخمرُ يومئذ ثلاثُ قَنَانِيّ بدرهم، فرفع الأحوصُ رأسَه وقال: كذا منّي في كذا من أمّ الكاذب، وآستوى جالسا، فنثر أهلُه على شُراعة السكّرَ، فقال له شراعة: آجلس لا جلستَ وهاتِ شرابَك، فشربا يومَهما .

ومن حمق قريش بَكّارُ بن عبد الملك بن مروان، وكان أبوه ينهاه أن يجالسَ خالدَ بن يزيدَ بن معاويةَ لِمَا يعرفُ من حُمقِ آبنه، فجلس يوما إلى خالد، فقال بكّار: أنا والله كما قال الأوّل:

* مُرَدَّدٌ في بني الخَنْناء تَرْدِيدَا *

وكان له بَازٍ فقال لصاحب الشُّرْطة: أغلق أبواب المدينة لئلا يخرجَ البازي .

ومن حمق قريش معاويةُ بن مروان أخو عبد الملك بن مروان. بينا هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طَحّان نظر إلى حمار الطّحان يُدَوّرُ الرحا وفي عنقه جُلْجلٌ، فقال للطحان: لِمَ جعلتَ في عنق الحمار جُلجلاً؟ فقال: ربما أدركتني سآمةٌ أو نَعْسةٌ فإذا لم أسمع صوتَ الجلجلِ علمتُ أنه قام فَصِحْتُ به، فقال معاويةُ: أرأيتَ إن قام وحرّك رأسَه ما عِلمُكَ أنّه قائم؟ قال الطحان: ومَنْ لحماري بمثل عقل الأمير! .
وقال معاوية هذا لأبي آمرأته: مَلأتنا آبنتُك البارحةَ بالدم؛ فقال: إنها مِن نسوة يَخْبأْنَ ذلك لأزواجهن. وقال له أيضا يوما آخر: لقد نكحتُ آبنتكَ بِعَصَبة ما رأتْ مثلَها قطّ؛ قال: لو كنتَ عِنّينًا ما زوجناكَ .

ومن حمق قريش سليمانُ بن يزيد بن عبد الملك، قال يوما: لعن اللهُ الوليدَ أخي فإنه كان فاجرا، والله لقد أرادني على أن يفعلَ بي؛ فقال له قائل: آسكُتْ فوالله لئن كان همّ لقد فعلَ .

خطبَ سعيدُ بن العاص عائشة بنت عثمان على أخيه ، فقالت : هو أحمق لا أتزوّجه أبدا ؛ له بِرْذَوْنَانِ أشهبان فهو يحتمل مَئونةَ اثنين وهما عند الناس واحدٌ .

وأخبرنى رجل أنه كان له صديق له برذونان فى شِيَةٍ واحدة فكنّا لا نظنّ إلا أنّ له برذونا واحدا ، وغلامان يُسَمَّيانِ جميعًا بفَتْح ، وكان إذا دعا واحدا قال : يافَتْحُ الكبيرُ، وإذا دعا الآخَرَ قال : يا فتحُ الصغيرُ .

قال أبوعُبَيدة : أرسل ٱبنٌ لِعجْل بن لُجَيم فرسًا له فى حَلْبَة فجاء سابقا ، فقال لأبيه : يا أَبتِ ، بأىّ شىء أسَمِّيه؟ فقال : ٱفقأْ إحدى عينيه وسَمِّه الأعورَ. وقال الشاعر:

رَمَتْنِي بنو عِجْلٍ بداء أبيهِمُ * وأىُّ عِباد الله أَنْوكُ مِنْ عِجْلِ !
أليسَ أبوهُمْ عارَ عينَ جَواده * فأضحتْ به الأمثالُ تُضربُ فى الجهلِ

ومِن عِجْل "دُغَةُ" التى يُضربُ بها المثلُ فى الجهل[1]، فيقال : هى دُغَةُ بنتُ مَغْنَج ، ويقال : دُغَةُ لقبٌ ، وٱسمها مارِيَةُ بنتُ زَمْعَةَ . قال أبو اليقظان : ومن عِجْلٍ حَيّانُ ٱبن غَضْبان ورِثَ نصفَ دار أبيه فقال : أُريدُ أن أبيعَ حِصَّتِى من الدار وأشْتَرِىَ النصفَ الباقِىَ فتصيرَ كُلُّها لى .

ومن القبائل المشهورِ فيها الحمقُ "الأَزْدُ" . قال رجلٌ منهم فى المهلَّب بن أبى صُفْرَةَ :

نِعمَ أميرُ الرُّفقةِ المهلَّبْ ، أبيضُ وضَّاحٌ كتَيْسِ الحُلَّبْ[2]
* يَنْقَضُّ بالقومِ ٱنقِضاضَ الكوكَبْ *

---

(١) يقال : "أحمق من دغة" أورده الميدانى فى مجمع الأمثال وقال فى شرحه : إنها مارية بنت معنج بالعين المهملة ورواه صاحب اللسان فى مواد «غنج ودغا وجعر» بالغين المعجمة ، وفى شرح القاموس مادة جعر نقلا عن البكرى فى شرح أمالى القالى أن المفضّل بن سلمة قال : من أعجم العين فتح الميم ومن أهملها كسر الميم . ولها قصة مشهورة أوردها الميدانى فى مجمع الأمثال طبع بولاق ج ٢ ص ١٩٢

(٢) يقال تيسُ حُلَّب وتيس ذو حُلَّب . والحلَّب بقلة جعدة غبراء فى خضرة تنبسط على الأرض يسيل منها اللبن اذا قطع منها شىء ؛ وهى تنبت فى القيظ بالقِيعان وشُطْآن الأودية .

فلما أنشده المهلّبَ، قال : حسبُك رحمك الله! .

ومن أشعارهم :

يارُبَّ جاريةٍ فى الحىّ حاليــة * كأنهـا عُومةٌ(١) فى جوف رَاقودِ

وقال آخر منهم :

زيادُ بنُ عمرٍو عينُه تحت حاجبهْ * وأســنانُه بيضٌ وقد طَرَّ شــاربُهْ

وقال عمرو بن لَجَأ(٢) يصف إبلا :

تَصْطَكُّ أَلْحِيهَا(٣) على دِلَائِهَـا * تَلَاطُمَ الأزدِ على عَطائِهَـا

وقال أبو حَيَّة النُّميرىّ :

وكأنّ غَلْيَ دِنَانِهِــمْ فى دُورهم * لَغَطُ العَتِيكِ(٤) على خِوَانِ زيادِ

كتب مَسْلَمةُ بنُ عبد الملك الى يزيدَ بن المهلَّب : واللهِ ما أنتَ بصاحب هــذا الأمر، صاحبُ هذا الأمرِ مَغْمورٌ مَوْتورٌ وأنتَ مشهورٌ غيرُ مَوْتورٍ؛ فقام إليه رجل من الأَزْد فقال : قَدِّم ٱبنكَ مخلدًا حتى يُقتلَ فتصيرَ مَوْتورًا .

قام رجل من الأزد إلى عُبيد الله بن زياد فقال : أصلح اللهُ الأميرَ، إن ٱمرأتى هَلَكتْ وأردتُ أن أتزوّجَ أمها وأُزوِّجَ ٱبنى ٱبنتَها وهذا عَرِيفى(٥)، فأَعِنِّى فى الصَّداق؛ فقال : فى كم أنتَ من العطاء؟ قال : فى سَبعِمائةٍ؛ قال : حُطَّا عنه أربَعمائةٍ، يَكْفيكَ ثلثمائةٍ .

---

(١) دُوَيْبّة تسبح فى الماء .   (٢) ورد بالأصلين «عمرو» والتصويب من الكامل للمبرّد ص ٤ ٣٢ ، ٥٦٣ طبع ليبسج وأمالى القالى ج ١ ص ٢٤٩ ، ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق واللسان مادة «لجأ» .   (٣) ألحيها جمع لَحْيٍ على أَفْعُلٍ، وكسرت الحاء لمناسبة الياء، واللحى : منبت اللحية .

(٤) العَتِيك بالألف واللام : بَطْن من الأزد والنسبة اليها عَتَكِىّ .

(٥) العريف : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلى أمورهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم .

ومن حمق الأزد قَبِيصَةُ بن المهلّب ، رأى جرادا يطير فقال : لا يَهُولَنَّكُم ما تَرَوْنَ فإنّ عامّتها موتَى . وقال يوما : رأيتُ غُرْفَةً فوقَ بَيت . وقال لغلامه : اذهب إلى بَيَّاضِ المَلاءِ .

ومن حمق العرب كِلابُ بن صَعصَعةَ ، خرج إخوتُه يَشتَرُون خيلًا وخرج معهم كِلابٌ فجاء بِعِجْلٍ يَقُودُه ، فقال له إخوتُه : ماهذا؟ قال : فرسٌ اشتريتُه ، قالوا : يا مائق ، هذه بقرةٌ أَمَا ترى قَرْنَيْها ! فرجع إلى بيتـه فقطع قَرْنَيها ، فأولادُه يُدْعَوْنَ « بَنِي فارس البقرة » . قال الكُمَيْتُ :

ولولا أميرُ المؤمنين وذَنْبُهُ * بَخِلْنَا عن العِجلِ المبرقَعِ[1] ماصَهَلْ

وكان شَذْرَةُ بنُ الزِّبْرِقان من الحَمْقَى ، دخل يوم الجمعة المسجدَ فأخذ بِعِضَادَتَي[2] الباب ثم قال : السلامُ عليكم ، أَيَلِجُ شَذْرَةُ؟ فقالوا له : هذا يومٌ لا يُستَأذنُ فيه ، قال : أفَيَلِجُ مثلي على جماعة مثلِ هؤلاءِ ولا يُعْرَفُ مكانُه!

عَوانةُ قال : استعملَ معاويةُ رجلا من كَلْب ، فذكر المجوسَ يوما فقال : لَعَنَ اللهُ المجوسَ يَنكِحُون أُمهاتِهم ، والله لو أُعْطِيتُ عَشرةَ آلاف ما نَكَحْتُ أُمّي ، فبلغ ذلك مُعاويةَ ، فقال : قَبَّحَهُ اللهُ! أتُرَوْنَه لو زادُوه فعلَ! وعزَله .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : سأل القومُ الحارثَ بنَ جِزانٍ أن يُعِينَهم في تأسيس مسجد ، فقال : قَيِّرُوه وعليّ الوَدَعُ .

خطب والى اليمامة فقال : إن الله لا يُقَارُّ على المعاصي عبادَه ، وقد أهلكَ أُمَّةً عظيمةً في ناقة ما كانت تُساوِي مائتي درهم ، فسُمّي مُقَوِّمَ الناقة .

شرَد بعيرٌ لِهَبَنَّقَةَ ، واسمه يزيد بنُ ثَرْوانَ ، فقال : مَنْ وجدَ بعيري فهو له ، فقيل له : وما يَنفعُكَ من هذا؟ قال : إنكم لا تدرُونَ ما حَلاوةُ الوِجْدانِ .

(١) المبرقع : الذى أخذت غرته جميع وجهه . (٢) عضادتا الباب : الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله .

وقال المنصور للرّبيع : كيف تَعرِفُ الريحَ؟ قال : أنظرُ إلى خاتَمى فإن كان سَلِسًا فهى شَمالٌ وإلّا فهى جَنُوبٌ ، فسأل القاسمَ بنَ محمد الطَّلْحىّ عن ذلك ، فقال : أَضربُ بيدى إلى خُصْيَتَىَّ فإن كانتا قد قَلَصتَا فهى شَمالٌ وإن كانتا مُتَدَلّيتين فهى جَنُوبٌ .

قال أبو كعب القاصُّ فى قَصَصِه : إن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال فى كَبِد حمزةَ ما قد علمتُم فادعوا الله أن يُطعِمَنا مِن كَبِد حمزةَ . وكان يقول فى قَصَصِه : ليس فىّ خيرٌ ولا فيكم ، فتبلَّغُوا بى حتى تجدوا خيرًا منّى . وقال هو أو غيره فى قصصه : كان آسم الذئب الذى أكل يوسفَ كذا وكذا ، قالوا : فإن يوسفَ لم يأكله الذئبُ ، قال : فهذا آسم الذئب الذى لم يأكل يوسفَ .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عمّه قال : كان قاصٌّ يَقُصُّ فى المسجد فيقول : مَثَلُ الكافر مَثَلُ قَصْرِ الإسكاف خارجُه حَسَنٌ وداخلُه مَخْرَأَةٌ ، ومَثَلُ المؤمن مَثَلُ قَصْرِ زَرْبِىٍّ(١) جدارُه كالحٌ وداخلُه زَهْرَةٌ . ويقول : وما الدنيا! أخزَى الله الدنيا ! إنما مَثَلُها مَثَلُ أَيْرِ حمارٍ ، بينا هو قد أنْعَظ إذ طَفِئَ . وقال : المؤمنُ غِذاؤه فِلْقَةٌ وسَمَكتُه شِلْقَةٌ ودواؤه عُلْقَةٌ ومَرَقتُه سِلْقَةٌ(٢) .

أصابت داودَ المصابَ مُصيبةٌ فاغتمّ ، فقال له صاحبٌ له : لا تَتّهِم اللهَ فى قضائه ، فقال داود : أَقُولُ لك شيئا وتكتُمُه ؟ قال : نعم ، قال : والله ما صاحِبى غيرُه .
وآستشاره رجل فى حمل أمّه إلى البصرة ، وقال : إن حملتُها فى البرّ خِفتُ عليها اللُّصوصَ ، وإن حملتُها فى الماء خِفتُ عليها الغرَق ، فقال : خُذْ بها سُفْتَجةً(٣) .

(١) قصر بالبصرة فى سكة المِرْبد لمسلم بن عمرو بن الحُصين بن قتيبة بن مسلم ، وكان يليه غلام يقال له : زربىّ . (٢) الفلقة : الكِسرة . والشِّلْق : شىء من خِلْقة السمكة صغير له رجلان عند ذنبه كرجل الضفدع لا يَدَيْن له يكون فى أنهار البصرة وليست بعربية . كذا فى اللسان . والعلقة : شجر يبقى فى الشتاء تتبلّغ به الإبل حتى تُدرك الربيع . والسلقة : الجرادة ، لعله يريد أنه يجترئ من المرق بالقليل منه حتى إنه ليكفيه مرق جرادة واحدة . (٣) السفتجة : أن تعطى مالا لرجل له مال فى بلد تريد أن تسافر اليه فتأخذ منه خطًّا لمن عنده المال فى ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذى دفعته اليه قبل سفرك ، وهو معرب سفته بالفارسية ومعناها الشىء المحكم ، سمّى به هذا القرض لإحكام أمره .

دعا بعضُ السلاطين مجنونين ليضحك منهما، فأسمعاه فغضب فدعا بالسيف؛ فقال أحدُهما للآخر: كنّا اثنين وقد صرنا ثلاثةً. قال رجل لابن سيّابة مولى بنى أسد: ما أراكَ تعرفُ الله؛ قال: أتراني لا أعرفُ مَن أجاعني وأعراني وأخزاني.

قيل لأعرابى: كيف برُّكَ بأمّكَ؟ قال: ما قرعتُها سوطًا قطّ. وقيل لآخر وهو يضربُ أمّه: ويحكَ! تضربُ أمّك! فقال: أحبُّ أن تنشأ على أدبى. وقال بعض الشعراء:

جُنونُكَ مجنونٌ ولستَ بواجدٍ * طبيبًا يُداوى من جُنونٍ جُنونِ

وقال آخر:

وكيف يُفيقُ الدهرَ كعبُ بنُ ناشبٍ * وشيطانُهُ بين الأهلّةِ يصرَعُ

وقال أعرابىّ وذكر الله عزّ وجلّ:

خلقَ السماءَ وأهلَها فى جمعةٍ * وأبوكَ يمدُرُ(١) حوضَه فى عامِ

كان أبو العاج والىَ واسط، وأتاه صاحبُ شرطته بقوّادةٍ فقال: أصلح اللهُ الأميرَ، هذه قوّادةٌ؛ قال: وأىَّ شىء تصنعُ؟ قال: تجمعُ بين الرجال والنساء؛ قال: لماذا؟ قال: للزنا؛ قال: وإنما أتيتنى بها لتعرّفها منزلى! خلّ عنها لعنكَ الله. وأتاه يوما بمخنّث، فقال له: ما هذا؟ قال: مخنّثٌ؛ قال: وما يصنعُ؟ قال: يُنكَحُ كما تُنكَحُ المرأةُ؛ قال: يبذُلُ هذا استَه وأحظُرُ أنا عليه! اذهبْ يابنَ أخى فارتدْ(٢) لها.

خطب وكيعُ بنُ أبى سُودٍ بخُراسانَ فقال: إن اللهَ خلقَ السمواتِ والأرضَ فى ستة أشهرٍ، فقيل له: إنها ستّةُ أيام؛ فقال: والله لقد قلتُها وأنا أستقلّها.

---

(١) «مدرت الحوض أمدره» أى أصلحته بالمدَر وهو قطع الطين اليابس.

(٢) كذا فى الأصل الفتوغرافى؛ وفى النسخة الألمانية: «فارتد بها».

تغدّى رجلٌ عند سليمانَ بن عبد الملك وهو يومئذ ولىُّ عهدٍ وقُدّامَه جدْى، فقال له سليمان : كُلْ من كُلْيته فإنها تزيد فى الدّماغ؛ فقال : لو كان هـذا هكذا كان رأسُ الأمير مثلَ رأس البغل .

أبو عبيدة : أُجْرِيَتِ الخيلُ فطلعَ منها فرسٌ سابقٌ فجعـل رجل من النَّظّارَة يُكبِّر ويَثِبُ من الفرح؛ فقال له رجلٌ إلى جانبه : يا فتى، هذا الفرسُ فرسُكَ؟ قال : لا ولكنّ اللّجامَ لى . دخل أبو عتّاب على عمـرو بن هدّاب(١) وقد كُفَّ بصرُه والناسُ يُعزُّونه، فقال : يا أبا زيد، لا يَسُوءَنَّكَ ذَهَابُهما ، فإنك لو رأيتَ ثوابَهما فى ميزانكَ تمنّيتَ أنّ الله قطعَ يديكَ ورجليكَ ودَقَّ ظهركَ . كان رجلٌ يقودُ أعمى بكِرَاءٍ، فكان الأعمى ربما عثَر فيقول : اللهم أَبدِلْنِى به قائدًا خيرًا منه؛ ويقول القائد : اللّهم أبدلنى أعمى خيرًا منه .

ٱدَّعَى أبو بكر الشَّيبانىّ إلى العرب ذاتَ ليلة فأصبح من الغد على الشمس فقعدَ فيها فثارتْ به مِرَّةٌ، فجعل يحُكُّ جسدَه بأظفاره خَمْشًا ويقول : إنما نحن إبل؛ فقال له قائل : والله إنك تُشبِهُ العربَ؛ فغضِبَ وقال : أيقال لى هـذا ! أنا والله حِرْباءُ تَنْضُبةٍ(٢)، يَشهدُ لى سوادُ لونى وغُئُورُ عَينَىّ وحُبِّى للشمس .

قيل لأبى السَّفَّاح عند موته : أوصِهْ؛ فقال : إنّا لَكِرَامُ قومٍ طِخْفَةَ(٣)؛ قالوا : قل خيرًا يا أبا السفّاح؛ فقال : إن أحبَّت ٱمرأتى فأَعْطُوها بعيرا؛ قالوا : قل خيرًا؛

(١) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٩ وفى الأصلين «عمر بن هلزاب» وهو تحريف .

(٢) فى الأصلين «مُنْضِبَةٍ» والتصحيح عن لسان العرب فى مادّة «نصب» وحياة الحيوان ج ١ ص ٢٠١ والتَّنْضُبَةُ واحدة التَّنْضُب وهو شجر له شوك قصار تألفه الحرابى .

(٣) طخفة بالكسر والفتح : جبل أحمر طويل حذاءه آبار ومنهل . ومنه يوم طخفة لبنى يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .

قال : إذًا مات غلامى فهو حرّ. وقيل لرجل عند موته : قل لا إله إلا الله، فأعرض، فأعادوا عليه مرارا. فقال : أخبِرُونى عن أبى طالب أقالَها عند موته ؟ قالوا : وما أنتَ وأبو طالب ! قال : لا أرغبُ بنفسى عنه. ولما احتُضِرَ العُجَيرُ السَّلُولىّ قال لقومٍ عنده : أنا فى آخر يوم من أيام الدنيا وأوّلِ يوم من أيام الآخرة، والله لئن وجدتُ لى عند الله موضعا لأكلمنّه فيكم. وقيل لأَوْس بن حارثة عند موته : قل لا إله إلا الله. فقال : لم يَأْنِ لها بعدُ. وقيل لآخر عند موته : ألا تُوصِى ؟ قال : أنا مغفورٌ لى، قالوا : قل إن شاء اللهُ، قال : قد شاء الله ذلكَ، قالوا : لا تَدَعِ الوصيّةَ، فقال لبنى أخيه :

بَنِي حُرَيثٍ آرفعا وِسَادِى ٭ وآحْتَفِظَا بالجِلّةِ الجِلَادِ

٭ فإنما حَولَكُما الأعادِى ٭

قال سَهْل بن هارون : ثلاثةٌ من المجانين وإن كانوا عقلاءَ : الغضبانُ والغَيْرانُ والسكرانُ. قالوا : فما تقول فى المُنعِظِ ؟ فضَحِكَ وقال :

وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرو ٭ بصاحبِكِ الذى لا تَصْبَحِينا

قال الوليد : ألَا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجّاج جِلدةُ ما بين عينىّ. ألا وإن الحجاجَ جلدةُ وجهى كُلِّه.

خطب عَتَّابُ بنُ وَرْقاءَ يحثّ على الجهاد وقال : هذا كما قال الله تعالى :

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا ٭ وعلى الغانياتِ جرُّ الذُّيُولِ

وقال آخرُ فى الرَّبيع والى اليمامة :

شهدتُ بأنّ الله حَقٌّ لِقاؤهُ ٭ وأنّ الربيعَ العامرىّ رَقِيعُ(١)

أقادَ لنا كلباً بكلب ولم يَدَعْ ٭ دِماءَ كلابِ المسلمين تَضِيعُ

(١) كذا بالنسخة الألمانية وهو الموافق لما فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٢ والبيان والتبيين للجاحظ ص ١٧ طبع المطبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ . وفى الأصل الفتوغرافى : «رفيع» بالفاء، وهو تحريف .

دخل شابٌّ على المنصور فسأله عن وفاة أبيه ، فقال : مات رحمه اللهُ يوم كذا وكذا ، وكان مرضُــه رضي الله عنه كذا وكذا ، وترك عفا اللهُ عنه من المـال كذا وكذا ؛ فانتهره الربيع وقال : أبين يَدَىْ أميرِ المؤمنين تُوالي الدعاءَ لأبيك ! فقال الشابّ : لا ألومُك ، إنك لم تَعرِف حلاوةَ الآباء ؛ فما عُلِم أن المنصور ضَحِك مِثلَ ضَحِكه يومَئذٍ . وكان الربيعُ لقيطًا .

دخل رجلٌ من بنى هاشم على المنصور فاستَجلسه ودعا بغَدَائه فقال للفتى : آدنُهْ ؛ فقال : قد تَغَدَّيتُ ؛ فلما خرج آستخفَّ به الربيعُ ودفع فى قَفَاه ، وقال : هذا كان يُسَلِّمُ من بعيدٍ ويَنصَرِفُ ، فلمّا آستدناه أميرُ المؤمنين وأمره بالجلوس ودعاه الى طعامه تبذّل[(1)] بين يديه فبلغ من جهله بفضيلة المنزلة التى صَــيَّره فيها أن قال : قد تَغدّيتُ ، وإذًا ليس عنــده لِمَنْ تَغدَّى مع أمير المؤمنين إلا سَدُّ خَلَّةِ الجُوع .

يونسُ الهَجَرىُّ قال : مات رجلٌ من جُنْــدِ أهل الشأم فحضر الحجّاجُ جَنازَتَه ، وكان عظيمَ القَدْرِ ، فصلّى وجلس على قبره وقال : لِيَنْزِلْ قبرَه بعضُ إخوانه ؛ فنزلَ نفرٌ منهم ، فقال أحدُهم وهو يُسوِّى عليه : رحمكَ اللهُ أبا فلانٍ ! إن كنتَ ما علمتُك لَتُجيــدُ الغناءَ وتُسرِعُ رَدَّ الكأسِ ، ولقد وقعتَ فى موقعِ سُــوءٍ لا تخرج منه الى الدَّكّة ؛ فما تمالكَ الحجّاجُ أن ضَحِكَ فأكثر ، وكان لا يُكثِرُ الضحكَ فى جِدٍّ ولا هَزْلٍ ، ثم قال له : لا أمَّ لكَ ! هذا موضعُ هذا ! قال : أصلح الله الأميرَ ، فرسى حَبِيسٌ لو سَمِعه يتغنّى : * يالُبَيْنَى أَوْقِدِى النارَا * لانتشرَ الأميرُ على سَعْنَةَ ، وكان الميّت يلقّبُ سَعْنَةَ ، وكان من أوحَشِ خلق الله صورةً وأَدَمِّهم ؛ فقال الحجاج : إنا لله ! أخرِجُوه عن القبر ، ثم قال : ما أبينَ حُجَّةَ أهل العراق فى جَهلِكم يا أهلَ الشأم . ولم يَبْقَ أحدٌ حضر القبرَ إلا آستفرغ ضَحِكًا .

(1) فى الأصلين : «وتبذل» والسياق يقتضى حذف الواو .

تبع داودُ بنُ المُعْتَمِر آمرأةً ظنّ أنها من الفواسد، فقال لها : لولا ما رأيتُ عليك مِنْ سِيما الخيرِ لم أتْبَعْكِ، فضحكت المرأةُ وأسندتْ ظهرها إلى الحائط ثم قالت : إنما يَعتصِمُ مِثلى من مثلِكَ بِسِيما الخير، فإذا صار سيما الخير هو الدالَّ لمثلك على مِثلى فالله المستعانُ . كان بهلولٌ المجنونُ يتغنّى بقيراطٍ[1] ولا يسكتُ إلا بدانِقٍ . وكان رجل يَهْوَى جاريةً تختلفُ فى حوائج أهلها، وكانت إذا خرجتْ الى السوق ولم يَعْلَم بخروجها ثم رجعَتْ فرآها قال وهو يُسْمِعُهَا : (لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ)، وإن وعدتْه شيئا فأخلفتْ قال : (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)، فإن تغضّبتْ لشيء بلغها عنــه قال : (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) .

مرّ بعضُ الحمْقَى بآمرأةٍ قاعدةٍ على قبرٍ وهى تبكى، فرقّ لها وقال: مَنْ هذا الميّتُ؟ قالت : زوجى، قال : فما كان عَمَلُهُ ؟ قالت : يحفرُ القبورَ، قال : أبعدَه اللهُ أمَا علم أن مَنْ حفر حُفرةً وقع فيها ! أحدثَ رجلٌ من الحمْقَى ليلةً على بابِ رجلٍ، فلما خرج الرجلُ زَلِق ووقع على ذراعه فآنكسرتْ، وآجتمعَ الجيرانُ وجعلوا يختصمون ويُوقِعُونَ الظنونَ وهو ناحيةً يَسمعُ كلامَهم، فلما أكثروا قال :

رأيتُ الحربَ يَجْنيها رجالٌ ۔ ويَصْلَى حَرَّها قومٌ بُرَاءُ

فأخذوه وقالوا : أنتَ صاحِبُنَا . قال داود المصاب : رأيتُ رؤيا نصفُها حقٌّ ونصفُها باطلٌ، رأيتُ كأنّ على عنقى بَدْرَةً[2] من ثقلها أحْدَثْتُ فاستيقظتُ فرأيتُ الحدَثَ ولم أر البَدْرَةَ . رُئِى أعرابىٌّ يبكى بكاءً شديدا، فسُئل عن سبب بُكائه فقــال : بلغنى أنّ جالوتَ قُتِلَ مظلومًا . رأى رجلٌ أحمقُ شيخا فى الحمّام أعكَنَ[3]

---

(١) القيراط : نصف الدانق، والدانق سدس الدينار . (٢) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . لسان العرب . (٣) أعكن البطن، أى فى بطنه عُكَن وهى ثناياها .

البطن، فقال له : يا عمّ إنى أشتهى أن أضَعَ هـذا — يَعنِى ذكَرَه — فى سُرَّتك؛ فقال له الشيخ : يابن أخى فأين يكونُ آستُكَ حينئذ. نزل يهودىّ على أعرابىّ فمات عنده، فقام الأعرابىُّ يُصلّى عليه فقال : اللّهـم إنه ضيفٌ وحَقُّ الضيف ما قد علمتَ، فأَمْهِلْنَا إلى أن نَقْضِىَ ذِمَامَه ثم شأْنَكَ والكلبَ .

وحدّثنى عبدُ الرحمن عن الأصمعىّ قال : كان بين آثنين عبدٌ فقام أحدُهما يجعلَ يَضربُه، فقال له الآخرُ شريكُه : ما تَصْنَعُ! قال : إنما أضربُ حِصّتى . قال أعرابىّ لرجل : ما آسمُكَ ؟ قال : عبدالله، قال : آبنُ مَنْ؟ قال : آبن عُبيد الله، قال : أبو مَنْ؟ قال : أبو عبد الرحمن، قال : أشهدُ إنك لتَلُوذُ بالله لِوَاذَ يَتيمٍ جبانٍ . قال بعضهم : رأيتُ رجلين بالبصرة على باب مُوَيْس(١) يتنازعانِ فى العنب النيروزىّ والرازقىّ : أيّهمَا أطيبُ، فجرى بينهما كلامٌ إلى أن تواثبا، فقطع الكوفىُّ إصبعَ البصرىِّ وفَقأَ البصرىُّ عينَ الكوفىِّ، ثم لم ألبَثْ إلا يسيرًا حتى رأيتُهما مُتصافِيَينِ مُتنادمَين .

قال : وقال ثُمَامةُ : مررتُ فى غِبِّ سماءٍ والأرضُ نَدِيَّةٌ والسّماء مُتَغيِّمةٌ والريحُ شَمالٌ وإذا شيخٌ أصفرُ كأنه جرادةٌ، وقد قعد على قارعة الطريق وحَجّامٌ يَحْجُمُهُ على كاهله وأَخْدَعيه بمحاجمَ كأنها قِعابٌ وقد مَصّ دمَه حتى كاد يَستفرغُه، فوقفتُ وقلتُ : ياشيخُ لِمَ تحتَجِمُ؟ قال : لمكان الصّفار الذى بى . أتى الطَّمَحانُ قومًا يعودُ عليلًا لهم فعزَّاهُم به، قالوا : إنه لم يَمُتْ، فرجع وهو يقول : يموتُ إن شاء اللهُ، يموت إن شاء اللهُ.

أبو حاتم عن الأصمعىّ عن نافع قال : كان الغَاضِرىُّ مِنْ أحمق الناس، فقيل له : ما حُمْقُه ؟ فجعل يتربَّثُ(٢)، فلما أكْثرَ عليه قال : قال لى مرّةً : البحرُ مَنْ حفَره ؟ وها حُفرَ فأينَ نبيثتُه(٣) ؟ أتُرَى أميرَ المؤمنين يَقدرُ على أن يَحْفِرَ مثلَه فى ثلاثة أيام ؟

(١) فى النسخة الألمانية «مونس» . (٢) يتربّث : يتلبّث .
(٣) النبيثة : تراب البئر والنهر .

دخل رجلٌ من الحَمْقى من الشعراء على رجل من الأشراف يُقالُ فى نسبه، فقال: إنى قد آمتدحتُكَ بشعرٍ لم تُمْدَحْ قطُّ بأنفعَ لكَ منه؛ قال: ما أحْوجَنى إلى المنفعة فهاتِهِ؛ فقال:

سألتُ عن أصلك فيما مضى * أبناءَ سبعينَ وقد نَيَّفُوا
فَكُلُّهم يُخبِرُنى أنّهُ * مُهذَّبٌ جوهرُه يُعرَفُ

فقال له: قُمْ فى لعنة الله وفى سُخْطِه! لعنك اللهُ ولعنَ مَنْ سألتَ ومَنْ أجابكَ.

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمّه فقال: ياعمّ، إن وَلَدَ جارية آلِ فلانٍ منّى فافتدِه، ففعل؛ ثم جاءه مرّةً أخرى فقال له مثل ذلك؛ فقال له عمّه: لو عَزَلْتَ! قال: بلغنى أن العَزْلَ مكروهٌ.

قال: وحدّثنا الأصمعىّ قال: بلَغَنى عن شيخ جَزِعَ على ميت جَزَعًا شديدًا؛ فقيلَ له فى ذلك؛ فقال: نحن قومٌ لم نتعوّد الموتَ.

أبو الحسن الجعفرىّ قال: قيل لكَرْدَم السَّدُوسىّ: كُلْ؛ قال: ما أُريدُ؛ قيل: ولِمَ؟ قال: أكلتُ قليلَ أرْزٍ فأكثرتُ منه. ضلّ بعيرٌ لأعرابىّ فجعل يَنْشُدُه الى أن دخل الإمارةَ فأخذَ منها بعيرا؛ فقيل له: إنّ بعيرك كان أعرابيًّا؛ قال: إنه لما أكَلَ مِن مالِ الإمارة تَبَخَّتَ (١).

الهيثم عن آبن عبّاس قال: لما وَلِىَ مروانُ وجّهَ جيشَ آبن دُلْجةَ القَيْنِىّ إلى المدينة وكان يصعَدُ المنبرَ ومعه الكُتْلةُ من التمر فيأكلُها ثم يُلقِى النّوى على وجوه أهل المدينة يمينًا وشمالا، ثم يقول: يا أهلَ المدينة، إنى لأعلمُ أنّ هذا المكان فى حرمته وموضعه

(١) تبخّت صار بُختيًّا جمعه بخاتى وهى الإبل الخُراسانية.

ليس موضعَ أكلٍ ولا شربٍ، ولكني أُحبُّ أن أُريَكُم هوانَكم على الله . قيل لمعلّم بن معلّم : مالكَ أحمقَ ؟ قال : لو لم أكن أحمقَ كنتُ ولَدَ زنًا . قال بعض الشعراء :

فإن كنتُ قد بايعتُ مروانَ طائعًا * فصرتُ إذًا بعد المشيب مُعلِّمَا

وقال آخر :

وكيف تُرَجّى العقلَ والرأيَ عندَ مَنْ * يَروحُ على أُنثى ويَغدو على طِفلِ

ابن المدائنيّ قال : تحوّل أبو عبد الله الكَرْخيّ إلى الخُرَيبة[1] فادّعى الفقهَ وظنّ أن ذلك يجوز لمكان لحيته وسَمْته، فأتى على باب دار البوارِي[2] وجلس فجلس إليه قومٌ فقال له رجلٌ منهم : يا أبا عبد الله، رجلٌ في الصلاة أدخل إصبعَه في أنفه فخرج عليها دمٌ، أيَّ شيءٍ يصنعُ ؟ قال : يَحتجِمُ رحمك الله، فقال له السائلُ : ظننتُ أنك فقيهٌ ولم أدرِ أنكَ طبيبٌ . قال رجلٌ للشَّعْبي : إني أجدُ في قفايَ حِكّةً فترى لي أن أحتجِمَ ؟ فقال الشعبيُّ : الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحِجامة . وقال له آخر : رجلٌ استمنى في يومٍ من شهر رمضان هل يُؤجَرُ؟ قال: أوَما يرضى أن يُفلِتَ رأسًا برأسٍ . نازع التيميَّ رجلٌ من بني عمّه في حائطٍ بينهما فبعث إلى قومٍ يُشهِدُهم، فأتاه جماعةٌ من القبائل، فوقف بهم على ذلك الحائط وقال : أُشهِدُكم جميعا أن نصفَ هذا الحائط لي . وقدّم آخرُ رجلًا إلى القاضي في شيء يدّعيه عليه، فأنكر الرجلُ، فقال : أيها القاضي اكتُب إنكارَه، فقال القاضي: الإنكارُ في يدكَ متى شئتَ .

قال مَسعدةُ بن طارق الذرّاع[3] : إنّا لوقوفٌ على حدود دارٍ لنقسمَها ونحن في خصومة، إذ أقبلَ سيّدُ بني تميم ومُوسِرُهم والمصلّي على جنائزهم، فأمسكنا عن الكلام، فقال :

(١) الخريبة : موضع بالبصرة . (٢) البوارى جمع بارية : الحصير المنسوج .

(٣) في الأصل : الزارع . ولعل الصواب ما أثبتناه هنا نقلا عن العقد الفريد فإنه منسوب إلى الذرع وهو القياس بالذراع .

حَدِّثُونى عن هذه الدارِ هل ضَمَّ منها بعضُنا إلى بعضٍ أحدا ؟ (١) قال مسعدةُ : فأنا منذ ستين سنةً أُفَكِّرُ فى كلامه فما أَدْرى ما عَنَى . أتت جاريةٌ أبا ضَمْضَمٍ فقالت : إنّ هذا قبّلَنى ؛ فقال : يافتى ؛ أَذْعِنْ لها بحقِّها ، قَبِّلْها عافاك الله كما قَبَّلَك ؛ فإن الله يقول : (وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : أُلْقِيَتْ على رجلٍ فريضةٌ فاشتدَّتْ عليه فجعل يَحْسُبُ غيرَها ؛ فقالوا له فى ذلك ؛ فقال : عسى أن يكونَ تَرِكَ غيرَ ما ذَكَرُوا .

حدّثنى محمد بن عمر عن ابن كُنَاسَةَ قال : قال بعضُ الطالبيّين لِأَشْعَبَ : لو رَوَيتَ الحديثَ وتركتَ النوادرَ كان أنبلَ لك ؛ قال : والله قد سمِعْتُ الحديثَ ورويتُه ؛ قال : فحَدِّثْنا ؛ قال : حدّثنى نافعٌ عن ابن عمرَ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : خَلَّتان مَنْ كانتا فيه كان مِنْ خالصةِ الله ؛ قال : هذا حديثٌ حسن فما هُما ؟ قال : نَسِيَ نافعٌ واحدةً ونسيتُ أنا الأخرى . وكان بالبَصْرة ثلاثةُ إخوة من ولدِ عتّاب بن أَسِيد كان أحدُهم يَحُجّ عن حَمْزَةَ ويقول : استُشْهِد قبل أن يحجّ ، وكان الآخر يُضَحِّى عن أبى بكرٍ وعمرَ ويقول : أخطَأا السنّةَ فى تركِ الأُضحية ، وكان الآخر يُفطِرُ عن عائشةَ أيامَ التشريقِ ويقول : غَلِطَتْ فى صومِها أيامَ العيد ، فمَنْ صامَ عن أبيه وأُمّه فأنا أُفْطِرُ عن أمّى عائشةَ .

قال ثُمامةُ : كنّا فى منزل رجل من الدَّهاقين (٢) وفينا شيخٌ منهم ، فأتى رَبُّ البيت بِدُهْنٍ طيبٍ فدهَنَ بعضُنا رأسَه وبعضُنا لحيتَه ومَسَحَ بعضُنا شارِبَه وبعضُنا يديه ، فقال أحدُهم : ادْهُنُوا أَستاهَكم تأمنُوا الحَزَازَ (٣) ، وأَمِرُّوها على وجوهكم ؛ فأخذ شيخٌ

(١) فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٣ : هل ضمّ منها بعضها الى بعض أحدا .

(٢) الدهاقين جمع دِهْقان : رئيس الإقليم .

(٣) الحزاز : هِبْرِيَة فى الرأس كأنه نُخالة ، واحدته حزازة .

منهم بطرَف إصبعه فأدخله فى أنفه ومسح حاجبيه، فعَمَدَ الشيخُ إلى بقية الدّهن فصبّه فى أذنه؛ فقلنا له : ويحك! هل رأيتَ أحدا أُتِىَ بدهنٍ طِيب فصبّه فى أذنه؟ قال: إنه مع هذا يضُرّنى .

قال عبد الله بن المبارك : كان عندنا رجل يُكْنَى أبا خارجةَ، فقلتُ له : لِمَ كَنَوْكَ أبا خارجةَ؟ قال: لأنى وُلِدتُ يوم دخل سليمانُ بن علىّ البَصرةَ . قال عمرو بن بَحْر: ذكَرلى ذاكرٌ عن شيخٍ من الإباضيّة أنه جَرى ذكرُ الشيعة عنده فأنكَر ذلك واشتدّ غضبُه؛ فقلتُ له : ما أنكرتَ؟ قال : أُنكرُ مكانَ الشّين فى أول الكلمة[1] لأنى لم أجدها قطّ إلا فى مَسخوطٍ عليه مثل شُؤم وشَرٍّ وشيطانٍ وشُحٍّ وشَغْبٍ وشَيبٍ وشَكٍّ وشِرْك وشَتْمٍ وشِيعَــةٍ وشِطْرَنْج وشَاكٍى وشانئٍ وشُحج[2] وشَوْصَة وشابشتى وشَكوى؛ فقلت: ما تقوم بهؤلاء قائمةٌ أبدا[3]. قال : وسمعتُ رجلا يقول : عجِبتُ لمن يأخذه النومُ وهو لا يزعم أن الاستطاعةَ مع الفعل؛ فقلت له : ما الدليلُ على ذلك؟ فقال : سبحان الله! الأشعارُ الصّحاحُ؛ قلت : مثل ماذا؟ قال : مثلُ قول رُؤْبةَ :

* ما إنْ يَقعَنَ الأرضَ إلا وَفْقَا *

وقــوله : * يَهْوِينَ شَتَّى ويَقَعْن وَفْقَا *

وقــوله : * مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معًا *

وقولهم فى المثل : "وَقَعَا كَعِكْمَىْ عَيرٍ[4]" ثم قال : هل فى هذا تَقْنَعُ؟ قلتُ : بلى وفى دُونِ هذا .

(١) فى الأصلين : "فى أوّل كلمة" بالتنكير وظاهر أن السياق يأباه؛ فلعلّ الصواب ما ذكرناه أو أن فى الكلام حذفا . (٢) كذا بالأصلين ولم نجده فى مادة «شحج» فى اللسان والقاموس مصدرا أو غيره . ولعله محرّف عن «شَجِيج» وهو أثر الشجّة فى الجبين .

(٣) كذا فى النسخة الألمانية، وفى الأصل الفتوغرافى «بعدها» بدل «أبدا» .

(٤) كذا بالأصلين، وفى اللسان فى مادة عكم : «هما كَعِكْمَىِ العَيْر» والعِكم : العدل مادام فيه المتاع .

وعَد رجلٌ رجلا من الحمق أن يُهْدِىَ له من مكة نعلًا، فطال عليه الانتظارُ، فأخذ قارورةً فبال فيها ثم أتى بها الطبيبَ ثم قال : انظر فى هذا الماء هل يُهدى لى بعضُ إخوانى نعلًا حضْرَميَّة؟ . وقال الزِّيادىّ : مرّ أشعبُ برجلٍ يعمَلُ طَبَقًا وقال له : زد فيه طوقًا؛ قال : ولِمَ؟ قال : لعلّه يُهْدَى لى فيه شىءٌ .

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدثنا إبراهيمُ بن القَعْقَاع قال : رأيتُ أشعبَ بسوق المدينة معه قطيفةٌ قد ذهب خَمْلُها وهو يقول : مَنْ يَشترى منّى الرَّمِدَة(١)؟ فأتاه رجلٌ فساومه، قال : أَبرأُ إليكَ من عيبٍ فيها، قال : وما هو؟ قال : تحترِقُ إن أنتَ لبِسْتَها .

سقط أعرابىٌّ من بعيرٍ له، فانكسرت ضِلَعٌ من أضلاعه فأتى الجابرَ يستوصفُه، فقال : خُذْ تمرًا جيّدا فانْزِعْ أقماعَه ونواه واعجِنه بسمنٍ ثم اضمِدْه عليه؛ قال : أىّ بِأَبِى أنتَ مِن داخِلٍ أم(٢) من خارجٍ؟ قال : مِنْ خارجٍ؛ قال : لا أبا لشانِئِكَ هو من داخلٍ أنفعُ لى؛ قال : ضَعْه حيثُ تعلمُ أنّه أنفعُ .

مات ابنٌ صغيرٌ لأعرابىّ، فقيل له : نرجُو أن يكونَ لك شفيعًا؛ فقال : لا وكَلَنا اللهُ إلى شفاعته، حَسْبُه المسكينُ أن يقومَ بأمر نفسه .

جاء أعرابىٌّ إلى المسجد والإمامُ يخطبُ، فقال لبعض القوم : ما هذا؟ قال : يدعونَ الناسَ إلى الطعام؛ قال : فما يقول صاحبُ المنبر؟ قال : يقول ما يَرْضَى الأعرابُ أن يأكلوا حتى يحمِلُوا معهم؛ فتخطّى الأعرابىُّ الناسَ حتى دنا من الوالى فقال : يا هذا، إن الذين يفعلون ما تقول سفهاؤُنا .

أخذ الحجاجُ لِصًّا أعرابيًّا فضربه سبعمائة سوط فكلّما قرعه بسوطٍ قال : اللّهم شكرا؛ فأتاه ابنُ عمٍّ له فقال : والله ما دعا الحجّاجَ إلى التمادى فى ضربك إلا كثرةُ

(١) كذا فى النسخة الألمانية وفى الأصل الفتوغرافى : «الومدة» والرمدة : الكدرة التى صارت كلون الرماد .
(٢) فى الأصلين « أو » وسياق الكلام يقتضى « أم » .

شكركَ، لأن الله يقول: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)، فقال: إنّ هـذا فى كتاب الله؟ فقال: اللهمّ نعم، فأنشأ الأعرابىّ يقول:

يا رَبِّ لا شُكْرَ فَلَا تَزِدْنِى * أسْرفْتُ فى شكرِكَ فاعفُ عَنِّى
باعِدْ ثوابَ الشاكرين مِنِّى

فبلغ الحجاجَ فخلّى سبيلَه . جاء أعرابىّ إلى صَيْرَفىّ بدرهم، قال: هذا سَتُّوقٌ، فقال الأعرابىّ: وما هو السَّتُّوقُ بأبى أنتَ؟ قال: داخِلُه نُحَاسٌ وخارجُه فضّة، قال: ليس كذلك، قال: أَكسِرُه فإن كان كذلك فأنا منه برىء؟ قال: نعم، فكسره فلما رأى النحاسَ قال: بأبى أنتَ، متى أموتُ؟ فأنا أشهدُ أنك تعلم الغيبَ .

لما حضرت الحُطَيئةَ الوفاةُ قال: احملونى على حمار فإنه لم يَمُتْ عليه كريمٌ قطّ فلعلّى أن أبقَى، ثم تمثّل:

لِكُلِّ جـديدٍ لَذّةٌ غيرَ أنّنى * رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لَذيذِ

المدائنىّ قال: دعا رجلٌ بمكة لأمّه، فقال له قائل: فما بالُ أبيكَ؟ قال: هو رجلٌ يحتالُ لنفسه . قيل لأشعبَ: أرأيتَ أحدًا قطّ أطمعَ منك؟ قال: نعم خرجتُ إلى الشأم فنزلتُ أنا ورفيقٌ لى بدَيْرٍ فيه راهبٌ، فتلاحينا فى أمرٍ فقلتُ: الكاذبُ مِنّا كذا من الراهب فى كذا مِن أُمّه، فأتى الراهبُ وقد أنعظ وهو يقول: بأبى مَن الكاذبُ منكما؟ . مرّ إسحاقُ بنُ سليمانَ بن علىّ الهاشمىّ بقاصٍّ وهو يقرأ: (يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ)، فتنفّس ثم قال: اللهم اجعلنا ممن يتجرّعُه ويُسيغُه .

الأصمعىّ عن أبيه: قلتُ لأعرابىّ: أفيكم زِنًا؟ قال: بالحرائر؟ ذاكَ عند الله عظيمٌ، ولكن مُسَاعاةٌ بهذه الإماءِ . موسى بن طلحةَ قال: جاءنا علىّ بن أبى طالب رحمه الله ونحن فى المسجد شَبابٌ من شَبابِ قريش، فتنحّينا له عن الأُسطوانة

وقلنا : هاهنا يا عم، فقال : يا بنى أخى ، أنتم لشيوخكم خيرٌ من مَهْرة[1] فإنه إذا كَبِرَ الشيخُ فيهم شَدُّوه عِقالًا ثم يُقال له : ثِبْ فيه ، فإن وَثَب خَلَّوا سبيلَه وقالوا : فيه بقيةٌ من عُلَالة ، وإن لم يَثِبْ قدموه فضربوا عِلَاوَته[2] وقالوا : لا يُصيبُكَ عندنا بلاءٌ .

قيل لبحر بن الأحنف : ما يمنعكَ أن تكون مثلَ أبيك؟ قال : الكسلُ . وقال يومًا لزَبْراءَ جاريةِ أبيه : يا زانيةُ ، فقالتْ : لو كنتُ كذلك جئتُ أباكَ بمثلكَ . أبو الحسن قال : جاء قومٌ إلى رجل من الوجوه فقالوا له : مات جارُكَ فلانٌ فَمُرْ لنا بكفنٍ ، فقال : ما عندنا اليومَ شيءٌ ولكن تعودونَ ، قالوا : أفتُمْهِلُنا إلى أن يتيسَّرَ عندك شيءٌ ! . وأتى رجل رجلا فقال له : أصلحكَ اللهُ ، تُعيرُنا ثوبا نُكفِّنُ فيه ميتا؟ . قال قاسمٌ التمّارُ فى كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض . وقال أيضا : رأيتُ إيوانَ كسرى فإذا هو كأنما رُفعت اليدُ عنه أوّلَ مِنْ أمسِ .

كان عبد الملك بن هلال الهينابىّ[3] له زَبيلٌ مملوءٌ حصًا للتسبيح ، فكان يُسبّح بواحدةٍ واحدةٍ ، فإذا مَلَّ طرح ثِنتين ثِنتين ثم ثلاثا ثلاثا ، فإذا زاد مَلالُه طرحه قَبضةً قَبضةً وقال : سبحان الله عدَدَكَ ، فإذا ضَجِرَ أخذ بعُرَى الزَّبيل وقال : الحمد لله بعددِ هذا كلِّه . دخل قومٌ منزلَ الرُّسْتُمِيّ لأمرٍ وقع ، فحضر وقتُ صلاة الظهر فقالوا : كيف القِبلَةُ فى دارِكَ هذه؟ فقال : إنما نزلناها منذُ شهرٍ .

المدائنىّ عن علىّ بن مجاهد عن حميد بن أبى البَخْتَرِىّ[4] أن الشعبىّ قال : مَرِضتُ فلقيتُ ابنَ الحُرّ فأمرنى أن أمشى كل يوم إلى الثَّوِيّة ، فكنت أغدو كلّ يوم إليها ،

(١) مهرة : حى من العرب وإليهم تنسب الإبل المهرية .

(٢) العلاوة : أعلى الرأس والعنق .

(٣) كذا بالأصلين ولم نجد هذه النسبة أصلا فى أسماء الأشخاص والقبائل والبلدان وغيرها .

(٤) كذا فى الأصل الفتوغرافى وتؤيده كتب اللغة والأنساب ، وفى الألمانية «البحترى» بالحاء المهملة .

فانصرفت ذات يوم فلمّا كنت فى جُهَينة الظاهرة[1] إذا شيخٌ منهم قاعد على طنفسة مُتّكئٌ على وسادة ، فسلّمت ثم ألقيت نفسى على الرمل ، فقال : لقد جلستَ جِلسة عاجز أو ضعيف ، قلت : قد جمعتُهما ، قال : أدام الله لك ذلك . ثم قال : إن أهلى كانوا يتخوّفون علىّ ثلاثا : نقصان البصر وترك النساء والقِطاف فى المشى ؛ فوالله إنهم ليرون الشخص واحدا وأراه آثنين ، ولقد تركت النساء فما لى فيهن من حاجة ، وإنى لأمشى فأُهَمْلِج ، قلت : أدام الله لك ذلك .

قال المدائنىّ : ركب يزيد بن نَهْشَل النهشلىّ بعيرا وقال : اللّهم إنّك قلت (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) وإنّى لبعيرى هذا لَمُقْرِن ، فنفر به فطرحه ، وبقيتْ رجله فى الغَرْز ، فجعل يضرب برأسه كل حجر ومَدَر حتى مات .

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : آختصمت الطُّفَاوة وبنو راسب[2] فى رجل يدّعيه الفريقان إلى آبن عِرْباض ، فقال : الحكم بينكم أبين من ذلك ، يُلْقَى فى النهر فإن طفا فهو لطُفاوة ، وإن رسب فهو لبنى راسب .

المدائنىّ قال : لما حضرت الحُطَيْئةَ الوفاةُ قيل له : أوص ، قال : بم أوصى ! مالى للذكور دون الإناث ، فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا ، فقال : لكنى آمُر به . ثم قال : ويلٌ للشعر من راوية الشعر ، فقيل له : أوص يا أبا مُلَيكة للمساكين بشىء ، قال : أُوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبورَ . قيل : أعتق عبدَك يَسَارًا ، قال : آشهدوا أنه عبد ما بقى ، قيل : فلان اليتيم ماتُوصى فيه ؟ قال : أُوصى أن تأكلوا ماله وتَنيكوا أمّه ، قالوا : ليس إلا هذا ! قال : آحملونى على حمار فإنه لم يمت عليه كريم لعلّى أنجو ، ومات مكانه .

(١) كذا فى النسخة الألمانية ، وفى الأصل الفتوغرافى : «الظاهرة» .
(٢) الطفاوة و بنو راسب : حيّان من العرب .

لمّا حضرت سعدَ بن زيد الوفاة جمع ولده وقال : يا بَنِيّ أوصيكم بالناس شرّا ، كلّموهم نَزْرا ، وانظروا اليهم شَزْرا ، ولا تقبلوا لهم عُذْرا ، قَصّروا الأعِنّة ، واشحذوا الأسنّة ، تأكلوا القريب ، ويرهبْكم البعيد . ولمّا حضرت وكيعًا الوفاةُ دعا بنيه فقال : يا بَنِيّ إنّي لأعلم أن قوما سيأتونكم قد أقرحوا جِباههم وعرّضوا لِحاهم يدّعون أن لهم على أبيكم دَينا فلا تَقْضوهم ، فإن أباكم قد حمل من الذّنوب ما إن غفر الله له لم تضرّه ، وإلّا فهي مع ما تقدّم .

تقدّم رجل من بني العَنْبر الى سَوّار فقال : إن أبي مات وتركني وأخًا لي ، وخطّ خطّين ناحيةً ، ثم قال : وهَجينًا لنا ، ثم خط خطّا آخر ناحيةً ، ثم قال : كيف ينقسم المال بيننا ؟ فقال : المال بينكم أثلاثا إن لم يكن وارثٌ غيركم ؛ فقال له : لا أحسبك فهمت ، إنه تركني وأخي وهجينًا لنا ؛ فقال سوّار : المال بينكم سواء ، فقال الأعرابيّ : أيأخذ الهجينُ كما آخذ ويأخذ أخي ؟ قال أجلْ ! فغضب الأعرابيّ وقال : تعلمَ والله أنك قليلُ الخالات بالدَّهناء ؛ فقال سوّار : إذًا لا يضرّني [ذلك](١) عند الله شيئا .

قال بعض العُمّال لأعرابيّ : ما أحسبُك تدري كم تصلّي في كلّ يوم وليلة ؛ فقال : أرأيتَ إن أنبأتُك بذلك تجعلْ لي عليك مسألة ؟ قال : نعم ؛ قال الأعرابيّ :

إن الصّلاةَ أربعٌ وأربعُ ، ثم ثلاثٌ بعدهنّ أربعُ
، ثم صلاةُ الفجر لا تُضيَّعُ

قال : قد صدقتَ ، فسَلْ ؛ قال : كم فَقَارُ ظهرك ؟ قال : لا أدري ؛ قال : أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك !

أخبرني رجل حضر مجلس محمد بن الجَهْم البرمكيّ أنه دخل عليه رجل يكتب في حوائج له ، فقرأها ووعده قضاءها ، فنهض وهو يدعو له وقال : أبقاك الله وحفظك وأتمّ نعمته عليك ؛ فقال له محمد بن الجهم : كتابي اليك وأنا في عافية .

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٩٢

طبـائع الإنسان

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وَهْب بن مُنَبِّه أنه وجد فى التَّوراة: إنّى حين خلقتُ آدم ركّبت جسده من أربعة أشياء ثم جعلتها وِراثة فى ولده تنمى فى أجسادهم ويَنْمُون عليها الى يوم القيامة: رطْب ويابس وسُخْن وبارد، وذلك لأنى خلقته من ترابٍ وماءٍ ثم جعلت فيه نفسا ورُوحا، فيُبوسةُ كلّ جسدٍ من قِبَل التراب، ورُطوبتُه من قبل المـاءِ، وحرارته من قبل النفس، وبرودته من قِبل الروح، ثم خلقت الجسد بعد هذا الخَلْق الأوّل أربعةَ أنواعٍ من الخَلْق الآخر وهى مِلَاكُ الجسد بإذنى وقِوامُه، لا يقوم الجسد إلا بهنّ ولا تقوم واحدة إلا بهن، المِرّة الصفراء والمِرّة السوداء والدّم والبَلْغَم، ثم أسكنتُ بعضَ هذه الخَلْق فى بعضٍ فجعلت مَسْكَن اليبوسة فى المِرّة السوداء ومسكنَ الرطوبة فى الدم ومسكنَ البرودة فى البلغم ومسكنَ الحرارة فى المِرّة الصفراء، فأيّما جسدٍ آعتدلت فيه هذه الفِطَرُ الأربعُ فكانت كلّ واحدةٍ منهنّ رُبُعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحّته وآعتدل بُنيانه، وإن زادت واحدة منهنّ غلبتْهنّ وقهرتهن ومالت بهن ودخل على أخواتها السُّقم من ناحيتها بقدر ما زادت وإذا كانت ناقصةً تقـلّ[1] عنهنّ مِلن بها وعلَونها وأدخلن عليها السّقم من نواحيهنّ لقلّتها عنهن حتى تضعُف عن طاقتهن وتعجَزَ عن مُقاومتهن[2]؛ قال وهب: وجعل عقله فى دماغه وشَرَهه[3] فى كُلْيته، وغضبَه فى كَبِده، وصَرامتَه فى قلبه، ورُعبه فى رِئته، وضَحِكَه فى طِحَاله، وحزنَه وفرحَه فى وجهه، وجعل فيه ثلثمائةٍ وستين مَفصِلا .

---

(١) فى الألمـانية : «وإذا كانت ناقصة نقلن عنها وملن ...» .

(٢) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ وفى الأصلين : «عن مقاربتهن» والفعلان فيهما (تضعف وتعجز) بالياء والسياق يقتضى تاء التأنيث كما وضعنا .

(٣) فى الأصلين وسرّه . وما ذكرناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١

قال : حدّثنى زيد بن أخزم (١) قال : حدّثنا بشر بن عمر عن أبى الزّناد عن أبيه عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال "كلّ ابن آدم تأكل الأرض إلا عَجْبَ الذنب منه خُلق وفيه يُركّب" . وقالت الحكماء : الخَنَث يعترى الأعراب والأكراد والزّنج والمجانين وكلّ صنف إلا الخِصْيان فإنه لا يكون خَصِىٌّ مُخنَّث . وقالوا : كلّ ذى ريح مُنتنة وذفَر كالتيس وما أشبهه ، إذا خُصِى نقص نَتْنُه وذهب صُنانه غير الإنسان فإنّ نتنه يشتدّ وصُنانه يحدّ وعرقه يخبُث وريحه (٢) . وكلّ شىء من الحيوان يُخصَى فإنّ عَظْمه يدقّ ، فاذا دقّ عظمُه استرخى لحمه وتبرّأ من عظمه خلا الإنسانَ فإنه إذا خُصِى طال عظمُه وعرُض . وقالوا : الخصىّ والمرأة لا يَصْلَعان ، والخصىّ تطول قدمه وتعظُم . وبلغنى أنه كان لمحمد بن الجهم بِرْذَونٌ رقيق الحافر فخصَاه فجاد حافرُه . اعتبر ذلك بالإنسان إذا خُصِى عظُمت رجله . قالوا : والخصىّ يشتدّ وقعُ رجله لأن معاقد عَصَبه تسترخى ، ويعتريه الاعوجاج والفَدَع فى أصابعه ، وتُسرع دَمعته ، ويتخدّد جلده ، ويُسرع غضبُه ورضاه ، ويضيق صدره عن كتمان السرّ . ويزعم قوم أنّ أعمارهم تطول لترك الجماع ، قالوا : وتلك عِلّةُ طول عمر البغل . وقالوا : علّةُ قِصَر عمر العُصْفُور كثرةُ سِفَاده . قالوا : وشأن الغريق إذا كان رجلا ثم ظهر على الماء أن يظهر على قَفَاه ، وإن كان امرأةً أن تظهر على وجهها . والرجل إذا ضُربت عنقُه سقط على وجهه ثم يقلبه ذكَرُه إذا انتفخ . قالوا : وفى الغلمان من لا يحتلم أبدا ، وفى النساء من لا تحيض أبدا ، وذلك عيب . وفى الناس من لا يسقط ثَغْره ولا يستبدل منه . منهم عبد الصّمد بن علىّ ذكروا أنه دخل قبره برواضعه .

---

(١) فى الأصل : أحزم . والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا فى النسخة الفتوغرافية . وفى النسخة الألمانية أربعة أصفار بعد قوله وريحه ، وكتب فى التعليق عليه باللغة الألمانية : سقطت كلمة . وفى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ : وخبث عرقه وريحه .

والضّبّ لا تسقط له سنّ . وكذلك الخنزير لا يُلقى[1] شيئا من أسنانه . ولذلك تقول العرب فى مَثَل لها: "لا آتيك سِنّ الحِسْل"[2] يريدون لا آتيك أبدا . وتقول الأطبّاء : إنه ليس شىء من الحيوان يستطيع أن ينظر الى أديم السماء إلا الإنسان؛ وذلك لكرامته على الله . ويقول بعضهم: إن الجنين يغتذى دم الحيض يسيل اليه من السُّرّة بغذائه؛ وقالوا : لذلك لا تحيض الحوامل . وقد رأينا من الحوامل من تحيض . والعرب تقول : حملت فلانة سهوا، إذا حاضت على الحمل . قال الهُذَلىّ[3] يمدح رجلا :

ومُبرَّأٍ من كلّ غُبَّر[4] حَيْضـةٍ . ورَضاعِ مُغْيِلة وداءٍ مُعضِل

فأعلمك أنها لم تر عليه دم حيض فى حملها، ودلّ على أنه قد يكون . قالوا : فإذا خرج الجنين من الرَّحم دفعت الطبيعة ذلك الدمَ الذى كان يغتذيه الى الثَّدْيين، وهما عُضوان نَاهدان[5] عصبيّان فيُنيِّراه وجعلاه لبَنا . يقول الله عزّ وجلّ : (وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) . قالوا: والإنسان يعيش حيث تحيا النار ويتلف حيث لاتبقى النار . وأصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على نَفَق فى بطن الأرض أو مَغَارة قدّموا شَمْعة فى طَرَف قَناة فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا فى طلب ما يريدون وإلّا أمسكوا . والعرب تتشاءم ببِكْر ولد الرجل إذا كان ذكرا . وكان قيس بن زهير أزرق بِكْرًا بين بكرين .

---

(١) فى الأصلين : «وكذلك ...» وظاهر أن ما ذكرناه هو الأنسب بالسياق . (٢) الحسل ولد الضبّ . (٣) هو تأبّط شرّا . (٤) كذا فى الأصل ، وفى اللسان فى مادة «غبر» والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ وشرح الحماسة للتبريزى ج ١ ص ٣٤ :

* وفساد مرضعة وداء مغيل *

وقد أورده صاحب اللسان هكذا مجرورا ، قال هو معطوف على قوله :

* ولقد سريت على الظلام بمغشم *

وهو صدر بيت متقدم فى القصيدة . وفى شرح الحماسة للتبريزى : يروى مبرأ بالنصب ومبرإ بالجر . فالنصب على قوله «سهدٍ مهبل» والجر عطف على قوله جلد من الفتيان . والغبّر بقايا الحيض . المغيلة : الحبلى أو التى تُغشَى وهى ترضع ؛ ولكن الذى ورد فى اللسان والقاموس : أغيلت المرأة فهى مغيل . (٥) كذا فى الألمانية ، وفى الفتوغرافية «بادات» .

حدثنى محمد بن عائشة عن حمّاد عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : بِكْر البكرين شيطان مخلّد لا يموت الى يوم القيامة ، يعنى من الشياطين . قالوا : وابن المذكّرة من النساء والمؤنّث من الرجال أخبثُ ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه وخصال أُمّه . والعرب تذكُر أن الغَيْرَى لا تُنجب . قال عمرو بن مَعْديكَرِب

ألستَ تصيرُ[1] اذا ما نُسِبْـ * ـتَ بين المُغَارة[2] والأحمق

وقال بعض الحكماء : كلّ امرأة أو دابّة تُبطئ عن الحَبَل . إذا واقعها الفحلُ فى الأيام التى يجرى الماء فى العود فإنها تحمل بإذن الله . قال عُبيد الله بن الحسن : إذا أردت أن تُذْكِر المرأةُ فأَغْضِبْها ثم قَعْ عليها . وقال الحارث بن كَلَدة : اذا أردت أن تحبَل المرأة فمَشِّها فى عَرْصة الدار عشرةَ أشواط فإنّ رَحِمها ينزل فلا تكاد تُخلِف . والعرب تقول : إن المرأة اذا لقحت فى قُبُل الطُّهر[3] فى أوّل الشهر عند تبلّج الفجر ثم أذْكَرت جاءت به لا يطاق . قال الشاعر وجمع هذه المعانى :

لَقِحت فى الهلال عن قُبُل الطُّهـ * ـر وقد لاح للصباح بشيرُ

ويقولون : إذا أكره الرجلُ المرأةَ وهى مذعورة ثم أذْكَرت أنجبت . قال أبو كبير الهذلىّ :

حَمَلتْ به فى ليلة مزءودةً * كَرْها وعَقْدُ نطاقها لم يُحلَلِ[4]
فأتت به حُوشَ الجَنان مُبَطَّنًا * سُهُدًا اذا ما نام ليلُ الهَوجَلِ[5]
ومُبَرَّإٍ من كلّ غُبَّر حيضةٍ * ورَضَاعِ مُغْيِلةٍ وداءٍ مُعضِل

---

(١) فى الأصل : قصيا ؛ والتصويب عن العقد الفريد ج ٣ ص ٢٥٢ (٢) المغارة : من أغارها زوجها بتزوّجه عليها . (٣) قبل الطهر : أوّله . (٤) مزءودة : مذعورة ؛ وفى تعليقات الشيخ الشنقيطى على أشعار الهذليين المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش : كان أبو عبيدة ينصب مزءودة والأصمعىّ يجرّها بجعل الزُّؤد لليلة . وساق هذا البيت صاحب مغنى اللبيب فى أواخر الكتاب وقال : يروى بالجر صفة لليلة وبالنصب حالا من الضمير فى حملت . وضعف هذا الوجه بأن ذكر الليلة حينئذ لا كبير فائدة فيه . (٥) حوش الجنان : حديده . ومبطن : ضامر البطن خميصه . وسهد : قليل النوم . والهوجل : المطىء الثقيل . وقد روى فى الأصل الفتوغرافى : . اذا ما قام ليل الهوجل * وهو تحريف والتصويب عن النسخة الألمانية ولسان العرب فى مادة «حوش» .

يقول : لم ترعليه فى حملها دما باقيا من حيضة ولا حملته وهى تُرضع ولا أرضعته وهى حامل؛ فكانت العرب تكره ذلك وتسبّ به . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد هممتُ أن أنْهَى عن الغيلة[1] ثم ذكرتُ أن فارسَ والرومَ يفعلونه فلا يَضرّهم" وفى حديث آخر: "إنه ليُدرك الفارسَ فيُدَعْثِره" أى يطرحه .

حدّثنى إسحاق بن راهْوَيه قال : أخبرنا يحيى بن آدم عن الحسن قال : رأيت جَدّةً ابنةَ إحدى وعشرين سنة . قال : وأوّلُ أوقاتِ حمل المرأة تسعُ سنين ، وهو أوّل وقت الوطء . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وهى بنت تسع . وقال عبد الله ابن صالح : حدّثنى اللّيث عن ابن عَجْلان أن امرأته حملت له مرّة وأقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت له ، وحملت له مرّة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت . قال اللّيث : وحملت مولاة لعمر بن عبد العزيز ثلاثَ سنين حتى خافت أن يكون فى جوفها داء ثم ولدت غلاما ، قال الليث : ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتى أهلنا . وفى بعض الحديث أن عيسى بن مريم عليه السلام ولدته أُمّه لثمانية أشهر ، ولذلك لا يولَد مولود لثمانية أشهر فيعيش . وروى زيد بن الحُبَاب عن ابن سِنَان قال : حدّثنى ثابت بن جابان العِجْلىّ أن الضّحّاك بن مُزاحِم وُلد وهو ابن ستة عشر شهرا . فأما يزيد بن هارون فإنه رَوَى عن جُوَيْبر أن الضحّاك وُلد لسنتين . ووُلد شُعْبة لسنتين . حدّثنا الرياشىّ أو رجل عنه قال حدّثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مُؤمَّل عن ابن أبى مُلَيكة أن عمر رحمه الله قال : يا بنى السائب ، إنكم قد أضْويتُم[2] فأنكِحوا فى النزائع[3] . قال : وقال

---

(١) ورد هذا الحديث فى طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٧٧ طبع مدينة ليدن وفيه مخالفة غير جوهرية لرواية الأصل ، وفيها : "قال مالك بن أنس : الغيلة أن يمس الرجل امرأته وهى ترضع" .

(٢) أضوى الرجل : ولد له غلام ضاوىّ ، والضاوىّ : الضعيف . (٣) النزائع جمع نزيعة وهى المرأة التى تُزَوّج فى غير عشيرتها .

الأصمعىّ قال رجل : بنات العمّ أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رءوسَ الأبطال كآبن عجمية . والعرب تقول : آغتربوا لا تُضْوُوا [(١)] ، أى آنكحُوا فى الغرائب فإن القرائب يُضوين الأولادَ . قال الشاعر :

إنّ بِلالًا لم تَشِنه أُمّه * لم يتناسب خالُه وعمّه

وقال آخر :

تَحبّبتُها للنسل وهى غريبةٌ * فجاءت به كالبدر خَرْقاً [(٢)] مُعَمَّما

فلو شاتم الفتيانَ فى الحىّ ظالما * لما وجدوا غير التكذّب مَسْلَمَا

وكان يقال : أنجبُ النساءِ الفَرُوك [(٣)] ، لأن الرجل يغلبها على الشَّبه لزهدها فى الرجال .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ أن المُنجبة التى تَنزِعُ بولدها الى أكرم الجَدّين .

أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: حدّثنا حَرْب بن قَطَن قال: يقال : إن الرجل يستفرغ ولدَ آمرأتين، يُولد له وهو آبن تسعين سنة . وقالت عائشة : لا تلد آمرأةٌ بعد خمسين سنة . قالت الحكماء : الزِّنج شِرارُ الخلق وأردؤهم تركيبا لأن بلادهم سَخُنت فأحرقتهم الأرحامُ، وكذلك من بَرَدت بلاده فلم تَطبُخه الأرحام، وإنما فَضَل أهلُ بابِلَ لعلّة الآعتدال؛ قالوا : والشمسُ شيَّطت شعورَهم فقبَّضتها؛ والشعَرُ اذا أدنيته الى النار تجعّد، فإن زدته تفلفل، فإن زدته آحترق. وقالوا : أطيب الأُمم أفواها الزِّنج وإن لم تستنّ [(٤)] ؛ وكل إنسان رطْبِ الفم كثيرِ الريق فهو طيّب الفم، وخُلوفُ فم الصائم يكون لخُثورة [(٥)] الريق؛ وكذلك الخُلوف فى آخر الليل. وقالت الحكماء : كلّ الحيوان اذا أُلقِىَ فى الماء سبَح إلا الإنسانَ والقِردَ والفرسَ الأعسرَ [(٦)] ، فإن هذه تغرَق ولا تسبَح إلا أن

(١) كذا بالأصلين، وأورده صاحب النهاية واللسان على أنه حديث . (٢) الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) الفروك : المرأة تبغض زوجها . (٤) تستن : تستاك . (٥) الخثورة ضدّ الرقّة . (٦) الأعسر : الذى يعمل بالشمال دون اليمين .

يتعلّم الإنسان السّباحة . قالوا : والرجل اذا ضُربتْ عنقُه فأُلِقيَ فى المــاء قام فى وسَط المــاء وآنتصب ولم يلزم القعر جاريا كان المــاء أو ساكنا، حتى اذا جِيِّف آنقلب وظَهر بدنُه كلّه مُستلقيا إلا المرأة فإنها تظهر مُنْكَبّةً على وجهها . وقالوا : كل مَن قُطعت يداه لم يُجِد العدْوَ، وكذلك الطائر إذا قُطعت رجلاه لم يُجِد الطيَران . قالوا : وليس فى الأرض هارب من حرب أو غيرها يَستعمِل الحُضْرَ[١] إلّا أَخَـذ عن يساره إلا أن يترك عزمه أو سَوْمَ طبيعته . ولذلك قالوا : جاءك على وَحْشِيِّه[٢]، وأنحى على شُؤْمَى[٣] يديه . وقالوا : كلّ ذى عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشيّة والإنسية فإنمـا الأشفارُ لجَفْنه الأعلى إلا الإنسانَ فإن الأشفار — نعنى الهُدْبَ — لجفنيه : الأعلى والأسفل . قالوا : ليس فى الأرض إنسان إلا وهو يطرَب من صوت نفسه ويعتريه الغلط فى شعره وولده . قال الطائىّ :

ويُسىء بالإحسانِ ظَنًّا لا كمَنْ[٤] * هو بآبنِـه وبشِـعره مفتونُ

وقالوا : كلّ ذى جِلْد فإن جلده ينسلخ إلا جلدَ الإنسان، فإنه لا ينسلخ كما تنسلخ جلود الأنعام ولكن اللحم يتبَعه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن آبن أبى طرَفة الهُذَلىّ عن جُنْدَب بن شُعَيب قال : إذا رأيتَ المولودَ قبل أن يغتذىَ من لبن أمّه فعلى وجهه مصباحٌ من البيان[٥]، يريد أن ألبان النساء تُغيِّره، ولذلك قولهم : اللبن يُشتَبه عليه، يراد أنه يَنزِعُ بالمولود فى شبه الظِّئْر . قال الشاعر :

لم أرضَعِ الدهرَ إلّا ثَدْىَ واحدةٍ * لِواضِحِ الوجه يَحمِى ساحةَ الدارِ

---

(١) الحضر: ارتفاع الفرس فى عدوه . (٢) وحشىّ كل شىء شقه الأيسر وفى الأصلين «وحشة» وما وضعناه هو الذى يناسب السياق . (٣) أنحى على شؤمى يديه : اعتمد عليها ، وشـؤمى اليدين هى اليسرى . وفى الأصلين «أحى» بدل «أنحى» . (٤) فى الأصل «كل من» والتصويب عن الديوان . (٥) المراد من البيان هنا الصفاء والإشراق .

وحدّثني الزياديّ قال : حدّثنا عبد الوارث عن يونس عن الحسن أن عُمر أُتى بآمرأة ولدت لستة أشهر فهمّ بها ؛ فقال له عليّ : قد يكون هذا ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وقال : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾.

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : آختصم رجلان في غلامٍ كلاهما يدّعيه ؛ فسأل عمرُ أُمّه ؛ فقالت : غَشِيَنِي أحدُهما ثم هَرَقْتُ دما ، ثم غشِيَنِي الآخر ، فدعا عمرُ قائفَين(١) فسألهما ؛ فقال أحدهما : أَعلِنُ أم أُسِرّ؟ قال : أَسِرّ ؛ قال : آشتركا فيه ؛ فضربه عمر حتى آضطجع ثم سأل الآخر ، فقال مثل قوله ؛ فقال : ما كنتُ أرى أن مثل هذا يكون . وقد علمتُ أن الكَلْبة يسفِدها الكلابُ فتؤدّى الى كلّ فحل نجلَه . وركَب الناس في أرجلهم وركَب ذوات الأربع في أيديها ، وكل طائر كفُّه(٢) في رجليه .

ما نقَص خَلْقُه من الحيوان

حدّثني أبو حاتم عن أبي عُبيدة قال : الفَرَس لا طِحَال له ، والبعيرُ لا مَرَارة له ، والظَّلِيمُ(٣) لا مُخّ لعَظْمه . قال زهير :

كأن الرَّحلَ منها فوق صَعْلٍ(٤) * من الظِّلْمان جُؤْجؤه(٥) هَواءُ

وكذلك طير الماء وحيتان البحر لا ألسنة لها ولا أدْمغة . وصَفَن(٦) البعير لا بَيضة فيه . والسَّمَكة لا رِئة لها ولذلك لا تتنفّس ، وكل ذى رِئة يتنفّس .

(١) القائف : الذى يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .
(٢) كذا في النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما في العقد الفريد . وفي الألمانية : ركبه .
(٣) الظليم : الذكر من النعام .
(٤) الصعل : الطويل . وفي الفتوغرافية «صقل» .
(٥) الجؤجؤ : الصدر .
(٦) الصفن : وعاء الخصية .

المشتركاتُ من الحيوان

ٱلراعى[1] بين الورَشان[2] والحمامة[3] . والبَخَاتىّ[4] من الإبل بين العِرَاب[5] والفَوَالج[6] . والحمير الأَخْدَرِيّة من الأَخْدَر وهو فرس كان لأردشير توحّش فحمى عانَاتٍ[7] من الحمير فضرب فيها، وأعمارُها كأعمار الخيل . والزَّرَافة بين الناقة من نُوق الوحوش وبين البقرة الوحشيّة وبين الضِّبْعان[8] ، وٱسمها اشْتُرْكَاوْ[9] پَلَنْكَ أى بين الجمل والكركند[10] ؛ وذلك أن الضِّبعان ببلاد الحبشة يسفَد الناقة فتجىء بولد خَلْقُه بين الناقة والضَّبُع ، فإن كان ولدُ الناقة ذكرًا عَرَض للمَهاة[11] فألقحها زَرَافة . وسُمِّيت زرافة لأنها جماعة وهى واحدة كأنها جمل وبقرة وضَبُع ؛ والزَّرافة فى كلام العرب الجماعة . وقال صاحب المنطق : الكلاب تسفَدها الذِّئاب فى أرض سَلُوقِيَة[12] فيكون منها[13] الكلاب السَّلُوقيّة .

---

(١) الراعى : طائر متولد بين الورشان والحمام كثير النسل يعيش طويلا . (٢) الورشان : ذكر القمارى كما فى حياة الحيوان . (٣) فى الأصل «اليمامة» وما أثبتناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٥٥ (٤) البخاتى جمع بختى وهى الابل الخراسانية . (٥) العراب : إبل خلاف البخاتى كما فى اللسان . (٦) جمع فالج وهو جمل ضخم ذو سنامين يحمل من السند للفحلة . (٧) جمع عانة وهى القطيع من حُمُر الوحش . (٨) هو الذكر من الضبع وهو مفرد . (٩) كلمة فارسية كما فى القاموس والصحاح مركبة من أشتر أى البعير وكار أى البقر وپلنك أى النمر وفى حياة الحيوان ج ٢ ص ٥ وپلنك الضبع ؛ والأوّل هو المعروف فى الفارسية . (١٠) فى النسخة الألمانية «الكركن» وهو قريب مما أثبتناه وفى النسخة الفتوغرافية «الكركى» وهو طائر كبير معروف . والكركند كما فى حياة الحيوان حيوان طوله مائة ذراع فأكثر ويسميه الجاحظ الكركدن ، ومعادنه بلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس ويقال إنه متولد بين الفرس والفيل . وتفسير المؤلف لكلمة (أشتركاو پلنك) يخالف بعض المخالفة تفسير القاموس ، وتفسير صاحب حياة الحيوان . (١١) المهاة : البقرة الوحشية ؛ وفى الأصلين : "المهرة" والسياق يحتم ما وضعنا . فلعل ما فى الأصل تحريف من الناسخ . (١٢) نسبة الى سَلُوق وهى قرية باليمن تنسب اليها الدروع والكلاب . (١٣) فى الأصل «بينها» وما أثبتناه عن العقد الفريد .

المتعـادياتُ

بين البُوم والغُراب عـداوة . و بين الفأرة والعـقرب عداوة . وبين الغراب وآبن عِرْس عداوة . وبين الحِدَأَة والغُدَاف[١] عداوة . وبين العنكبوت وبين العَظَاءة[٢] عداوة . وبين الحيّـة وبين آبن عِرس عداوة . وبين آبن آوى[٣] والدّجاج عداوة . وبين السِّنَّور والحَمام عداوة . وبين البُوم وبين جميع الطير عداوة ، لأن البُومة رديّة البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يقْوَ عليها شيء ، والطير تعرف ذلك من حالها فهى بالنهار تضربها وتنتف ريشها ، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصبها للطير . وبين الحمار وبين عُصفور الشوك عداوة ، ومتى نَهَق الحمار سقط بَيض عصفور الشوك . وبين الحمـار وبين الغراب عداوة . وبين الحيّة والخنزير عداوة . والغراب مصادق للثعلب . والثعلب مصادق للحيّة . والجمل يكره قُرب الفرس أبدا ويقاتله . وبين الأسد وبين الفيل عداوة . ويقال : إنّ الأسد والنَّمِر مختلفان ، والأسد والبَبْر[٤] متّفقان .

الأمثال المضروبة بالطبائع

يقال : فلان «أسمعُ من قُراد»[٢] ، والقِردان تكون عند المـاء فإن قَرُبت الإبل منها تحرّكت وآنتعشت . فيستدلّون بذلك على إقبال الإبل . و«أسمعُ من فرس» . و«أحزم من فرخ العُقاب» ، وذلك أنه يكون فى عُرْض الجبل فلا يتحرّك فيسقط . و«أحلم من

(١) الغداف : الغراب وخص بعضهم به غراب القيظ الضخم الوافر الجناحين . لسان العرب .

(٢) هذه لغة أهل العالية . ولغة بنى تميم «العظاية» بالياء . قال صاحب حياة الحيوان نقلا عن الأزهرىّ : هى دويبة ملساء تعدو وتتردّد كثيرا تشبه سامّ أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذى ، وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل .

(٣) ابن آوى : حيوان طويل المخالب والأظفار ، يأكل الطيور ، وخوف الدجاج منه أشد من خوفها من الثعلب ، ويذكر الدّميرى أن ابن آوى اذا مر تحت الدجاج وهى على الشجرة أو الجدار تساقطت وإن كانت عددا كثيرا .

(٤) البير مضبوط فى اللسان والقاموس بفتح الباء الأولى وسكون الثانية وصرح فى حياة الحيوان أنه بفتح الأولى وكسر الثانية : نوع من السباع شبيه بآبن آوى .

(٥) القراد بالضم واحدته قرادة وهى دويبة تتعلق بالبعير ونحوه .

حيّة» . و«أهدى من قَطَاةٍ وحَمامة» . و«أخَفّ رأسا من الذئب» . و«أنوم من فَهْدٍ» . و « أظلم من حيّة» ، وذلك لأنها تدخل جُحْرَ الحَشَرات وتُخرجها . و « أحذرُ من غراب» . و«أصنع من تَنَوُّطٍ» ، وهو طائر يصنع عُشًّا مُدَلًّى من الشجر . و«أصنع من سُرْفَةٍ» ، وهى دُوَيْبَّة تعمل بيتا من قِطَع العيدان . و«أسرق من زَبابَةٍ» ، وهى فأرة بَرّيّة . و«أسرق من كُنْدُشٍ» وهو العقْعَق ؛ ويقال أيضا : «أحمق من عَقْعَقٍ» لأنه من الطير الذى يُضيّع فِراخَه . و « أخرقُ من حمامةٍ » ، وذلك لأنها لا تُجيد عمل العُشّ فربما وقع البيض فانكسر . قال عَبِيدُ بن الأبرص :

عَيُّوا بأمرهمُ كما ... عَيَّتْ ببَيضتها الحَمامهْ
جعلَتْ لها عُودَينِ من ... نَشَمٍ وآخرَ من ثُمامهْ[(١)]

يقول : قرَنت النَّشَمَ بالثُّمام وهو ضعيف فتكسّر ووقع البيض فانكسر . وفى الإنجيل أنّ المسيح عليه السلام قال للحَواريّين : كونوا حُلَماءَ كالحيّات وبُلْهًا كالحمام . و«أعقّ من ضَبٍّ» ، لأنه يأكل ولده من الجوع . و«أبرّ من هِرّةٍ» ، وهى تأكل ولدها من شدّة محبّته . و «أروغُ من ثَعْلَبٍ» . و«أَمْوَقُ من رَخَمةٍ»[(٢)] . و «أزهَى من ذُبابٍ» لأنه يقع على أنف الملك وتاجه . و«أصنعُ من الدَّبْرِ» ، وهى النَّحل . و «أسمحُ من لافظةٍ» ، ويقال : هى العَنْز تسمحُ بالحَلَب ، ويقال : الرّحا ، لأنها تلفظ ما تطحَنه لا تحبس منه شيئا . و «أصْرَدُ من عين حِرْباء»[(٣)] . و«ألَحّ من الخُنْفُساء» . و «أخْيَلُ من مُذَالةٍ» ، وهى الأَمَة تُهان وهى تتبختر . و «أحلم من فرخ الطائر» . و «أكيَسُ من قِشّةٍ» ، وهى القِرْدة . و«أجبن من صافِرٍ» ، وهو ماصفَر من الطير، ويقال: هو

---

(١) النشم بالتحريك : شجر جبلىّ تُتخذ منه القسىّ ، والثمامة واحدة الثمام : نبت ضعيف .

(٢) أموق : أحمق ، من المُوق وهو الحمق . (٣) فى مجمع الأمثال للميدانى : الحرباء . بالتعريف ، وعلله بأن الحرباء تستقبل الشمس أبدا بعينها تستجلب اليها الدفء . وورد فيه بعض هذه الأمثال بالتعريف أيضا .

الصّافر بالمراة للريبة[(١)] . و «أنمّ من صُبح» . و « أبعد من بَيض الأَنُوق» ، والأَنوق: الرَّخمة تبيض فى أعالى الجبال والشواهق حيث لا يبلغه سَبُع ولا طائر. و «أشجع من لَيث عِفِرِّين» ، قال بعضهم : هو الأسد ، كأنه قال : أشجع من ليث لُيوث تعفر[(٢)] من نازعها وتصرّعه ، وقال الأصمعىّ : هو دابّة مثل الحِرْباء يتحدّى الراكبَ ويضربه بذَنَبه . و «أحنُّ من شارِفٍ» ،وهى الناقة المُسِنّة . و «أسرع من عَدْوَى الثُّؤَباء» . و «أروَى من النَّقّاقة» ،وهى الضّفادع . و«أزنَى من قِرْدٍ» ، ويقول بعضهم : إنه رجل من هُذَيْل كان كثير الزِّنا . و «أخدعُ من ضَبّ» . و «أشأم من الزَّرْقاء»[(٣)] وهى ناقة .

الأنعـــام

حدّثنى يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهلىّ عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جدّه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما خلَق الله دابّة أكرم عليه من النّعجة" وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها .

وقال : حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن إهَاب بن عُمَيْر قال : كان لنا جمل يعرف كَشْحَ الحامل من غير أن يَشُمَّها[(٤)] . قيل لآبنة الخُسّ[(٥)] : ما تقولين فى مائة من المَعز؟

(١) وفى النسخة الألمانية : «بالمرأة المريبة» وعبارة الأساس « هو الذى يصفر لريبه فهو وَحِل أن يُطهّرَ عليه ، وقيل : هو طائر ينكس رأسه ليلا ويتعلق برجليه وهو يصفر خيفة أن ينام فيؤخذ » .

(٢) فى الأصلين « تعقر » والسياق يقتضى ما وضعنا إذ سبق الفعل لبيان الآشتقاق .

(٣) فى مجمع الأمثال للميدانى : «أشأم من ورقاء» وقال : يعنون الناقة وهى مشئومة وذلك أنها ربما نفرت فذهبت فى الأرض . وما فى الأصل حكاه الميدانى عن أبى الندى وقال : الزرقاء ناقة نفرت براكبها فذهبت فى الأرض .

(٤) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وقد وردت هذه الكلمة فى الأصل الفتوغرافى هكذا «يسها» وفى النسخة الألمانية «يسمى» .

(٥) آبنة الخس : آمرأة من إياد جاءت عنها الأمثال وآسمها هند وكانت معروفة بالفصاحة .

قالت : قِنًى ؛ قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنًى ؛ قيل : فمائة من الإبل ؟ قالت : مُنًى . والعرب تضرب المثــل فى الصَّرَد[1] بالمِعْزَى فتقول : « أصْرَدُ من عَنْزٍ جَرْباء » . وسئل دَغْفَلٌ عن بنى مخزوم ، فقال : مِعْزَى مَطِيرة ، عليها قُشَعْرِيرة ، إلا بنى المُغيرة ، فإنّ فيهم تشادُقَ الكلام ، ومُصاهَرةَ الكِرام .

وقالت العرب فيما تقول على ألسِــنة البهائم : قالت المِعْزَى : الإسْتُ جَهْوَى[2] ، والذنَبُ ألْوَى ، والجلدُ رُقاق ، والشعَر دُقاق . قالوا : والضأن تضع مرّة فى السنة وتُفرِد ولا تُتْئِمُ ، والمــاعز قد تلد مرتين فى السنة ، تضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنَّماء والبَرَكة والعدد فى الضّأن ، وكذلك الخنازير تضع الأنثى منها عشرين خِنَّوْصًا ولا نَماء فيها . ويقال : الجَوَاميس ضأنُ البقر ، والبُخْت ضأن الإبل ، والبراذين ضأنُ الخيل ، والجرذان ضأنُ الفأر ، والدُّلْدُل ضأنُ القنافذ ، والنمل ضأن الذَّرّ . ويقول الأطبّاء فى لحم المــاعز : إنّه يورث الهمّ ويحرّك السَّوداء ويُورث النِّسيانَ ويُخبِّل الأولادَ ويُفسد الدّم ، ولحمُ الضأن يضرّ بمن يُصْرَع من المِرّة إضرارا شــديدا حتى يصرَعَهم فى غير أوان الصَّرْع . وأوانُ الصرع الأهِلّةُ وأنصافُ الشهور ، وهذان الوقتان هما وقت مَدّ البحر وزيادة المــاء والدّم . ولزيادةِ القمرِ الى أن يصير بدرا أثرٌ فى زيادةِ الدّمِ والدماغ وجميع الرُّطوبات ؛ قال الشاعر :

كأنّ القوم عُشّوا لحمَ ضأنٍ * فهم يَعجُونَ[3] قد مالت طُلَاهُمْ

وفى المــاعزة : إنها ترتضع من خِلْفِها[4] وهى مُحَفَّلة[5] حتى تأتىَ على كلّ ما فيه ؛ قال ابن أحمر

(١) الصرد : البرد ، لأن المعزى لا تدفأ لقلة شعرها . (٢) جهوى : مكشوفة (٣) الرجل البعج : الضعيف المشى كأنه مبعوج البطن ، وفى النسخة الألمــانية : « فهم يعجون » بالياء المثناة وهو تحريف .
(٤) الخلف بالكسر : حلَمة الضرع . (٥) المحفّلة : التى تُرك حلبها أياما ليجتمع اللبن فى ضرعها .

إنى وجدتُ بنى أَعْيا[1] وجاملَهم[2] * كالعَنز تعطِفُ رَوْقَيها[3] فترتَضِعُ

وإذا رعت الضائنةُ والماعزة فى قصير نبتٍ لم ينبُت ما تأكله الماعزة لأنّ الضائنة تَقرِضه بأسنانها والماعزةَ تقتلعه وتجذبه فتنثره من أصله . وإذا حمل على الماعزة فحملتْ أنزلت اللّبن فى أوّل الحمل الى الضَّرْع ، والضائنة لا تُنزل اللبنَ إلا عند الوِلاد ، ولذلك تقول العرب «رَمَّدَتِ المِعْزَى فرَنِّقْ رَنِّق»[4] و«رمَّدَت الضأنُ فربِّقْ ربِّق»[5]

وذكورُ كلّ شىء أحسنُ من إناثه إلا التُّيوسَ فإنها أقبح من الصَّفَايا . وأصوات الذكور من كلّ شىء أجهرُ وأغلظ إلا إناثَ البقر فإنها أجهر أصواتا من ذكورها .

قيل لأعرابىّ : بأىّ شىءٍ تعرف حَمْل شاتِك؟ قال : إذا ورم حَياؤها ورجَّتْ شِعْرتُها وآستفاضت خاصرتها .

قال الأصمعىّ : لبنى عقيل ماعزة لا تَرِد ، تجترئُ بالرُّطب . وقرأت فى كتاب من كتب الروم : إن أردت أن تعرف ما لونُ جنينِ النعجة فانظر الى لسانها فإنّ الجنين يكون على لونه . وقرأت فيه أنّ الإبل تَحامَى أمهاتِها وأخواتِها فلا تسفِدها .

قالوا : وكلّ ثور أفطسُ[6] ، وكلّ بعير أعلمُ[7] ، وكل ذُباب أقرح[8] . وقالوا : البعير إذا صعُب وخافه الناس آستعانوا عليه حتى يُبْرَكَ ويُعْقَل ثم يركَبَه فَحْلٌ آخر فيذِلّ . والعرب تعرف

(١) كذا فى الأصل والصحاح والذى فى اللسان فى مادة «رضع» : * إنى رأيت بنى سهم وعزهم * و«أعيا» أبو بطن من أسد كما فى اللسان . (٢) الجامل قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها .
(٣) الروق : القرن ، يريد أنهم لا يحتلبون نياقهم وإنما يرتضعونها خشية أن يسمع العافون صوت الحلب ويطلبون اللبن منهم . (٤) الترميد : أن تعظم الضروع . والترنيق : الانتظار . والمعنى أن عِظم ضرع الماعزة لا يدل على قرب ولادتها . (٥) أى هيِّئ لأولادها الأرباق (جمع ربق بالكسر وهو حبل فيه مدة عُرى يُشد به البَهم . كل عروة ربقة بالكسر والفتح) يعنى أن عِظم ضروع الضأن يدل على قرب ولادتها ، وهو مثل يضرب لما لا ينتظر وقوعه انتظارا طويلا على عكس المثل الأوّل .
(٦) الافطس : الذى تطامنت قصبة أنفه وآنتشرت أو آنشرم أنفه فى وجهه . (٧) الأعلم : المشقوق المشفر الاعلى . (٨) الاقرح : الذى بوجهه قرحة تظهر كالغرة .

البعير المُغَدّ[1] بسقوط الذباب عليه. ويقولون : بعير مَذْبوب إذا عَرَض له داء يدعو الذباب الى السقوط عليه. وقال بعض القُصّاص : مما فضّل الله به الكَبْش أن جعله مستور العَورة من قُبُل ومن دُبُر، ومما أهان به التَّيس أن جعله مهتوك السِّتر مكشوف القبل والدبر.

حدّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أُميّة عن وَهْب بن مُنَبِّه أنه قال : كان في مناجاة عُزَيْرٍ[2]: اللّهم إنك آخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن النبات الحُبْلة[3]، ومن البيوت بكّة[4] وإيلياء، ومن إيلياء بيت المَقدس. وفي الحديث أن آمرأة أتت النبي عليه السلام فقالت : يا رسول الله، صلى الله عليك، إني آتخذتُ غنما أبتغي نَسلها ورِسْلها[5] وإنها لا تنمو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما ألوانها" ؟ قالت : سُود، فقال : "عفّري[6]". وبعث الى الرُّعيان "من كانت له غَنَمٌ سُود فليخلطْها بعُفْر فإنّ دم عَفْراء أزكى من دم سَوداوَيْن". وقال : "الغنم اذا أقبلت أقبلت واذا أدبرت أقبلت، والإبل اذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم[7]". والأقْط قد يكون من المِعْزَى؛ قال آمرؤ القيس :

لنا غَنَمٌ نُسَوِّقها غِزارٌ * كأنّ قُرونَ جِلّتها عِصيّ
فتملأ بيتنا أَقْطًا وسمنًا * وحسبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِيّ

وقالوا : شِقْشِقة البعير : لَهَاتُه يُخرجها. ومن أحسن ما قيل في الغنم قول مُخارق آبن شِهاب في تَيْس غنمه :

---

(١) أغدّ البعير : أصيب بالغدّة، وهي طاعون الإبل. (٢) في النسخة الالمانية " في مناجاة عزيز الله إنك ... " وظاهر أنه تحريف. (٣) الحبلة تطلق على بقلة طيبة من ذكور البقل وعلى الكرم وعلى شجر العضاه. (٤) بكة : مكة. وإيلياء : اسم مدينة بيت المقدس. (٥) الرِّسل : اللبن. (٦) عفرى : من العفر وهو البياض. (٧) الأشأم : الشمال.

وراحت أُصَيلانا كأنّ ضروعَها * دِلاء وفيها واتدُ[1] القَرن لَبْلَبُ[2]
له رعثاتٌ[3] كالشُّنوف[4] وغُرّةٌ * شَديخ[5] ولونٌ كالوَذيلة[6] مُذهَبُ
وعينا أحمِّ المقلتين وعُصمةٌ[7] * يواصلها دانٍ من الظِلف[8] مُكنَبُ[9]
إذا دَوحةٌ من مُخرِفِ[10] الضال أذبلت * عطاها[11] كما يعطو ذُرى الضال قَرهَبُ[12]
أبو الحُور والغُرِّ اللواتى كأنّها * من الحسن فى الأعناق جَزعٌ[13] مُثقَّبُ
ترى ضَيفَها فيها يبيت بغبطةٍ * وضيفُ ابن قيس جائعٌ يَحَوَّبُ[14]

فوفَدَ ابن قيس هذا على النّعمان فقال: كيف المُخارق فيكم؟ قال: سيّدٌ كريمٌ من رجل[15] يمدح تَيسه ويهجو ابن عمّه. قال العجّاج فى وصف شاة: حمراء المُقدَّم شعراء المؤخّر اذا أقبلت حسبتَها نافرا، وإذا أدبرت حسبتها ناثرا، أى كأنها تعطس، يريد من أىّ أقطارها رأيتَها وجدتها مُشرقة .

---

(١) واتد القرن : منتصبه . (٢) قال صاحب اللسان : أراد باللبلب شفقته على المعزى التى أُرسل فيها فهو ذو لبلبة عليها أى ذو شفقة . (٣) رعثتا الشاة : زنمتاها تحت الأذنين . وفى الأصل الفتوغرافى : عرثات وهو تحريف . (٤) جمع شنف وهو القرط، وفى الأصل الفتوغرافى كالسيوف وهو تحريف . (٥) غرة شادخة وشديخ : غشت الوجه من الناصية الى الأنف .

(٦) المرآة أو قطعة من الفضة مجلوة . (٧) العصمة : البياض فى ذراعى الظبي أو الوعل .

(٨) الظلف : ظفر كل ما اجترّ، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها .

(٩) مكنب : غليظ، من الكنب وهو غلظ يد الرجل والخف والحافر واليد .

(١٠) المخرف : الذى حان خرافه أى اقتطاف ثمره .

(١١) من العطو وهو التناول . (١٢) القرهب من الثيران : المسنّ الضخم .

(١٣) الجزع بالفتح و يكسر : الخرز اليمانى الصينى فيه سواد و بياض .

(١٤) يحوّب : يتوجّع . كذلك وردت فى كتاب الحيوان ج ٥ ص ١٤٤ وفى الفتوغرافية : «يخوب» ولم نجد هذا الفعل وإنما ورد الخوبة : المجاعة .

(١٥) هكذا بالأصول، والذى فى كتاب الحيوان للجاحظ ج ٥ ص ١٤٠ « سيد شريف يمدح » الخ بدون من رجل .

قال الأصمعيّ : قال أعرابيّ يهزأ بصاحبه : اشتر لى شاة فقْماء[١] كأنها تضحَك ، مُندلِقة[٢] خاصِرتاها ، لها ضَرْع أرقط كأنه جَيْب ؛ قال : فكيف العَطَل؟ قال : أنّى لهذه عَطَل ! العطل : العُنق . يقول : من سِمَنها يُحسب أنه لا عُنق لها .

ومما تقوله العرب على ألسنة البهائم . قالت الضائنة : أوَلّد رُخَالا[٣] وأُجَزّ جُفَالا وأُحلَب كُثَبا ثِقالا ولم تَرمِثْلى مالا حُفَالا[٤] . تقول : أُجَزّ مرّة وذلك أن الضائنة اذا جُزّت لم يسقط من صوفها شيء الى الأرض حتى يُؤتى عليه ؛ والكُثَب جمع كُثْبة وهى الدّفعةُ من اللبن ، تقول : أُحْلَبُ دُفَعًا ثقالا من اللبن ، وذلك لأن لبنها أدسَم وأخثَر من لبن المعز فهو أثقل .

السباع وما شاكلها

يقال : إنه ليس شيء من السِّباع أطيبَ أفواها من الكلاب[٥] ، ولا فى الوحوش أطيب أفواها من الظِّباء . ويقال : ليس شيء أشدّ بَخَرا من أسد وصَقْر ، ولا فى السباع أسبح من كلب . وليس فى الأرض فَحْلٌ من جميع أجناس الحيوان لذَكَره حَجْم ظاهر إلا الإنسان والكلب[٦] . والأسد لا يأكل الحارّ ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض وكذلك أكثر السباع . وتقول الرُّوم : إن الأسد يُذْعَر بصوت الدِّيك[٧] ولا يدنو من المرأة الطامِث[٨] . والأسدُ اذا بال شغَر[٩] كما يشغَر الكلب ؛ وهو قليل الشرب للماء ، ونَجْوُه

(١) الفقم : تقدّم الثنايا العليا . (٢) فى الأصل الفتوغرافى مندلقة بالذال المعجمة والفاء ، وفى الألمانية «منذلقة» بالذال المعجمة والقاف . ولعل الصواب ما أثبتناه ؛ والاندلاق : الأسترخاء . (٣) الرخال : جمع رخل بالكسر وبهاء ، وككتف : الأنثى من ولد الضأن . (٤) الحفال كغراب : العظيم . (٥) كذا فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٦ وهى أنسب بالسياق ، وفى الأصلين : «الكلب» . (٦) كذا فى العقد الفريد وفى الأصلين : «الحوصلة» . (٧) كذا فى النسخة الألمانية ، وفى الفتوغرافية : من صوت «الذئب» . وعبارة الدميرى «يفزع من صوت الديك ونقر الطست» . (٨) من الطمث وهو الحيض ، وعبارة الدميرى «ولا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد» . (٩) شغر الكلب : رفع إحدى رجليه بال أو لم يبل .

يشبه نجو الكلب، ودواء عَضّته دواء عضّة الكَلْب الكَلِب . وقالوا : العيون التى تضىء بالليل عيونُ الأُسْد والنُّمور والسّنانير والأَفاعىّ . والعرب تقول هو «أحمقُ من جَهِيزَة» وهى الذِّئبة لأنها تدع ولدها وتُرضع ولد الضَّبُع . ويقولون : الضَّبُعُ إذا صِيدت أو قُتلت عالَ الذئبُ أولادها وأتاها باللحم ؛ قال الكُمَيْت :

كما خامَرَتْ فى بيتها أُمُّ عامرٍ [1] * لدى الحَبْل [2] حتى عالَ أَوْسٌ [3] عِيالها

أوسٌ : الذئب .

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع فى قَيْئها : الأسدُ والكلب والسِّنَّوْر ، ويقال : الضّبّ أيضا . وأمراض الكلاب ثلاثة : الكَلَب وهو جنون ، والذُّبَحة والنِّقْرِس . والعرب تقول : دماء الملوك شِفاء من عَضّة الكَلْب الكَلِب والجنونِ والخَبَل ؛ قال الفرزدق :

من الدارميّين الذين دِماؤهم * شفاء من الداءِ المَجَنَّة والخَبْل

وبلغنى عن الخليل بن أحمد أنه قال : دواء عضّة الكَلْب الكَلِب الذَّرارِيحُ [4] والعدَس والشراب العتيق يُصنع ؛ وقد ذَكر كيف صَنْعته وكم يُشرَب منه وكيف يُتعالَج به ؛ والكَلْبُ الكَلِبُ اذا عضّ إنسانا فربما أحاله نَبّاحا مثله ثم أحبله وألقحه بأَجْرٍ [5] صغار تراها عَلَقا فى صُوَرِ الكلاب .

(١) أم عامر : كنية الضبع .

(٢) الحبل على هذه الرواية حبل الرمل ويروى «لدى الحبل» والمراد بدى الحبل الصائد الذى يعلق الحبل فى عرقوب الضبع .

(٣) كذا فى الأصلين وفى لسان العرب فى مادة عال . وأورده صاحب اللسان أيضا فى مادة أوس : غال أوس بالغين المعجمة وقال فى تفسيرها : يعنى أكل جراءها .

(٤) الذراريح جمع ذُرّوح وهى دويبة حمراء منقطة بسواد أعظم من الذباب شيئا .

(٥) جمع جرو .

قال أبو اليَقْظان : كان الأسـود بن أوس بن الحُمَّرة أتى النجاشيّ فعلّمـه دواء الكَلَب، فهو فى ولده الى اليوم. فمن ولده المُحِلّ، وقد داوى المُحِلّ عُتَيبة بن مِرداس فأخرج منه مثل جِرَاء الكلاب عَلَقًا، قال آبن فَسْوة[1] حين برأ :

ولولا دواء آبن المُحِلّ وعلمُـه ۞ هررت اذا ما الناس هرّ كَلِيبُها
وأخرجَ بعدَ الله أولادَ زارِعٍ[2] ۞ مُوَلَّعةً[3] أكتافُها[4] وجُنوبُهـا

الكَلِيب : جمع كلب على غير قياس مثل عبد وعبيد .

وعضّ رجلا من بنى العنبر كلبٌ كَلِبٌ فبال علقا فى صُوَر الكلاب، فقالت آمرأته :

أبَالَكَ أدْرَاصًا[5] وأولادَ زارعٍ ۞ وتلك لَعَمْرِى نُهْيةُ المتعجِّبِ

ويزعمون أنّه يطلب المـاء أشدّ طلب، فاذا أتوه به صاح عند معاينته : لا أريد لا أريد، أو شيئا فى معنى ذلك . قالوا : وتمام[6] حَمل الكلْبة ستّون يوما، فإن وضَعت فى أقلّ من ذلك لم تكد أولادها تعيش . وإناث الكلاب تحيض فى كل سبعةِ أيامٍ؛ وعلامة ذلك أن يَرِمَ ثَفْر[7] الكلبة ولا تُريد السِّفادَ فى ذلك الوقت . وذُكُورُ السَّلُوقيّة تعيش عشرين سنة، والإناثُ تعيش آثنتى عشرةَ سنة . وليس يُلقِى الكلب شيئا من أسنانه سوى النابَين .

قالوا : وعلامةُ سرعةِ الكلب أن يطولَ ما بين يديه ورجليه ويكونَ قصيرَ الظهر. ويوصف الكلب بصغر الرأس وطول العُنُق وغِلظها وإفراط الغَضَف[8] وزَرَق العينين

(١) آبن فسوة كنية عتيبة بن مرداس، وظاهر ما فى الأصل أن البيتين لعتيبة نفسـه ولكن المؤلف فى كتابه الشعر والشعراء قال : فقال فيه الشاعر، ثم ساق البيتين . (٢) زارع : اسم كلب، ومنه قيـل للكلاب أولاد زارع . (٣) التوليع أن يكون فى الدابة ضروب من الألوان . (٤) فى النسخة الألمـانية : «أكنافها» . (٥) جمع درص — بالفتح و يكسر — وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها . (٦) فى النسخة الفتوغرافيـة « وأيام » . (٧) الثفر — بالفتح و يضم — للباع والمخالب كالحياء للناقة . (٨) الغضف : استرخاء الأذن .

وعظم المقلتين وطول الخَطْم مع اللطافة وسَعة الشّدقين ونُتوء الحـدقة ونتوء الجَبْهة وعرضها، وأن يكون الشّعر الذى تحت حَنَكه طاقةً طاقةً ويكونَ غليظا، وكذلك شعر خدّيه. ويكونَ قصيرَ اليدين طويل الرجلين عريض الظهر طويل الصدر، فى ركبته انحناء. ويكره للذكور طول الأذناب. ومن علامة الفَراهة التى لا تكاد تَخلَّف أن يكون على ساقيه أو على أحدهما أو على رأس الذنب مِخْلَبٌ. وينبغى أن يُقطَع من الساقين. وسودُ الكلاب أعقرُها، ولذلك أُمر بقتلها.

قالوا: وإذا هَرِم الكلبُ أُطعِمَ السَّمْنَ مِرارا فإنه يعود كالشابّ، وإذا حفى دُهِنت أسته وأُجِمّ[1] ومُسِح على يديه ورجليه القَطِرانُ. وإذا بلغ أن يَشْغَر فقد بلغ الإلقاحَ. والكلب من الحيوان الذى يحتلم. قالوا[2] فى الكلبة: إنه يسفدها كلب أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤدّى الى كلّ سافدٍ شكلَه وشبَهه.

قعد جماعة من أصحابنا يعدّون ماجاء فى الكلب من الأمثال فحفظت منه: «ألأمُ من كلبٍ على عَرْق[3]» و«أجِعْ كلبك يتبعْك» و«نَعِيم كلبٍ فى بُؤس أهله» و«أسمِنْ كلبك يأ كلْك» و«أحرصُ من كلبٍ على عِقْى[4] صبىّ» و«أجوعُ من كلبةِ حَوْملَ» و«أبْوَلُ من كلبٍ» و«جلس فلان مَزْجَرَ الكلب» و«الكلابَ على [البقر][5]» و«الكلبُ أحبّ أهلِه اليه الظاعن» و«هو كالكلب فى الأَرِىّ لا يعتلف ولا يدع الدابّة تعتلف».

(١) كذا فى الأصل الفتوغرافى، وفى النسخة الألمانية: «أرحم». وأُجِمّ: تُرِك ليستعيد قوّته.

(٢) فى الأصلين: «قالوا وفى الكلبة» وظاهر أن الواو زائدة.

(٣) العرق: العظم أُكل لحمه، أو العظم بلحم.

(٤) العِقْى: أوّل حدث الصبى.

(٥) الزيادة من مجمع الأمثال، وهو مثل يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة.

الذئب

الذئب إذا سفَد الذئبة فالتحم القَرْجان وهجم عليهما هاجم قتلهما كيف شاء، إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك، لأن الذئب إذا أراد السِّفاد توخّى موضعا لا يَطَؤه أنيس خوفا على نفسه . وتقول الروم: إن الذئب إذا نهَش شاة ثم أَفْلَتَتْ منه طاب لحمها وخفّ وسلِمت من القِرْدان . قالوا : والذئب إذا رأى إنسانا قبل أن يراه الإنسان أبَحّ الذئبُ صوتَ ذلك الإنسان، وقالوا : فى طبع الذئب محبّة الدّم، ويبلغ به طبعُه أنّه يرى الذئب مثلَه قد دَمِي فيثِب عليه فيُمَزّقه؛ قال الشاعر[1] :

وكنتَ كذئب السوء لمّا رأى دَمًا * بصاحبه يوما أحالَ[2] على الدّم

قالوا : والفرس إذا وطِئ أثرَ الذئب ثقُلت قائمته التى وطِئ بها . وفى كتاب علىّ رضى الله عنه إلى ابن عبّاس : لمّا رأيتَ العدوّ على ابن عمّك قد حَرِب، والزمانَ قد كلِب، قَلبت لابن عمّك ظهرَ المِجَنّ بفراقه مع المفارقين، وخذلانه مع الخاذلين، واختطفْتَ ما قدَرتَ عليه من الأموال اختطافَ الذئب الأزَلّ[3] دامية المِعْزَى . ويقولون : إن الذئب ربما نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى؛ وقال حُمَيْد بن ثَوْر :

ينام بإحدى مُقلتيه ويتّقى * بأخرى المنايا فهو يَقْظانُ هاجعُ[4]

والذئب أشدّ السِّباع مطالبة، وإذا عجز عَوَى عُوَاء استغاثة فتسامعت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله؛ وليس شىء من السِّباع يفعل ذلك .

---

(١) هو الفرزدق (راجع ص ٢٦ من ديوانه طبع باريس سنة ١٨٧٠) .

(٢) أحال على الدم : أقبل عليه .

(٣) الذئب الأزلّ : الأرسح (الخفيف الوركين) يتولد بين الضبع والذئب .

(٤) فى العقد الفريد وغيره :

* بأخرى الأعادى فهو يقظان نائم *

الفيـــــل

قالوا: لِسان الفيل مقلوبٌ طَرَفُه إلى داخل. والهند تقول: لولا أن لسانه مقلوبٌ لتكلَّم. والفيل إذا ساء خُلُقه وصَعُب[1] عَصَبوا رجليه فسكَن. وليس فى جميع الحيوان شىء لذكوره ثَدى فى صدره إلا الإنسانُ والفيلُ. والفيل المغتلِم إن سمع صوت خِنَّوص من الخنازير ٱرتاع ونفَر. والفيل يفزَع من السِّنَّور. وتزعم الهند أن نابَىْ الفيل هما قَرْناه يخرُجان مستبطنين حتى يخرقا الحَنَك ويخرُجا أعْقفَين. وقال صاحب المنطق: ظهر فيل عاش أربعمائة سنة. وقال حدثنى شيخ لنا قال: رأيت فيلا أيام أبى جعفر قيل: إنه سجد لسابور ذى الأكتاف ولأبى جعفر، والفِيلة تضعُ فى سبع سنين.

الفَهْـــد

قالوا: السِّباع تَشتهى رائحةَ الفَهْد، فإذا سمِن الفهد عرَف أنه مطلوب وأن حركته قد ثقُلت فأخفى نفسه حتى ينقضىَ الزمان الذى تَسمَن فيه الفُهود. ويعترى الفهدَ داء يقال له خانقــةُ الفهود، فإذا ٱعتراه أكل العَذِرة فبرأ. والوحشىّ المُسِنّ منها فى الصيد أنفع من الجَرْو المُرَبَّب[2].

الأرنَب

قالوا: الأرنب تحيض ولا تَسمَن إلا بزيادةِ اللحم. وقَضيب الذَّكَر من الأرانب ربما كان من عَظْم، وكذلك قضيب الثعلَب. والأرنب تنامُ مفتوحةَ العين. وإنْفَحة الأرنب إذا شربتها المرأةُ من بعد أن تطهُر من المحيض مُنِعت من الحَبَل. والكَلَف[3] إن طُلِى بدم الأرنب أذهبه.

---

(١) بالأصلين: «وصعف» والظاهر أن ما أثبتناه هو الذى يلائم السياق. (٢) المربّب: الذى يربّونه لأن الجرو يخرج حبًّا ويخرج المسن على التأديب صبورا غير حب. كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٦٠). (٣) الكلف بالتحريك: شىء يعلو الوجه كالسمسم ويعرف بالنمش.

القِرْد والدُّبّ

قال : حدّثنى محمد بن خالد بن خِدَاش قال : حدّثنى سَلْم بن قُتَيبة عن هشام عن حُصَين وأبى بَلْج عن عمرو بن ميمون قال: زَنَتْ قِرْدَةٌ فى الجاهليّة فرجمها القرود ورجمتُها معهم . قالوا : وليس شىء يجتمع فيه الزواج والغَيرة إلا الإنسانُ والقِردُ؛ قالوا : والدَّيْسم جِرْو الدُّبّ تضعه أمّه وهو كَفِدْرَة لحم فتهرُب به فى المواضع العالية من الذّرّ والنّمل حتى تشتدّ أعضاؤه .

مصايد السباع العادية

السباع العاديّة: تُصطاد بالزُّبَى والمُغَوَّيات[1] وهى آبار تُحفر فى أنْشَاز[2] الأرض ، فلذلك يقال : قد «بلغ السيلُ الزُّبَى»[3] ، قال صاحب الفِلَاحة: ومما تُصاد به السباعُ العادية أن يؤخذ سَمَك من سمك البحر البِكار السِّمان فتقطع قِطعا ثم تُشرَّح ثم تُكَّل كُتَلا ثم تؤجّج نار فى غائط[4] من الأرض يقرب فيه السباع ثم تقذف تلك الكُتَل فى النار واحدةً بعد واحدةٍ حتى ينتشر دخان تلك النار وقُتَار[5] تلك الكتل فى تلك الأرض ثم تُطرح حولَ تلك النار قطعٌ من لحم قد جعل فيها الخَرْبَق[6] الأسود والأَفْيُون وتكون تلك النار فى موضع لا تُرَى فيه حتى تُقبِل السباع لريح القُتار وهى آمنة فتأ كل من قطع اللحم ويُغشَى عليها فيصيدها الكامنون لها كيفَ شاءوا .

(١) المغوّيات بفتح الواو مشدّدة : جمع المغواة وهى حفرة كالزبية تحتفر للأسد .
(٢) أنشاز جمع نشز وهو المكان المرتفع .
(٣) الزبى جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها ماء ، وهى كذلك حفرة للأسد .
(٤) الغائط : المطمئن الواسع من الأرض .
(٥) القتار : ريح الشواء .
(٦) الخربق بجعفر : نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله .

النَّعَـام

قالوا فى الظَّليم : إن الصيف إذا أقبل وٱبتدأ البُسر فى الحمرة ٱبتـدأ لون وَظيفيه[1] بالحمرة ولا يزالان يتلوّنان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهى حمرة البسر، ولذلك قيل له : خاضب . وفى الظليم : إنّ كل ذى رجلين إذا ٱنكسرت إحدى رجليه قام على الأخرى وتحامل على ظَلَعٍ غيرَه فإنه إذا ٱنكسرت إحدى رجليـه جَثَم ، ولذلك قال الشاعر فى نفسه وأخيه :

فإنّى وإيّاه كَرِجْلَىْ نَعامـةٍ * على ما بِنا من ذى غِنًى وفقير

يقول : لا غنى بواحد منّا عن الآخر . وقال آخر :

إذا ٱنكسرت رجل النعامة لم تجد * على أختها نهضا[2] ولا باستها حبوا[3]

قالوا : وعلة ذلك أنه لا مُخّ له فى ساقيه ، وكلّ عظم فهو ينجبر إلا عظما لا مخّ فيه ، وزَمانِحُ[4] الشاء لا تنجبر ، قال الشاعر :

أَجِدَّكَ لم تَظْلَعْ بِرجل نعـامةٍ * ولستَ بنهّاضٍ وعظمُكَ زَمْخَـرُ

أى أجوف لا مخّ فيه . والظليم يغتذى المَرْوَ والصَّخْرَ فتُذيبه قانِصتُه[5] بطبعها حتى يصيرَ كالمـاء ، قال ذو الرّمّة يذكره :

---

(١) الوظيف : مستدقّ الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرهما والجمع أوظفة ووُظُف .

(٢) فى العقد الفريد : ولا دونها صبرا .

(٣) كذا فى حياة الحيوان (ج ٢ ص ٢٠٤) وفى الأصل : «حبرا» .

(٤) الزماخر جمع زَمْخَرَة وهى كلّ عظم أجوف لا مخّ فيه .

(٥) القوانص للطير كالمصارين لغيرها .

ألهـاه آءٌ(1) وتَنُّـــومٌ(2) وعُقْبَتُـــه(3) * من لائح المَرْو والمَرْعَى له عُقَبُ

قال أبو النجم :

والمروُ يُلقيـــه الى أمعائهِ * فى سَرْطَمٍ(4) هادٍ على آلتوائهِ

والظليم يبتلع الجمرة وربما أُلقِىَ الحَجَرُ فى النار حتى إذا صار كأنّه جمرة قُذِفَ به بين يديه فيبتلعه وربمـا آبتلع أوزانَ الحديد . وفى النعامة إنها أخذت من البعير المَنْسِم والوظيفَ والعُنُقَ والخِزَامةَ ؛ ومن الطائر الرِّيشَ والجناحين والمنقارَ فهو لا بعير ولا طائر ؛ وقال أوس بن حَجَر :

وتَنْهَى ذوى الأحلام عنّى حُلومُهم * وأرفـعُ صـــوتى للنَّعام المخــزَّم

جعله مخزَّما للخَرْقين اللذين فى عَرْض أنفــه فى موضع الخِزَامة من البعير . قال يحيى بن نَوْفَل :

ومثـــل نعامةٍ تُدعَى بعــيرًا * تُعَاصِينا(5) إذا ما قيـــلَ طيرى

فإن قيـــل آحمِلِى قالت فإنى * مِن الطير المُرِبَّة(6) فى الوُكُور

وتقول العرب فى المثل : هذا «أَمْوَقُ من نعامةٍ» وذلك أنها ربما خرجت لطلب الطُّعْم فمرّت ببَيض نعامة أخرى فحضنته وتركت بيضها ؛ ولذلك قال الشاعر وهو آبن هَرْمةَ :

---

(1) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . (2) قال آبن سيده : التنوم : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ، ويتفلّق عن حب يأكله أهل البادية ؛ وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق ، وواحدته تنومة . (3) قال فى اللسان : وعُقبة الماشية فى المرعى أن ترعى الخُلّة عُقْبة ثم تحوّل الى الحَمْض ، فالحمض عُقْبَتُها ، وكذلك اذا حوّلت من الحمض الى الخلة ، فالخلة عقبتها . (4) لسرطم : البلعوم . (5) كذا فى حياة الحيوان للدميرى . وفى الاصل «تداظمها» . (6) المربّة : المقيمة ؛ وفى حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤١٨) «المرفّه» .

وإنى وتَركِى نَدَى الأكرمين * وقَدْحِى بكفَّىَ زندا شَحَاحا
كتاركةٍ بيضَها بالعَراء * ومُلْبِسةٍ بَيضَ أخرى جَناحا

وقال سَهْم بن حَنْظَلة :

إذا ما لقيتَ بنى عامرٍ * رأيتَ جفاءً ونُوكًا[1] كبيرا
نَعامٌ تَمُدُّ بأعناقها * ويمنعُها نُوكُها أن تَطيرا

ويُضربُ بها المثل فى الشِّراد والنِّفار؛ قال بِشر بن أبى خازم :

وأما بنو عامرٍ بالنِّسار[2] * فكانوا غَداةَ لَقُونا نَعاما

يُريد: مَرّوا منهزمين . وربما حضنت النعامةُ أربعين بيضة أو نحوها وأخرجت ثلاثين رَألا ؛ قال ذو الرمة :

كأنه[3] خاضب بالسِّىِّ[4] مَرتَعُه * أبو ثلاثين أمسَى وهو مُنقلِب

والبواقى من بيضها الذى لا تَنْقُفه[5] يقال لها : التَّرائكُ . وأشدُّ ما يكون الظليم عَدْوا إذا آستقبل الريح لأنه يضع عُنقه على ظهره ثم يَخْرِق الريح وإذا آستدبرها كبَّته من خلفه . والنعامة تضع بيضها طولا ثم تغطّيها كلَّ بيضةٍ بما يصيبها من الحضن ؛ قال آبن أحمر :

* وُضِعنَ وكُلُّهنّ على غِرارٍ *

وقال آخر :

* على غِرارٍ كآستواء المِطْمَر *

(١) النوك : الحمق . (٢) النسار : موضع ، وقيل : هو ماء لبنى عامر ، ومنه يوم النسار لبنى أسد وذبيان على جشم بن معاوية . (٣) كذا فى الأصل الفتوغرافى . وفى لسان العرب فى مادة «خضب» «أذاك أم خاضب ... الخ» وهى رواية الديوان ، يعنى : أذاك الثور الذى وصفته يشبه ناقتى فى سرعتها أم ظليم هذه صفته . (٤) السىّ : الفلاة . (٥) نقفت النعامة البيضة : ثقبتها وآستخرجت ما فيها .

والمِطمَر خيط البنّاء، إلا أن ثعلبة بن صُعَير خالف ذلك فقال يذكر الظليم والنعامة :

فتذكّرا ثَقَلًا[1] رَثيدا بعد ما * ألقت ذُكاءُ[2] يمينَها فى كافر

والرثيد : المنضود بعضه على بعض . قالوا : الوَحش فى الفلَوات ما لم تَعرف الإنسانَ ولم تره لا تَنفرُ منه إذا رأته خلا النعامَ فإنه شارد أبدا؛ قال ذو الرمّة :

وكلّ أحَمّ[3] المقلتين كأنّه * أخو الإنس من طُول الخلاء المغفّل[4]

يريد : أنه لا ينفِرُ من الناس لأنه فى خَلاء ولم يرَ أحدًا قبل ذلك . وقال الأحيمر السعدىّ :كنتُ حين خلعني قومى وأطلّ السلطان دَمى وهرَبتُ وترددتُ فى البوادى ظننتُ أنى قد جُزت نَخْل وَبَار أو قريب منها، وذلك أنى كنت أرى النَّوى فى رَجْع الذئاب وكنت أغشَى الظباءَ وغيرَها من بهائم الوَحش فلا تنفِرُ منّى؛ لأنها لم ترَ أحدا قبلى وكنت أمشِى الى الظبى السّمين فآخذُه، وعلى ذلك رأيتُ جميعَ تلك الوحوش إلا النعامَ فإنه لم أره قطّ إلا نافِرًا فَزِعا .

الطـــير

قال حدّثنى زياد بن يحيى قال حدّثنا أبو عتّاب قال حدّثنا طلحة بن يزيد الشامىّ عن بقيّة بن الوليد عن عبد الله بن أبى كبشة عن أبيه قال : كان النبىّ عليه السلام يُعجبه أن ينظر الى الأُتْرُجّ وإلى الحَمام الأحمر .

حدّثنى الرياشىّ قال : ليس شىء يغيبُ أذناه إلا وهو يبيض؛ وليس شىء يظهر أذناه إلا وهو يلِد، وروى ذلك عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

(١) الثقل بالتحريك : متاع المسافر وحشمه . (٢) ذكاء : هى الشمس، والكافر هو الليل، من الكفر وهو الستر والتغطية؛ يريد أنهما تذكرا متاعهما بعد الغروب . (٣) أحم : أسود . (٤) المغفّل : المجهول، وفى الأصلين «المغفل» والتصويب عن الديوان .

حدثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبى إسحاق عن ابن جريج قال ابن شهاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أربع لا يُقتَلن النملةُ والنحلةُ والهُدهُد والصُّرَد"(١) . بلغنى عن مكحول قال : كان من دعاء داود النبىّ عليه السلام : يا رازق النَّعَّاب فى عُشّه . وذلك أن الغراب اذا فَقَص عن فِراخه خرجت بيضا فإذا رآها كذلك نفر عنها فتفتحُ أفواهَها ويُرسلُ الله لها ذُبابا فيدخُل فى أجوافها فيكون غِذاءَها حتى تسودّ ، وإذا اسودّت عاد الغراب فغذّاها ويرفعُ اللهُ عنها الذبابَ .

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك ابن يحيى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تَطرُقوا الطيرَ فى أوكارها فإنّ الليلَ أمانُ الله" .

حدّثنى أبو سفيان الغَنَوِىُّ عن معاويةَ بن عمرو عن طلحةَ بن زيد عن الأحوص ابن حكيم عن خالد بن مَعْدانَ عن رجل من الأنصار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدِّيك الأبيضُ صَديقى وصديقُ صَديقى وعدوّ عدوّ الله يحرُس دارَ صاحبه وسبعَ أَدْوُر"(٢) . وكان النبىّ عليه السلام يُبيته معه فى البيت .

قالوا : الطير ثلاثة أضرب ، بهائمُ الطير وهو ما لقط الحبوبَ والبزورَ؛ وسباعُ الطير وهى التى تغتذى اللحمَ؛ والمشتركُ وهو مثلُ العصفور يشارك بهائمَ الطير فى أنه ليس بذى مِخْلَب ولا مِنْسر وإذا سقط على عود قدّمَ أصابعه الثلاث وأخر الدّابرة . وسباعُ الطير تُقدّم إصبعين وتُؤخّر إصبعين ويشارك سباعَ الطير بأنه يُلقِمُ فراخَه ولا يَزُقّ وأنه يأكل اللحمَ ويصطاد الجرادَ والنملَ .

(١) الصرد : طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير ويكنى بأبى كثير . (٢) هـذا الحديث موضوع وقد نبّه عليه ابن الجوزى وملّا على القارى فى موضوعاتهما (راجع موضوعات ملّا على القارى ضمن مجموعة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٠٥ حديث) .

قالوا: والعصفورُ شديدُ الوطء، والفيلُ خفيفُ الوطء، والورَشانُ يُصرَعُ فى كلّ شهرٍ مرةً. قالوا: وأسوأ الطير هدايةً الأسودُ، والأبيضُ لا يجيء من الغاية[1] لضعف قوّته وأجودُها هدايةً الغُبْرُ والنُّمْر .

قال صاحب الفلاحة: الحمام يُعجَبُ بالكمّون ويألفُ الموضعَ الذى يكون فيه الكمّونُ، وكذلك العدَسُ ولاسيما اذا أُنقِعَا فى عصير حلو، ومما يصلُحن عليه ويكثُرنَ أن تدخّنَ بيوتُهن باللُّبان ، وأسلم مواضعها وأصلحُها أن يُبنَى لها بيتٌ على أساطين خشَب ويُجعلَ فيه ثلاثُ كُوًى: كُوّة فى سَمْك البيت وكُوّة من قِبل المشرق وكوّة من قِبل المغرب، وبابان من قِبل مهبّ الجنوب. قال: والسَّذاب[2] اذا أُلقِىَ فى البرج تحامتْه السَّنانيرُ البرّيّة .

حدّثنى آبن أبى سعد عن علىّ بن الصَّبّاح عن أبى المنذر هشام بن محمد قال: حدّثنى الكلبىّ أن أسماء كنائن[3] نوح إذا كُتبن فى زوايا بيت حَمام نمت الفروخُ وسلمت من الآفات. قال هشام: قد جرّبته أنا وغيرى فوجدته كما قال أبى. قال: وآسم[4] امرأة سام بن نوح «مَحْلَثْ مَحْو»، واسم آمرأة حام «أَذْنَف نشا». وآسم آمرأة يافث «زَدْقَت نبث» .

قالوا: وأمراض الحمام أربعة: الكُبَادُ[5] والخُنَانُ[6] والسّلّ والقُمّلُ، فدواء الكُبَاد الزعفرانُ والسكّر الطّبَرزَذ[7] وماء الهِنْدَباء[8] يُجعلُ فى سُكُرّجة[9] ثم يُمَجّ فى حلقه قبل أن يلتقِطَ شيئا .

---

(١) فى الأصلين: الغابة، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ. والغاية الموضع الذى يرسل اليه الحمام المدرّب على إبلاغ الرسائل . (٢) السذاب: اسم نبات له خواص وطبائع ذكرها آبن البيطار فى مفرداته (راجع ج ٣ ص ٥) . (٣) الكنائن: جمع كنة بالفتح، وهو جمع نادرة كأنهم توهّموا فيه فعيلة ونحوها مما يكسّر على فعائل . والكنة امرأة الآبن أو الأخ . (٤) عبارة العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٥) وآسم آمرأة سام بن نوح «محلت محم» وآسم آمرأة حام «نحف نشا» وآسم آمرأة يافث «فالر» . (٥) الكباد كغراب: وجع الكبد . (٦) الخنان: داء يأخذ الطير فى حلوقها . (٧) الطبرزد: السكر الأبيض الصلب . (٨) الهندباء: بقل معروف يؤكل، له مضار ومنافع ذكرها آبن البيطار فى مفرداته، وداود الأنطاكى فى تذكرته . (٩) السكرّجة: الصحفة .

ودواءُ الخُنَـانِ أن يُلَيّن لسانُه يوما أو آثنين بِدُهْنِ البَنَفْسَج ثم بالرّماد والملح و يُدلَكَ بهما حتى تَنْسَلِخَ الجلدةُ العليا التى غَشِيَت لسانَه ثم يُطْلَى بِعَسَلٍ ودهنِ ورد حتى يبرأ . ودواء السّلِّ أن يُطعَمَ المـاشَ[1] المقشورَ ويُمَجَّ فى حلقه لبنٌ حليبٌ ويُقطعَ من وظيفيه عرقان ظاهران فى أسفل ذلك مما يلى المَفصل . ودواء القُمَّلِ أن تُطلَى أصولُ ريشه بالزِّنْبَقِ[2] المخلوط بدهن البنفسَج ، يُفعلُ به ذلك مرارا حتى يسقطَ قملُه ، ويُكنَسُ مكانُه الذى يكون فيه كنسا نظيفا .

قالوا : والطيرُ الذى يخرجُ من وكره بالليل البومةُ والصَّدَى والهامةُ والضُّوعُ[3] والوَطواطُ والخُفّاشُ وغرابُ الليل . قالوا : إذا خرج فرخُ الحمامةِ نفخ أبواه فى حَلقه الريحَ لتتسعَ الحَوْصلة من بعد آلتحامها وتَنبثِقَ ، فإذا آتسعت زَقّاه عند ذلك اللُّعابَ ثم زقّاه سورج[4] أصول الحيطانِ ليدبُغَا به الحوصلةَ . ثم زقّاه بعدُ الحبَّ .

قال المُثَنّى بن زهير : لم أر شيئا قطّ فى رجل وآمرأة إلا وقد رأيتـه فى الحمام ، رأيت حمـامةً لا تريد إلا ذكرها ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئا من الذكور ، ورأيت حمامةً لا تَزِيفُ[5] إلا بعـد شدّة طلب ، ورأيت حمـامة تَزِيفُ للذكر ساعةَ يطلُبها ، ورأيت حمامة وهى تُمكّن آخَرَ ماتَعـدُوه ، ورأيت حمامة تَقمُطُ حمامةً ، ورأيت حمامة تقمِط الذكرَ ، ورأيت ذكرا يَقمطُ الذكرَ ، ورأيت الذكر يقمطُ مالقِىَ ولا يُزاوجُ ، ورأيت ذكرا له أنثيان يحضُنُ مع هذه وهذه ويَزُقّ [مع][6] هذه وهذه .

(١) الماش : حبّ مدوّر أصغر من الحمص أسمر اللون يميل إلى الخضرة يؤكل مطبوخا وأجوده الهندىّ ثم اليمنىّ وأردؤه الشامىّ . (٢) الزنبق بالنون : دهن الياسمين . وفى النسخة الالمـانية «الزيبق» بالياء . (٣) الضوع : طائر من طير الليل ، قيل هو الكروان ، وقيل هو ذكر البوم . (٤) كذا بالأصلين ، ولعله «الصاروج» وهو الكلس تبنى وتطلى به حيطان البيت . وفى «كتاب الحيوان» للجاحظ (ج ٣ ص ٤٧) «فيأكلان من صروج الحيطان وهى شىء بين الملح والحمض وبين التراب الخالص فيزقّان الفرخ... الخ» . (٥) فى اللسان : الحمامة تزيف بين يدى الحمام الذكر ، أى تمشى مدلة . (٦) الزيادة عن «كتاب الحيوان للجاحظ» .

البيض

قالوا : والبيض يكونُ من أربعة أشياءَ : منه ما يكونُ من السفاد؛ ومنه مايكون من التراب؛ ومنه مايكون من نسيم الريح يصل إلى أرحامها؛ ومنه شيء يعترى الحَجَل[1] وما شاكله فى الطبيعة، فإن الأنثى منه ربما كانت على سُفَالةِ الريح التى تهُبُّ من شقّ الذكر فى بعض الزمان فتحتشى من ذلك بيضا، وكذلك النخلة تكون بجنب الفُحَّال[2] وتحت ريحه فتلقَحُ بتلك الريحةِ وتكتفى بذلك، والدّجاجةُ اذا هَرِمَت لم يكن لبيضها مُحٌّ، وإذا لم يكن للبيضة مُحٌّ لم يُخلَق فيها فرخٌ، لأنه لا يكون له طُعْم يغذوه؛ والفرخ والفرّوج يُخلَقان من البياض وغذاؤهما الصُّفرةُ، وإذا باضت الدجاجةُ بيضتين فى اليوم كان ذلك من علامات موتها؛ والطائر إذا نُتف ريشُه آحتبس بيضُه وإذا سَمِع صوتَ الرعدِ الشديد .

الخُفَّــاش

قالوا : عجائبُ الخُفَّاش[3] أنه لا يُبصر فى الضوء الشديد ولا فى الظلمة الشديدة وتَحبَلُ وتَلِد وتَحِيضُ وتُرضعُ وتَطيرُ بلا ريش، وتحملُ الأنثى ولدَها تحت جناحها وربما قَبضتْ عليه بفيها خوفا عليه، وربما ولدت وهى تَطير . ولها أذنانٌ وأسنانٌ وجناحان متصلان برجليها، وأبصارُها تصحّ على طول العمر، وإنما يظهر فى القمر منها المسنّاتُ؛ وقال بعض الحكماء : الخفّاش فأر يطير .

---

(١) الحَجَل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البرّ . (راجع حياة الحيوان للدّميرى ج ١ ص ٢٨٤) .

(٢) الفحال : ذكر النخل خاصة .

(٣) الخفاش مشتق من الخفش وهو ضعف فى البصر، وضيق فى العين، وقيل : هو فساد فى جفن العين وآحمرار تضيق له العيون من غير وجع ولا قرح .

الخُطّـافُ والزُّرزُورُ

قالوا : الخُطّاف(١) والزُّرزُورُ(٢) يتبعُ الربيعَ حيث كان . قالوا : وتُقلَعُ إحدى عينيه فترجعُ . والزُّرزورُ لا يَمشى ومتى وقع بالأرض لم يَستقلّ(٣) وأُخذ ، وإنمـا يُعشّشُ فى الأماكن المرتفعـة فإذا أراد الطيرانَ رمى بنفسـه فى الهواء فطار ، وإذا أراد أن يشربَ المـاءَ آنقضّ عليه فشرب منه آختلاسًا من غير أن يَسقُطَ بالأرض .

العُقَابُ والحِدَأةُ

قالوا : العُقابُ تبيض ثلاثَ بيضات فى أكثر حالاتها فإذا فرخَت غذّت آثنين وباعدت عنها واحدا فيتعهدُ فرخَها طائرٌ يقال له : كاسرُ العظام(٤) ، ويغذُوه حتى يكبَرَ ويقوى . وقال صاحب الفلاحة : العُقابُ والحِدَأةُ يتبدّلان فتصيرُ العقابُ حِدَأةً والحِدَأةُ عقابا ، قال : وكذلك الأرانبُ تتبدّل(٥) فيصيرُ الذكر منها أنثى وتصيرُ الأنثى ذكرا . قال صاحب المنطق : العُقاب إذا آشتكت كَبِدَها مِن رفعها الثعلبَ والأرنبَ فى الهواء وحَطِّها لذلك وأشباهه تعالَجتْ بأكل الأكباد حتى تبرأ .

---

(١) الخطاف : العصفور الأسود ، وهو الذى تدعوه العامة عصفور الجنة .

(٢) الزرزور بضم الزاى : طائر من نوع العصفور سمى بذلك لزرزرته أى تصويته .

(٣) أى لم ينهض .

(٤) كاسر العظام : طائر يسمى « المكلّفة » لأن العقاب لما كانت سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات فتخرج فراخها وتلق واحدا منها فيأخذه هـذا الطائر الذى يتكلّف به . (راجع حياة الحيوان للدميرى ج ٢ ص ٢٨٧) .

(٥) فى الأصلين « يتدلان » .

الغـــراب

الغِربانُ لا تقرَبُ النخلَ المواقير(١) وإنما تسقطُ على النخل المصرومة(٢) فتلقُط ما يسقط من التمر فى القِلْبة(٣) وأُصول الكَرَب(٤). وعلى إناث الغربان الحَضْنُ وعلى الذكور أن تأتىَ الإناثَ بالطُّعْم. والإوَزّةُ دون الذكر(٥) * والغربانُ أكتم شىء للسِّفاد.

القَطَـا

قالوا: والقطا لا تضعُ بيضَها أبدا إلا أفرادا، قال أبو وَجْزَةَ:

وهُنَّ(٦) يَنْسُبْنَ وَهْنًا كلَّ صادقة * باتت تُباشِرُ عُرْمًا(٧) غيرَ أزواج

الحيوانُ الذى لا يصلُحُ شأنه إلا برئيس أو رقيب: الناسُ، والغرانيقُ(٨)، والكَراكى والنحل، فأما الإبلُ والبقر والحمير فتتخذُ رئيسا من غير رقيب.

باب مَصَايد الطير

قال صاحب الفلاحة: مَنْ أراد أن يحتالَ للطير والدّجاج حتى يتحيّرن ويُغشَى عليهنّ حتى يَصيدَهنّ عَمَد إلى الحِلتيت(٩) فدافَه بالماء ثم جعل فى ذلك الماءِ شيئا من عَسل ثم أَنقعَ فيه بُرًّا يوما وليلة ثم ألقى ذلك البرَّ للطير فإنها إذا التقطته تحيّرت

---

(١) النخل المواقير: الكثيرة الحمل. (٢) المصرومة من صرم النخل إذا جزّه وقطعه. (٣) القِلَبة جمع قُلْب وهو شحمة النخل ولبه أو أجود خوصه. وفى التهذيب: القلب بالضم: السعف (جريد النخل أو ورقه) الذى يطلع من القلب (راجع شرح القاموس مادة «قلب»). (٤) الكرب بالتحريك: أصول السعف الغلاظ العراض. (٥) وردت هذه الجملة فى الأصلين هكذا ولا علاقة لها بالسياق. ولعلها زائدة من الناسخ. (٦) كذا فى الأصلين، وفى اللسان فى مادة «عرم» وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١٦٦): ما زلن. (٧) العرم: بيض القطا. (٨) الغرانيق: الذكور من طيور الماء سود وقيل بيض وهى فى قدر البط. (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢١٥). (٩) الحلتيت: صمغ الأنجذان بفتح الهمزة وضم الجيم وهو نبات أسود وأبيض وأصله أغلظ من الإصبع يتفرّع كثيرا وله قرون كقرون اللوبياء فيها بذر كالعدس أسود حارّ وأبيض لطيف.

وغُشِيَ عليها فلم تقدر على الطيران إلا أن تُسقَى لبنا خالطه سمنٌ. قال : وإن عُمِد إلى طَحين بُرٍّ غير منخول فعُجِنَ بخمر ثم طُرِحَ للطير والحَجَل فأكلْنَ منه تحيرنَ. وإن جُعِل خمرٌ في إناء وجُعِلَ فيه بَنْجٌ فشربنَ منه غُشِيَ عليهنّ. قال : ومما يُصادُ به الكراكي وغيرها من الطير أن يُوضعَ لهنّ في مواقعهن إناءٌ فيه خمر وقد جُعِلَ فيه خَرْبَقٌ أسودُ وأُنقِع فيه شعيرٌ فإذا أكلنَ منه أخذهنّ الصائدُ كيف شاء .

قال غيره : ومما تُصادُ به العصافيرُ بأسهلِ حيلةٍ أن تُؤخذَ شبكةٌ(١) في صورة المحبرة اليهودية المنكوسة ويُجعلَ في جوفها عصفورٌ فتنقضّ عليه العصافيرُ ويَدخلن عليه وما دخل منها لم يقدر على الخروج فيصيدُ الرجلُ في اليوم الواحد مائتين وهو وادعٌ. قال: ويُصادُ طيرُ الماء بالقَرْعَة وذلك أن تُؤخذَ قَرْعَةٌ يابسةٌ صحيحةٌ فيُرمَى بها في الماء فإنها تتحرّك فإذا أبصرها الطيرُ تتحرّك فَزِعَ فإذا كثُر ذلك عليه أَنِسَ حتى لربما سقط عليها، ثم تُؤخذ قَرعةٌ فيُقطعَ رأسُها ويُخرقَ فيها موضعُ عينين ثم يُدخِلَ الصائدُ رأسَه فيها ويَدخُلَ الماءَ فيَمشي إليها مشيا رُويدًا فكلّما دنا من طائر أَدخَلَ يده في الماء فقبضَ على رجليه ثم غمسه في الماء ثم دَقّ جناحَه وخَلّاه فيبقى طافيا فوق الماء يَسبَحُ برجله ولا يُطيقُ الطيرانَ، وسائرُ الطير لا يُمكنُ انغماسُه فإذا فرَغ مِن صيد ما يُريد رَمَى بالقَرعةَ ثم يَلتقِطُها ويَحملُها .

الحَشَــــرات

حدّثني يزيد بن عمرو قال حدّثنا عبد الله بن الربيع قال : أخبرنا هشام بن عبد الله عن قتادة عن عبد الله بن عمرو أنه قال : الفأرةُ يهوديةٌ ولو سقيتَها ألبانَ الإبل ما شَرِبتْها، والفأر أصناف : منهنّ الزَّباب(٢) وهو أصمّ؛ قال الحارثُ بنُ حِلِّزةَ :

---

(١) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) وفي الأصلين : «تؤخذ سَلّة في صدرها المحبرة» وفي كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ٧٦) «يعملون لها مصيدة ويجعلون لها بنية في صورة المحبرة التي يقال لها اليهودية المنكوسة الأنبوبة» . (٢) جمع زبابة وهي كما قال الدميري في حياة الحيوان : فأرة برية تسرق ما تحتاج اليه وما تستغني عنه .

وهُمْ زَبَابٌ حائِـرٌ * لاتسمعُ الآذانُ رعدًا[(١)]

والخُلْدُ وهو أعمى؛ وتقول العرب: هو «أسرقُ من زَبَابَةٍ». وفأرةُ البِيش، والبيش سمٌّ قاتل؛ ويقال: هو قرونُ السُّنبل، وله فأرة تغتذيه لاتأكل غيره، ومن غير هذا فأرةُ المسك وفارةُ الإبل[(٢)] [فاحت[(٣)]] أرواحُها إذا عَرِقت. قالوا: ومن الحيات مايقتُل ولايخطئ: الثُّعبانُ والأفعى والهِندِيَّةُ؛ فأما سِوى هذه فإنما يقتُل بما يمُدّه من الفزع، لأنه إذا فَزِع تفتّحت مَنافسه فوَغَل السّم الى مواضع الصَّميم وعُمقِ البدن. فإن نَهَشت النائمَ والمُغمَى عليه والطِّفلَ الصغيرَ والمجنونَ الذى لا يَعقِلُ لم تَقتل.

وأذناب الأفاعى تُقطَع فتَنبتُ ونابها يُقطعُ بالعُكّاز[(٤)] فينبتُ حتى يعود فى ثلاث ليال؛ والحيّة إن نُفِث فى فيها حُمّاض الأُترُجّ وأُطبِق لَحْيُها الأعلى على الأسفل لم تَقتُلْ بعضّتها أياما صالحة. ومن الناس من يبصُق فى فم الحيـة فيقتلُها بريقه، والحيّات تكره ريحَ السَّذابِ والشِّيح، وتُعجَبُ باللُّفّاح[(٥)] والبِطّيخ والحُرْف[(٦)] والخَردل المُوخَف[(٧)] واللبن والخمر، وليس فى الأرض حيوانٌ أصبرُ على جوع من حيةٍ؛ ثم الضَّبُّ بعدها. فإذا هرِمت صغُرت فى بدنها وأقنعها النسيم ولم تشته الطعامَ، ولذلك قال الراجز:

* حاريةٌ[(٨)] قد صَغُرت من الكِبر *

---

(١) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد. (٢) اختلف فى فارة الإبل وفارة المسك؛ هل يهمزان أو لايهمزان؟ فذكر صاحب القاموس فأرة المسك فى «ف أ ر» وقال: أو الصواب إيرادها فى «ف و ر» لفوران رائحتها. وفارة الإبل فى «ف و ر» وعلله الصاغانى بأن فارة الإبل من الفوران قطعا؛ وأورد المرتضى فارة الإبل فى «ف أ ر» مستدركا به على صاحب القاموس. (٣) زيادة فى النسخة الألمانية، وهى ساقطة فى الأصل الفتوغرافىّ، ولعلها «فَوَح»، ففى القاموس واللسان مادة «فور»: «وفارة الإبل فَوْح جلودها اذا نَدِيَتْ بعد الوِرْد» أى فاحت منها رائحة طيبة. (٤) العكاز: عصا ذات زُجّ. (٥) اللفاح: نبات يقطينىّ أصفر شبيه بالباذنجان طيّب الرائحة. (٦) الحرف بالضمّ: حب الرشاد. (٧) الموخف: المعجون. (٨) فى الأصل جارية، والتصويب عن المخصص (ج ٨ ص ١٠٩) والحارية اسم للأفعى، لأن جسمها قد حَرَى أى نقص من طول العُمُر.

وقال صاحب الفلاحة : إن الحية إن ضربتَها بقَصَبة مرة أوهَنتْها القَصبةُ فى تلك الضربة وحيّرتْها ، فإن ألححتَ عليها بالضرب آنسابت ولم تكترث . قال : ومن جيّد مايُعالَجُ به الملسوعُ أن يُشَقّ بطنُ الضِّفدَع ثم يُرفَد به موضعُ لسعة العقوب . والضِّفدَع لا يَصيحُ حتى يُدخِلَ حنكه الأسفلَ فى الماء ، فإذا صار فى فِيه بعضُ الماء صاح ، ولذلك لا تَسمع للضفادع نقيقا إذا خرجن من الماء ، قال الراجز :

يُدخِلُ فى الأشداق ماءً يُنصِفُهْ(١) ❊ حتى يَنِقّ والنقيقُ يُتلِفُهْ

يريد أن النقيقَ يدلّ عليه حيةَ البحر، كما قال الآخر :

ضَفادعُ فى ظلماءِ ليلٍ تجاوبتْ ❊ فدلّ عليها صوتُها حيّةَ البحر

وقال فى السبَخ : إنه إن آنخرق فيه خرق بمقدار منخر الثور حتى تدخلَه الريحُ آستحال ذلك السبخ ضفادعَ . والضّفادع لاعظام لها ، ويُضرب بها المثلُ فى الرَّسَح(٢) ، فيقال : «أرسحُ من ضِفدَع» و«أجحظُ عينًا من ضِفدِع» .

قالوا : وكل شىء يأكل فهو يحرّك فَكَّه الأسفل إلا التمساحَ فإنه يُحرِّكُ فكه الأعلى . وبمصر سمكٌ يقال له الرَّعّادُ ، مَنْ صاد منه سمكةً لم تزل يده ترَعَدُ وتنتفضُ ما دام فى شبكته أو شِصّه(٣) . والجُعَلُ(٤) إذا دفنتَه فى الوَرد سَكنتْ حركتُه حتى يَتوهّم مَن رآه أنه قد مات ، فإذا أعدتَه الى الروث تحرّك ورجع فى حِسّه . والبعيرُ إذا آبتلع

(١) فى الأصلين "ينصفه" والتصويب عن حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ١٠٢) قال : وليس المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكه الأعلى . (٢) الرَّسَح : خفّة لحم العَجُز والفخذين . (٣) الشص بالكسر والفتح : حديدة عقفاء يصاد بها السمك | وهى المعروفة بالصارة | . (٤) الجعل كصرد ، والناس يسمونه «أبا جعران» وهو دويبّة تعض البهائم فى فروجها فتهرب ، وهو أكبر من الخنفساء ، شديد السواد ، فى بطنه لون حمرة ، يوجد كثيرا فى مَراح البقر والجواميس ومواضع الروث ، ويتولد غالبا من أخثاء البقر ، ومن شأنه جمع النجاسة وآدّخارها . ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فإذا أعيد الى الروث عاش (راجع حياة الحيوان ج ١ ص ٢٤٤) .

فى علّفه خنفساءَ قتلته إن وصلت الى جوفه حيةً . وأطولُ شىء ذَمَاءً[(١)](٢) الخنفساءُ فإنها يُسرج[(٣)] على ظهرها فتصبرُ وتمشى .

والضبُّ يُذْبَحُ فيمكث ليلةً ثم يُقرَّبُ من النار فيتحرّك . والأفعى إذا ذُبحت تبقى أياما تتحرك وإن وطئها واطئ نهشته ، ويُقطعُ ثلثُها الأسفلُ فتعيشُ وينبُت ذلك المقطوعُ . والكلبُ والخنزيرُ يُجرَحانِ الجرحَ القاتلَ فيعيشانِ .

قالوا : وللضبّ ذكرانِ وللضبّة حِرانِ ، خبّرنى بذلك سهل عن الأصمعىّ أو غيره . قال : ويقال لذكره نِزْكٌ وأنشد :

سِبَحْلٌ[(٤)] له نِزْكانِ كانا فضيلةً ⁂ على كلّ حافٍ فى البلاد وَناعلِ[(٥)]

وكذلك الحِرذَونُ[(٦)] . والذِّبّانُ[(٧)] لا تقربُ قِـدرا فيها كَمْأةٌ[(٨)] . وسَامُّ أبرصَ لا يدخل بيتا فيه زعفرانٌ . ومَنْ عضّه الكلبُ الكَلِبُ احتاج الى أن يستر وجهه من الذّباب لئلا يسقطَ عليه . وخُرطومُ الذباب يده ، ومنه يُغَنّى ، وفيه يُجرِى الصوتَ كما يُجرِى الزامرُ الصوتَ فى القصبةِ بالنفخ .

---

(١) وعبارة الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ١٦٠) : «وقال لى الفضل العنبرى : يقولون للضب أطول شىء ذماء ، والخنافس أطول منه ذماء ؛ وذلك أنه يغرز فى ظهرها شوكة ثاقبة وفيها ذبالة تستوقد وتصبح لأهل الدار وهى تدبّ بها وتجول» . (٢) الذماء ممدود : بقية النَّفْس . (٣) يسرج : يوقد .
(٤) السبحل كقمطر : الضخم . (٥) فى اللسان مادة نزك «فى الأنام» . وذكر هــذا البيت ضمن أبيات قالها حُمرانُ ذو الغُصّة يصف بها ضِبابا أهداها لخالد بن عبد الله القسرى .
(٦) الحرذون بكسر الحاء و بالذال المعجمة : دويبّة شبيهة بالضب ، وقيل هو ذكر الضب ، لأن له ذكرين مثله وهو من ذوات السموم له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع الى الأنامل (راجع حياة الحيوان) .
(٧) جمع الذباب . (٨) الكمْأة : نبات يقال له شحم الأرض ، والعرب تسميه : «جدرىّ الأرض» وقيــل هو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الحمرة ، يوجد فى الربيع تحت الأرض وهو عديم الطعم ، وأنواعه كثيرة ، يؤكل نيئه ومطبوخه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٧٨) .

قالوا : ليسَ شيء يَدَّخِرُ إلا الإنسانُ والنملةُ والفأرةُ . والذَّرَّةُ(١) تَدَّخِرُ في الصيف للشتاء فإذا خافت العَفَنَ على الحبوب أخرجتها الى ظاهرِ الأرض فشَرَّرَتْها(٢) ، وأكثرُ ما تَفعلُ ذلك ليلا في القمر . فإن خافت أن ينبتَ الحبُّ نقرت وسطَ الحبة لئلا تنبتَ . والسُّلَحْفَاةُ اذا أكلت أفعى أكلت سَعْتَرًا(٣) جَبَليا . وآبنُ عِرْسٍ إذا قاتل الحيةَ أكل السَّذَابَ . والكلابُ إذا كان في أجوافها دود(٤) أكلت سُنبلَ القَمح . والأَيِّلُ(٥) اذا نهشته الحيةُ أكل السَّراطينَ(٦) . قال آبن ماسويه : فلذلك يُظَنّ أن السراطينَ صالحة لمن نُهِشَ من الناس . والوَزَغ(٧) يُزاقّ الحيّاتِ ويُقارِبُها(٨) ، ويَكرع في اللبن والمَرَق ثم يَمُجّ في الإناء . وأهلُ السِّجْنِ(٩) يعملون من الوزغ سمًّا أنفذَ من[سم](١٠) البيش ومن ريق الأفاعي ، وذلك أنهم يُدخلون الوزغةَ قارورةً ثم يَصُبُّون فيها من الزيت ما يغمُرها ويضعونها في الشمس أربعينَ يومًا(١١) حتى تتهرّأ(١٢) في الزيت ، فإن مُسِحَتْ على اللُّقمة منه مَسحةٌ وأكله آكل مات من يومه .

---

(١) الذرة واحدة الذر وهى صغار النمل . (٢) شررتها : نشرتها في الشمس لتجف .

(٣) السعتر نبات طيب الرائحة حريف ، زهره أبيض الى الغبرة ، ويقال له الصعتر بالصاد ، وهى اللغة الجيدة ، والعامة تبدل السين زايا . (٤) فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « داء » .

(٥) الأيل بتشديد الياء المكسورة : ذكر الأوعال وهى التيوس الجبلية . (٦) جمع سرطان وهو حيوان مائى و يعيش فى البر أيضا ، وهو جيد المشى سريع العدو ذو فكين ومخالب وأظفار حداد (راجع حياة الحيوان) . (٧) الوزغ جمع وزغة بالتحريك : حشرة من جنس "سام أبرص" .

(٨) فى الأصل الفتوغرافى « ويغارها » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية والحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٩٧) . (٩) كذا فى الأصل ، وفى العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ «وبعض الناس» وفى الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٩٧ « وأهل السحر» . (١٠) الزيادة عن الحيوان (ج ٤ ص ٩٧) والبيش بالكسر نبات كالزنجبيل رطبا و يابسا و ربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان .

(١١) كذا فى الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٩٧ وفى الأصلين : « ليلة » . (١٢) من تهرأ اللحم إذا طبخ حتى يتفسخ .

والجرادُ اذا طَلع فَعمِدَ الى التُّرْمُس والحَنظَل فطُبِخا بماء ثم نُضِحَ ذلك المـاءُ على زرع تنكّبه الجرادُ . واذا زُرِع خَرْدَلٌ فى نواحى زرع نجا من الدَّبَى[1] . واذا أُخذ المُرْدَاسَنْجُ[2] فعُجِن بعجين ثم طُرِح للفأر فأكلته مُوّتن عنه ، وكذلك بُرايةُ الحديد . وإذا أُخِذ الأَفْيون والشُّونيز[3] والبارزذ[4] وقرنُ الأُيَّل و بَابُونَج وظِلْفٌ من أظلاف المعز تخُلط ذلك جميعا ثم دُقّ وعُجِن بخلّ عتيق ثم قُطِعَ[5] قطعا فدُخِّن بقطعة منـه نفرت لذلك الحيّاتُ والهوامُّ والنملُ والعقاربُ ، وإن أُحرِق منه شىء ودُخِّن به هرب ما وجَدَ منها تلك الريحَ . والنملُ تهرُبُ من دُخَان أصول الحَنْظَل . وإن عُمِدَ إلى كبريت وسَذَاب[6] ونَخْرِيق فَدُقَّ ذلك جميعا وطُرِحَ فى قرية النمـل قتلها ومنعها ظهورهن من ذلك الموضع ذهبن[7] . والبعوضُ تهرُب من دخان القَلْقَدِيس[8] إذا دُخِّن به ومعه حبّ السوس[9] ، وتهرُب من دخان الكبريت والعِلْك .

وقالت الأطباء : لحمُ آبن عِرس نافعٌ من الصَّرْع . ولحمُ القُنفذ نافع من الجُذَام والسِّلّ والتشنُّج ووجع الكُلَى ، يُجفَّفُ ويُشرب ويُطعَمُه العليـلُ مطبوخا ومشويًّا ويُضمدُ به المتشنّج[10] . والعقرب إذا شُقّ بطنُها ثم شُدّ على موضع اللسعة نفعت . وقد

(١) كذا فى النسخة الألمـانية ، والدبى : أصغر الجراد والنمل . وفى الأصل الفتوغرافى (الوبا) .
(٢) كذا بالأصـل ، ومفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ١٥٠) وقال هو المرتك وفى القاموس : المردارسنج معروف وقد تسقط الراء ، معرب مردارسنك ومعناه الحجر الخبيث .
(٣) الشونيز : الحبة السوداء .
(٤) البارزذ فى القاموس : « بيرزد » بكسر الباء الفارسية : صمغ نبات يشـبه القنا فى شكله ، وينبت فى أرض سورية ، وهو من النباتات النافعة لأمراض عدّة . وقد ذكر خواصه ومنافعه آبن البيطار فى مفرداته (راجع ج ٤ ص ٣٧) .
(٥) فى الأصل الفتوغرافى : نقيف ، وفى النسخة الألمـانية ثقيف ، والتصويب عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٧) .
(٦) السذاب : اسم نبات .
(٧) كذا فى الأصل ، والمراد من العبارة ظاهر .
(٨) القلقديس كلمة يونانيـة معرّبة معناها فى الكيمياء الحديثـة : كبريتات الحـديد ؛ وقيل معناها : الصبغة السـوداء لصانعى الأحذية .
(٩) السوس : شجر فى عروقه حلاوة وفى فروعه مرارة .
(١٠) كذا فى النسخة الألمـانية . وفى الأصل الفتوغرافى «التشنج» .

تجعل فى جوف فخّار مشدود الرأس مُطَيَّن الجوانب ثم يوضع الفخّارُ فى تنُّور، فإذا صارت العقربُ رَمادًا سُقِيَ منْ ذلك الرماد مَن به الحصاة مقدارَ نصف دانق وأكثر فيُفَتِّت الحصاةَ من غير أن يضرّ بشيء من سائر الأعضاء والأخلاط[١]، وقد تَلسعُ العقربُ مَنْ به حُمَّى عتيقةٌ فتقلعُ . وتلسعُ المفلوجَ فيذهبُ عنه الفالج، وتُلْقَى فى الدُّهن وتُترك فيه حتى يأخذَ الدُّهنُ منها ويَجتذبَ قُواها فيكون ذلك الدُّهْنُ مُفَرِّقًا للأورام الغليظة .

ومن طبع العقرب أنك إن ألقيتها فى ماء غَمْرٍ بقيت فى وسط الماء لا تطفو ولا تَرسُبُ؛ وهى من الحيوان الذى لا يَسبَحُ . وعينُ الجرادة وعينُ الأفعى لا تَدوران، وإنما تَنسِجُ من العناكب الأنثى، والذكر هو الخَدَرْنَقُ . وولد العنكبوت يَنسُجُ ساعةَ يولَد . والقَمْلُ يُخلق فى الرءوس على لون الشعر إن كان أسودَ أو أبيضَ أو مخضوبا بالحنّاء . الحُلَكاءُ[٢] دُوَيْبَّة تغوص فى الرمل كما يغوص طائرُ الماء فى الماء، وبناتُ النَّقا كذلك، وهى التى يُقال لها: شحمةُ الأرض . وأُمُّ حُبَينٍ[٣] لا تُقيمُ بمكان تكون فيه السُّرْفَةُ[٤]، والسُّرفةُ دويبَّة يُضربُ بها المثَلُ فى الصّنعة فيقال : "أَصْنَعُ مِنْ سُرْفَة" .

ومن أحسنِ ما قيل فى الأفعى قول آمرأة[٥] من الأعراب :

---

(١) أخلاط الإنسان عند الأطباء : الدم والبلغم والصفراء والسوداء .

(٢) الحلكاء : دويبة تسكن الرمل كأنها سمكة ، ملساء فيها بياض وحمرة ؛ والعرب تسميها : « بنات النقا » .

(٣) أم حبين : دويبة على خلقة الحرباء عريضة الصدر عظيمة البطن ؛ وقيل : هى دويبة على قدر الخنفساء يلعب بها الصبيان .

(٤) السرفة بالضم : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان على مثل الناووس بعضها الى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٤) .

(٥) فى اللسان مادة «فرطح» أن القائل لهذه الأبيات أحد شعراء العرب ، ونص على ذلك بقوله : « وأنشد لرجل من بلحارث بن كعب يصف حية ذكرا وهو ابن أحمر البجلى ليس الباهلى :

خلقت لهازمه عزين ورأسه ﴿ كالقرص فرطح من طحين شعير »

خُلِقَتْ لَهَـازِمُهُ[1] عِزِينَ[2] ورأسُهُ * كالقُرْصِ فُرْطِحَ[3] من دقيقِ شعيرِ
وكأنَّ مَلْقَاهُ بكلّ تَنُـوفَةٍ[4] * مَلْقَاكَ كِفَّةَ مِنْجَلٍ[5] مأطور[6]
ويُديرُ عينًـا للوِقاع[7] كأنها * سمراءُ طاحت من نَفيض[8] بَرِيرِ[9]

قيل لماسرجويه : نجدُ ملسوعَ العقرب يُعالَجُ بالاسفيوش[10] فينفعه ، وآخر يُعالَج بالبندق فينفعه ، وآخر يَشربُ الأنقاس[11] فتنفعه ، وآخر يأكُل التّفاحَ الحامضَ فينفعهُ ، وآخر يَطليه بالقِلْيِ[12] والخلّ فيحمَدُه ، وآخر يَعْصِبُ عليه الثومَ الحارَّ المطبوخَ ، وآخر يُدخِلُ يدَه في مِرْجَلٍ حارٍّ لا ماء فيه فيحمَدُه ، وآخر يعالجه بالنُّخَالة الحارّة فيحمَدها ، وآخر يَحجُم ذلك الموضعَ فيحمَده ، ثم رأيناه يتعالج بعـدُ بذلك الشيءِ للسعة أخرى فلا يحمده !

---

(١) اللهازم : أصول الحنكين واحدتها لهزمة بالكسر؛ وقيل إنها عظمان ناتئان فى اللحيين تحت الأذنين . (٢) عزين : متفرّقة . (٣) وردت هـذه الكلمة فى اللسان فى مادة « فرطح » بالراء، وفى مادة «فلطح» باللام ، وأستشهد بالبيت فى المـادتين ، وجاء فيه : «وكل شىء عرّضته فقد فلطحته وفرطحته» ووردت فى الأصل الفتوغرافى «قطع» وفى النسخة الألمـانية «أقطع» وفى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٦٠) «أفطح» . (٤) التنوفة : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف . (٥) المنجل بالكسر: آلة حديد معوجة يقطع بها الزرع وغيره ، وفى الأصل الفتوغرافى « منخل » وما أثبتناه عن النسخة الألمـانية والحيوان للجاحظ . (٦) مأطور من الأطر وهو عطف الشىء تقبض على أحد طرفيه فتعوّجه .
(٧) كذا فى الأصـل الفتوغرافى وفى اللسان "للوداع" ؛ وفى النسخة الألمـانية وكتاب الحيـوان للجاحظ : "للوقاح" . (٨) النفيض فعيل من النفض وهو التحريك ، ورواية اللسان فى مادة «فرطح» نقيص بالقاف والصاد . (٩) البرير : ثمر الأراك عامة . وفى اللسان بعد هـذا البيت :
وكأن شدقيه اذا اسـتقبلته * شدقا عجوز مضمضت لطهور
(١٠) كذا فى النسخة الألمـانية ، وفى الأصل الفتوغرافى « بالاسفيون » بالنون ولعله محرّف ، لأن هذا الاسم ورد فى مفردات ابن البيطار هكذا «الاسفيوس» بالسين المهملة فى آخره ، وورد فى تذكرة داود «الاسفيوش» بالشين المعجمة فى آخره ، وهى كلمة فارسية معناها «بزر قطونا» . (١١) الأنقاس : الحوامض وفى النسخة الألمـانية «الأنفاس» بالفاء . (١٢) القلى بالكسر : شب العصفر وله منافع كنافع الملح إلا أنه أحدّ منه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٣١) .

فقال : لما آختلفت السّمومُ فى أنفسها بالجنس والقدر والزمان، وباختلاف ما لاقاه آختلفَ الذى يوافقه على حسب آختلافه . قالوا : وأشدّ ما تكون لسعتُها إذا خرج الإنسانُ من الحمّام، لتفتّح المنافس وسَعَةِ المجارى وسُخُونة البدن .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : قال أبو بكر البحـرىّ (١) : ما من شىء يضرّ إلا وفيه منفعة . وقيل لبعض الأطباء : إنّ قائلا قال : أنا مثلُ العقرب أَضُرّ ولا أنفعُ . فقال : ما أقلّ علمَه بها، "إنها لتنفع إذا شُقّ بطنُها ثم شُدّت على موضع" "اللسعة، وقد تُجعل فى جوف فَخّار مشدودِ الرأس مُطيَّنِ الجوانب ثم يُوضعُ الفخّار" "فى تنّور فإذا صارت العقربُ رَمادا سُقِىَ من ذلك الرمادِ مقدارَ نصف دانق أو أكثر" "قليلا مَنْ به الحصاةُ ففتّها من غير أن يضرّ بشىء من سائر الأعضاء والأخلاط ." "وقد تَلسعُ العقربُ مَن به الحُمّى العتيقةُ فتُقلِعُ عنه . ولَسعتِ العقرب رجلا مفلوجا" "فذهب عنه الفالج . وقد تُلقَى العقربُ فى الدهن وتترك فيه حتى يأخذَ الدهنُ منها" "ويجتذبَ قواها فيكون ذلك الدّهنُ مُفرّقًا للأورام الغليظة" (٢) .

قال أبو عبيدة : ولَسعت أعرابيا عقرب بالبصرة، وخِيفَ عليه فاشتدّ جزَعُه، فقال بعضُ الناس له : ليس شىء خيرا مِنْ أن تُغْسَلَ له خُصيةُ زِنجىّ عَرِقَ ففعلوا، وكان ذلك فى ليلةٍ وَمِدَةٍ (٣)، فلما سَقَوْه قَطّب، فقيل له : طعمَ ماذا تجِدُ؟ قال : أجدُ طعمَ قِرْبَةٍ جديدةٍ .

قال المأمون : قال لى بَخْتِيَشُوع وسلمويه وآبن ماسويه : إن الذباب إذا دُلِكَ على موضع لسعة الزُّنبور هَدَأَ وسكن الألمُ . فلسعنى زُنبـورٌ فحككتُ على موضعه أكثر

---

(١) كذا بالأصلين، وفى العقـد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) : « المهجرى » ولم نجد هاتين النسبتين فى كتب الأنساب التى تحت أيدينا . (٢) السطور المحصورة بين هذه " " مكررة لأنها تقدّمت فى ص ٩٥ من هـذا الجزء بكلماتها وألفاظها مع آختلاف بسيط وقد أبقيناها هنا لورودها فى الأصلين، وآكتفينا بهذه الإشارة تنبيها للقارئ . (٣) ليلة ومدة : شديدة الحر .

من عشرين ذبابة فما سكن الألمُ إلا فى قدر الزمان الذى كان يسكن فيه من غير علاج ، فلم يبقَ فى يدى منهم إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبورُ حتفًا قاضيًا ، ولولا ذلك العلاجُ قتلكَ . قالوا : ومما ينفع من اللسعة أن يُصيروا على موضعها قطعةَ رَصاصٍ رقيقةً وتُشدّ عليه أياما . وقد يُمَوِّهُ بهذا قوم فيجعلونه خاتمًا فيدفعونه إلى الملسوع إذا نُهِشَ فى إصبعه .

قال محمد بن الجَهْم : لا تتهاونوا بكثير مما تَرَوْن من علاج العجائز، فإن كثيرا منه وقع اليهن من قدماء الأطباء ، كالذبّان يلقَى فى الإثمِد فيسحقُ معه ، فيزيدُ ذلك فى نور البصر ونفاذِ النظر وتشديد مراكز الشعر فى حافات الجفون . قال : وفى أُمّة من الأمم قومٌ يأكلون الذِّبّانَ فلا يرمَدون ، وليس لذلك يأكلونه ، ولكن كما يأكل غيرُهم فراخَ الزنابير .

وقال ابن ماسويه : المجرَّبُ للسع العقرب أن يُسقَى من الزَّراوَنْد(١) المدحرج ويُشربَ عليه ماء بارد ، ويُمضغَ ويوضعَ على اللسعة . قال : وللسع الأفاعى والحيّات ورقُ الآس(٢) الرطب يُعصَرُ ويُسقَى من مائه قدرَ نصف رطل ، وكذلك ماء المَرْزَنْجُوش(٣) وماء ورق التفاح المدقوق والمعصور مع المطبوخ ، ويُضمد الموضعُ بورق التفاح المدقوق . وللأدوية والسموم القاتلة البندق(٤) والتين والسذابُ يُطعم ذلك العليلُ . قال والثُّوم والملح وبَعَر

(١) الزراوند المدحرج وهو أردأ أنواعه : نبت غصونه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشيء أحمر قليل الرائحة ، وهو كثير بأرض الشام ، كما فى تذكرة داود ؛ وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

(٢) الآس : نبات يزرع كثيرا بأرض العرب بالسهل والجبل ، وخضرته دائمة ، ويسمو حتى يكون شجرا عظيما وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرة سوداء إذا أينعت تحلو وفيها مع ذلك علقمة .

(٣) المرزنجوش ويقال له مرزيجوش ومردقوش : فارسى ، والعرب تسميه : السمسق (الياسمين) وهو نبات كثير الأغصان ينبطّ فى نباته ، وله ورق مستدير ، وهو طيب الرائحة جدا . له منافع وخواص ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

(٤) فى النسخة الألمانية «البيش» .

الغنم نافع جدًّا إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحيّة إلا أن تكون أَصَلَةً، فإن الأَصَلَةَ(١) تُوضعُ على لسعها الكُلْيتان جميعا بالزيت والعسل . والخِطميُّ(٢) إذا أُخِذَ ورقُه فدُقّ ثم وُضع على لسع قَمْلة النّسر(٣) كان دواء له . وإن طَلَى أحد به يديه أوجسدَه لم يَلدغ ذلك الموضعَ منه زُنْبورٌ . وإن لَدَغ أحدًا زنبورٌ فآذاه فشرب من مائه نفعه . والبشكول(٤) وهو الطرشّقوقُ إن دُقَّ فضُمِدبه لسعةُ العقرب نفع إذا أُغلى أو شُرِب من عصيره . قالوا : وإن أخَذَ مَنْ حَذِرَ على نفسه السُّمومَ القاتلةَ التينَ مع الشُّونيز على الريق وَقاه .

النبات

حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدّثنا قريش بن أنس عن كُلَيب أبي وائل رجل من المُطَّوِعة قال : رأيتُ ببلاد الهند شجرا له ورد أحمر مكتوب فيه ببياض "محمد رسول الله". والعرب تقول في مثل هذا هو: "أشكَرُ من البَرْوَقَة(٥)"، وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم . ويزعم قوم أن النارَجيلَ هو نخل المُقْل قلبه طِباعُ البلد . وقال صاحب الفلاحة : بين الكُرُنب وبين الكَرْم عداوةٌ، فإذا زُرِعَ الكرنبُ بحضرة الكَرْم ذَبَلَ أحدهما وتشنّج، ولذلك يُبطِئ السُّكْرُ عمن أكل منه ورقاتٍ على ريق النفس ثم شرب . وقُضبان الرمّان إذا ضُرِبَ بها ظهرُ رجل آشتدّ عليه الألم . قالوا :

(١) الأصلة بفتح الهمزة والصاد واللام : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تثب على الفارس فتقتله ، كذا في حياة الحيوان للدميرى نقلا عن آبن الأنبارى . (٢) الخطميّ بالكسر ويفتح : نبات محلل ملين نافع لعسر البول والحصى ، ودهنه مع الخل مفيد لوجع الأسنان مضمضة ونهش الهوامّ .

(٣) قملة النسر : دويبة أعظم من القمل وإذا عضت قتلت ؛ وتكون في بلاد الجبل (مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم) وسميت قملة النسر، لأنها تخرج منه .

(٤) كذا في الأصلين . وفي مفردات آبن البيطار (ج ٤ ص ٢٠٠) : «البلخشكوك» ، وخاصيته النفع من لسع الهوامّ اذا أكل أو شرب ماؤه . (٥) في مجمع الأمثال والقاموس واللسان «بروقة» وهي كما قال الميداني : شجرة تخضر من غير مطر بل تنبت بالسحاب إذا نشأ فما يقال ،

وكلّ زَهرٍ ونَوْرٍ فإنه ينحرفُ مع الشمس ويَتَحـوَّل إليها وجهُه ؛ ولذلك يقال : هو يُضاحِكُ الشمسَ . قال الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحَزْنِ(١) مُعشِبةٌ * خضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ(٢) هَطِلُ(٣)
يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ(٤) شَرِقٌ * مُؤزَّرٌ(٥) بِعَمِيمِ النَّبتِ مُكتَهِلُ(٦)

وقال آخر :

* نُوّارُه(٧) مِيلٌ إلى الشمس زاهِرُه(٨) *

والخُبّازَى(٩) يَنضمُّ ورقُه بالليـل ويَنفتحُ بالنهار . والنَّيلُوفَرُ(١٠) يَنبُتُ في المـاء فيغيب الليلَ كلَّه ويظهرُ إذا طلعتِ الشمسُ . وقالوا في الطُّحلُب(١١) : إن أُخِذ بجُفُفٍ

(١) الحزن : ما ارتفع من الأرض . (٢) مسبل : مطر ، من السبل محركتين وهو المطر . (٣) هطل ، من الهطل بالسكون وهو تتابع المطر المتفرق العظيم القطر . (٤) الكوكب : ما طال من النبات ، والشرق : الريان . (٥) مؤزر : ملتف . (٦) مكتهل : تام الطول . (٧) النوار : واحدته نوارة بالضمة ، وهى الزهرة المشرقة . (٨) عجز بيت للحطيئة ، وصدره :

* يمسّاً سد القريان حوّ تِلاعه *

وقبله

عفا مسحلان من سليمى فحامره * تمشى به ظلمانه وجآذره

(راجع ص ٦٢ من ديوان الحطيئة طبع ليبسك سنة ١٨٩٣ م) . ونسب الجاحظ فى كتاب الحيوان البيت (يمسّاً سد ... الخ) الى قطران العبسى (راجع ج ٥ ص ٢٥) .

(٩) الخبازى ويقال : الخبيزى : اسم لكل نبت يدور مع الشمس حيث دارت ، ويطلق فى العرف الشائع على نبت برّى مستدير الورق فى وسط أوراقه شىء مجوّف دقيق ، له زهر الى الحمرة وبزر الى السواد مفرطح ، كذا قال داود الأنطاكى فى تذكرته . (١٠) النيلوفر : نبات هندىّ سمى بلغتهم وأكثر ماينبت فى مستنقعات المياه ورواكدها والآجام ، ولا ينبت إلا فى الماء العذب القائم فى أرض طيبة تربة سليمة من كل الفساد . ومن عادته أنه يحول وجهه الى الشمس اذا طلعت وارتفعت ، فاذا وقع شعاعها عليه أول يقع انفتحت ورقته كلها ، ولا يزال تفتيحه يزيد بزيادة الشمس الى أن تقرب من أول العصر وتطلب الغروب فيبتدئ ينضم على ذلك الترتيب الذى كان تفتح حتى تغرب الشمس فيضم فى كرة ويبق مضموما الليل كله الى الصباح . راجع الجزء الأول من كتاب الفلاحة النبطية لأبى وحشية ص ٣٢ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ زراعة) . (١١) الطحلب : الخضرة التى تعلو المياه الراكدة ، وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

فى الظلّ ثم سقطَ فى النار لم يَحترق . وذكروا أن قسًّا راهنَ على صليب فى عنقه من خشب أنه لا يحترق، وقال : هو من العود الذى صُلِبَ عليه المسيحُ، فكاد يَفتنُ بذلك خَلْقًا حتى فَطِنَ له بعضُ أهل النظر فأتاهم بقطعة عُود تكون بكرمانَ فكان أبقى على النار من صليبه . والطَّلْقُ[١] كذلك لا يصير جمرًا . وطِلاءُ النفّاطين[٢] طَلْقٌ وخِطْميٌّ ومَغْرةٌ . وقالوا : إذا أُخذ بِزرُ السَّذاب البرىّ وزُرِع وطال به ذلك تحوّل حرملا، والنَّمّامُ[٣] إذا أعتق تحوّل حَبَقًا[٤] . قالوا : والقُسْطُ[٥] إنما هو جَزَرٌ بحرىّ . قالوا : بالسند نبتٌ من الحشيش يُسمّى تِرِيَّة، إذا أخذ فطُبِخ ثم صُفّى ماؤه فجُعِلَ فى وِعاء لم يلبث إلا يسيرا حتى يشتدّ ويُسكِر شاربَه إسكارَ الخمر .

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يضرّ بمَبْقَلَة عَمَد إلى شىء من خُرءِ البَطّ فخلط به مثلَه من ملح ثم طَرحَا فى ماء فديفَا فيه فيُنضَحُ ذلك الماءُ على البقل فإنه يفسُدُ . قال : ومن أراد إفسادَ الرمّان الكثير ألقى فى أضعافه نوَى التمر والملح والجريش . ومَن أراد قتلَ السمك فى الماء القائم عَمَد إلى نبت يسمى "ما هى زهره"[٦] فدُقّ وطُرِحَ فى الماء فإنه يموت سمكُ ذلك الماء؛ والمازريون[٧] يفعل ذلك . قال : ومما يَجِفُّ له الشجر أن يُعمَد إلى مِسمار من حديد فيُحمَى بالنار حتى تشتدّ حُمرته ثم يُدَقّ فى أصل الشجرة، وأن يُعْمَد الى وتد من طَرْفاءَ فيُثقَبَ أصل الشجرة بِمثْقَب حديد

(١) الطلق : حجر برّاق يتخذ منه مضاوى للحامات بدلا عن الزجاج . (٢) النفاطون : الرماة بالنفط وهو القطران . (٣) النمام : نبت ورقه كالسذاب، له بزر كالريحان عطرىّ قوىّ الرائحة سمى بذلك لسطوع رائحته، الواحدة نمامة . (٤) الحبق : نبات يشبه النمام، ويكثر نباته على الماء، ويسمى بالفارسية الفودنج . (٥) القسط : عقار من عقاقير البحر، والعقار : العشبة .

(٦) لفظ فارسىّ وتعريبه سمّ السمك . (٧) المازريون : نبت له أغصان طولها شبر، وورقه شبيه بورق الزيتون إلا أنه أدق منه، وهو مر يلذع اللسان؛ له فوائد ومنافع ذكرها ابن البيطار فى مفرداته .

ثم يُحمَل ذلك العودُ على قدر الثَّقب[١] فى المِثقَب فتجفّ الشجرةُ إن كان غلظُ العُود على قـــدر الثّقب .

قيـل لماسرجويه : ما بالُ الأكَرَة[٢] وسُكّانِ البساتين مع أكلهم الكُرّاثَ والتمــرَ وشُربهم المــاءَ الحارّ على السّمك المــالح أقلُّ عُمياناً وعوراناً وعُمْشاناً؟ قال : فكرْتُ فى ذلك فلم أجدْ عِلّةً إلا طولَ وُقوعِ أبصارهم على الخضرة

الحجــارة

قال أرسطاطاليس : حجرٌ[٣] ستقيلا إذا رُبط على بطن صاحب الاستسقاء نَشَّف منه المــاءَ، والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن كان على بطنه فيوجدُ قد زاد فى وزنه؛ وذاكرتُ بهذا رجلا من علماء الأطبّاء فعرفه، وقال : هذا الحجر مذكور فى التوراة. وحجر المغناطيس يجذبُ الحديدَ من بُعْدٍ[و]إذا وُضِع عليه عَلِقه. فإن دُلِكَ بالثّوم بطلَ عملُه . قالوا : والرَّمادُ والقِلْيُ يُدبَّران فيستحيلان حجارةً سُوداً تَصلحُ للأرحاء . ومن الحجــارة حصاةٌ فى صورة النواة تُسبِّحُ فى الخلّ كأنها سمكةٌ . ومنها خَرَزَةُ العَقْر[٤] إن كانت فى حَقْوِ[٥] المرأة فلا تحبــلُ . وحجرٌ يُوضَع على حرف التّنور فيتساقط خبزُ التنور كلّه . و بمصر حجر مَنْ قبضَ عليه بجميع كَفِّه فأكل شيئا فى جوفه فإن هو لم ينبذْه من كفّه خِيفَ عليه . ومن الحجارة النَّشَفُ[٦]، ليس شىء من الحجارة يَطْفُو على المــاء غيره وفيه حُفَرٌ صِغارٌ .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ؛ وفى الأصل الفتوغرافى : « على قدر فى المثقب » .

(٢) الأكرة جمع أكار وهو الحرّاث لحفرة الأرض ؛ كأنه جمع آكر فى التقــدير .

(٣) كذا بالأصلين ؛ ولم نجد ذكر هــذا الحجر ضمن الأحجار المذكورة فى مفردات ابن البيطار، ولا فى تذكرة داود، ولا فى عجائب المخلوقات القزوينى .

(٤) العقر : العقم ، وهو استغلاق رحم المرأة فلا تحمل .

(٥) الحقو : الخصر .

(٦) النشف : حجارة سود كأنها محترقة ، وهى التى ينقى بها الوسخ فى الحمامات .

قالوا : الرصاص قد يدبَّر فيستحيل مُرْدَاسَنْجًا[١] . وإقليمياء النّحاس يدبَّر فيصير تُوتِياء . وحجر البَازَهْر[٢] يُفرِّقُ الأورامَ . وباليمن جبل يقطر منه ماء، فإذا صار إلى الأرض ويَبِسَ آستحال وصار شبًّا ، وهو هذا الشبّ اليمانيّ .

حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : أربعةُ أشياءَ قد ملأتِ الدنيا لا تكون إلا باليمن : الوَرْسُ[٣] والكُنْدُرُ[٤] والخِطْرُ[٥] والعَصْب[٦] . وبمصر حجر تُحرّكه فتسمعُ فى جوفه شيئا يتقلقلُ كالنواة .

حدّثنى شيخ لنا عن علىّ بن عاصم عن خالد الحذّاء عن محمد بن سيرين قال : آختصمَ رجلان إلى شُرَيْح، فقال أحدُهما : إنّى آستودعتُ هذا وديعةً فأبى أن يردّها علىّ ، فقال له شريح : رُدَّ على هذا الرجل وديعتَه ، قال : يا أبا أُمَيّةَ ، إنه حجرٌ إذا رأته الحُبْلَى ألقتْ ولدَها ، وإذا وقَع فى الخلّ غَلَى ، وإذا وُضِع فى التنّور بَرَدَ ، فسكتَ شُرَيحٌ ولم يَقُلْ شيئا حتى قاما .

الجنّ

قالوا : الشياطينُ مَرَدَةُ الجنّ ، والجانّ ضَعَفةُ الجنّ . وبلغنى عن يحيى بن آدم عن شَرِيك عن لَيْث عن مُجاهد قال قال — يعنى إبليس عليه لعنة الله — : أُعطِينا أنّا نَرَى ولا نُرَى ، وأنّا ندخُل تحت الثَّرَى ، وأنّ شيخنا يُرَدّ فتًى .

(١) الإقليمياء بالكسر : ثُفْل يعلو السبك أو دخان . (٢) البازهر معرّب بادزهر : حجر تنسب اليه قوى غريبة فى مقاومة السموم ، فارسىّ مركب من باد ومعناه : روح أو ضد ، وزهر ومعناه : سم ؛ وله منافع وخواص ذكرها آبن البيطار فى مفرداته . (٣) نبات الورس — كما فى مفردات آبن البيطار — كنبات السمسم ، فاذا جف عند إدراكه تفتقت سنفته (وعاء ثمرته) فينتقض منه الورس ، ينبت كل سنة ويثمر ، وأجوده حديثه ، وهو أنواع : بعضه يخرج صبغه أصفر خالص الصفرة ، وبعضه فى صبغته حمرة . (٤) الكندر كلمة فارسية معناها : اللبان . (٥) الخطر بالكسر : نبات يختضب به . (٦) العصب : صبغ لا ينبت إلا باليمن . وكتب بهامش الأصل الفتوغرافى مانصه : «قلت : وعصرنا زاد خامسا وهو القهوة» .

حدّثنا عبد الرحمن عن عمّه قال : حدّثنى يَعْلَى بن عُقْبة — شيخ من أهل المدينة مولًى لآل الزُّبَير — : أن عبد الله بن الزبير باتَ بالقَفْر، فقام ليَرْحَلَ فوجدَ رجلا طُوله شبران عظيمَ اللحية على الوَلِيَّة (١)، فنفَضَها فوقع ثم وضَعَها على الراحلة، وجاء وهو بيْن الشَّرْخَين (٢)، فنفضَ الرحلَ ثم شدّه، وأخذ السوطَ ثم أتاه، فقال : مَنْ أنتَ؟ قال : أنا أَزَبُّ قال : وما أَزَبُّ؟ قال : رجلٌ من الجنّ؛ قال : آفتح فاكَ أنظر؛ ففتح فاه؛ قال : أهكذا حُلوقُكُم! لقد شُوِّه حُلوقُكُم! ثم قَلَبَ السوطَ فوضعه فى رأس أَزَبَّ حتى شقّه.

حدّثنى خالد بن محمد الأزدىّ قال حدّثنا عمر بن يونس قال حدّثنا عِكرِمة آبن عمّار قال حدّثنا إسحاق بن أبى طلحة الأنصارىّ قال حدّثنى أنس بن مالك قال : كانت بنتُ عوف بن عفراء مُضطجِعةً فى بيتها قائلةً إذ آستيقظتْ وزنجىّ على صدرها آخذًا بحلقها، قالت : فأمسكَنى ما شاء الله وأنا حينئذ قد حَرُمَتْ علىّ الصلاةُ، فبينا أنا كذلك نظرتُ إلى سقف البيت يَنْفَرِج، حتى نظرتُ إلى السماء فإذا صحيفةٌ صفراء تَهوِى بين السماء والأرض حتى وقعَتْ على صدرى، فنشرها وأرسل حَلقى فقرأها، فإذا فيها : من رَبِّ لُكَيْزٍ إلى لُكيزٍ، اِجتنب آبنةَ العبد الصالح إنه لا سبيل لك عليها، ثم ضرب بيده على ركبتى وقال : لولا هذه الصحيفةُ لكان دمٌ، أى لذبحتُك؛ فاسودّتْ ركبتى حتى صارت مثلَ رأس الشاة، فأتيت عائشة، فذكرت لها ذلك؛ فقالت لى (٣) : يا بنـة أخى، إذا حِضتِ فالزمى عليك ثيابك فإنه لا سبيل له عليك إن شاء الله. فحفظها الله بأبيها وكان آستُشهِدَ يوم بدر.

أبو يعقوب الثقفىّ عن عبد الملك بن عُمير عن الشّعْبىّ عن زياد بن النضر أن عجوزا سألت جِنّيًّا فقالت : إن بنتى عَروسٌ وقد تمرّط (٤) شَعَرُها من حُمَّى رِبْعٍ بها، فهل

(١) فى الأصل الفتوغرافى «الوية» وفى النسخة الألمانية «الوئية» والتصويب عن لسان العرب، والولية : البرذعة. (٢) شرخا الرحل : حرفاه وجانباه، وقيل : خشبتاه من وراء ومقدّم.
(٣) فى الأصلين : «لها» والسياق يقتضى ما أثبتناه. (٤) تمرّط الشعر : تساقط وتحاتّ.

عندكَ دواء؟ فقال: ٱعْمِدِى إلى ذُباب المـاء الطويل القوائم الذى يكون بأفواه الأنهار فاجعليه فى سبعة ألوان من العِهْنِ (١): أصفرَ وأحمرَ وأخضرَ وأزرقَ وأبيضَ وأسودَ وأغبرَ، ثم ٱجعليه فى وسطه وٱفتِليه (٢) بأصبعك هكذا ثم ٱعقِديه على عَضُدها اليسرى؛ ففعلَتْ فكأنّما أُنشِطَتْ من عِقَالٍ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : أخبرنى محمد بن مسلم الطائفىّ فى حديث ذكره أن الشياطين لا تستطيعُ أن تُغَيِّرَ خَلْقَها ولكنها تُسَخَّرُ .

وقال الأصمعىّ : حدّثنـا أبو عمرو بن العلاء قال حدّثنا النّهّاسُ (٣) بن قَهْمٍ (٤) قال : دخلتُ مِرْبَدًا لنا فإذا فيه شىء كالعِجْوَلِ (٥) له قرنانِ وله رِيشٌ ينظرُ إلىّ كأنه شيطانٌ.

حدّثنا عبد الرحمن بن عبدالله عن عمه قال : سَمِع رجلٌ بأرض ليس بها أحدٌ قائلا من تحته يقول: مَنْ يُحرّكْ شُعَيراتِى؟ ذاك مَقِيلى، وظِلّ مَظَلّى (٦)، حاشا الغزيل وعبد الملك وجمعِ الأُدْم؛ وكانوا يَرَوْن أنّ الأصمعىّ سمع هذا، وذلك أنه كان فى آخر عمره وقد أصابه مَسٌّ ثم ذهب عنه .

حدّثنى سهل بن محمد عن الأصمعىّ قال أخبرنا عمر بن الهيثم عن عُمَير بن ضُبَيْعة قال : بينا أنا أسيرُ فى فلاةٍ أنا وٱبنُ ظبيانَ — أو رفيقٌ له آخر ذكره — عَرَضتْ لنا عجوزٌ — كذا سمعته يقول، إن شاء الله — أو شيخ — ورأيتُ فى كتاب محمد ٱبنه — وصبىٌّ يبكى؛ فقال: إنى مُنْقَطَعٌ بى فى هذه الفلاة فلو تحمّلتمانى! فقال صاحبُ عمير: لو أردفتَه ! فحمله خلفَه؛ فمكثنا ساعة فنظر فى وجه عمير وتنفّس فخرج مِنْ فِيهِ نارٌ

(١) العهن : الصوف أو المصبوغ ألوانا . (٢) كذا بالأصل الفتوغرافى . وفى النسخة الألمـانية « اقتليه » بالقاف . (٣) فى النسخة الألمـانية « المناسب » وهو تحريف .

(٤) فى الأصلين : فهم بالفاء، وهو تحريف ، والتصويب عن تقريب التهذيب وشرح القاموس .

(٥) العجول : العل . (٦) كذا فى الأصل الفتوغرافى . وفى النسخة الألمـانية : «الغرّيد» .

مثــلُ نار الأَتُّون فاخذَ له عميرٌ السيفَ، فبكى وقال : ما تُرِيدُ مِنّي ؟ فكفّ عنــه ولم يُعْــلِم صاحبَه بمــا رأى؛ فمكث هُنيهةً ثم عاد، فاخذ له السيفَ، فبكى وقال : ماتريد منى؟ وبكى، فتركه ولم يُعْلِم صاحبَه، ثم عاد الثالثةَ ففغر(١) فى وجهه، فحمل عليه بالسيف، فلما رأى الجِدَّ وثَب وقال : قاتَلَكَ اللهُ ماأشدَّ قلبَك! مافعلتُه قطّ فى وجه رجل إلا ذهب عقلُه .

بلغنى عن محمد بن عبد الله الأسدىّ عن سفيان عن آبن أبى ليلى عن أخيه عن عبدالرحمن عن أبى أيُّوب الأنصارىّ أنه كان فى سَفْرَةٍ له وكانت الغولُ تجىء، فشكاها الى النبىّ صلى الله عليه وسلم، فقال : «إذا رأيتَها فقُل باسم اللهِ أجيبى رسولَ اللهِ» ، فجاءت فقال لها ذلك، فأخذها فقالت : لا أعود، فأرسلها، فقال له النبىّ عليه السلام : « ما فَعل أسيرُكَ » ؟ فأخبره، فقال : « إنها عائدة » ، ففعلتْ ذلك مرتين أو ثلاثا، وقالت فى آخرها : أرسِلْنى وأعلّمك شيئا تقوله فلا يضرّك شىء : آيةَ الكرسىّ ، فأتى النبىّ عليه السلام فأخبره، فقال : « صَدَقَتْ وهى كَذُوبٌ » .

حدّثنى زيدُ بن أخزَمَ قال: حدّثنا عبد الصمد عن همّام عن يحيى بن أبى كثير أن عامِلَ عُمَانَ كتب الى عمرَ بن عبدالعزيز: إنّا أُتِينَا بساحرة فألقيناها فى المــاء فطَفَتْ، فكتب اليه عمرُ : لَسْنَا من المــاءِ فى شىء، إن قامتِ البينةُ وإلا تَخَلّ عنها .

حدّثنى يزيد بن عمرو قال حدّثنــا أبو عاصم قال حدّثنــا آبن جُرَيج عن آبن أبى الحسين المكىّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نِعمَتِ الدُّخْنةُ اللُّبانُ واللُّبانُ دُخْنةُ الأنبياءِ ولن يَدخُلَ بيتا دُخِّنَ فيه بِلُبانٍ ساحرٌ ولا كاهنٌ" .

حدّثنى عبد الله بن أبى سعيد قال حدّثنى عبد الله بن مروان بن معاوية من ولد أسمــاء بن خارجةَ قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعتُ أعرابيةً تقول : من

(١) ففغر فى وجهه : فتح له فاه .

يشترى منّى الحَزَأ؟ فقلتُ : وما الحزأ؟ قالت : يشتريه أكايسُ النساء للطَّشّة والخافية والإقلاتِ؛ قال عبد الله : سألتُ ٱبنَ مُنَاذِرٍ فقال : الطَّشَّةُ : شيء يُصيبُ الصبيانَ كالزُّكام . والخافيـةُ : الجنّ . والإقلاتُ : قِلةُ الولد . يريد أَن المرأةَ إذا ولدت يموتُ أولادُها فلا يبقى لها ولد؛ يقال : ٱمرأة مِقْلَاتٌ .

بلغنى عن شيخ من بنى نُمير أنه قال : أَضْلَلْتُ أباعر لى بالشَّرَيف(١) فخرجتُ فى بُغَائها فَدَأَبْتُ أياما فأمسيتُ عشيَّةً بوادٍ مُوحِشٍ وقد كَدَدْتُ راحلتى فاختليتُ(٢) لها من الشجر وأصبتُ لها من المـاء ثم قيّدتُها وٱضطجعتُ مغموما ، فلما جَرى وَسَنُ النوم فى عينى إذ هَمس قَدَمٌ قريبا منّى ، فانتبهتُ فَزِعًا وإذا شيخ يتنحنح وهو يقول: لا رَبْعَةَ(٣) عليك! ثم سلّم وجلس ، ثم جاء آخر وآخر حتى تألّفوا أربعة فقالوا : ما بك أيها المسلم ؟ فقلت : أضللتُ أباعرَ لى وأنا فى طلبها منذ أيام ؛ فقال لى الأوّل منهم : كُنّ لك ما كنّ ، وقد وذعنَ فبِنّ ، وصِرنَ حيث صِرنَ ، فلا تَتعنّيَنّ ؛ فاجترأت على المسئلة فقلت : أمِن الخافية أنتم نشدتكم بالحكم؟ قالوا : نعم وإلهنا وإلهكم واحد ؛ فقلت : علّمونى ممـا علّمكم الله شـيئا أنتفع به ؛ قالوا : إذا أردتَ حفظَ مالكَ فاقرأ عليه : (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ) إلى آخر ثلاث الآيات ، وآية الكرسىّ ، وإذا أمسيتَ فى خَلاءٍ وحدَك فاقرأ المعوِّذتين ، وإن أحببتَ ألّا يعبَثَ بك ولا بأهلك وولدك عابثٌ منّا فعليك بالديك الأبيض ، وٱجعل فى حجور صبيانك بَرِيمًا ، يعنى خيطا من صوف أبيض وأسود ، وٱحتشُوا بالإذخر(٤) يُنشر فى الصوف ، فحدّثونى كحديثنا تلك الليلةَ ، فلما أصبحت رجعتُ .

(١) الشريف : اسم ماء لبنى نمير . (٢) اختليت من الاختلاء ، وهو اجتزاز الخلى وهو الحشيش تعلف به الدواب . (٣) لا ربعة : لا فزع ، من راع يريع إذا فزع . (٤) الإذخر بالكسر : نبات مزهر طيب الرائحة .

قال المدائنىّ : كانت وفاةُ زِياد بالعَرْفَة[1] ظهرتْ فى إصبعه ، وآشتدّ عليه الوجع فجمع الأطبّاء فشاورهم فى قطع إصبعه ، فأشار عليه بعضهم بذلك ، وقال له رجل منهم : أتجد الوجعَ فى الإصبع أم تجده فى قلبك والإصبع ؟ قال : فى قلبى وفى إصبعى ؛ قال : عِش سليما ومُتْ سليما ، وأمره أن يَغمسها فى الخلّ ، فكان ذلك يُخفّف عنه بعضَ الوجع ، فمكث بذلك سبعة عشر يوما ثم مات ؛ وسَمِع أهلُ الحبس ليلةَ مات قائلا يقول : أنا النقادُ ذو الرُّقْيَة قد كفيتُكم الرجلَ . والعرب تدعو الطاعونَ رماحَ الجن . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم «إنه وَخْزٌ من الجن» يعنى الطاعونَ . والله أعلم .

(١) العرفة : قُرْحة تخرج فى باطن الكفّ .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية التى نقل عنها الأصل الفتوغرافى]

تمّ كتاب الطبائع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لابن قتيبة ويتلوه فى الكتاب الخامس كتاب العلم . والحمــد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبى وآله وصحابته وأهل بيته أجمعين .

وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرى ؛ وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

الى هنا ينتهى آخر القسم المطبوع من هذا الكتاب بمدينة جوتنجن سنة ١٨٩٩م . وسنعتمد فى مراجعة الجزء الخامس الى آخر الكتاب على الأصــل الفتوغرافى وعلى المصادر التى يعوّل عليها فى تصحيح الكتاب .

[جاء بعد خاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية التى نقل عنها الأصل الفتوغرافىّ ما يأتى :]

كان سُدَيف مولى بنى هاشم يقول : اللهم إنه قد صار فَيْئنا دُولةً بعد القِسْمة ، وإمارتُنا غلبةً بعد المشورة ، وعهدُنا ميراثًا بعد الاختيار للأمة ، وٱشْتُريت الملاهى والمعازف بسهم اليتيم والأَرْمَلَة ، وحَكَمَ فى ابشار(١) المسلمين أهلُ الذِّمة وتولّى القيام بأمورهم فاسقُ كلِّ محلّة . اللهم وقد ٱستحْصَدَ زرعُ الباطل ، وبلغ نُهْيَتَه ، وٱستجمعَ طريدُه ، اللهم فافتح له من الحق يدًا حاصدةً تُبدِّد شمله ، وتُفرّق نامّته(٢) ، ليظهر الحقُّ فى أحسن صوره ، وأتمّ نُوره . والسلام .

وقيل : كانوا يتوقَّون ظُلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هذا الدعاء : «باسم الله ، إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنتَ تَقِيًّا . اِخْسَئُوا فيها ولا تُكلِّمون . أخذت سمعك وبَصرَك بسمع الله وبصره ، وأخذتُ قوّتَك بقوّة الله ، بينى وبينك سِتْرُ النبوة الذى(٣) كانت الأنبياء تَستتر به من سَطَوات الفراعنة ، جبريلُ عن يمينك ، وميكائيلُ عن شِمالك ، ومحمدٌ أمامك ، والله مطلّ عليك يَحجزك منى ويمنعنى منك . والسلام» .

وكتب عُمر بنُ عبد العزيز الى بعض عُمّاله : «أما بعد ، فإذا دعتْك قدرتُك على الناس الى ظلمهم ، فاذكُرْ قدرةَ الله عليك ونَفَادَ ما تأتى اليهم ، وبقاءَ ما يأتون اليك . والسلام» .

---

(١) أبشار : جمع بَشَر ، والبشر : الخلق والشخص يطلق على الأنثى والذكر والاثنين والجمع وقد يثنى على بشرين ويجمع على أبشار (اللسان) . (٢) النامّة والنّأمة : الحسّ والحركة وحياة النفس .

(٣) فى الأصل «التى» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وقَدِم رجلٌ من بعض النواحى فقيل له : كيف تركتَ الناس ؟ قال : مظلوما لا يَنْتَصِر، وظالمـا لا يُنْتَهَر . والسلام .

فى الحبس :

ما يدخُلُ السجنَ إنسانٌ فتسألُه ＊ ما بالُ سجنِـك إلّا قال مظلومُ

وقال بعض المُحْدَثِين :

إن الليالى التى شُغِفتُ بها ＊ غَيَّبهـا الدهرُ فى تقلُّبـــه
لله أمرى ما ملتُ قطُّ إلى ＊ شىء بقَلْبى إلا فُجِعتُ به
عرفتُ حظّى من الزمان فلا ＊ أَلُوم خَلْقـا على تجنُّبـــه
وكل سَهْم أعددتُه وقفتْ ＊ به الليـالى حتى رُميتُ به

وحكى أن عبد الملك بن مروان أَتَوْهُ برجل من الخوارج فأراد قتله ، فأُدخل على عبـد الملك آبن له صغير وهو يبكى ؛ فقال الخارجىّ : دعه يا عبدَ الملك ، فإن ذلك أرحب لشدقه ، وأصح لدماغه ، وأذهب لصوته ، وأحرى ألّا تأبى عليه عينه اذا حَفَزَتْه طاعةُ الله فاستدعى عَبْرتها ؛ فأُعجب عبدُ الملك بقوله وقال له متعجّبا : أَمَا يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ فقال : ما ينبغى أن يشْغَل المؤمنَ عن قول الحق شىءٌ؛ فأمر عبدُ الملك بحبسه ، وصَفَح عن قتله .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العلم والبيان

العلم

حدّثني الزيادىّ قال حدّثنا عيسى بن يُونس عن الأوزاعىّ عن عبد الله بن سعد عن الصُّنَابِحِىّ[1] عن معاوية بن أبى سفيان قال : نَهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الأُغْلُوطات[2] ، قال الأوزاعىّ : يعنى صِعَاب المسائل .

حدّثنى سُهَيل بن محمّد عن الأصمعىّ قال سمعت عِمْران بن حُدَير يُحدّث عن رجل من أهل الشام قد سمّاه ، قال : قال كعب الأحبار لقوم من أهل الشام : كيف رأيكم فى أبى مُسلم الخَوْلانىّ[3]؟ فقالوا : ما أحْسَنَ رأْيَنَا فيه وأخَذْنَا عنه ! فقال : إنّ

---

(١) فى الأصل «الصنايجى» (بياء مثناة وجيم بعد الألف) وهو تحريف ، إذ هو عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى (بباء موحّدة وحاء بعد الألف) ، نسبة الى صنابح من حمير ، كما ذكر المؤلف فى كتابه (المعارف) (ص ٣١٥) طبع جوتنجن سنة ١٨٥٠ م والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ٢٣٥) .

(٢) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث ، لأنه لا معنى لأن ينهى النبى عن صعاب المسائل ، والأوجه ما فسرها به الزمخشرىّ إذ قال فى الأساس : «وهى المسائل التى يغالط بها» ؛ ويؤيد هذا التفسير ما جاء بالعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) : «وكان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك «إبليس» .

(٣) هو عبد الله بن ثوب بضم المثلثة وفتح الواو بعدها موحدة وقيل باشباع وقيل ابن أثوب وزن أحمر : عابد رحل الى النبىّ صلى الله عليه وسلم فلم يدركه ، وعاش الى زمن يزيد بن معاوية (تقريب التهذيب) .

أزهَدَ الناسِ فى الحاكم أهلُه ، وإنّ مثل ذلك مثل الجامّة (١) تكونُ فى القوم فيَرغَبُ فيها الغُرَباء ، ويَزْهَـدُ فيها القُرَباء ، فبينَا ذلك غارَ ماؤُها ، وأصاب هؤلاءِ منفعَتَها ، وبَقِىَ هؤلاءِ يتفكّنُون ، أى يتندّمون .

وفى الإنجيل أن عيسى صلّى الله عليه لـمّـا أراهم العجائب ، وضرب لهم الأمثال والحكمة ، وأظْهَرَ لهم هذه الآياتِ ، قالوا : أليس هذا آبنَ النّجار ! أوَ لَيْست (٢) أُمُّه مَرْيَمَ وأخُوه يعقوبَ ويوسفَ وشمعونَ ويَهُوذا وأخواته كلّهنّ عنـدنا ! فقال لهم عيسى : إنّه لا يُسَبّ النبىّ ولا يُحقَّر إلّا فى مدينته وبيْتِه (٣) .

حدّثنـا الرياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال : قيل لدَغْفَل النسّابة : بم أدركتَ ما أدركتَ من العلم؟ فقال : بلسانٍ سَؤُول وقلبٍ عقُول ، وكنتُ إذا لَقِيتُ عالمـًا أخذتُ منه وأعطيتُه .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ قال حدّثنا العَلاء بن أسلم عن رؤبة بن العجّاج قال : أتيت النسّـابة البكرىّ فقال لى : من أنت ؟ فقلت أنا آبن العجاج ، قال : قَصّرت وعَرّفت ، لعلك من قوم إن سكتُّ عنهم لم يسألونى ، وإن تكلّمتُ لم يَعُوا عنّى ، قلت : أرجو ألا أكونَ كذلك ، قال : ما أعداءُ المُرُوءَة؟ قلت : تُخبرنى ، قال : بنو عَمّ السوء إن رَأَوْا حسنا ستَرُوه ، وإن رَأَوْا سيّئا أذاعوه ، ثم قال : إن للعِلْم آفةً وهُجنةً ونَكَدًا ، فآفتُه نسيانُه ، ونكده الكذبُ فيه ، وهُجنته نشره عند غيرِ أهله .

كان يقال : لا يَزَال المرءُ عالمـا ما طَلَب العِلْمَ فإذا ظَنَّ أنْ قد عَلِمَ فقد جَهِلَ .

---

(١) لعلها الجَمّة قال فى اللسان : والجَموم : البئر الكثيرة الماء ، وبئر جَمّة وجَموم : كثيرة الماء .

(٢) فى الأصل «ليس» بغير تاء التأنيث .

(٣) فى هامش الأصل الفتوغرافى عن نسخة أخرى : بيته .

حدّثني شيخٌ لنا عن محمّد بن عُبيد عن الصّلت بن مِهْران عن رجل عن الشعبيّ عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من تعلّم العلمَ لأربعة دخل النار لِيباهِيَ به العلماءَ أو يمارِيَ به السفهاءَ أو يُمِيلَ به وجوهَ النـاس أو يأخُذَ به من الأمراء» .

وحدّثني عن أبي معاوية عن حجّاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما من عبد يُخْلِص العبادة لله أربعين يوما إلّا ظهرت ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه» . وقرأت في حِكَم لُقمان أنه قال لابنه : يا بُنَيَّ ، اغْدُ عالمـا أو متعلّما أو مُستمعا أو مُحِبّا ، ولا تكن الخامسَ فتهلك .

حدّثني محمد بن داود عن سُوَيد بن سعيد عن إسماعيل عن آبن عيّاش عن مُعاذ ابن رِفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «يحمل هذا العِـلْمَ من كلّ خَلَف عُدُولُه يَنْفُون عنه تحريفَ[1] الغالين[2] وآنتحالَ المُبْطِلين وتأويلَ الجاهلين» .

وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال قال عليّ عليه السلام : كلماتٌ لو رَحَّلْتم المَطِيَّ فيهنّ لا تُصيبوهنّ[3] قبل أن تُدركوا مثلَهن : لا يَرْجُوَنّ عبد إلا ربّه ، ولا يخافَنّ إلا ذنبَه ، ولا يَسْتَحِي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحيي إذا سُئِل عمّا لا يَعْلَم أن يقول : الله أعلمُ . وآعلموا أن منزلة الصبر من الإيمـان كمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأسُ ذهب الجسد ، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان . وكان يقول : من حقّ العالِم عليك إذا أتيتَه أن تُسَلِّم على القوم عامّةً وتَخُصَّه بالتحية ، وأن

---

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧) طبع بولاق . وفي الأصل «به» . (٢) كذا في الأصل ومثله في أدب الدنيا والدين . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠١) «تحريف القائلين» .

(٣) في أدب الدنيا والدين (ص ٦٧) ما نصه : «وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : خمس خذوهن عني ، فلو ركبتم الفلك ما وجدتموهنّ إلا عندي : ألا لا يرجونّ أحد إلا ربه ... الخ» .

تجلِسَ قُدّامَه ولا تُشيرَ بيــدك ، ولا تَغمِزَ بعينك، ولا تقولَ قال فلان خلافا لقوله (١) ، ولا تَغتابَ عنده أحدا ، ولا تُسارَّ في مجلسه . ولا تأخُذَ بثوبه ، ولا تُلِحَّ عليــه إذا كَسل ، ولا تَعْرَضَ (٢) من صحبته لك ؛ فإنمــا هو بمنزلة النخلة لا يزال يسقط عليك منها شيء . وفيما قال علىّ عليه السلام : يا كُمَيل (٣) ، العلم خير من المــال ، لأنّ العلم يَحرُسُك وأنت تحرُس المــال ، والمــال تَنقُصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق . وقال : قيمةُ كلِّ آمرئٍ ما يُحسن . ويقال إذا أرذل (٤) اللهُ عبدًا حَظَر عليه العِلمَ . وقال الشاعر :

يُعَدُّ رفيعَ القومِ مَن كان عالِمًا (٥) * وإن لم يكن في قومه بحسيبِ
وإنْ حلّ أرضا عاش فيها بعلمه * وما عالِمٌ في بلدةٍ بغــريبِ

قال بُزُرْجِمهر : ما ورَّثت الآباءُ الأبناءَ شيئا أفضلَ من الأدب ، لأنها تَكتسب المــال بالأدب وبالجهل تُتلفه فتقعُد عُدْما منهما . قال رجل لخالد بن صفوان : مالى إذا رأيتُكم تتذاكرون الأخبار ، وتتدارسون الآثار ، وتتناشدون الأشعار ، وَقَعَ عَلَىَّ النومُ؟ قال : لأنك حِمارٌ في مسلاخ (٦) إنسان .

خرج الوليدُ بن يزيد حاجًا ومعه عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فكانا ببعض الطريق يَلْعَبان بالشِّطْرَنْج فاستأذن عليــه رجلٌ من ثَقيف فأَذِنَ له وسَتَرَ

---

(١) عبارة العقد الفريد «لاخلاف قولك» . (٢) لا تعرض : لا تضجر . وفى الأصل «تفرض» بالفاء وهو تحريف . وعبارة العقد «ولا تُلِحَّ عليــه فى السؤال ، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التى لا يزال يسقط عليك منها شىء» . (٣) فى الأصل : « تكميل العلم خير من المــال » وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، فقد جاء فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٠) ما نصه «عن كميل النخعى قال : أخذ بيدى علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه فخرج بى الى ناحية الجبانة فلمــا أصحر تنفّس الصعداء ثم قال : يا كميل ، إن هــذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ عنى ما أقول لك ... الخ» وكذلك وردت العبارة فى الإحياء (ج ١ ص ٧) طبعة بولاق . (٤) أرذله الله : لم يرض عنه . (٥) فى العقد الفريد «عاقلا» . (٦) المسلاخ : الجلد .

الشِّطْرَنْجُ بمنْدِيل، فلماّ دخل سلمّ فساله حاجَتَهَ، فقال له الوليد : أقرأتَ القرآنَ ؟ قال : لا، يا أمير المؤمنين ! شغلتني عنه أمورٌ وهَنَات، قال : أفتعرف الفقْه ؟ قال : لا ، قال : أفرَوَيْت من الشِّعر شيئا ؟ قال : لا، قال : أفعلمتَ من أيام العرب شيئا ؟ قال : لا، قال : فكَشَفَ المنديل عن الشِّطْرَنْجِ وقال : شاهك، فقال له عبد الله بن معاوية : يا أمير المؤمنين ! قال : اسْكُت فما معنا أحد .

وفى كتاب للهند : العالِمُ إذا آغترب فمعه من عِلْمه كافٍ ، كالأسد معه قوّته التى يَعيش بها حيثُ تَوَجّه . وكان يقال : العلم أشرفُ الأحساب ، والمودّةُ أشدُّ الاسباب، قال الشاعر :

الحِلْمُ والعِلْمُ خَلّتا كَرَمٍ * للمرء زَيْنٌ إذا هما آجتمعا
صِنْوان لا يَسْتَتِمّ حسنهُما * إلا بجمع لذا وذاك معا
كم من وضيع سما به العِلْمُ والـ * ـحِلْمُ فنال العَلاءَ وآرتفعا
ومن رفيع البِنا اضَاعَهُما * أخمله ما أضاع فاتّضعا

قال الأحنف : كادَ العلماءُ أن يكونوا أرْبابا ، وكُلُّ عزٍّ لم يُؤَكَّد(١) بعِلْم فإلى ذُلّ ما يصير . وقال آبن المُقَفَّع : إذا أكرمك الناس لمالٍ أو سُلْطانٍ فلا يُعْجِبنّك ذلك، فإنّ زوال الكرامة بزوالها، ولكنْ لِيُعْجِبك إن أكرموك لِدِين أو أدب . وفى بعض الحديث المرفوع : «مَثَلُ العلماء فى الأرض مَثَل النجوم فى السماء» . وكان يقال : استُدِلّ على فضل العلم أنه ليس أحدٌ يُحِبّ أن له بحظه منه خَطَرًا . قال يونس بن حبيب : عِلْمُك من رُوحك، ومَالُك من بَدَنك . قال أبو الأسود : الملوك حُكّامٌ على الناس، والعلماء حُكّامٌ على الملوك .

(١) فى العقد (ج ١ ص ٢٠١) «يكسب» .

قيل لبُزُرْجمِهْر : العلماءُ أفضلُ أم الأغنياء؟ فقال : العلماء، فقيل له : فما بالُ العلماء بأبواب الأغنياء أكْثَرُ من الأغنياء بأبواب العلماء؟ فقال: لمعرفة العلماء بفضل الغِنَى وجَهْلِ الأغنياء بفضل العلم . وفى الحديث : «ليس المَلَقُ من أخلاق المؤمن إلّا فى طلب العلم» . قال آبن عبّاس : ذَلَلْتُ طالبا، فعزَزْتُ مطلوبا؛ وكان يقول: وجدتُ عامّة عِلْم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هــذا الحىّ من الأنصار، إنْ كنتُ لأَقِيل بباب أحدهم ولو شئتُ أُذِن لى ، ولكن أبتغى بذلك طِيب نفسه . وكان يقال : أوّلُ العلم الصمتُ والثانى الآستماعُ، والثالث الحفْظُ، والرابع العقل، والخامس نشْرُه . ويقال : إذا جالستَ العلماءَ فكن على أن تَسْمَعَ أحرَص منك على أن تقول . قال الحسن : مَن أحسنَ عِبادَةَ الله فى شبيبته لقاه الله الحكمة فى سِنّه، وذلك قولُه : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال بعض الحكماء من الصحابة : تقول الحكمةُ : مَن آلتمسنى فلم يجِدْنِى فليَفْعَلْ بأحسنِ ما يعْلم، وليتْرُكْ أقبحَ ما يَعْلم، فإذا فَعَلَ ذلك فأنا معه وإن لم يعرِفْنى . وكان يقال : لا يكون الرجلُ عالما حتّى يكونَ فيه ثلاثٌ: لا يحْقِرُ مَن دونه فى العلم، ولا يَحسُد من فوقه، ولا يأخُذ على علمه ثَمَنا . وقال آبن عُيينة : يُستَحَبّ للعالم إذا عَلّم ألّا يُعنِّف، وإذا عُلِّمَ ألّا يأْنَف . وفى كلام لغَيْلان . لا تكن كعلماء زمن الهَرْج[1] إن عُلِّموا أنِفوا وإن عَلَّموا عنفُوا . وفى حكمة لُقْمان : إن العالِمَ الحكيمَ يدعو الناسَ إلى علمه بالصَّمْت والوَقَار، وإن العـالِم الأَخْرَق يَطْرُد النـاس عن علمـه بالهَذَر والإكثار . قال إبراهيم بن المنصور : سَلْ مسئلةَ الحَمْقَى وآحفَظْ حفظَ الأكياس . وأنشد آبن الأعرابىّ :

---

(١) الهرج : الفتنة .

ما أقربَ الأشياءَ حينَ يَسُوقُها * قَدَرٌ وأبعدَها إذا لم تُقْدَرِ
فسلِ الفقيهَ تكُنْ فقيها مثلَهُ * مَن يَسْعَ فى عمل بفقهٍ يَمْهَرِ
وتدبّر الأمرَ الذى تُعْنَى به * لاخيرَ فى عملٍ بغيرِ تدبُّرِ
فلقد يَجِدُّ المرءُ وهو مُقَصِّر * ويَخيبُ جِدّ المرء غيرَ مُقَصِّرِ
ذهب الرجالُ المُقتَدَى بفَعالهم * والمنكِرون لكلّ أمرٍ مُنْكَرِ
وبقيت فى خَلَفٍ يُزَيِّن بعضُهم * بعضا ليَدْفَعَ مُعْوِرٌ عن معورِ[1]

وقال الشاعر[2] :

شِفَاءُ العمى طولُ السؤال وإنّما * تمامُ العمى طولُ السكوتِ على الجَهْلِ

وقال بعضهم : خيرُ خصال المرء السؤالُ ، ويقال : إذا جلست إلى عالم فسل تفقُّها ولا تَسَلْ تَعَنُّتا . قال الحسن : مَن آستتَرَ عن الطلَب بالحَياء لَبِس للجهل سِرْبالَه ، فقَطِّعوا سَرَابيلَ الحياء ، فإنّه مَن رَقّ وجهُه رقّ عِلْمُه ؛ وقال : إنّى وجدتُ العِلْمَ بين الحياء والسترْ . وقال الخليل : منزلة الجهل بين الحياء والأَنَفة . وقال علىّ بن أبى طالب عليه السلام : قُرِنت الهيْبَةُ بالخَيْبة ، والحياءُ بالحِرْمان ، والحِكْمةُ ضالّةُ المؤمن فليَطْلُبْها ولو فى يَدَىْ أهلِ الشِّرك . وقال عُرْوةُ بن الزُّبَيْر لبنيه : تعلّموا العلم فإنْ تكونوا صِغَارَ قومٍ فعسى أنْ تكُونوا كِبَارَ قومٍ آخَرين ، فياسَوْءَتَا ماذا أُقبَحَ من جهلٍ بشيخ ! وكان يقال : عَلِّم عِلْمَك مَنْ يَجْهَل ، وتَعَلَّمْ ممّن يَعْلَم ، فإنّك إذا فعلتَ ذلكُ عَلِمتَ ما جَهِلتَ وحَفِظْتَ ما عَلِمت .

قيل لبُزُرْجِمِهْر : بِمَ أدركتَ ما أدركتَ من العلم؟ فقال : بِبُكُورٍ كبُكُور الغُرَاب ، وحِرْصٍ كحرص الخنْزير ، وصَبْرٍ كصبر الحِمَار . وقال الحسن : طلبُ العلم

(١) معور من أعور الشىء ، اذا بدت عورته . (٢) هو بشار بن برد كما فى أدب الدنيا والدين (ص ٤٩ طبعة بولاق) وبعد البيت :

فكن سائلا عما عناك وإنما * دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

فى الصِّغر كالنَّقش فى الحجَر، وطلبُ العلم فى الكِبَر كالنقش على المـاء. ويقال: التفقّه على غير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يبْرَح. وفى الحديث المرفوع «ارحموا عزيزا ذَلّ ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالمـا ضاع بين جُهّال» ويقال: أحقّ الناس بالرحمة عالمٌ يجوز عليه حُكمُ جاهل.

قال المسيح عليه السلام: يابَنى إسرائيل لا تُلقُوا اللؤلؤَ إلى الخنازير، فإنّهـا لا تَصْنع به شيئا، ولا تُعْطُوا الحِكْمَة مَن لا يُريدها، فإنّ الحكمة أفضلُ من اللؤلؤ، ومن لا يريدها شرٌّ من الخنازير. قال ديمقراط: عالمٌ معاندٌ خيرٌ من مُنْصف جاهل. وقال آخر: الجاهل لا يكون مُنصفا، وقد يكون العالم معاندا. قال سُفيان: تَعَوّذُوا بالله من فتنة العابد الجاهل(١)، وفتنة العالم الفاجر. قيل للحسن: الحِرْفَةُ فى أهل العلم، ولغيرهم الثَّرْوة، فقال: إنّك طلبت قليلا فى قليل فأعجزك؛ طلبت المـال وهو قليل فى الناس، فى أهل العلم وهم قليل فى الناس. وقال الخُزَيْمِىّ:

لا تَنْظُرَنّ إلى عَقْـلٍ ولا أدب * إنّ الجُـدودَ قريناتُ الحماقات

وقال آخر:

ما آزددتُ من أدبى حَرْفا أُسَرُّ به * إلّا تَزَيَّدْتُ حَرْفا تحته شُـومُ
إن المُقَـدّم فى حِذْقٍ بصَنْعته * أنّى تَوجّه منهـا فهـو محـرومُ

وقال الطائىّ لمحمد بن عبد الملك:

أبا جَعْفرٍ إنّ الجَهَالة أُمُّها * وَلُودٌ وأمُّ العلم جَذّاءُ(٢) حائلُ(٣)

(١) فى الأصل: «العالم» وظاهر أنه تحريف.

(٢) جذاء: من الجذ وهو القطع، والمراد أنها مقطوعة النسل.

(٣) الحائل: كل أنثى لا تحمل.

قال الثّورى : مَن طلب الرِّياسة بالعلم سريعا فاته علمٌ كثيرٌ. وقال : يَهتف[1] العلم بالعمل فإن أجابه و إلّا آرتحل. قال بعض أهل العلم : يُغفَر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يُغفَر للعالِم ذنب واحد . قال بلال بن أبى بُرْدَة : لا يَمنعنكم سوءُ ما تعلمون منا أن تَقبلوا أحسنَ ما تسمعون . وقال الخليل بن أحمد :

اِعْمَلْ[2] بعلمى ولا تَنظُر إلى عملى * يَنفَعْك قولى ولا يَضْرُرْك تقصيرى

كتب رجل إلى أخ له : إنّك قد أوتيتَ علما فلا تُطفِئَنَّ نورَ علمك بظُلْمة الذنوب فتَبْقَى فى الظلمة يومَ يسعى أهلُ العلم بنور علمهم .

وقال بعض الحكماء : لولا العلمُ لم يُطلَب العمل، ولولا العملُ لم يُطلب العلم، ولأن أَدَعَ الحقَّ جهلا به أحبّ إلىّ من أن أَدَعَه زُهْدا فيه . وقال مالك بنُ دينار: إن العالِمَ إذا لم يَعمَل بعلمه زَلّت موعظتُه عن القلوب كما يَزِلّ القَطْرُ عن الصَّفَا[3] . ونحوه قولُ زياد : إذا خرج الكلامُ من القلب وَقَع فى القلب، و إذا خرج من اللسان لم يُجاوِز الآذان .

و يقال : العلماءُ إذا عَلِمُوا عَمِلوا، فإذا عَمِلوا شُغِلوا، فإذا شُغِلوا فُقِدوا، فإذا فُقِدوا طُلِبُوا فإذا طُلِبوا هَرَبوا . قال الحسن : ما أحسنَ الرجلَ ناطقا عالما ومُستَمِعا واعيًا وواعيا عاملا . وقال آبن مسعود : إنى لأحسَب الرّجل يَنْسَى العلمَ بالخطيئة يَعمَلُها . وقال آبن عبّاس : إذا تَرَك العالِمُ قولَ لا أدرى أُصيبت مقاتِلُه . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك :

إذا ما تحدّثتُ فى مَجلِس * تَناهى حديثى إلى ما علِمتُ
ولم أَعْدُ علمى إلى غيره * وكان اذا ما تناهى قَصَرْتُ

(١) كذا فى أدب الدنيا والدين (ص ٦٩ طبعة بولاق) وفى الأصل : "نهيف" وظاهر أنه تحريف . (٢) ورواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢١١) «اعمل بعلمى و إن قصرت فى عملى» وفى أدب الدنيا والدين «اعمل بقولى ...» . (٣) الصَّفَا جمع صَفَاة، وهى الحجر الصلد الضخم لا ينبت .

وقال آخر(١):

إذا ما آنتهى علمى تناهيتُ عنده * أطـال فأملى أم تنـاهى فأقصرا
ويُخـبرُنى عن غائب المرءِ فعـلُه * كفى الفعلُ عما غيّب المرءُ مُخْبِرا

قال عمرُ بن الخطّاب: لا أدركتُ لا أنا ولا أنت زمانا يتغايرُ الناس فيه على العلم كما يتغايرون على الأزواج . قال سَلْمان : علمٌ لا يقَـال به ككنز لا يُنْفَق منـه . وفى الحديث المرفوع : «العلم علمان علمٌ فى القلب فذلك العلم النافع وعلمٌ على اللسان فذلك حُجّةُ الله على آبن آدم» قال عمرُ بن عبد العزيز : ماقُرِن شيءٌ إلى شيء أحسن من حِلْم إلى علم ومن عَفْو إلى قُدْرة . قال أبو الدَرْداء : مَن يَزْدَدْ علمـا يَزْدَدْ وَجَعـا .

قال أفلاطون : لولا أن فى قولى لا أعلم سبَبًا لأنّى أعلم لقلتُ إنّى لا أعْلَمُ. وقال آخر : ليس معى من فضيلة العلم إلا علمى بأنّى لستُ أعلم .

قال الخليل بنُ أحمد : الرجال أربعة : رجلٌ يَدْرِى ويَدْرِى أنه يَدْرِى فَسَلُوه، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يَدْرِى فذاك ناسٍ فذكّروه، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فعلّموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفُضوه .

كتب كِسْرى الى بُزُرْجِمِهْر وهو فى الحبس : كانت ثمرةُ علمك أن صِرْتَ بها أهلا للحبس والقتل، فكتب إليه بُزُرجِمِهْر : أما ما كان معى الجَدّ فقد كنتُ أنتفعُ بثمرة العلم فالآن إذ لا جَدَّ فقد صِرتُ أنتفع بثمرة الصبر مع أنى إن كنتُ فَقَدْت كثيرَ الخير فقد آسترحت من كثير الشرّ .

---

(١) هو زيادة بن زيد كما فى أدب الدنيا والدين (ص ٦٦) .

قال بُزُرْجِمْهر : من صلح له العُمْرُ صلح له التعلُّمُ . وقيـل لبعض الحكماء : أيحسُن بالرجل أن يتعلّم ؟ فقال : إن كانت الجَهَالةُ تَقْبُح به فإنّ العلم يَحْسُنُ به . ويقال : التودُّد زَيْنُ العلم .

قال عمرُ بن الخطّاب : ما من غاشية أدْوَم أَرَقًا[1] ، وأبطأ شِبَعًا من عالم . قال مالك بن دينار : مَن طلب العلم لنفسـه فالقليل منه يكفيه ، ومن طلبه للناس فحوائجُ الناس كثيرةٌ .

قال إبُقْرَاطُ : العـلم كثير، والعُمر قصير، والصنعةُ طويلة ، والزمان جَديد ، والتجربة خطأ .

قال المسيح عليه السلام : إلى متى تَصِفُون الطريقَ للمُدْلجين، وأنتم مُقيمون مع المتحيِّرين ، إنّما ينبغي من العلم القليلُ ، ومن العمل الكثير. قال سَلْمان : لو حدَّثْتُ الناسَ بكلّ ما أَعْلَمُ لقالوا رَحِمَ الله قاتِلَ سَلْمان . كان يقال : لاتقل فيما لا تعلم فتُتَّهَم فيما تَعْلَم . وكان يقال : العلم قائد ، والعمل سائق ، والنَّفْس حَرُون[2] ، فإذا كان قائدٌ بلا سائق بَلُدَتْ وإذا كان سائقٌ بلا قائد عَدَلَتْ يمينا وشِمَالا ، فإذا اجتمعا أنابت طَوْعا وكَرْها . قال أيُّوب : لا يَعرِف الرجلُ خطأَ مُعلِّمه حتّى يعرِفَ الاختلاف . ويقـال : غَرِيزة العقل أُنْثى وما يُستفاد من العلم ذَكَرٌ ولن يصلُحَا إلاّ معا .

قال المسيح عليه السلام : إن أَبْغَضَ العلماء الى الله رجلٌ يُحِبُّ الذِّكْرَ بالمَغِيب ، ويُوَسَّع له فى المجالس ، ويُدْعى الى الطعام ، وتُفْرَغ له المَزَاوِد[3] ، بحقٍّ أقولُ لكم : إن أولئك قد أخذوا أُجُورَهم فى الدنيا ، وإن الله يُضاعِف لهم العذابَ يومَ القيامة .

---

(١) الغاشية : السُّؤّال الذين يَغشون يرجون فضلك ومعروفك . (٢) وفى العقد الفريد (ج ١ ص ١٩٨) : «وقد قالت الحكماء : العلم قائد والعقل سائق والنفس ذود فإن كان قائد بلا سائق هلكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا وإذا اجتمعا أنابت طوعا أو كرها» .

(٣) المزاود جمع مِزْود كمنبر وهو وعاء الزاد .

لـا دُلِّيَ زيد بن ثابت فى قبره قال ٱبن عبّاس : من سَرّه أن يَرَى كيف ذهب العِلْمُ فهكذا ذَهَابُ العلم .

ويقال : إذا أردتَ المحبـة من الله فكن عالمـا كجاهل . وقال بعضُ الشعراء فى تَلاَقِى العلماء :

إذا تَلاَقَى الفُيُـولُ(١) وٱزْدحمتْ * فكيف حالُ البَعُوضِ فى الوَسَطِ

وقال ٱبن الرِّقاع :

ولقد أصبتُ مِن المعيشةِ لَذّةً * ولَقِيتُ من شَظَفِ الخُطوبِ شِدَادَها
وعلمتُ حتّى لستُ أسألُ عالِمًا * عن حَرْفِ واحدةٍ لكى أزدادَها

ويقال : أربعٌ لا يَأْنَف منهنّ الشريفُ : قيامُه عن مجلســه لأبيه ، وخدمتُه لضيفه ، وقيامُه على فَرَسه وإن كان له مائةُ عبد ، وخدمته العالِم ليأخذَ من علمه .

قيل لعطاء بن مُصْعَب : كيف غَلَبْتَ على البرامكة وعندهم مَن هو آدبُ منك؟ قال : ليس للقُرَباء ظَرَافةُ الغُرَباء ، كنتُ بعيدَ الدار ، غريبَ الآسم ، عظيمَ الكِبْر ، صغيرَ الجِرْم ، كثيرَ الآلتِواء ، شحيحا بالإملاء ؛ فقرّبنى إليهم تَباعُدِى منهم ، ورغّبَهم فىّ رغبتى عنهم .

قال أبو يعقوب الخُرَيْمِىّ(٢) : تلقّانى سعيد بن وَهْب مع طلوع الشمس فقلت : أين تُريد؟ قال : أَدُورُ لعلّى أسمع حديثا حَسَنًا ، ثم تلقّانى أَنَس بن أبى شيخ فقلت : أين تُريد ؟ قال : عندى حديثٌ حَسَنٌ فأنا أطلُب له إنسانا حَسَنَ الفهم حَسَنَ الآستماع ، قلت : حدّثْنى به قال : أنت حَسَنُ الفهم سَيِّءُ الآستماع ، وما أرى لهذا الحديث إلا إسماعيلَ بن غَزْوَان . وقال الطائىّ فى نحو هذا :

(١) جمع فيل . (٢) هو إسحاق بن حسّان ويكنى أبا يعقوب الخُرَيمىّ [بالراء المهملة] كما ذكره المؤلف فى كتابه : «الشعر والشعراء» (ص ٥٤٢) طبع مدينة «ليدن» سنة ١٩١٢ م .

وكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا من قَنُوعٍ * تعوّضه صَفُوحٌ من مَلُولِ[1]
فصِرْتُ أَذَلَّ من معنًى دَقيقٍ * به فَقْـرٌ إلى فَهْمٍ جَليـلِ

كان يقال : إذا أردتَ أن تكون عالمـا فاقصد لفنّ من العلم، وإذا أردت أن تكون أديبا فخذ من كل شيء أحسَنَه . قال إبراهيم بن المهدىّ :

قد يُرْزَقُ المـرءُ لم تَتْعب رواحِلُهُ * ويُحْرَمُ الرِّزقَ مَن لم يُؤْتَ من تَعَبِ
معْ أننى واجِدٌ فى النـاس واحِدَةً * الرزقُ أَرْوغُ شيءٍ عن ذوى الأَدَبِ
وخَلَّةً ليس فيها مَن يُخالفنى * الرزق والنُّوكُ مَقرونانِ فى سَبَبِ[2]
يا ثابتَ العقل كم عاينتَ ذا حُمُقٍ * الرزقُ أغرى به من لازم الجَرَبِ

قال أنوشِرْوان للمُوبَذ[3] : ما رأسُ الأشياء؟ قال : الطبيعة النقيّة تكتفى من الأدب برائحته، ومن العلم بالإشارة إليه، وكما يذهب البَذْر فى السِّباخ ضائعا، كذلك الحكمة تموت بموت الطبيعة ، وكما تَغلب السِّباخُ[4] طيِّبَ البَـذْر إلى العَفَن ، كذلك الحكمة تَفْسُد عند غير أهلها؛ قال كسرى : قد صدقتَ وبحق قلّدناك ما قلّدناك .

قال بعضُ السلف[5] : يكون فى آخر الزمان علماء يُزَهِّدون فى الدنيا ولا يَزْهَدُون، ويُرَغِّبون فى الآخرة ولا يَرْغبون ، يَنْهَوْن عن غِشْـيان الوُلَاة ولا ينتهون ، يُقَرِّبون

---

(١) كذا فى الأصل الفتوغرافى ، وفى نسخة ديوان أبى تمام الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٦ أدب ص ٢٣٤ وفى ديوانه المطبوع : «عن جهول» .

(٢) كذا فى المحاسن والأضـداد للجاحظ : (ص ١٣٤ طبع مدينة ليـدن) والسبب : الحبل . وفى الأصل الفتوغرافى : «نسب» .

(٣) المو بذ بضم الميم وفتح الباء ومثله المو بذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس .

(٤) السِّباخ جمع سبخة محرّكة ومسكنة وهى الأرض ذات النّزّ والملح .

(٥) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبع بولاق) «قال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون... الخ» .

الأغنياء ويُباعدون الفقراء(١)، ويَنْقبِضون عند الحُقَرَاء، وينبسطون عنــد الكُبَراء(٢) : أولئك الجبَّارون أعداءُ الرحمن(٣) .

نافع عن ٱبن عُمَر قال : العلم ثلاثة : كتاب ناطق، وسنةٌ ماضية، ولا أدرى .

الكُتُب والحفظ

حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال حدّثنى قريش بن أَنَس قال سمعت الخليل بن أحمد يقول : إسْلَمْ من الوَحْدة . فقيل له : قد جاء فى الوَحْدة ما جاء، فقال : ما أفسدَها للجاهل ! . قال بعض الشعراء فى قوم يجْمعون الكُتُب ولا يَعْلَمون :

زَوامِلُ(٤) للأسفارِ لا عِلْمَ عندهم * بجيِّـدها إلا كعِلْمِ الأباعِرِ
لعمرُك ما يَدْرِى المَطِىُّ إذا غدا * بأحمالهـا أوراحَ ما فى الغَرائِرِ(٥)

قال يحيى بن خالد : النــاسُ يكتُبون أحسنَ ما يَسمعون، ويحفظون أحسنَ ما يكتُبون، ويتحـدّثون بأحسنِ ما يَحفظون . قال الشَّعْبىّ : لو أن رجلا حفِظ ما نَسيتُ كان عالمـا . ووصف رجل رجلا فقال : كان يَغْلَطُ فى علمه من وُجوهٍ أربعــةٍ : يَسمع غيرَ ما يُقال له، ويَحفَظ غيرَ ما يَسمع، ويكتُب غيرَ ما يحفَظ، ويُحدِّث بغيرِ ما يَكْتُب .

قيل لأبى نُوَاس : قد بَعَثُوا إلى أبى عُبَيدة والأصمعىّ ليُجْمَعَ بينهما، فقــال : أمّا أبو عُبَيدة فإن أمْكَنوه من شُقَره(٦) قرأ عليهم أساطيرَ الأوّلين، وأما الأصمعىّ فبُلْبُلٌ فى قَفَص يُطرِبهم بنَغَماته .

(١) فى العقد الفريد «ويبعدون» . (٢) فى العقد الفريد «ويتبسطون للكبراء ويتقبضون عن الحقراء» . (٣) فى العقد الفريد «أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن» . (٤) زوامل جمع زاملة وهى التى يحمل عليها من الإبل وغيرها . (٥) الغرائر جمع غِرارة بالكسر وهى ما يحمل فيه التبن ونحوه . (٦) الشقر كصرد : الكذب . وفى المثل : «جاء بالشُّقَر والبُقَر» أى جاء بالكلام المغيّر عن وجه الصدق .

القـــرآن

حدّثنى الزِّيادىّ قال : حدّثنا عبدُ الوارث بن سعيد عن الجُرَيْرِىّ عن عبد الله آبن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكْرَهون بَيْعَ المصاحف ويَرَوْنه عظيما، وكانوا يَكْرهون أن يَأخُذَ المعلِّمُ على تعليم الغِلْمان شيئا .

حدّثنى محمد بن عبد العزيز عن خالد الكاهلىّ عن أبى إسحاق عن الحارث عن علىّ عليه السلام قال : مَثَلُ المؤمن الذى يقرأ القرآن مَثَل الأُتْرُجّة ريحُها طَيِّب وطعمُها طيِّب ؛ ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التَّمْرة طعمُها طيِّب ولا رِيحَ لها ؛ ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن مثل الرَّيْحانة ريحها طيب وطعمها مُرٌّ ؛ ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن مثل الحَنْظَلة طعمها مُرٌّ ولا رِيحَ لها .

وحدّثنى محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق[(١)] عن إسماعيل بن أمية ولَيْث بن أبى سُلَيم عن نافع عن آبن عُمَر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تُسَافروا بالقرآن الى أرض العدُوّ فإنى أخاف أن ينَالَه العدُوّ" .

حدّثنى أبو سفيان الغَنَوِىّ قال حدّثنا عُمَيْر بن عِمْران العَلّاف قال : حدّثنا خُزَيمة آبن أسد المُرّى قال : كان سعيدُ بن المُسَيِّب يَستفتح القراءة بِـ(بسم آللهِ آلرحمنِ آلرحيم) ويقول : إنهـا أوّلُ شىءٍ كُتِب فى المصحف، وأوّل الكُتُب، وأوّل ما كَتَبَ به سُليمانُ بن داود الى المرأة[(٢)] .

---

(١) ورد فى الأصل «أبيه» وهو تحريف لأن إسماعيل بن أمية المذكور ممن روى عنه «أبو إسحاق الفزارى» ومعاوية المذكور هو آبن عمرو بن المهلب الذى روى عن أبى إسحاق الفزارى أيضا فيتعين مما ورد فى الأصـل أن « أبا إسحاق » هو المقصود فى هـذه الرواية راجع تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٨٣ ، ج ١٠ ص ٢١٥) .

(٢) هى بلقيس بكسر الباء والقاف : ملكة سبأ وقصتها معروفة .

وحدّثنى أبو حاتم قال : حدّثنا الأصمعىّ قال : حدّثنا رجل عن عِمْران بن حُدَيْر قال : قرأت على أعرابىّ آخرَ سُورة « براءة » فقال : كان هـذا من آخر ما نَزَل . قالوا : كيف ؟ قال : أرى أشياء تُقْضَى وعُهودًا تُنْبَذُ . قال : وقرأتُ عليه سُورة الأحزاب فقال : كأنّها ليست بتامة .

حدّثنى محمدُ بن عُبيد قال : حدّثنا سفيانُ بن عُيَينة عن ٱبن أبى نَجيح عن مجاهد قال : قال ٱبن مسعود : (حم) ديباج القرآن . قال : وزاد فيه مِسعَر[(١)] قال عبد الله : اذا وقعتُ[(٢)] فى آل (حم) وقعتُ فى رَوْضات دَمِثات[(٣)] أتأنّق فيهنّ .

حدّثنى شيخٌ لنا عن المُحاربىّ قال : حدّثنا بكر بن خُنَيس[(٤)] عن ضِرَار بن عَمْرو عن الحسن قال : قُرّاءُ القرآن ثلاثةٌ : رجلٌ ٱتّخذه بِضَاعةً ينقُلُه من مصر الى مصر، يطلُب به ماعند الناس ؛ وقومٌ حَفِظوا حروفَه ، وضيّعوا حُدودَه ، وٱستدرُّوا به الوُلاة ، وٱستطالوا به على أهل بلادهم — وقد كثَّر الله هـذا الضَّربَ فى حَمَلة القرآن لا كثَّرهم الله — ورجلٌ قرأ القرآن فَبَدَأ بمـا يَعلَم من دَواء القرآن فوَضَعه على دَاءِ قلبه ، فسَهِر ليـلَه وهَمَلَت عيناه ، تَسَربَلوا[(٥)] الخُشُوعَ ، وٱرْتَدَوْا بالحُزْن ، ورَكَدُوا فى محاريبهم ، وجَثَوْا[(٦)] فى بَرَانِسهم[(٧)] ، فبهم يَسْقِى الله الغَيْثَ ، ويُنْزِل النَّصر ، ويَرْفَعُ البَلاءَ ، واللهِ لَهَذَا الضَّرْبُ

---

(١) هو مسعر بن كِدَام بن ظهير الهلالىّ العامرىّ الرَّوَّاسى ، أحد الأعلام (راجع تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١١٣) . (٢) فى النهاية لابن الأثير مادة «دمث» : إذا قرأت « آل حم الخ» . وفى مادة «أنق» : اذا وقعت «فى آل حم الخ» . (٣) دمثات : سهلة لينة . (٤) بالمعجمة والنون آخره سين مهملة مصغرا كذا فى تهذيب التهذيب والتقريب والخلاصة . وفى الأصل «خنيش» بالمعجمة فى آخره وظاهر أنه تحريف . (٥) كذا فى الأصل بواو الجماعة والمقام يقتضى الإفراد لقوله : «ورجل قرأ القرآن...الخ» ويؤيد هذا ماورد فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠ طبعة بولاق) ونصه : «...ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسهر ليلته وهملت عيناه وتسربل الخشوع وآرتدى الوقار واستشعر الحزن ووالله ... الخ) . (٦) فى الأصل : خثوا . (٧) البرانس جمع برنس بالضم وهو قلنسوة طويلة كانت تلبس فى صدر الإسلام ، وكل ثوب رأسه ملتزق به .

فى حَمَلة القرآن أقلّ من الكبريت الأحمر . رَوَى الحارثُ الأعورُ عن علىّ عليه السلام عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "كتاب الله فيه خَبَرُ ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحُكْمُ ما بينكم هو الفصلُ ليس بالهَزْل هو الذى لا تُزِيغُ به الأهواء ولا تَشْبَع منه العلماء ولا يَخْلُق عن كثرة الرّد[1] ولا تَنْقَضِى عجائبُه هو الذى مَن تركه من جبَّار قَصَمه الله ومن ٱبتغى الهُدَى فى غيره أضلّه الله هو حَبْلُ الله المتين والذِّكر الحكيم والصراط المستقيم" ؛ خذها إليك يا أعور .

المُحارِبىّ قال : حدّثنا مالكُ بن مِغْول[2] عمّن أخبره عن المُسَيَّب بن رافع عن عبدالله ٱبن مسعود قال : ينبغى لحامل القرآن أن يُعْرَف بليله إذ الناسُ نائمون ، وبحُزْنه إذ الناس يَفْرَحون ، وببكائه إذ الناس يَضْحَكون ؛ وينبغى لحامل القرآن أن يكون عليما حكيما ليِّنا مُستكِينا[3] .

وكيع عن أبى مَعْشر المَدِينى عن طلحة بن عبيد الله بن كَرِيز[4] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن من تعظيم جَلال الله إكرامَ ذى الشَّيْبة فى الإسلام وإكرامَ الإمام العادل وإكرامَ حامل القرآن" . قال بعضُ المفسرين فى قول الله عزّ وجلّ : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) أحرِمُهم فَهْم القرآن .

(١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) «على» . (٢) ورد فى الأصل «معول» بالعين المهملة وهو تحريف . وصوابه بالمعجمة كما فى الخلاصة وتهذيب التهذيب .

(٣) فى الأصل «سكينا» وما أثبتناه عن الإحياء (ج ١ ص ٢٦٠) طبعة بولاق ، وعبارة الإحياء عن ابن مسعود « ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ، وبنهاره اذا الناس يفرطون ، وبحزنه اذا الناس يفرحون ، وببكائه اذا الناس يضحكون ، وبصمته اذا الناس يخوضون ؛ وبخشوعه اذا الناس يختالون ؛ وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا ممار يا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا» . (٤) ذكره ٱبن حبان فى الثقات وقال : كل ما يجىء فى الأخبار «كُرَيز» يعنى بضم الكاف إلا هذا اه تهذيب .

سَمِع أعرابىّ ٱبن عباس وهو يقرأ (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) فقال : واللهِ ما أنقذهم منها وهو يُريد أن يُدخِلَهم فيها ؛ فقال ٱبن عباس : خُذْها من غير فقيـــه .

الحـــديث

حدّثنى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بن حبيب بن الشَّهيد قال : حدّثنا محمد بن فُضَيْل عن الأعمش قال : كان إسماعيلُ بن رَجَاء يجمع صِبْيانَ الكُتّاب فيُحدّثهم كيلا يَنْسَى حديثَه . وحدّثنى إسحاق الشَّهيدىّ (١) قال : حدّثنا أبو بكر بن عيّاش عن الأعمش قال : قال لى حبيب بن أبى ثابت : لو أنّ رجلا حدّثنى عنك بحديث ما بالَيْتُ أن أَرْويه عنك .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن نافع عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : أَلْفٌ عن أَلْفٍ خيرٌ من واحدٍ عن واحدٍ إن فلانا عن فلانٍ يَنْتَزِع السُّنةَ من أيديكم .

حدّثنى الرياشىّ قال : رُوِى عن محمد بن إسماعيل عن مُعْتَمِر قال : حدّثنى مُنْقِذٌ عن أيّوب عن الحسن قال : وَيْحٌ : رَحْمة .

حدّثنا الرياشىّ قال : رَوى ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن سُهَيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هُرَيرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قَضَى باليمين مع الشاهد ؛ قال ربيعة : ثم ذاكرتُ سُهَيْلا بهذا الحديث فلم يَحفظه ، فكان بعد ذلك يَرْوِيه عنّى عن نفسه عن أبيه عن أبى هُرَيرة .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن شُعْبة قال : كان قَتَادةُ إذا حدّث بالحديث الجيِّد ثم ذهب يجىء بالثانى غُدْوَةً .

---

(١) هو إسحاق بن ابراهيم بن حبيب المذكور قبله .

بلغنى عن ابن مَهْدىّ قال: سئل شُعْبَة : مَن الذى يُترَكُ حديثُه؟ فقال : الذى يُتّهم بالكَذِب، ومن تكثَّر بالغَلَط ، ومن يُخطِئ فى حديث مُجْمَع عليه فلا يَتّهِمُ نفسَه ويُقيم على غَلَطه، ورجلٌ رَوَى عن المعروفين ما لا يَعرفه المعروفون .

وعن مالك أنه قال : لا يُؤخَذُ العلمُ من أربعة : سفيهٍ معلَن بالسفه، وصاحبِ هَوًى، ورجلٍ يكذب فى أحاديثِ الناس وإن كنتَ لا تتّهمه فى الحديث، ورجل له فضل وتعفّف وصلاح لا يعرف ما يُحدّث .

حدّثنى عبدُ الرحمن عن الأصمعىّ أنه رثَى سفيانَ بن عُيينة[1] فقال :

فَلْيَبْكِ سُفْيانَ باغى سُنَّةٍ دَرَستْ * ومُسْتَبِيتٌ[2] أثاراتٍ[3] وآثارِ[4]
ومُبْتَغِى قُرْبِ إسنادٍ وموعظةٍ * وأَفَقِيُّون[5] من طَارٍ ومن طارِ
أمستْ مجالسُه وَحْشًا مُعطَّلةً * من قاطنين و حُجّاجٍ وعُمّارِ
من للحديثِ عن الزُّهرِىّ[6] حين ثَوَى * أو للأحاديثِ عن عَمْرِو بن دينارِ[7]
لو يَسمَعُوا بعده مَن قال حدّثنا الـ* زُهرِىّ من أهل بَدْوٍ أو بإحضارِ
لا يَهنأُ الشامِتَ المسرورَ مَصْرَعُه * من مارقينَ ومن جُحّادِ أقدارِ

---

(١) قال ابن خلكان : كان إماما عالما ثَبْتًا زاهدا ورعا مجمعا على صحة حديثه وروايته ؛ توفى آخر يوم من جمادى الآخرة سنة ١٩٨هـ (٢) المستبيت : الفقير، والمراد به هنا الطالب. (٣) جمع أثارة وهى البقية من العلم تؤثر. (٤) جمع أثر وهو الخبر. (٥) أَفَقيون جمع أُفُقِىّ أو أَفَقِىّ (نسبة الى الآفاق أو الى الأفق). (٦) هو أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والمحدّثين والأعلام التابعين بالمدينة رأى عشرة من الصحابة وروى عنه جماعة من الأئمة، منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثورى. توفى سنة ١٢٤هـ لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان (راجع ابن خلكان). (٧) هو عمرو بن دينار المكىّ. كان من أشدّ الناس إتقانا للحديث روى عن ابن عباس وابن الزبير وأبى هريرة ؛ توفى سنة ١٢٥هـ أو ١٢٦هـ .

ومن زَنادِقةٍ ، جَهْمٌ[1] يَقُودهم * قَوْدا إلى غَضَبِ الرحمنِ والنارِ
ومُلْحِدين ومُرتابين قد خَلَطُوا * بِسُنَّة الله أهتارا بأهْتارِ[2]

وقال آخر فى مالك بن أنس الفقيه :

يأبَى الجَوابَ فما يُراجَعُ هَيْبَةً * والسائلون نَواكِسُ الأذْقانِ
هَدْىُ التقىِّ وعِزُّ سلطانِ التُّقَى * فهو المُطاع وليس ذا سُلْطانِ

حدّثنا أبو الخَطّاب قال حدّثنا محمد بن سَوّار قال حدّثنا هِشام بن حَسّان قال : كان الحسن يُحدِّثنا اليومَ بالحديث ويُردُّه الغَدَ ويزيد فيه وينقُص إلا أن المعنى واحـــد .

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا ميمون قال حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال حُذَيْفَةُ بن اليَمَـان : إنّا قومٌ عَرَب فنقـدِّم ونؤخِّر ونَزيد ونَنْقُص ، ولا نُريد بذلك كَذِبا .

أبو معاوية قال : قال أبو إسحاق الشامىّ : لو كان هذا الحديث من الخُبْز نقص .

أبو أُسَامة قال : قال مِسعر : من أبغضنى بجعله الله محدّثا . أبو معاوية قال : سمعت الأعمش يقول : والله لأنْ أتصدّق بكِسْرة أحبُّ إلىّ من أن أتحدَّثَ بستين حديثا .

أبو أُسامة قال : سمعت سُفيانَ يقول : لوددتُ أنها قُطِعتْ من هامتى ، وأَوْمَأ الى المَنْكِب ، وأنى لم أسْمَع منه شيئا .

(١) هو جهم بن صفوان صاحب الجهمية وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم ابن أحوز المازنى بمرو فى آخر ملك بنى أمية ووافق المعتزلة فى نفى الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء ذكرها الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل (ص ٦٠) .

(٢) جمع هِتْر وهو السَّقَط .

قال ابن عُيَينة : ما أُحبّ لمن أُحبّ أن يكون أحفظَ الناس للحديث . قال بعضهم : إنّى لأسمع الحديثَ عُطلا فأُشنّفه وأُقرّطه وأُقلّده فيَحسُن ، وما زدتُ فيه معنى ، ولا نقصتُ منه معنى .

أبو أُسامة قال : سأل حَفْص بن غِيَاث الأعمشَ عن إسناد حديثٍ فأخذ بحَلْقه وأسنده الى الحائط وقال : هذا إسناده .

وحدّث ابن السَّمّاك بحديث فقال له رجلٌ : ما إسنادُه ؟ فقال : هو من المُرْسَلاتِ عُرْفا . وحدّث الحسن بحديث فقال له رجلٌ : يا أبا سعيد ، عمّن قال وما يصنع بعمّن ؟ أمّا أنت فقد نالتْك موعظتُه ، وقامت عليك حُجّتُه .

يَعْلَى قال : قال الأعمش : إذا رأيتُ الشيخ لم يطلب الفقهَ أحببتُ أن أَصْفَعَه .

ابن عُيينة قال : قال الأعمش : لولا تعلّمُ هذه الأحاديث كنتُ كبعض بقّالى الكُوفة .

ازدحم الناس يوماً على باب ابن عيينة أيام المَوْسِم و بالقُرب منه رجلٌ من حاجّ خُراسان قد حطّ بَحْمِله قَديس وكُسِرَ ما كان معه وانْتُهِب كَعْكُه وسَوِيقُه ، فقام يسيرُ إلى سـفيانَ ويدعو ويقول : إنى لا أُحلُّ لك ما صنعتَ ؛ فقال سفيان : ما يقول ؟ فقال بعضهم : يقول لك : زدنا فى السَّماع رحمك الله .

أنشدنى أبو حاتم عن الأصمعىّ للعَلاء بن المِنْهال الغَنَوىّ فى شَرِيك [1] :

(١) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبى شريك النخعىّ . تولى القضاء بالكوفة أيام المهدىّ ثم عزله موسى الهادى ، وكان عالما فقيها فهما ذكيا فطنا . توفى سنة ١٧٧ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ٣١٧ طبعة باريس سنة ١٨٣٨) . وقد ورد هذان البيتان مع أبيات أخرى للنهال قالها فى شريك أيضا فى المجلد الأول من هذا الكتاب (ص ٦٧ و ٦٨) .

ليت أبا شَريكٍ كان حيًّا[1] * فيُقْصِرَ حين يُبصِرُه شَرِيكُ
ويَتْرُكَ من تَدَرِّيه[2] علينا * إذا قلنـا له هـــذا أبوكا

وقال آخر :

تحرز سُـــفيانٌ وفرّ بدينـــهِ * وأمسى شريكٌ مُرْصَدًا للدراهمِ

وقال آخر فى شَهْر بن حَوْشَب :

لقد باع شهرٌ دينَـــه بخَريطةٍ * فمن يأمن القُرّاءَ بعدك ياشهرُ

وذلك أنه كان دخل بيت المـــال فسَرَق خَريطةً، ورافق رجلا من أهل الشام فسَرق عَيْبَتَه . وقال آبن مُنَاذِر[3] :

---

(١) هكذا وردت فى الأصل ، وفى اللسان (ج ١ ص ٦٦) و (ج ٢٠ ص ٧١) ووردت فى المجلد الأول من هذا الكتاب (ص ٦٨) : «فليت» .

(٢) فى الأصـــل : « تذرّبه » بالذال المعجمة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان (ج ١ ص ٦٦ وج ٢٠ ص ٧١ و ٧٢) وجاء فى اللسان (ج ١ ص ٦٦) « قال آبن سيده : إنما أراد من تدرئه (أى من تطاوله وتكبره) فأبدل الهمزة إبدالا صحيحا حتى جعلها كأنّ موضوعها الياء وكسر الراء لمجاورة هذه الياء المبدلة كما كان يكسرها لو أنها فى موضوعها حرف علة كقولك : تقضيها وتخليها ، ولو قال : من تدرئه لكان صحيحا ، لأن قوله : تدرئه مفاعلتن ؛ قال : ولا أدرى لمـا فعل العلاء هـــذا مع تمام الوزن وخلوص تدرئه من هـــذا البدل الذى لا يجوز مثله إلا فى الشعر ، اللهم إلا أن يكون العلاء هـــذا لغته البدل » .

(٣) فى شرح القاموس مادة « نذر » مانصه : «وآبن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف و يضم فيصرف قال الجوهرىّ : هو محمد بن مناذر شاعر بصرىّ فمن فتح الميم منه لم يصرفه و يقول إنه جمع منذر لأنه محمد ابن المنذر بن المنذر بن المنذر ومن ضمه صرفه » اهـ . وقد ورد ما يؤكد أنه بالضم لاغير فقـــد جاء فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينـــة «ليدن») ما نصه : « ذكر المبرد أن محمد بن مناذر الشاعر كان اذا قيل ابن مناذر بفتح الميم يغضب و يقول أمناذر الكبرى أم مناذر الصغرى وهى كورتان من كور الأهواز ، إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر يناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب » وقد ورد فى المشتبه فى أسماء الرجال للذهبىّ (ص ٥٠٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا .

ومن يبغ الوَصَاةَ فإنّ عِندى * وَصاةً للكُهُول وللشّـباب
خُذُوا عن مالكٍ وعن ابن عَوْنٍ * ولا تَرْوُوا أحاديثَ ابن دَاب (١)

عبد العزيز بن أَبَان عن سُفيان عن حبيب بن أبى ثابت قال : طلبنا هذا الأمر وما لنا فيه نيّة ، ثم إنّ النيّة جاءت بعدُ؛ فقال سفيان : قال زيد بن أسْلَم : رأيتم رجلا مدّ رِجله فقال : اقطعوها سوف أُجْبُرها ، قيل لرَقَبة : ما أكثر شكّك! فقال : محاماة عن اليقين ، وقال بعضهم : سأل شُعْبَةُ أيّوب السَّخْتِيَانىّ عن حديث فقال : أنا أشُكُّ ، فيه فقال : شَكُّكَ أحبّ إلىّ من يقينِ سبعة .

حدّثنى زيد بن أخزم قال: سمعت عبد الله بن داود يقول : رأيت الأعمش يضُمّ كفّيه ثم يَضرِب بهما صَدْرَه ويقول : اسكُنْ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: حدّثنى بعضُ الرُّواة قال : قلت للشّرقِى بن قُطَامِى (٢) : ما كانتِ العربُ تقول فى صلاتها على موتاها؟ فقال : لا أدرى ، فأكْذِب له؛ فقلت : كانوا يقولون :

ما كنتَ (٣) وَكْوَاكًا ولا بِزَوَنَّك * رُوَيْدَكَ حتى يَبْعَثَ الحَقّ باعِثُه

وَكْوَاك : غليظ ، وزونّك : قصير؛ قال : فإذا أنا به يُحدّث به فى المقصورة يومَ الجمعة؛ قال أبو نُوَاس :

---

(١) ابن داب الذى يقصده الشاعر هو عيسى بن يزيد كان يضع الحديث بالمدينة كما فى تهذيب التهذيب (ج ٩ ص ١٥٣) طبع الهند واستشهد بالبيت .

(٢) فى الأصل «للشرقى بن القطامى» وما أثبتناه عن المشتبه للذهبىّ وشرح القاموس والخلاصة .

(٣) ورد هذا البيت فى لسان العرب فى مادة «زنك» هكذا :

ولست بوكواك ولا بزونك * مكانك حتى يبعث الخلق باعثه

حدّثنى الأزرقُ المحدّثُ عن * عَمْرو بن شِمْر عن ابن مسعودِ (١)
لا يُخلِفُ الوعدَ غيرُ كافرِهِ (٢) * وكافرٌ فى الجحيم مَصْفُودِ

حدّثنى مِهْيَار قال : حدّثنى هُدْبَةُ بن عبد الوهاب عن شَقيق البَلْخىّ أنه أطرى يوما أبا حنيفة رحمه الله بمَرْو فقال له علىّ بن إسحاق : لا تُطْرِه بمَرْو فإنهم لا يحتملون ذلك ؛ فقال شَقيق : قد مَدَحه مُساوِرٌ الشاعر فقال :

إذا ما الناسُ يوما قايَسُونا * بآبِدَةٍ من الفُتْيَا طَرِيفَهْ
أتيناهُمْ بمقياسٍ صحيحٍ * تِلادٍ من طِرَازِ أبى حنيفه
إذا سَمِع الفقيهُ بها وعاها * وأثبتها بحِبْرٍ فى صحيفه

فقال له : قد أجابه بعض أصحابنا :

إذا ذُو الرَّأْىِ خاصمَ فى قياسٍ * وجاء ببِدْعَةٍ هَنَةٍ سخيفه
أتيناهم بقول الله فيها * وآثارٍ مبرَّزة شريفه
فكم من فَرْجِ مُحْصَنَةٍ عَفِيفٍ * أُحِلَّ حرامُه بأبى حنيفه
أقال أبو حنيفة بنت صُلْبٍ * تكون من الزنا عُرْسًا صحيحه

سَمِع رجلٌ مناديا يُنادِى : من يَدلُّنا على شيخ ضلّ ؟ فقال : ما سمعتُ كاليوم شيخٌ يُنادَى عليه ؛ ثم جاء به الى بِشْر المَرِّيسِىّ فقال : هذا شيخ ضالٌّ فَخُذْ بيده ؛ وكان بِشْرٌ يقول بخَلْق القرآن .

الأهواء والكلام فى الدّين

قال المأمونُ يوما لعلىّ بن موسى الرِّضى عليهما السلام : بم تدّعون هذا الأمر؟ قال : بقرابة علىّ من النبى صلّى الله عليه وسلم ، وبقرابة فاطمة رضى الله عنها ؛ فقال

(١) لم نجد هذين البيتين فى ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٨٩٨ م . (٢) كذا فى الأصل بمعنى «جاحده» ولعلها «خافره» لأن الخَفْر معناه نقض العهد والغدر به وهو يتفق والسياق .

المأمون : إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة ففى خَلْف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته مَنْ هو أقربُ إليه من علىّ، ومَنْ هو فى القرابة مثلُه ؛ وإن كان بقرابة فاطمةَ من رسول الله، فإنّ الحقّ بعد فاطمةَ للحَسَن والحُسَين وليس لعلىّ فى هذا الأمر حقّ وهما حيّان؛ وإذا كان الأمر على ذلك، فإن عليًّا قد ٱبتزّهما جميعا وهما حيّان صحيحان ، وٱستولى علىّ على ما لا يَجِبُ له ؛ فما أحارَ(1) علىّ بن موسى نطقا .

حدثنا الرِّياشىّ قال سمعت الأصمعىّ ينشد :

وإنّى لأَغْنَى الناسِ عن مُتَكلِّمٍ * يَرَى الناسَ ضُلَّالًا وليس بمُهتدى

وأنشدنى أيضا الرِّياشىّ :

وعاجزُ الرَّأْى مِضْيَاعٌ لفُرْصَتِه * حتى إذا فات أَمْرٌ عاتبَ القَدَرا

وقال آخر :

إذا عُيِّروا قالوا مقاديرُ قُدِّرَتْ * وما العارُ إلّا ماتُجُرُّ المَقَادِرُ

وأنشدنى سَهْلٌ عن الأصمعىّ :

يأيها المُضْمِرُ همًّا لا تَهَمّْ * إنّك إن تُقدَرْ لك الحُمَّى تُحَمّْ

ولو غدوتَ شاهِقًا من العَلَمْ(2) * كيف تَوَقّيك وقد جَفَّ القَلَمْ

وأنشدنى غيرُه :

هِىَ المقاديرُ فلُمْنِى أو فَذَرْ * إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَر

قال أبو يوسف : مَن طَلَب الدِّين بالكلام تَزَنْدَق، ومَن طلب المال بالكِيمْيَاء أفلَس، ومَن طَلَب غرائبَ الحديث كَذَب كان مُسْلِمُ بنُ أبى مَرْيَم — وهو

(1) ما أحار نطقا : ما ردّ جوابا .

(2) العلم : الجبل، والشاهق : ما ٱرتفع منه .

مَوْلًى لبعض أهل المدينة وقد حُمِل عنه الحديثُ — شديدًا(١) على القَدَرِيّة(٢)، عائبًا لهم ولكلامهم، فانكسَرت رِجلُه فتركها ولم يَجْبُرْها . فكُلِّمَ فى ذلك فقال : يَكْسِرها هو وأَجْبُرُها أنا ! لقد عاندته إذًا . قال رجل لهِشَام بن الحَكَم : أَتُرى اللهَ عزّ وجلّ فى فضله وكَرَمه وعَدْله كَلَّفَنَا ما لا نُطيق ثم يُعَذِّبنا ؟ فقال هِشام : قد واللهِ فَعَلَ ، ولكننا لانَسْتَطيع أن نتكلّم .

حدّثنى رجلٌ من أصحابنا قال : صاحَبَ رجلٌ من القَدَرِيّة مَجُوسيًّا فى سَفَر فقال له القَدَرِىّ : يا مجوسىّ ، مالك لا تُسْلِم ؟ قال : حتى يَشَاء(٣) الله ! قال : قد شاء اللهُ ذلك ، ولكنّ الشيطانَ لايَدَعُك ، قال المجوسىّ : فأنا مع أقواهما .

اجتمع أبو عَمْرو بن العَلَاء وعمرو بن عُبَيد فقال عمرو : إن الله وَعَدَ وَعْدًا وأَوْعَد إيعادا وإنه مُنْجِزٌ وعْدَه ووعيدَه . فقال له أبو عَمْرو : أنت أَعْجَم ! لا أقولُ إنك أَعْجَمُ اللسان ، ولكنك أعجم القَلْب ! أما تعلم ، وَيْحَكَ ! أن العرب تَعُـدُّ إنجاز الوَعْد مَكْرُمة ، وتَرْكَ إيقاع الوعيد مَكْرُمة؟ ثم أنشده :

وإنّى وَإنْ أَوْعدْتُه أو وعَدْتُه * لَمُخْلِفُ إيعادى ومُنْجِزُ مَوْعدى(٤)

(١) فى الأصل : « تشديدا » . (٢) القدرية — محرّكة — جاحدو القدر، وهى كلمة مولّدة . قال بعض متكلميهم : لا يلزمنا هـذا اللقب لأننا ننفى القدر عن الله عزّ وجلّ ومن أثبته فهو أولى به . قال الأزهرى : وهذا تمويه منهم لأنهم يثبتون القـدر لأنفسهم ، ولذلك سموا قدرية (راجع شرح القاموس) . (٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) « إن أذن الله على ذلك كان » وقد وردت هـذه المسألة فى حديث جرى بين عمرو بن عبيد وبين مجوسى ركب معه سفينة بصيغة تخالف بعض المخالفة ما هنا وما فى العقد الفريد (راجع ص ٥١ من المجموعة رقم ٣٥٢ توحيد بدار الكتب المصرية) .

(٤) عبارة كتاب المنيـة والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل (ص ٧ ؛ طبـعة دائرة المعارف النظاميـة بحيـدرآباد) وروى أن أبا على [الجبائى] ناظر بعضهم فى الإرجاء وأبو حنيفة والزبير حاضران فقال أبو حنيفة : إنّ أبا عمرو بن العلاء لقى عمرو بن عبيد فقال له : يا أبا عثمان ، إنك أعجمىّ ، ولست بأعجمى اللسان ، ولكنك أعجمىّ الفهم ، إن العرب اذا وعدت أنجزت واذا أوعدت أخلفت ؛ وأنشد = :

حبيب بن الشهيد قال : قال إياسُ بن معاوية[1] : ما كلَّمتُ أحدًا بعَقْلى كلِّه إلا صاحبَ القَدَر[2] ؛ قلت : ما الظلمُ فى كلام العرب ؟ قال : هو أن يأخُذ الرجلُ ما ليس له ؛ قلت : فإن الله له كلّ شىء .

وفى كتاب للهند : اليقينُ بالقَدَر لا يَمنعُ الحازمَ توَقِّىَ المهالك ، وليس على أحدٍ النّظرُ فى القَدَر المُغَيَّب ، ولكن عليه العمل بالحَزْم ، ونحنُ نجمعُ تصديقا بالقدَر وأخْذًا بالحَـزْم .

حدّثنى خالد بن محمد الأَزْدىّ قال حدّثنا شَبَابَةُ بنُ سَوَّار قال : سَمِعتُ رجلا من الرافضة[3] يقول : رحِمَ الله أبا لُؤْلُؤَةَ ! فقلت : تَتَرَحّم على رَجُلٍ مَجُوسىّ قتل عُمَرَ ابنَ الخَطّاب رضى الله عنه ! فقال : كانت طعنتُه لعُمَر إسلامَه .

= و إنى وإن أوعدته الخ البيت ، فقال أبو على : إن أبا عثمان أجابه بالمسكت ، قال له : إن الشاعر قد يكذب و يصدق ، ولكن حدّثنى عن قول الله تعالى عز وجل : (لَأَملأَنَّ جهنّمَ من الجِنّة والناس أجمعين) إن ملأَها أتقول صدق ؟ قال : نعم ، قال : فإن لم يملأْها أفتقول صدق ؟ فسكت أبو حنيفة . (١) هو الذى يُضرب به المثل فى الذكاء ، توفى رحمه الله سنة ١٢٢ هـ . (٢) عبارة العقد الفريد : « كلّمت الفِرَق كلها ببعض عقلى ، وكلمت القَدَرىّ بعقلى كلِّه ، فقلت له : دخولك فيما ليس لك ظلم منا . قال : نعم ، قلت : فان الأمر كله لله »

(٣) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علىّ ثم قالوا له : تَبَرّأْ من الشيخين ، فأبى وقال : كانا وزيرَىْ جدّى . فتركوه ورفضوه ؛ قال عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ فى كتابه «الفرق بين الفرق» (ص ٢٥ طبع مطبعة المعارف بالقاهرة) ما نصه : « كان زيد بن علىّ قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والى العراق وهو يوسف بن عمر الثقفى عامل هشام بن عبد الملك على العراقين ، فلما استحرّ القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفى قالوا له : إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك فى أبى بكر وعمر اللذين ظلما جدّك علىّ بن أبى طالب ، فقال زيد : إنى لا أقول فيهما إلا خيرا ، وما سمعت أبى يقول فيهما إلا خيرا ، وإنما خرجت على بنى أمية الذين قاتلوا جدى الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ، ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم : رفضتمونى ، ومن يومئذ سموا رافضة » .

حدثنى أحمدُ بن الخليل قال حدّثنا الأصمعىّ قال أخبرنى عاصم بن محمد العُمَرىّ قال: كنتُ جالسًا عند أميرٍ من أُمراء المدينة فأُتِىَ برجلٍ شَتَمَ أبا بكر وعُمَرَ فأسلمه حجّاما حتى حَذِقَ .

وقال بعضُ شعراء الرافضة(١) فى محمد بن الحَنَفِيّة(٢) :

ألا قُلْ للوَصِىّ فَدتْك نفسى * أطلْتَ بذلك الجَبَـلِ(٣) المُقاما
أضَرَّ بمَعْشرٍ وَالَوْكَ(٤) منّا * وسَمَّوْك الخَلِيفةَ والإمَاما
وعَادَوْا فيك أهلَ الأرْض طُرًّا * مُقامك عنهمُ ستين عاما
وما ذاق ٱبنُ خَوْلةَ طَعْمَ موتٍ * ولا وَارتْ له أرضٌ عظاما
لقد أمسى بمُورِقِ(٥) شِعْبِ رَضْوى * تُراجعه الملائكةُ الكلاما(٦)

وقال كُثَيِّرُ عَزّة فيه وكان رافضيّا يقول بالرَّجْعة :

ألَا إن الأئمة من قُرَيشٍ * وُلَاةُ الحَقّ أربعةٌ سَواءُ
علىٌّ والثلاثةُ من بَنِيهِ * هُمُ الأسباطُ ليس بهم خَفَاءُ
فسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبِرٍّ * وسِبْطٌ غَيّبَتْهُ كَرْبَلاءُ

---

(١) هو السيد الحِمْيَرىّ ، كما ذكر صاحب الأغانى (راجع ج ٨ ص ٣٢ طبعة بولاق) . (٢) هو أبو القاسم محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، والحنفية أمه ، وهى خولة بنت جعفر بن قيس ، وقيل بل كانت من سبى اليمامة وصارت الى علىّ ، وقيل بل كانت سندية سوداء وكانت أمة لبنى حنيفة ولم تكن منهم ، الى آخر ما ذكر ابن خلكان ؛ توفى رحمه الله فى أوّل المحرّم سنة ١٨١ هـ وقيل ١٨٣ هـ ودفن بالبقيع ، وقيل دفن ببلاد أَيْلَة . (٣) هو جبل رضوى ، وكان قوم من القائلين بإمامة محمد بن الحنفية يزعمون أنه حىّ لم يمت وأنه فى جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من عسل يأخذ منهما رزقه ، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه الى وقت خروجه (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٧) .

(٤) كذا فى الأغانى (ج ٨ ص ٣٢) والفرق بين الفرق (ص ٣٠) . وفى الأصل : «واروك» .

(٥) كذا فى الأصل ، ومثله فى الأغانى (ج ٨ ص ٣٢) وفى الفرق بين الفرق : « بجرى » .

(٦) فى الأصل «الكراما» وما أثبتناه عن الأغانى .

وسِبْطٌ لايَذُوقُ الموتَ حتّى * يَقُودَ الخيلَ يَقْدُمها اللّواءُ
تغيَّب — لايُرَى — عنهم زمانا * بِرَضْوَى عنده عَسَلٌ وماءُ

وهم يذكرون أنه دخل شِعْبا باليمن فى أربعين من أصحابه فلم يُرَ لهم أثر .

قال طلحة بن مُصرِّف لرجل : لولا أنى على وُضوء لأخبرتُك بما تقول الشِّيعة .

قال هارون بن سعد العِجْلىّ وكان رأْسَ الزّيدية :

ألم تَرَ أن الرافضين تفرّقوا * فكلُّهُمُ فى جعفرٍ قال مُنْكَرَا
فطائفةٌ قالوا إلهٌ[1] ومنهمُ * طوائفُ سمّتْهُ النبىَّ المُطَهَّرَا
فإن كان يَرضَى مايقولون جعفرٌ * فإنّى إلى ربّى أُفارِق جَعْفَرَا
ومن عَجَبٍ لم أَقْضِه جِلْدُ جَفْرِهم[2] * بَرِئتُ الى الرحمن ممن تَجَفَّرا
بَرِئت الى الرحمن من كل رافضٍ * بَصيرٍ بباب الكُفْر، فى الدين أعورا
إذا كَفَّ أهلُ الحق عن بِدْعة مَضَى * عليها وإن يَمْضُوا على الحق قَصَّرا
ولو قال إنّ الفيلَ ضَبٌّ لصدّقوا * ولو قال زِنْجِىٌّ تحوّل أحْمَرَا
وأخْلَفُ من بَوْلِ[3] البَعِير فإنّه * إذا هو للإقبال وُجِّه أَدْبَرا
فقُبِّحَ أقوامٌ رَمَوْه بفِرْيةٍ[4] * كما قال فى عيسى الفِرَى من تَنَصَّرا

(١) فى الأصل «إمام» وما أثبتناه عن كتاب «الفرق بين الفرق» ويستأنس له بماجاء فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى (ص ١٣٦) طبع ليبسج سنة ١٩٢٣ م : «زعم أبو الخطاب (محمد بن أبى زينب الأجدع) أن الأئمة أنبياء ثم آلهة وقال بآلهية جعفر بن محمد وآلهية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه» .

(٢) فى كتاب «الفرق بين الفرق» (ص ٢٣٩) «ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفرا الصادق قد أودعهم جلدا فيه علم كل ما يحتاجون إليه من الغيب وسموا ذلك الجلد جفرا، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم» اهـ .

(٣) فى الأصل «قول» ولعله تحريف من الناسخ .

(٤) وفى الأصل «بقرية» وهو تحريف .

سمعت بعضَ أهلِ الأدب[(١)] يقول : ما أشبهَ تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل للشِّعْر، فإنه قال يوما : ما سمعتُ بأكذَبَ من بنى تميم ! زعموا أن قولَ القائل :

بَيْتٌ، زُرَارةُ مُحْتَبٍ[(٢)] بِفِنَــائه * ومُجَاشِعٌ وأبو الفوارسِ نَهْشَلُ

إنما هو فى رجال منهم ؛ قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيت بيت الله ، وزُرارة الحجر[(٣)]؛ قيل له : فمجاشع ؟ قال : زمزم جَشِعت بالمـاء؛ قيل له : فأبو الفوارس؟ قال : أبو قُبَيْس؛ قيل : فنهشل ؟ قال : نهشل أشـدّ، وفكَّر ساعةً ثم قال : نعم، نهشل ! مِصباح الكعبة طويلٌ أسودُ فذاك نهشل ! .

قال أعشى هَمْدَان يذكُر قتلَ الرافضةِ الناسَ :

إذا سِرْتَ فى عِجْل فسِرْ فى صحابة * وكِنْدَة فاحذرْها حِذَارَك للخَسْفِ

وفى شـيعة الأعمى زِيادٌ[(٤)] وغِيلَةٌ[(٥)] * ولَسْبٌ وإعمـال لجندلة القَذْفِ

الأعمى هو المُغيرة . وزياد يعنى الخَنْق . واللَّسْب : السمّ؛ وإعمال لجَنْدلة القذف: يريد رَضْخهم رءوسَ الناس بالحجارة . ثم قال :

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠) وردت هذه العبارة باختلاف فى كثير من الألفاظ نثبتها هنا لوضوحها ، ونصها : «قال الشعبىّ : ما شبهت تأويل الروافض فى القرآن إلا بتأويل رجل مضعوف من بنى مخزوم من أهل مكة وجدته قاعدا بفناء الكعبة ، فقال للشعبى : ما عندك فى تأويل هذا البيت ؟ فإن بنى تميم يغلطون فيه يزعمون أنه مما قيل فى رجل منهم وهو قول الشاعر (ورواه هكذا) :

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

(وظاهر تحريفه) فقلت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هـذا البيت ، وأشار بيده الى الكعبة . وزرارة : الحجر زرّر حول البيت ؛ فقلت له : فمجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء . قلت : فأبو الفوارس؟ قال : هو أبو قبيس جبل مكة . قلت : فنهشل ؟ ففكر فيه طويلا ثم قال : أصبته ، هو مصباح الكعبة طويل أسود وهو النهشل» . (٢) الاحتباء هو أن يضم الإنسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليها . (٣) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل « الحجى » وهو تحريف . (٤) فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٢٩) «خناق» . (٥) يقال : قتله غيلة إذا خدعه فذهب به الى موضع فقتله .

وكلّهم شرّ على أنّ رأسهم (١) * حميدة (٢) والميلاء (٣) حاضنة الكِسْف

والكِسْفُ هذا هو أبو منصور (٤)، سُمّى بذلك لأنه قال لأصحابه: فىّ نزل: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ وكان يَدين بخَنْق الناس وقَتْلِهم. ثم قال:

متى كنتَ فى حَيّ بَجِيلةَ فاستمِعْ * فإنّ لهم قَصْفا يدُلّ على حَتْف

كان المغيرة بَجَليًّا مولًى لهم

إذا ٱعترموا (٥) يوما على قتل زائرٍ * تداعَوْا عليه بالنُّباح وبالعَزْف

وكان ٱبن عُيينة يُنشد:

إذا ما سرّك العيشُ (٦) * فلا تأخُذ على كِنْدَهْ

يريد أن الخنّاقين من المنصورية أكثرُهم بالكوفة من كِنْـدة، منهم أبو قُطْبة (٧) الخنّـاق.

---

(١) فى الأصل «رأس» وما أثبتناه عن كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٣٠). (٢) حميدة كانت من أصحاب ليلى الناعطية ولها رياسة فى الغالية (الفرقة الرابعة من مذهب الشيعة) والغالية هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية. (راجع الملل والنحل ص ١٣٢ طبع ليبسج، والحيوان ج ٦ ص ١٣٠؛ ومفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٣٠ طبع أوربا).

(٣) الميلاء حاضنة أبى منصور العجلىّ صاحب المنصورية الذين استحلوا خنق مُخالفيهم. (٤) هو أبو منصور العجلىّ أحد الذين ٱدّعوا الإمامة، وزعم أنه عرج به الى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له: يا بنىّ، انزل فبلّغ عنى؛ ثم أهبطه الى الأرض، فهو الكسف الساقط من السماء. وقد وقف يوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته فأخذه وصلبه (راجع الملل والنحل ص ١٣٦). (٥) قال صاحب كتاب الحيوان: (ج ٦ ص ١٣٠): «وذلك أن الخناقين لا يسيرون إلا معا ولا يقيمون فى الأمصار إلا كذلك؛ فإذا عزم أهل دار على خنق إنسان كانت العلامة بينهم الضرب على دُفّ أو طبل على ما يكون فى دور الناس، وعندهم كلاب مرتبطة، فإذا تجاوبوا بالعزف ليختفى الصوت ضربوا تلك الكلاب فنبحت، وربما كان منهم معلّم يؤدّب فى الدرب، فإذا سمع تلك الأصوات أمر الصبيان برفع الهجاء والقراءة والحساب» اه. (٦) فى كتاب الحيوان «تمرر».

(٧) كانت دار أبى قطبة الخنّاق بالكوفة فى كندة وقد قتل وصلب (راجع الحيوان ج ٦ ص ١٢٩).

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ عن ابن أبى زائدة قال : قال هِشَام بنُ القاسم : أخذ خالد[1] بنُ عبد الله المُغِيرَةَ فقتله وصَلَبَه بوَاسِط[2] عند مَنْظَرة[3] العاشر، فقال الشاعر :

طال التَّجاوُرُ من بَيَانٍ[4] واقفًا ＊ ومن المُغِيرة[5] عنـد جِذْعِ العَاشِرِ

ياليتـه قد شال جِذْعا نَخْـلَةٍ ＊ بأبى حنيفة وابن قَيْس الناصر

وبيان هذا هو بيان التَّبَّان[6] وكان يقول : إلىّ أشار اللهُ إذ يقول : ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ وهو أوّل من قال بخَلْق القرآن .

---

(١) فى الأصل «خلف» وظاهر أنه تحريف (راجع الطبرى ص ١٦١٩ — ١٦٢١ ج ٦ من القسم الثانى طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٩ م ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م ، والكامل للمبرّد ج ١ ص ٢٠ طبع ليبسج سنة ١٨٦٤ م) .

(٢) واسط : اسم مدينة بالعراق اختطها الحجاج بن يوسف فى سنتين .

(٣) المنظرة : الموضع الذى ينظر منه وقد يغلب هذا على المواضع العالية التى يشرف منها على الطريق وغيره ؛ اتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط ، وكان اذا دخّن أهل قزوين دخّنت المناظر إن كان نهارا وإن كان ليلا أشعلوا نيرانا (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٨٦ طبع ليبسج) .

(٤) هو بيان بن سمعان التميمىّ الذى زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان فى أعضائه وأنه يَفْنى كلّه إلا وجهه ، وتأوّل على زعمه قوله تعالى : (كلّ شىء هالكٌ إلا وَجْهَه) وقوله تعالى : (كلُّ مَنْ عليها فانٍ ويَبْقَى وجْهُ رَبِّك) وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم ، وأنه يهزم به العساكر ، وأنه يدعو به الزُّهَرة فتجيبه ، رُفع خبره الى خالد بن عبد الله القسرىّ فى زمان ولايته فى العراق فاحتال عليه حتى ظفر به وصلبه سنة ١١٩ هـ وقال له : ان كنت تهزم الجيوش بالاسم الذى تعرفه فاهزم به أعوانى عنك (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ — ٢٢٨ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م) .

(٥) هو المغيرة بن سعيد العجلىّ زعم أنه هو المهدىّ المنتظر، وزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة ، وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء ؛ سمع خالد بن عبد الله القسرىّ بخبره وضلالاته فطلبه وقتله سنة ١١٩ هـ (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٣١ والملل والنحل ص ١٣٤ والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م) .

(٦) التبّان : بائع التبن .

وأما المغيرة فكان مَوْلًى لبَجِيلَة وكان سَبَائيًّا[1] وصاحب نِيرَنْجَات[2] . قال الأعمش : قلت للمغيرة : هل كان عليٌّ يُحْيِي المَوْتى؟ فقال : لو شاء لأَحْيَا عاداً وثَمُودَ وقُروناً بين ذلك [كثيرا][3] .

بَلَغَنِي عن أبي عاصِم عن إسماعيلَ بن مُسْلِم المكِّيّ قال : كنتُ بالكُوفة فإذا قوم من جِيرَانِي يُكْثِرُون الدخولَ على رجل، فقلت مَن هذا الذى تدخُلون عليه؟ فقالوا : هذا عليّ بن أبي طالب، فقلت : أَدْخِلُونِي معكم فمضيتُ معهم وخَبأْتُ معي سَوْطًا تحتَ ثِيابِي فدخلْتُ فإذا شيخٌ أَصْلَعُ بَطِين، فقلت له : أنت عليّ بن أبي طالب ؟ فأَوْمَأَ برأسه : أي نعم، فأخرجتُ السَّوْطَ فما زلت أُقَنِّعُه[4] وهو يقول : لتاوى لتاوى، فقلتُ لهم : يا فَسَقَة! عليُّ بن أبي طالبٍ نَبَطِيٌّ[5]! ثم قلتُ له : وَيْلَك ! ما قِصَّتُك ؟

---

(١) فى الأصل « سبابيا » [بباءين موحّدتين بينهما ألف] وفى مفاتيح العلوم للخوارزمى (ص ٣١ طبع أوربا) «السبائية» وكذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧) وشرح القاموس مادة «سبأ» وهم أتباع عبد الله بن سبأ (صاحب السبائية) الذى غلا فى علىّ رضى الله عنه، وزعم أنه كان نبيا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا الى ذلك قوما من غواة الكوفة، وذهب بعضهم فى علىّ مذهب النصارى فى المسيح؛ وفيهم يقول السَّيِّدُ الحِمْيَرِيّ :

قوم غلَوْا فى علىّ لا أبالهمُ * وأجشموا أنفسا فى حبه تعبا
قالوا هو الإبن جل الله خالقنا * من أن يكون له ابن أو يكونَ أبا

رُفع خبرهم الى علىّ رضى الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم فى حُفْرتين حتى قال بعض الشعراء فى ذلك :

لترم بى الحوادث حيث شاءت * إذا لم ترم بى فى الحفرتين

ثم إن عليا رضى الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليه فنفى ابن سبأ الى سباط المدائن (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والملل والنحل ص ١٣٢ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧) .   (٢) النيرنجات : [illegible] ليست بحقيقته إنما هى تشبيه وتلبيس (معرّبة) .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧)

(٤) يقال : قنّع رأسه بالسوط : علاه به .

(٥) النَّبَطِيّ نسبة الى النبط وهم قوم من الأعاجم ينزلون سواد العراق .

قال : جُعِلتُ فِدَاك ، أنا رجلٌ من أهل السَّوَاد[(١)] أخذنى هؤلاء فقالوا : أنت علىّ ابن أبى طالب .

حدّثنى رجل من أصحاب الكلام قال : دخل هِشامُ بن الحَكَم[(٢)] على بعض [الولاة][(٣)] العباسيين فقال رجل للعباسىّ : أنا أُقَرِّر هشاما بأنّ عَلِيًّا كان ظالما ، فقال له : إن فعلتَ ذلك فلك كذا ؛ فقال له : يا أبا محمد ، أما علمتَ أن عَلِيًّا نازع العبَّاسَ الى أبى بكر؟ قال : نعم ، قال : فأيُّهما كان الظالم لصاحبه ؟ فتوقَّف هِشامٌ وقال : إن قلتُ العباسَ خِفتُ العباسىّ[(٤)] ، وإن قلت عَلِيًّا ناقضتُ قولى ، ثم قال : لم يَكُن فيهما ظالمٌ ، قال : فيختصم آثنان فى أمر وهما مُحِقّان جميعا ؟ قال : نعم ، آختصم المَلَكان[(٥)] الى دَاوُدَ وليس فيهما ظالمٌ إنّما أرادا أن يُنَبِّهاه على ظُلْمه ، كذلك آختصم هذان الى أبى بكر ليُعَرِّفاه ظُلْمَه [فأسكتَ الرجلَ وأمرَ الخليفةُ لهشام بصِلَة][(٦)] .

قال حسّان بن ثابت فى النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما :

ثـــلاثةٌ بَرَّزُوا بسَـــبْقِهِمُ * نَضَّرهم[(٧)] ربهـــم إذا نُشِروا[(٨)]
عَاشُـــوا بلا فُرْقَةٍ حياتَهُـــمُ * وآجتمعوا فى المات إذْ قُبِرُوا
فليس مِن مُسْلِم له بَصَرٌ * يُنْكِرُ من فَضْلِهم إذا ذُكِرُوا

(١) السواد : قرى العراق . (٢) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد بآختلاف فى بعض الكلمات لا يخرجه عن المعنى المراد هنا (راجع ج ١ ص ٢٧٠) . (٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٤) فى العقد الفريد « الخليفة » . (٥) الملكان هما اللذان بعثهما الله تعالى الى داود عليه السلام فى صورة إنسانين ؛ وهــذه القصة وردت فى القرآن الكريم فى سورة «ص» فى قوله تعالى : (إنّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً . الآية) وشرحها المفسرون . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٧) نضّرهم ربهم : نعّمهم وحسّنهم . (٨) هذه الأبيات لم ترد فى ديوانه المطبوع بمدينة ليدن سنة ١٩١٠ م ولا فى ديوانه المخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش ولا فى ترجمته بالأغانى (ج ٤ ص ٢ — ١٧ طبع بولاق) ولا فى كتب الأدب التى تحت أيدينا .

وقال أعرابيّ لعَبْد الله بن عُمَر :

إليكَ ٱبنَ خيرِ الناسِ إلّا محمدًا * وإلّا أبا بكرٍ نَرُوحُ ونَغْتَدِى

وقال أبو طالب فى سُهَيل بن بيضاء، وكان أُسِرَ فأطلقه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بغير فِدَاء، لأنه كان مُسْلِما مُكْرَهًا على الخروج :

وهم رَجعُوا سَهْلَ بنَ بَيْضاءَ راضياً * وسُرَّ أبو بَكْرٍ بها ومُحمَّدُ

وقال عُبَيد الله بن عمر :

أنا عُبيدُ الله يَنْمِينِي عُمَرْ * خيرُ قُرَيْشٍ مَن مَضَى ومَنْ غَبَرْ
بعدَ رسولِ الله والشَّيْخِ الأَغَرّ * مَهْلًا عُبيدَ الله فى ذاك نَظَرْ

وقال حَسّان بن ثابت يَرْثِى أبا بكرٍ رَضِىَ الله عنه :

إذا تَذَكَّرتَ شَجْوًا من أخِى ثِقَةٍ * فاذْكُرْ أخاك أبا بكرٍ بما فَعَلا
خيرَ البَرِيَّة أتْقاها وأَعْدَلَها * بعدَ النبيّ وأوفاها بما حَمَلا
والثانِىَ الصادِقَ المحمودَ مَشْهَدُه[1] * وأوّلَ الناس منهم صَدَّقَ الرُّسُلَا
وكان حِبَّ رسولِ الله قد عَلِمُوا * من البرية لم يَعدِل به رَجُلا[2]

حدّثنى مِهْيَار الرازىّ قال : قال جريرُ بنُ ثَعْلَبة : حَضَرتُ شيطانا مَرّةً فقال : ارْفُقْ بِى فإنّى من الشِّيعة ، فقلتُ : فمَن تَعرِف من الشيعة ؟ قال : الأعمش ، فخَلّيتُ سَبِيلَه . قال أبو هريرة العِجْلِيّ لمحمد بنِ علىّ بنِ الحُسَين عليهم السلام :

أبا جَعْفَرٍ أنت الوَلِىُّ أُحِبُّه * وأَرْضَى بما تَرْضَى به وأُتابِعُ
أتتْنا رِجالٌ يَحْمِلون عليكُمُ * أحاديثَ قد ضاقتْ بهنّ الأضالِعُ
أحاديثَ أفشاها المُغِيرَةُ فيهمُ * وشَرُّ الأُمورِ المُحْدَثاتُ البَدائِعُ

(١) ورد فى الأصل «الثانى التالى ... الخ» وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع وكذا المخطوط .

(٢) لم يرد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ولا المخطوط وورد فيهما بدله هذا البيت :

عاش حميدا لأمر الله متبعا * بهدى صاحبه الماضى وما ٱنتقلا

حدّثنى هارونُ بنُ موسى عن الحسن بن موسى الأشْيَب عن حمّاد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال عُمَرُ بن عبد العزيز : مَن جَعَل دِينَـه غَرَضًا للخُصومات أكثَرَ التنقُّل . قال :

ماضَرَّ مَن أصبح المأمونُ سائِسَهُ * إن لم يَسُسْه أبو بَكْرٍ ولا عُمَـرُ

الردّ على المُلحدين

قال بعض المُلْحدين لبعض أصحاب الكلام : هل من دَليلٍ على حُدوث[1] العَالَم؟ [قال : الحركة والسكون][2] فقال : الحَرَكةُ والسُّكون من العَالَم ، فكأنّك إذا قلتَ : الدليلُ على حُدُوث العَالَم العَالَمُ ، فقال له : وسُؤالُك إيّاىَ من العَـالَم ، فإذا جئتَ بمسئلة من غير العالم جئتُك بدليل من غير العالم .

قال المأمونُ لثَنَوِيٍّ[3] يُناظر عنده : أسألُك عن حرفين قط[4] ، خبِّرنى : هل نَدِمَ مُسِيءٌ قَطُّ على إساءته ؟ قال : بَلَى ، قال : فالنَّدَمُ على الإساءة إساءةٌ أو إحسانٌ ؟ قال : بل إحسان ، قال : فالذى نَدِم هو الذى أساء أو غيرُه ؟ قال : بل هو الذى أساء ، قال : فأرى صاحبَ الخير هو صاحبَ الشرّ ، وقد بطل قولُكم ، إنّ الذى ينْظُر نَظَر الوعِيد هو الذى ينظُر نَظَر الرحمة ، قال : فإنى أزعم أنّ الذى أساء غيرُ الذى نَدِم ، قال : فنَدِمَ على شىء كان من غيره أو على شىء كان منه؟ فأسْكَته .

---

(١) فى الأصل «حدث» . (٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) الثنوىّ واحد الثنوية وهم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه ، وهؤلاء قالوا بتساويهما فى القدم واختلافهما فى الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح (راجع الملل والنحل ص ١٨٨) .

(٤) كذا فى الأصل . وفى الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ١٤١) « فقط » وعبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «عن حرفين لا أزيد عليهما» .

دخل المُوبَذُ (١) على هِشام بن الحَكَم (٢) فقال له : يا هِشام ، حولَ الدنيـا شيءٌ ؟ قال : لا ، قال : فإن أخرجتُ يدى فثَمَّ شيءٌ يَرُدُّها ؟ قال هِشام : ليس ثَمَّ شيءٌ يَرُدُّك ، ولا شيء تُخْرِج يدك فيه ؛ قال : فكيف أعرِف هذا ؟ قال له : يا مُوبَذُ ، أنا وأنت على طَرَف الدنيـا فقلتُ لك يا مُوبَذُ : إنى لا أرى شيئا ، فقلتَ لى : ولِمَ لا تَرَى ، فقلتُ لك : ليس هاهنا ظلامٌ يمنعُنى ، قلتَ لى أنت : يا هشام إنى لا أرى شـيئا ، فقلتُ لك : ولِمَ لا ترى ؟ قلتَ : ليس ضِياءٌ أنظر به ؛ فهل تكافأت المِلَّتـان فى التناقض ؟ قال : نعم ، قال : فإذا تَكَافَأَتَا فى التناقض لم تَتَكَافَآ فى الإبطال أنْ ليس شيءٌ ؟ فأشار المُوبَذُ بيده أن أَصَبتَ . ودخل عليـه يوما آخَرَ فقال : هما فى القُوّة سَواء؟ قال : نعم ؛ قال : فجَوْهَرُهما واحد؟ قال المُوبَذُ لنفسه — ومَن حضَر يَسْمعُ — إن قلتُ : إنّ جَوْهَرَهُما واحد عادا فى نَعْتٍ واحد ، وإن قلتُ : مُختلِفٌ آختلفا أيضـا فى الهمَم والإرادات ولم يَتفِقا فى الخَلْق ، فإن أراد هذا قصيرا أراد هذا طويلا ؛ قال هِشام : فكيف لا تُسْلِمُ ! قال : هَيْهاتَ ! .

---

(١) المُوبَذُ : فقيهُ الفُرْس وحاكم المَجُوس كقاضى القضاة للمسلمين . (٢) فى الأصل : « هشام بن عبـد الحكم » بزيادة « عبـد » وهو خطأ . وهشام بن الحكم صاحب « الهشامية » كان من مشايخ الرافضة . زعم أن معبوده جسم ذو حدّ ونهاية ، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه مثل عمقه ؛ ولم يُثبت طولا غير الطويل ولا عرضا غير العريض ؛ وقال : ليس ذهابه فى جهة الطول أزيد على ذهابه فى جهة العرض . وزعم أيضا أنه نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها . وزعم أيضا أنه ذو لون وطعم ورائحة ومجسّة ، وأن لونه هو طعمه ، وطعمه هو رائحتـه ، ورائحته هى مجسّته . ثم قال : قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان بأن تحرّك فحـدث مكانه بحركته فصار فيـه ، ومكانه هو العرش . (انظر : الفرق بين الفرق ص ٤٨ — ٥١ والملل والنحل ص ١٤١ — ١٤٢ وكتاب الانتصار فى الرد على ابن الروندى للخياط المعتزلى ص ٦ ، ٤٠ — ٤١ ، ٦٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية ، ومفاتيح العلوم للخوارزمى ص ٢٧) .

وجاءه رجلٌ مُلْحِد فقال له : أنا أقول بالاْثنين وقد عَرَفْتُ إنصافك فلستُ أخاف مُشَاغَبَتَك ؛ فقال هِشامٌ وهو مشغول بثَوْب يَنْشُره ولم يُقْبِل عليه : حَفِظك الله ، هل يَقْـدِر أحدُهما أن يَخْلُقَ شـيئا لا يَسْتَعين بصاحبه عليه ؟ قال : نعم ؛ قال هِشام : فما تَرْجو من اْثنين! واحدٌ خَلَقَ كلَّ شيءٍ أصحّ لك! فقال : لم يُكَلِّمنى بهذا أحدٌ قبلكَ.(١)

قال المأمون لُمرْتَدٍّ إلى النصرانية : خَبِّرْنا عن الشيء الذى أوحَشَك من ديننا بعد أُنسِـك به وآستِيحاشك مما كنتَ عليه ؛ فإن وجدتَ عندنا دَواءَ دائك تعالجتَ به ، وإن أخْطَأ بك الشِّفَاءُ ونَبَا عن دائك الدَّواءُ كنتَ قد أعذرتَ ولم تَرْجع على نفسك بلائمـة ، وإن قتلناك قتلناك بحُكْم الشريعة ، وتَرْجع أنت فى نفسك إلى الاْستبصار والثِّقة وتَعْلم أنك لم تُقَصِّر فى آجتهاد ولم تُفَرِّط فى الدخول من باب الحزم ؛ قال المُرْتَدّ :(٢) أوحشنى ما رأيتُ من كثرة الاْختلافِ فيكم ؛ قال المأمون : لنا آختلافان : أحدُهما كالاْختلاف فى الأذان ، والتكبير فى الجنائز ، والتشهّد ، وصـلاة الاعياد ، وتكبير التشريق ، ووُجُوه القِراءات ، ووجوه الفُتْيا ، وهذا ليس باختلافٍ ، إنمـا هو تخيُّرٌ وسـعةٌ وتخفيفٌ من المِحْنة ، فمن أذَّنَ مَثْنَى وأقام مثنى لم يُخَطِّئْ من أذَّنَ مَثْنَى وأقام فُرَادَى ، ولا يتَعايَرُون بذلك ولا يتَعايبُون ، والاْختلافُ الآخر كنحو آختلافنا فى تأويل الآية من كتابنا ، وتأويل الحَديث مع آجتماعنا على أصـل التنزيل وآتفاقنا على عَيْن الخبر ، فإن كان الذى أوحشك هذا حتى أنكَرْتَ هذا الكتّابَ ، فقد يَنْبَغِى أن يكونَ اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل مُتَّفَقًا على تأويله كما يكون متَّفقا على تنزيله ، ولا يكون(٣)

---

(١) ورد فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٥) أن هذه القصة وقعت مع المأمون لا مع هشام بن الحكم.

(٢) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) «قال المأمون للمرتدّ الخراسانىّ الذى أسلم على يديه وحمله معـه الى العراق فارتدّ عن الإسـلام : أخبرنى... الخ » وقد ورد فيه هـذا الخبر بزيادة عن الأصل مع اختلاف فى العبارة .

(٣) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد : «السنة» .

بين جميع اليهود والنصارى آختلافٌ فى شىءٍ من التأويلات ؛ وينبغى لك ألّا ترْجِع إلا إلى لُغَةٍ لا آختلافَ فى تأويل ألفاظها ؛ ولو شاء اللهُ أن يُنْزِلَ كُتُبَه ويَجْعَلَ كلامَ أنبيائِه وورثةِ رُسلِه لا يحتاج إلى تفسيرٍ لَفَعَل ، ولكنّا لم نَرَشيئا من الدّين والدُّنيا دُفِع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمرُ كذلك لسقَطَت البَلْوَى والمحنــةُ ، وذهبت المسابقةُ والمنافسة ولم يكن تفاضلٌ ، وليس على هــذا بَنَى اللهُ الدنيا . قال المرتدّ : أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وأن المَسيحَ عَبْدٌ ، وأنّ محمدا صادقٌ ، وأنك أميرُ المؤمنين حَقًّا .

الإعراب واللحن

حدّثنى أبو حاتم عن الأَصْمَعِىّ قال : سمِعتُ مَوْلًى لآلِ عُمَرَ بنِ الخطّاب يقول : أَخَذَ عبدُ الملك بنُ مَرْوانَ رَجلا كان يَرَى رَأى الخوارج رأى شَبِيب ، فقال له : ألستَ القائل :

ومِنّا سُوَيْدٌ والبَطِينُ وقَعْنَبٌ * ومِنّا أميرُ المؤمنين شَبِيبُ [(١)]

فقال : إنمـا قلتُ : « ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ » بالنصب ، أى يا أميرَ المؤمنين فأمر بتخلية سبيله .

---

(١) هو شبيب بن يزيد الخارجىّ صاحب الشبيبية ، كان من أصحاب صالح بن مسرّح التيمىّ ثم تولى الأمر بعــده على جنده وبايعه أتباعه الى أن خالف صالحا فى شىء واحد وهو أنه مع أتباعه أجازوا إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمورهم وخرجت على مخالفيهم . وزعموا أن غزالة أمّ شبيب كانت الإمام بعــد قتل شبيب الى أن قتلت ؛ وآستدلوا على ذلك بأن شبيبا لمـا دخل الكوفة سنة ست وسبعين هجرية أقام أمّه على منبر الكوفة حتى خطبت .

كان من أهل القوّة البالغة والبأس الشــديد والمعرفة التامة بأمور الحروب ؛ انتصر على جيوش الحجاج الكثيفة وكبار قوّادها بحسن تدبيره ؛ وكان يصيح فى جنبات الجيش فلا يلوى أحد على أحد . وفيــه يقول الشاعر :

إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصــفة والموج يلتطم =

حدّثنى عبدُ الله بن حيّان قال : كتب رَفيع[1] بن سَلَمة المعروف بدَمَاذ إلى أبى عُثْمانَ النَّحْوِىّ :

تَفَكَّرْتُ فى النحو حتّى مَلِلْــتُ * وأتعبتُ نفسى به والبَدَنْ
وأتعبتُ بَكْرًا[2] وأصحابَهُ * بطولِ المسـائلِ فى كلِّ فَنّْ
[فمِن عِلْمِــه ظاهِرٌ بيّنٌ * ومِن عِلْمِهِ غامِضٌ قد بَطَنْ][3]
فكنتُ بظاهِرِه عالِمًا * وكنتُ بباطنه ذا فِطَنْ
خلا أنّ باباً عليــه العَفَا * ءُ للفــاء ياليتَــه لم يَكُنْ
وللواوِ بابٌ إلى جَنْبِـــهِ * من المَقْتِ أَحْسَبُه قد لُعِنْ
إذا قلتُ هـاتوا لمـاذا يُقَـــال لستُ بآتيـك أو تأتِيَنْ[4]
أجيبُوا لمـا قيل هـذا كذا * على النصب قالوا لإضمار أَنْ[5]

= وسويد بن سليم ، والبطين بن قعنب ، وقعنب بن سويد ، كانوا من رؤساء جيش شبيب وقادة جنده وأهل الرأى فيهم . يترلون الى الهيجاء فى شجاعة الأسد ، وبأس الحديد ، ومضاء السيف ، ومروق السهم ، وانقضاض النسر ، والتهاب النار ، مع سعة العلم بتدبير الحروب والتمرن على أعمالها ، وتمام الخبرة بحيلها ومكايدها . (راجع أخبار شبيب والخوارج فى الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣١٧ — ٣٥٠ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٦٩ والعقد الفريد ج ١ ص ٤٤ والفرق بين الفرق ص ٨٩ — ٩٢ وتاريخ الطبرى ج ٣ و ٤ ص ٨٨١ — ٩٧٥ من القسم الثانى طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٥ وملخص تاريخ الخوارج للرحوم الأستاذ الشيخ محمد شريف سليم طبع مصر سنة ١٩٢٤م) .

(١) فى الأصـل : «غسان بن رفيع» وما أثبتناه عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١٨٦) طبع مطبعة دار الكتب المصرية . والكامل للمبرد (ج ١ ص ٢١٤) طبع ليبسج سنة ١٨٦٤م وكنيته «أبو غسان» كما فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .

(٢) فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٨٦) : «يعنى بيكر أبا عثمان المـازنى» فبلغ ذلك المازنى فقال : والله ما أحسب أنه سألنى قط فكيف أتعبنى» . (٣) الزيادة عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١٨٦) .

(٤) رواية القالى فى أماليه : اذا قلت هاتوا لمـا قيل ذا * فلست بآتيك أو تأتين

(٥) رواية القالى فى أماليه : بما نصبوه أبينـوه لى * فقالوا جميعا بإضمار أن

[وما إن رأيتُ لها مَوْضعا * فأعرِفَ ما قيل إلا بِظَنّْ
فقد خِفْتُ يابَكْرُ من طُولِ ما * أُفكِّرُ فى أمرِ «أنْ» أن أُجَنّْ][1]

قال ابنُ سِيرِين : ما رأيتُ على رجل أحسن من فَصاحة، ولا على امرأة أحسن من شَحْم .

وقال ابن شُبْرُمة : إذا سرّك أن تَعظُمَ فى عَيْن مَن كنتَ فى عينه صغيرا، ويَصْغُرَ فى عينكَ من كان فى عينك عظيما فتعلَّم العربيّة ، فإنها تُجْرِيك على المَنْطق وتُدْنيك من السُّلطان . ويقال : النحو فى العِلْم بمنزلة المِلْح فى القِدْر والرَّامِك[2] فى الطِّيب . ويقال : الإعرابُ حِلْيَةُ الكلام ووَشْيُه . وقال بعضُ[3] الشعراء :

النحوُ يَبْسُطُ من لسانِ الألْكَنِ * والمرءُ تُكرِمُه إذا لم يَلْحَنِ
وإذا طلبتَ من العلوم أجَلَّها * فأجَلُّها منها مُقيمُ الألسُنِ

قال رجل لأعرابىّ : كيف أهلِك بكسر اللام ؟ ـ يُريد كيفَ أهلُك ـ فقال الأعرابىُّ : صَلْباً[4]، ظنّ أنه سأله عن هَلَكَته كيف تكون .

وقيل لأعرابىّ : أتَهْمِز إسرائيلَ؟ قال : إنى إذًا لرجلُ سُوءٍ[5]، قيل له : أتَجُرُّ فِلَسْطِين ؟ قال : إنى إذًا لَقَوِىٌّ . وقيل لآخر : أتَهْمِز الفارةَ ؟ فقال : الهِرَّةُ تَهْمِزُها .

وقيل : كان بِشْر المَرِّيسِىّ يقول لأصحابه : قضى الله لكم الحوائجَ على أحسنِ الوجوه وأهنؤُها، فقال قاسم التَّمّار : هذا كما قال الشاعر :

---

(١) الزيادة عن أمالى القالى .

(٢) الرامك : شىء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٣) هو إسحاق بن خلف البهرانى كما فى الكامل للمبرد (ج ١ ص ٢٣٩) . (٤) الصلب : قتلة معروفة وهى أن يشد الرجل من يديه ورجليه على جذع . (٥) «قالوا : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر» . كذا فى كتاب الصاحبى لابن فارس ص ٨ طبعة القاهرة .

إنّ سُلَيْمَى واللهُ يَكْلَؤُهـا * ضَنَّتْ بشيءٍ ما كان يَرْزَؤُها[1]

سمِـعَ أعرابىٌّ مُؤَذِّنا يقول : أشهَدُ أنّ محمدا رسولَ الله بنصب رسول ، فقال : وَيْحَك ! يفعل ماذا ؟ .

قال مَسْلَمَةُ بن عبدِ الملك : اللحنُ فى الكلام أقبحُ من الجُدَرِىّ فى الوجه . وقال عبدُ الملك : اللحن فى الكلام أقبحُ من التفتيق[2] فى الثوب النفيس . قال أبو الأَسْوَد : إنى لأجِدُ للَّحْن غَمْزًا كغَمْزِ اللحم .

قال الخليل بن أحمد : أَنْشدَنى أعرابىّ :

وإنّ كِلابًا هذه عَشْرُ أَبْطُنٍ * وأنتَ برىءٌ من قبائلها العَشْرِ[3]

فجعلتُ أعجَبُ من قوله : عَشْر أَبْطُن حين أنَّثَ لأنه عَنَى القَبِيلة ، فلما رأى عَجَبى من ذلك ، قال : أليس هكذا قول الآخر[4] :

فكان مِجَنِّى دون من كنتُ أَتَّقِى * ثلاثُ شُخُوصٍ كاعِبانِ ومُعْصِرُ[5]

(١) كذا فى العقــد الفريد (ج ١ ص ٢٩٦) وفى المحاسن والأضداد ص ٩ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٩٨ م وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠ طبع مصر ســنة ١٣٣٢ هـ) . ورواية الأصل : ظلمت . وجاء فى العقد بعد هــذا البيت : "وبشر المريسى رأس فى الرأى ، وقاسم التمار متقدّم فى أصحاب الكلام واحتجاجه لبشر أعجب من لحن بشر" . وعبارة المحاسن والأضداد والبيان والتبيين : «فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر» ذلك بأن كلامه كان مضحكا لخلو البيت من الشاهد المراد . (٢) كذا بالعقد الفريد ، والذى بالأصل : «النقش» . (٣) قائل البيت رجل من بنى كلاب يسمى «النواح» كما فى خزانة الأدب (ج ٤ ص ٤٨٤) . (٤) قائل البيت هو عمر بن أبى ربيعة من قصيدة طويلة منها :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنْؤُرُ

(راجع الكامل للمبرد ص ٣٨١ — ٣٨٥) .

(٥) المجن : الترس . والمراد فى هذا البيت قوله «ثلاث شخوص» حيث أنث لأنه يريد بالشخص النفس وكاعبان مثنى كاعب وهى التى يبدو ثديها للنهود ، وكاعبان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هنّ كاعبان ومعصر ، والمعصر هى التى دخلت عصر شبابها و بلغته . (راجع شرح العينى بهامش خزانة الأدب للبغدادىّ ج ٤ ص ٤٨٣) .

قال رجل من الصالحين : لئن أَعْرَبْنا فى كلامنا حتّى ما نَلْحَن لقد لحنّا فى أعمالنا حتّى ما نُعْرِب [١] .

دخل أعرابيٌّ السُّوقَ فسمعهم يَلْحَنُون ، فقال : سبحانَ الله ! يَلْحَنُون ويَرْبَحُون ونحن لا نَلْحَن ولا نَرْبَح ! .

دخل رجل على زيادٍ فقال له : إنّ أَبِينَا هَلَكَ ، وإن أَخِينا غَصَبنا على ميراثنا من أبانا ؛ فقال زياد : ما ضيَّعتَ من نفسك أكثرُ مما ضاع من مالك [٢] .

قال الرِّياشىّ عن محمد بن سلّام عن يُونُسَ قال قال بلالٌ لشَبِيب بن شَيْبَةَ وهو يَسْتَعْدِى على عَبْدِ الأعلى بن عبـد الله بنِ عامرٍ قال : أَحْضِرْنِيه ، قال : قد دعوتُه لكُلُّ ذلك يأبى ؛ برفع كلّ ؛ قال بلال : فالذنبُ لكلّ . قال بعض الشعراء :

إمّا تَرَيْنى وأثوابى مُقَـارِبَةٌ [٣] * ليستْ بخَزٍّ ولا من نَسْجِ كَتّانِ
فإنّ فى المَجْدِ هِمّاتِى وفى لُغَتِى * عُلْوِيَّةٌ ولسانى غيرُ لَحّانِ

وقال فِيلٌ مَوْلَى زيادٍ [٤] لزيادٍ : أَهْدَوا لنا هِمَار وَهْشٍ [٥] ، فقال : ماتقول ؟ وَيْلَكَ ! فقال : أَهْدَوا لنا أَيْراً [٦] ، فقال زياد : الأوّلُ خَيْر .

---

(١) رواية البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٤) : «وقال بعض النساك : أعربنا فى كلامنا فالحن حرفا ولحنا فى أعمالنا فما نعرب حرفا » . (٢) عبارة البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٥ طبع القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) «الذى أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك» . (٣) مقاربة بكسر الراء ، أى ليست بنفيسة . (٤) هو زياد بن أبى سفيان ، كما فى القاموس . (٥) فى الأصل « أهدوا لنا همار جهش » وما أثبتناه عن البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠) ونهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ٣٩٢ طبع دار الكتب المصرية) يريد «أهدوا لنا حمار وحش» وفى نهاية الأرب «احدوا» بابدال الهاء حاء ، وهذا الإبدال يعرف باللكنة وهى عجمة فى اللسان وعىّ . (٦) يريد عيرا وهو الحمار أيا كان أهليا أو وحشيا وقد غلب على الوحشىّ .

سَمِع أعرابىٌّ واليًا يَخْطُب فلَحن مَرّةً أو آثنتين، فقال: أشْهَدُ أنك مَلَكتَ بقَدَر.

وسَمِـع أعرابىٌّ إمامًا يقرأ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [بفتح تاء تنكحوا] فقال: سبحانَ الله! هذا قبلَ الإسلام قبيحٌ فكيف بَعْـدَه! فقيل له: إنه لحَن، والقراءةُ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ فقال: قبّحه اللهُ، لا تجعلوه بعدها إماما فإنّه يُحِلُّ ما حَرّمَ اللهُ. قال الشاعر فى جارية له:

أوّلُ[1] ما أَسْمَعُ منهـا فى السَّحَرْ * تذكيرُها الأُنْثَى وتأنيثُ الذَّكَرْ
* والسَّوْءَةُ السوءاءُ[2] فى ذِكْرِ القَمَرْ[3] *

قال الحجّاج لرجل من العَجَم نَخّاسٍ[4]: أتبيعُ الدّوابَّ المَعيبة من [جُنْدِ][5] السلطان؟ فقال: «شَرِيكاتنا فى هوازها وشَرِيكاتنا فى مداينها وكما تجىء تكون»[6] فقال الحجّاج: ما تقول؟ ففسَّروا[7] له ذلك، فضَحِك وكان لا يضحك.

أَمَّ الحجّاجُ قوما فقرأ ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ وقرأ فى آخرها ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ بنصب أنّ، ثمّ تنبّه على اللام فى الخَبِير وأنّ «إنّ» قبلها لا تكون إلا مكسورة فحَذَفَ اللامَ من الخبير، فقرأ ﴿أَنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ﴾.

قال أبو زيد: قلتُ للخليل بن أحمـد: لِمَ قالوا فى تصغير واصـل أُوَيْصِل ولم يقولوا وُوَيْصِل؟ فقال: كَرِهوا أن يُشَبَّهَ كلامُهم بنبح الكلاب.

(١) رواية البيان والتبيين ونهاية الأرب «أكثر». (٢) السوءة السوءاء: الخلة القبيحة. (٣) لأنها كانت إذا أرادت أن تقول: «القمر» قالت: «الكَمَر» والكمر جمع كمرة وهى حشفة الذكر؛ وهذا الإبدال يعرف باللثغة وهى أن تعدل الحرف الى حرف غيره. (٤) هو أبو الجهير الخراسانىّ النخاس كما فى البيان والتبيين والنخاس: بياع الدّواب والرقيق. (٥) الزيادة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠). (٦) كذا فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠)؛ وفى الأصل: «شريكاتنا فى هواز ومداينها وكما تجى يكون» وقد أثبتنا عبارة البيان والتبيين لوضوحها. (٧) جاء فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠) «فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك. يقول شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها».

التشادُق والغَريب

حدّثني سهلٌ عن الأصمعيّ قال : كان عيسى بنُ عُمَر لا يَدَعُ الإعرابَ لشيء. وخاصم إلى بلال بن أبي بُرْدَةَ في جاريةٍ اشتراها مُصَابَةً، فقال : لَأَن يذهبَ بعضُ حَقّي هذا أحبّ إليه من أن يَلْحَنَ؛ فقال له : ومَن يعلم ما تقول؟ فقال : ابن طرنوبة[١] . وضربه عمرُ بنُ هُبَيْرة ضربا كثيرا في وَديعة أودعها إياه إنسانٌ فطلبها، فما كان يزيد على أن يقول: واللهِ إن كانت إلا أُثَيَّابًا[٢] في أُسَيْفاط[٣] قبَضَها عشّارُوك[٤] .

تَبِعَ أبو خالد النُّميري صاحبُ الغَريب جاريةً مُتَنَقِّبة فكلّمها فلم تُكلّمه، فقال : يا خريدةُ[٥]، لقد كنتِ عندي عَرُوبًا[٦] أَنْمَقُكِ[٧] وتَشْنَئِينا !

وقال سهلُ بنُ هارونَ لجارية له رُوميّة أعجميّة : إن أقلّ ما يَنْطوي عليه ضميري من رَسِيس[٨] حُبّك لأجلّ من كلّ جليل، وأكثرُ من كلّ كثير .

وقال مالك بنُ أسماء في جارية له :

أَمُغَطًّى منّي على بَصَري للـ ـحبّ أم أنتِ أكملُ الناس حُسنا[٩] ؟

---

(١) كذا في الأصل ولم نوفّق الى معرفة هذا الأسم في الكتب التي بين أيدينا . (٢) أُثَيَّاب : جمع ثوب مع تصغير لفظ الجمع . (٣) الأسيفاط : جمع سَفَط بالتحريك وهو الذي يعبّى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . (٤) عشّاروك : جمع عشّار وهو آخذ العشر وجابيه وملتزمه . (٥) الخريدة : الحيية . (٦) العروب : الحسنة التبعل . وقيل المرأة المتحببة الى زوجها . (٧) نمقك : نحبك . وتشنئينا : تبغضينا . وفي الأصل «ولشنينا» وهو تحريف . والتصويب عن الكامل للمبرد (ص ١٨ ؛ طبعة ليبسج) وقد وردت هذه العبارة فيه هكذا : «لقد كنت أحسبك عروبا ، فما بالنا نمقك وتشنئينا ! فقالت : يابن الخبيثة أتجمشني ! » . أي أتغازلني وتلاعبني . (٨) رسيس الحب : بقيته وأثره . (٩) كذا في خطبة هذا الكتاب في المجلد الأوّل من هذه الطبعة ، والبيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) . وفي الأصل هنا :

أيغطى مني على بصري بالـ ـحب أم أنت أكرم الناس حسنا

وحَـــديثٍ أَلَذُّهُ هـــو ممّـــا * يَشْتَهِى النـــاعتون يُوزنُ وَزْنا[1]

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وتَلْحَنُ أحيا * نًا وأَحْلَى الحديثِ ما كان لَحْنـــا

قال ٱبن دُرَيْد : استثقل منها الإعرابَ .

دخل أبو عَلْقَمةَ على أَعْيَن الطبيب فقال له : أَمْتَعَ اللهُ بك ، إنّى أكلت من لحوم هـــذه الجَوَازِلِ[2] فطَسِئْتُ طَسْأةً[3]، فأصابنى وَجَعٌ ما بين الوَابِلة[4] إلى دَأْيَة[5] العُنُق فلم يزل يَرْبُو ويَنْمِى حتى خالط الخِلْبَ[6] والشَّراسِيفَ[7]، فهل عندك دَوَاءٌ ؟ فقال أَعْيَن : نعم، خذ خَرْبَقًا[8] وشلفقا[9] وشِبْرِقًا[10] فزَهْزِقْهُ وزَقْزِقه وٱغْسِلْه بمـــاء رَوْثٍ وٱشربْه ؛ فقـــال أبو عَلْقمة : لم أَفهمْ عنك ؛ فقال أَعْيَن : أفهمتُك كما أفهمتَنى . وقال له يوما آخَرَ : إنى أجد مَعْمَعةً فى بطنى وقَرْقرةً؛ فقال له : أما المعمعةُ فلا أَعرِفها ، وأما القرقرةُ فهى ضُرَاطٌ لم يَنْضَج .

---

(١) كذا بالأصل هنا وفى المقدّمة ، وفى أمالى القالى : «تشتهيه النفوس» وفى البيان والتبيين (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) : «ينعت الناعتون» . (٢) كذا فى الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩). وفى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ١٤ طبعة ليدن) والمحاسن والمساوى للبيهق (ج ٣ ص ٤٧٠ طبعة ليبسج) : «الجوازئ» . والجوازل : فراخ الحمام ، وقيل يعم الجوزل نوع الفراخ . (٣) طسئ : اتخم من الطعام . (٤) الوابلة : طرف العضد فى الكتف . (٥) الدأية : فقرة العنق . (٦) الخلب : حجاب بين القلب وسواد البطن . (٧) الشراسيف : جمع شُرسوف وهو رأس الضلع مما يلى البطن . (٨) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) وفى الأصل : «نرنقا» بالنون والخربق كجعفر : ضرب من الأدوية ونبت كالسم يعشى على آكله ولا يقتله ؛ وقيل : نبات كآذان الحمل أبيض وأسود ينفع الصرع والجنون والبهق والفالج . (٩) هكذا وردت فى الأصل «شلفقا» بالشين والفاء والقاف بعد اللام ولم نقف لها على معنى . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) والمحاسن والمساوى للبيهق «سلفقا» وفى البيان والتبيين : «سفلقا» . (١٠) كذا فى الأصل والعقد الفريد . والشبرق كزبرج : نبت من جنس الشوك إذا كان رطبا فهو شبرق فإذا يبس فهو الضريع . فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٤٢) : «جرفقا» وفى المحاسن والأضداد للجاحظ «سربقا» .

أتى رجلٌ الهيثمَ بنَ العُرْيان بغَرِيم له قد مطَله حقَّه فقال : أصلح الله الأميرَ، إنّ لى على هذا حقًّا قد غلبنى عليه ؛ فقال له الآخرُ : أصلحك الله ، إن هذا باعنى عَنْجدًا[1] وآستنسأتُه[2] حَوْلا وشرطتُ عليه أن أُعطيَه مُشاهرةً[3] فهو لا يلقانى فى لَقَمٍ[4] إلّا آقتضانى ؛ فقال له الهيثمُ : أمن بنى أميّة أنت؟ قال : لا ؛ قال : فمن بنى هاشم ؟ قال : لا ؛ قال : فمن أكفائهم من العرب ؟ قال : لا ؛ قال : وَيْلى عليك ! انْزِع ثيابَه ياجِلْواز[5] ، فلما أرادوا نَزْعَ ثيابِه قال : أصلحك الله ، إنّ إزارى مُرَعْبَل[6] ؛ قال : دعوه ، فلو تَرَك الغريبَ فى وقتٍ لتركه فى هذا الوقت .

ومرّ أبو علقمة ببعض الطُّرُق[7] بالبصرة فهاجت به مِرّةٌ فسقط ووثَب عليه قومٌ فأقبلوا يَعْصِرون[8] إبهامَه ويُؤذِّنون فى أُذُنه ، فأفْلَتَ من أيديهم وقال : ما لكم تَتَكَأْكَئُون[9] علىَّ كما تَتَكأكئون على ذى جِنّة ! افرنْقِعُوا عنّى ؛ فقال رجلٌ منهم : دَعُوه فإنّ شيطانَه هندىٌّ ، أَمَا تسمعونه يتكلّم بالهندية . وقال لحجّام يحجُمه : أُنظُر ما آمرُك به فاصنَعْه ، ولا تكن كمن أُمِر بأمرٍ فضيّعه ، أَنْقِ غسلَ المَحاجِم وآشدُدْ قُضُبَ المَلازِم[10]

---

(١) العنجد كجعفر وقنفذ وجندب : الزبيب .

(٢) استنسأه : سأله أن ينسئه ديه ، أى يؤخره . (٣) فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ١٥) والمحاسن والمساوئ للبيهقى (ج ٣ ص ٤٧٠) : « مياومة » .

(٤) اللقم محرّكة وكصرد : الطريق أو وسطه .

(٥) الجلواز : الشرطى .

(٦) مرعبل : ممزق .

(٧) كذا فى المحاسن والمساوئ للبيهقى والمحاسن والأضداد للجاحظ . وفى الأصل : «الطريق» .

(٨) فى المحاسن والأضداد ، والمحاسن والمساوئ « يعضون » .

(٩) تتكأكئون : تجمعون . افرنقعوا : تفرقوا .

(١٠) الملازم جمع ملزم بكسر الميم : خشبتان مشدود أوساطهما بحديدة تجعل فى طرفها قُؤّاحة (مفتاح معوّج طويل) فتلزم ما فيها لزوما شديدا ، تكون مع الصياقلة والأبّارين ومجلّدى الكتب وغيرهم .

وأَرْهِفْ[1] ظُبَاتِ[2] المَشارِط وأَسْرِع الوَضْعَ[3] وعجِّل النَّزْعَ، ولْيَكُن شرطُك وَخْزًا، ومصُّك نَهْزًا، ولا تُكرِهنّ آبيا، ولا تَرُدّن آتيا؛ فوضع الحجّامُ محاجمه فى جُونته[4] ومضى .

سَمِع أعرابىّ أبا المكنون النحوىّ فى حَلْقته وهو يقول فى دعاء الاستسقاء : اللهم ربَّنا وإلهَنا ومولانا صلّ على محمد نبيِّنا ؛ اللهم ومَن أراد بنا سوءًا فأَحِطْ ذلك السوءَ به كإحاطة القلائد على تَرائب[5] الوَلائد، ثم أَرْسِخْه على هَامَته كرُسُوخ السِّجِّيل[6]، على هَام أصحاب الفيل؛ اللهم اسْقِنا غَيْثًا مُغيثا مَرِيئًا مَرِيعا مُجَلْجِلا[7] مُسْحَنْفِرًا[8] هَزِجًا[9] سَحًّا سَفُوحا طَبَقًا[10] غَدَقًا[11] مُثْعَنْجِرا[12]؛ فقال الأعرابىّ : ياخليفةَ نوح [هذا[13]] الطوفان وربّ الكعبة، دَعْنى آوِى إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنى من الماء .

أبو الحسن قال : كان غلامٌ يُقعِّر[14] فى كلامه، فأتى أبا الأسود الدُّؤلىّ يلتمس ماعنده؛ فقال له أبو الأسود : ما فعل أبوك[15] ؟ قال : أخذته الحُمَّى فطَبَخَتْه طَبْخا وفَضَخَتْه[16]

(١) أرهف : حدّد (٢) ظبات جمع ظبة كثبة، وهى حدّ السيف أو السنان ونحوه . (٣) فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ١٥) والمحاسن والمساوئ للبيهقىّ (ج ٣ ص ٤٧١) : «وخفّف» . (٤) الجونة بضم الجيم : سليلة مغشاة أدما تكون مع العطّارين . (٥) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : «بأعناق» . (٦) السجّيل : حجارة كالمدر، وقيل هو حجر من طين . دخيل معرّب من «سنك وكل» أى حجارة وطين . (٧) المجلجل من السحاب : الذى فيه صوت الرعد . (٨) قال أبو حنيفة : المسحنفر : الكثير الصب الواسع . (٩) الهزج من الهزَج وهو صوت الرعد . (١٠) طبق : تامّ واسع . (١١) الغدق : المطر الكثير . (١٢) المثعنجر : السيل الكثير . وفى الأصل «منعجرا» . (١٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) . (١٤) يقعر فى كلامه : يتشدّق ويتكلّم بأقصى حلقه . (١٥) كذا فى الأصل والبيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١) . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : «وقال أبو الأسود الدؤلى لأبى علقمة : ماحال ابنك ... الخ» . (١٦) فضخته : دقته .

قَضْخًا وفَنَخْتَه[1] فَنْخا فتركته فَرْخا[2]، قال أبو الأسود: فما فعلت امرأته التي كانت تُجارُّه[3] وتُشارُّه وتُزارُّه وتُهارُّه؛ قال: طلقها فتزوجت غيره فرَضِيت وحَظِيت وبَظِيت، قال أبو الأسود: قد عرفنا حظيت[4]، فما بَظِيت[5]؟ قال: حرف من الغريب لم يبلغك؛ قال أبو الأسود: يا ابن أخى، كل حرف من الغريب لم يبلغ عمك فاستُره كما تستر السِّنَّوْرُ خُرْأها.

قال زيد بن كثيرة: أتيتُ بابَ كبير دارٍ وهناك حَدَّادٌ[6]، فأردتُ أن أَلِجَ الدارَ فدَلَظَني[7] دَلْظَةً وادرس الناس عليهم فوالله إن زِلْنا[8] نَظَارِ نَظَارِ[9] حتى عَقَل الظِّلُّ[10]. وقال أيضا: أتيتُ بابَ كبيرٍ وإذا الرجالُ صَتِيتَانِ[11] وإذا أَرْبِدَاءُ[12] كثيرةٌ وطُهَاةٌ لا أُحْصِيهم وجِحَامٌ كأنها آكامٌ. وقال الطائى:

أيوسفُ[13] جئتَ بالعَجَب العجيبِ * تركتَ الناسَ فى شكٍّ مُرِيبِ
سمعتُ بكل داهيةٍ نَآدٍ[14] * ولم أسمع بسرَّاج أديبِ

---

(١) كذا فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٢٠١) وفنخته: أوهنته وأضعفته. وفى الأصل: «فتخته» بالتاء المثناة، ولم نجد لهذه الكلمة فى كتب اللغة معنى يناسب المقام. (٢) الفرخ: الضعيف المنهوك. (٣) تُجارّه: تطاوله. وتُشارّه: تخاصمه. وتُزارّه: تعضه. وتُهارّه: تَهِرّ فى وجهه كما يهِرّ الكلب. (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٢): «وقد علمنا رضيت وحظيت فما بظيت...». (٥) أتى باللفظ «بظيت» إتباعا لحظيت مثل حسن بسن، لأنه ليس فى كلامهم «بظى» أنظر اللسان مادة «بظا». (٦) الحدّاد: البوّاب. (٧) دلظه: دفعه فى صدره. (٨) هذه العبارة واردة فى الأصل هكذا ولم نوفق الى تحقيقها. (٩) نظار مثل قطام: اسم فعل أمر بمعنى انتظر والمعنى: فما زلنا يقال لنا نظار نظار الخ. (١٠) عقل الظل: قام قائم الظهيرة. (١١) صتيتان: فرقتان. (١٢) الأرمداء جمع رماد. (١٣) هو يوسف السراج الشاعر المصرى كما فى ديوان أبى تمام طبع محمد جمال بتعليق محيي الدين الخياط. (١٤) النآد: نعت للداهية أو بدل منها والمراد داهية شديدة.

أَمَا لَوْ أَنّ جهلَكَ كان عِلْمًا * إذًا لنفذتَ[1] فى عِـــلم الغُيوبِ
فـــالَكَ بالغَرِيب يدٌ ولكنْ * تَعَاطِيكَ الغــريبَ من الغَــريبِ

قال رؤبة بن العجّاج : خرجت مع أبى، نُريد[2] سليمانَ بنَ عبد الملك، فلمّا صِرْنا فى الطريق أُهْــدِىَ لنا جَنْبٌ من لَحْم عليــه كَرَافِئُ[3] الشَّحْم وخريطةٌ[4] من كَمْأَةٍ ووطْبٌ[5] من لَبَن فطبَخْنا هذا بهذا، فما زال ذِفْرَيَاىَ[6] تَنْتِحَانِ[7] منــه الى أن رجعتُ . (الكَرَافِئُ : الطبقات، وكذلك كَرافئُ السحاب) .

وصايا المعلّمين

قال عُتبة بن أبى سُفيان لعبد الصمد مؤدِّب ولده : ليكن[8] إصلاحُك بَنِىّ إصلاحَك نفسك، فإن عُيوبَهم معقودةٌ بعَيْبك، فالحسنُ عنــدهم ما ٱستحسنتَ، والقبيحُ ما ٱستقبحتَ؛ وعلِّمهم سِيَرَ الحكماء، وأخلاقَ الأدباء، وتهدّدْهم بى وأدِّبْهم دونى؛ وكن لهم كالطبيب الذى لا يَعْجَل بالدواء حتى يَعْرِفَ الداء؛ ولا تَتَّكِلَنَّ على عُذْرٍ منّى، فإنى قد ٱتّكلتُ على كِفاية منك .

قال الحجّاج لمؤدِّب بنيه : علِّمهم السِّباحة قبل الكتابة، فإنهم يَجِدُون مَنْ يكتُبُ عنهم، ولا يَجِدُون مَن يَسْبَحُ عنهم .

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : «لرسخت» . (٢) كذا فى الكامل للمبرد (ص ١٤٠ طبعة ليبسج سنة ١٨٦٤) وفى الأصــل : « يزيد » . (٣) الخريطة : وعاء من أدم وغيره . (٤) الكمأة : نبات لا ساقله ولا عرق، لونه الى الغبرة، يوجد فى الربيع تحت الأرض، وهو عديم الطعم يؤكل نيئه ومطبوخه . (٥) الوطب : سقاء اللبن . (٦) ذفرياى تثنية ذِفْرَى، وهو العظم الشاخص خلف الأذن . (٧) كذا فى الكامل للمبرد (ص ١٤٠) وتنتحان : ترشحان بالعرق . وفى الأصل «يشبحان» . (٨) وردت هذه العبارة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) بزيادة عما هنا واختلاف يسير فى بعض التراكيب لا يخرجها عن المعنى المراد؛ إلا أنها تنسب فى العقد الفريد لعمرو بن عتبة .

وقال عبد الملك لمؤدّب ولده : علّمهم الصدق كما تُعلّمهم القرآن، وجنّبهم السّفلة فإنّهم أسوأ الناس رِعةً[1] وأقلّهم أدبا، وجنّبهم الحَشَم فإنّهم لهم مَفْسدة، وأَحْفِ[2] شعورَهم تغلُظ رقابهم، وأطعِمْهم اللحمَ يقووا، علّمهم الشّعرَ يمجُدوا وينجُدوا، ومُرْهم أن يَستاكوا عَرْضًا ويَمُصّوا الماء مَصًّا ولا يَعُبّوه عَبًّا؛ وإذا احتجتَ الى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في سِترٍ لا يعلَمُ به أحدٌ من الغاشية فيَهونوا عليه .

وقال آخر لمؤدّب ولده : لا تُخرجهم من عِلم الى عِلم حتى يُحكموه، فإن اصطكاك العلم في السمع وازدحامَه في الوَهم مَضَلّةٌ للفهم .

وكان لشُرَيح ابن يلعَب بالكلاب، فكتب شُرَيحٌ إلى مُعلّمه :

تَرَكَ الصلاةَ[3] لأَكْلُبٍ يَسعى بها * طلبَ[4] الهِراش مع الغُواة الرُّجَّسِ
فإذا خَلَوتَ[5] فعضَّه بملامة * وعظْنه وَعْظَك للأريب الكَيِّسِ
وإذا همَمْتَ بضَربِه فبِدِرّة * وإذا بلغتَ بها ثلاثًا فاحبِسِ
واعلمْ بأنك ما فعلتَ فنفسُه * مع ما يُجَرّعُني أعزُّ الأنفُسِ

وقال آخر لرجل يلعب بالكلاب :

أيها المُبتلَى بحبّ الكلابِ * لا يُحبّ الكلابَ إلا الكذّاب
لو تعرّيتَ وسطها كنتَ منها * إنما فَرقُها بلُبس الثياب[6]

(١) يقال : فلان سيّئ الرعة اذا كان قليل الورع .

(٢) أحفى الرجل رأسه أو شاربه : بالغ فى قصه .

(٣) فى المحاسن والمساوئ للبيهقى (ج ٣ ص ٦٢١) : « الرواح » .

(٤) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « يبغى » .

(٥) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « أتاك » .

(٦) كذا فى الأصل ، وفيه الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى فى الإعراب . ولو ورد هكذا : لا يحب الكلاب غير الكلاب ، لخلا من هذا العيب .

وقال آخر :

لتَبْكِ أبا أحمدٍ قِرْدَةٌ * وكَلْبُ هِرَاشٍ ودِيكٌ صَدُوحُ
وطيرٌ زِجَالٌ وقُمْرِيَّةٌ(١) * هَتُوفُ العَشِيِّ وكَبْشٌ نَطُوحُ

بلغني عن أبي الحسن العُكْلِيّ عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المُزَنِيّ قال : سمعت أبي يقول قال لقمان : ضربُ الوالدِ وَلَدَه كالسَّماد للزرع .

حدّثني محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن أُسامة بن زيد عن مكحول قال : كتب عمر الى أهل الشام : عَلِّموا أولادَكم السِّبَاحةَ والرَّمْيَ والفُرُوسيّة .

وكانت العرب تُسمِّي الرجل ، إذا كان يكتُب ويُحسِن الرَّمْيَ ويُحسِن العَوْم وهي السِّباحة ويقول الشِّعْر، الكاملَ .

البيان

حدّثني عَبْدةُ بن عبد الله قال حدّثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن عِمارة بن عُمَير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن من البيان سِحرًا(٢)" فأطيلوا الصلاةَ وأقصِروا الخُطَبَ . وقال العبّاس : يا رسولَ الله، فيم الجَمَالُ؟ قال : "في اللسان" .

وكان يقال : عَقْلُ الرجل مدفونٌ تحت لسانه .

وقال يزيد بن المُهلَّب : أَكْرَهُ أن يكون عقلُ الرجل على طَرَفِ لسانه، يريد أنه لا يكون عقلُه إلا في الكلام . وقال الشاعر :

(١) القمرية : ضرب من الحمام . (٢) بعض الروايات : «لسحرا» باللام .

كَفَى بالمرءِ عَيْبًا أن تراهُ * له وَجْـهٌ وليس له لسانُ
وما حُسْنُ الرجالِ لهم بزَيْنٍ (١) * إذا لم يُسعِد الحسنَ البيانُ

وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك، فإنه كان يَقْرِى العَيْنَ جَمَالًا، والأُذُنَ بيانا . وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب :

أَعِـذْنِى رَبِّ من حَصَرٍ وعِىٍّ * ومن نفس أُعالِجُها عِلَاجا
ومن حاجاتِ نَفسِى فَاعْصِمَنِّى * فإن لِمُضْـمَرَاتِ النفس حَاجا

وصف أعرابىّ رجلا يتكلم فيُحسِن فقال :

* يَضَعُ الهِنَاءَ مواضِعَ النُّقْبِ (٢) *

ومثلُه قولُهم : فلانٌ يُجِيـد الحَزّ، ويُصِيب المَفْصِل؛ وربما قالوا : يُقِلّ (٣) الحَزّ .

وقال معاوية فى عبد الله بن عبّاس :

إذا قال لم يَتْرُكْ مقالًا ولم يَقِفْ * لِعِىٍّ ولم يَثْنِ اللسانَ على هُجْـرِ
يُصَرِّف بالقول اللسانَ إذا انتحى * ويَنْظُرُ فى أعطافه نَظَرَ الصَّـقْرِ

وقال حسّان فيه :

إذا قال لم يَـتْرُكْ مقـالًا لقـائلٍ * بملتَقَطَاتٍ لا تَرَى بينهـا فَصْـلا

---

(١) كذا فى أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٥ طبعة بولاق) . وفى الأصل : «لها» .

(٢) الهِنَاء : القطران . والنقب : جمع نقبة وهى أوّل ما يبدو من الجرب . أى أنه لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلام ، مثل الطالى الرفيق الذى يضع الهناء مواضع النقب (راجع العقد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

(٣) هـذا وما قبله من الأمثال التى تضرب فى البلاغة ، وذلك أنهم شبهوا البليغ الموجز الذى يقلّ الكلام ويصيب المعانى ، بالجزار الرفيق يقـل حزّ اللحم ويصيب مفاصله (راجع العقد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

شَفَى وكَفَى ما فى النفوس فلم يَدَعْ * لذى إِرْبَةٍ فى القول جِدًّا ولا هَزْلا
سَموتَ إلى العلْيَا بغــير مَشــقّةٍ * فنِلْتَ ذُرَاهَـا لَا دَنِيًّـا ولَا وَغْلا[1]

ويقال : الصمتُ مَنَامٌ والكلام يَقَظَةٌ . ويقال : خير الكلام مالم يُحْتَجْ بعده إلى الكلام .

ذكر العباس بن الحسن الطالبيّ رجلا فقال : ألفاظُه قوالبُ معانيه . ومدح أعرابيّ رجلا فقال : كلامه الوَبْلُ[2] على المَحْل[3]، والعَذْبُ البارِدُ على الظَّمَأ .

وقال الحُطَيئة :

وأخذتُ أقطارَ الكلام فلم أَدَعْ * ذَمًّا يضُرُّ ولا مَــدِيحًا يَنْفَعُ

وكان الحطيئة يقول : إنما شِعْرى حَسَبٌ موضوع ، فسَمِع ذلك عمرُو بن عُبَيْد فقال : كَذَبَ، تَرَّحه الله[4]، إنما ذلك التقوى .

قيل لعمرو بن عُبيد : ما البلاغة؟ فقال : ما بلّغك الجنّة، وعدَل بك عن النار؛ [[5] قال السائل : ليس هذا أُريد؛ قال : فـ]ـما بَصَّرك مواقِـعَ رُشْدك ، وعواقِبَ غَيِّك ؛ قال السائل : ليس هـذا أُريد؛ قال : من لم يُحْسِن الاستماع لم يُحْسِن القول ؛ قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "إنّا مَعْشَر الأنبياء بِكَاءٌ[6]" ، وكانوا يكرهون أن يزيدَ مَنْطِق الرجل على عقله؛ قال : ليس هذا أريد؛ قال : كانوا يخافون[7] من فتنة القول [ومن سَقَطات الكلام مالا يخافون من

(١) فى الأصل : «وعلا» بالعين . وما أثبتناه عن ديوان حسان (ص : ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٠ م) وهو الأنسب للقام؛ والوغل : الضعيف النذل الساقط المقصر فى الأشياء . (٢) الوبل : المطر الشديد . (٣) المحل : الجدب . (٤) ترّحه الله : أحزنه ونغّصه . (٥) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٣) . وفى الأصل : «وما بصرك ...» بالواو عطفا على ما قبله . (٦) بِكَاء جمع بَكِىّ، وهو ما قلّ كلامه خلقة . (٧) كذا فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٢) . وفى الأصل : «يكرهون» .

فتنة السكوت[1]] ومن سَقَطات الصَّمْت، قال : ليس هـذا أريد، قال : فكأنك إنما تريد تخيّر اللفظ فى حسن إفهام [قال : نعم، قال][1] : إنك إن أردت تقرير حُجّة الله فى عقول المكلّفين[2]، وتخفيف المَئُونة على المُستمعين، وتزيين تلك المعانى فى قلوب المُرِيدين، بالألفاظ المُستحْسَنة فى الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبةً فى سُرْعة ٱستجابتهم، ونَفْى الشواغل عن قلوبهم، بالمَوْعِظة الحسنة من الكتاب والسُّنة، كنت قد أُوتِيتَ فصلَ الخِطاب، وٱستوجبتَ على الله جزيلَ الثواب .

قال بعضهم : ما رأيت زيادًا كاسِراً إحْدَى عَيْنيه واضعا إحدى رِجليه على الأخرى يُخاطب رَجُلا إلا رحمتُ المُخاطَب . وقال آخر : ما رأيتُ أحدا يتكلّم فيُحسن إلّا أحببْتُ أن يَصْمُتَ خوفا من أن يُسِيءَ إلّا زيادًا فإنّه كلّما زاد زاد حُسْناً، وقال[3] :

وقبلَك ما أعييتُ[4] كاسِرَ عَينِه ✽ زيادًا فلم تَقْدِرْ[5] علىَّ حَبَائلُه

قال محمد بن سلّام : كان عمرُ بن الخطّاب إذا رأى رجلا يُلَجْلِج فى كلامه قال : خالق هذا وخالق عَمْرو بن العاص واحد ! .

وتكلّم عمرو بن سعيد الأَشْدَق، فقال عبد الملك : لقد رجوتُ عثْرَته لمّا تكلّم، فأحسن حتّى خَشِيت عَثْرَته إن سكت .

---

(١) التكلة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) والعقد الفريد . (٢) فى البيان والتبيين والعقد الفريد : « المتكلمين » . (٣) قائل هذا البيت الفرزدق ، قاله لجرير من قصيدة تقع فى ثلاثة وتسعين بيتا مثبتة فى كتاب النقائض (طبع مدينة « ليدن » سنة ١٩٠٨ م ص ٦٠٠ — ٦٢٩) وبعـد البيت :

فأقسمت لا آتيه سبعين حِجّةً ✽ ولو نشرت عينُ القُباع وكاهلُه

والقُباع : لقب الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى وكان أميرا على البصرة لقبه أهلها به، وذلك أنه مرّ بقوم يكيلون بقفيز فقال : إن قفيزكم لقباع . أى كبير واسع (راجع النقائض ص ٦٠٧) . (٤) لعل « ما » هنا مصدرية أو زائدة . (٥) كذا فى النقائض والبيان والتبيين (ج ١ ص ١١٠) . وفى الأصل : « تعلق » .

أبو الحسن قال: قال معاوية لُصحَار العَبْدىّ: ما هذه البلاغةُ التى فيكم؟ فقال: شىءٌ تَجِيش به صدُورُنا ثم تَقْذِفُه على ألسنتنا؛ فقال رجلٌ من القوم: هؤلاء بالبُسْر(١) أبصرُ؛ فقال صُحَار: أَجَل، والله إنّا لنعلم أنّ الرِّيحَ تُلقحه وأنّ البرد يُعقِده(٢) وأنّ القمر يَصْبغه وأنّ الحرّ يُنْضِجُه؛ فقال معاوية: ما تَعُدُّون البلاغةَ فيكم؟ قال: الإيجاز؛ قال: وما الإيجاز؟ قال: أن تُجيب فلا تُبطِئ، وتقولَ فلا تُخطِئ، ثم قال: يا أمير المؤمنين، حسن الإيجاز ألّا تُبْطِئَ ولا تُخْطِئَ(٣).

أبو الحسن قال: وَفَد الحسن بن علىّ على معاوية الشأمَ، فقال عمرو بن العاص: إنّ الحسنَ رَجُلٌ أَفَهُّ(٤) فلو حملتَه على المِنْبَر فتكلّم فسَمِع الناسُ من كلامه عابُوه؛ فأمره فَصعِد المِنْبَر فتكلّم فأحسن؛ وكان فى كلامه أنْ قال: أيّها الناس، لو طلبتُم ابنا لنبيّكم ما بين جابَرْس(٥) الى جابَلْق(٦) لم تجدُوه غيرى وغيرَ أخى وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. فساء ذلك عَمْرا وأراد أن يَقْطع كلامه، فقال: يا أبا محمّد، هل تَنْعَت الرُّطَبَ؟ فقال: أجل، تُلْقِحُه الشَّمَال وتُخْرِجه الجَنُوب ويُنْضِجه بَرْدُ الليل بحرّ النهار؛ قال: يا أبا محمّد، هل تَنْعَتُ الخِرَاءَة(٧)؟ قال: نعم، تُبعِد المَمْشَى فى الأرض الصَّحْصَح(٨) حتّى

---

(١) كلمة «البسر» مطموسة فى الأصل وآستعنا على معرفتها بما فى البيان والتبيين الذى وردت فيه العبارة هكذا: «فقال له رجل من عرض القوم: يا أمير المؤمنين، بالبسر والرطب أبصر منهم بالخطب... الخ». والبسر: التمر قبل إرطابه وذلك اذا لوّن ولم ينضج. (٢) يعقده: يغلظه.

(٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) بعد قوله فلا تبطئ ولا تخطئ: «أقلنى يا أمير المؤمنين؛ قال: قد أقلتك، قال: لا تبطئ ولا تخطئ. قال أبو حاتم: استطال الكلام الأوّل فاستقال وتكلم بأوجزمنه».

(٤) كذا فى الأصل والعقد الفريد. والأوصاف الخلقية الظاهرة أكثر ما تجىء على «أفعل» والذى فى كتب اللغة أن الوصف من الفهاهة (وهى العىّ فى المنطق): فهّ كضخم وفهيه وفهفه. (٥) جابرس: مدينة بأقصى المشرق. (٦) جابلق: مدينة بأقصى المغرب. (٧) الخراءة بالكسر: التخلى والقعود للحاجة. (٨) الصحصح بصادين مهملتين: ما آستوى من الأرض مع الآتساع. وفى الأصل: «الضحضح» بضادين معجمتين.

نتوارى من القوم، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، ولا تستنجى بالروثة ولا العظم، ولا تبول فى الماء الراكد، وأخذ فى كلامه.

وكان يقال: كل شىء ثنيته يقصر ما خلا الكلام، فإنك كلما ثنيته طال. قال الحسن: الرجال ثلاثة: رجلٌ بنفسه، ورجلٌ بلسانه، ورجلٌ بماله.

تكلم صعصعة بن صوحان عند معاوية فعرق؛ فقال معاوية: بهرك القولُ! فقال صعصعة: إن الجياد نضاحة للماء.

ويقال: أبلغ الكلام ما سابق معناه لفظه.

وفى كتاب للهند: أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش(١)، ساكن الجوارح قليل اللحظ متخيرا للفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون فى قواه فضلٌ للتصرف فى كل طبقة، ولا يدقق المعانى كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية [ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما](٢) ويكون قد تعود(٣) حذف فضول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ، قد نظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفح.

ونحو هذا قول جعفر بن يحيى البرمكى وقيل له: ما البيان؟ فقال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويحكى(٤) عن مغزاك، وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكر، والذى لابد(٥) له منه أن يكون سليما من التكلف، بعيدا من الصنعة، بريئا من التعقد، غنيا عن التأويل.

(١) الجأش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع. (٢) الزيادة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٥٢). (٣) عبارة البيان والتبيين: «ومن قد تعود ... الخ». (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٥٨): «يجلى». (٥) هكذا فى الأصل. وفى البيان والتبيين: «والذى لابد منه ... الخ».

قال الأصمعيّ : البليغ مَن طبَّق المَفْصِل وأغناك عن المفسَّر .

قال المدائنى : كتب قُتَيبةُ بن مُسلم الى الحجّاج يشكو قِلّةَ مَرْزِئَته[1] من الطعام وقلّةَ غِشْيانه النساء وحَصَره على المِنْبر . فكتب إليه : استكثِر من الألوان لتُصيبَ من كلّ صَحْفة شيئا ، وآستكْثِر من الطَّرُوقَة[2] تجِدْ بذلك قُوَّةً على ما تُريد ، وأَنْزِل الناس بمَنْزِلة رجل واحد من أهل بيتك وخاصّتك ، وآرْمِ ببصرك أَمَامَك تبلُغْ حاجتك .

قال بعض الشعراء :

إن كان فى العِيِّ آفاتٌ مُقَدَّرَةٌ * ففى البلاغة آفاتٌ تُساوِيها

تكلّم رجل عند معاوية فَهَذَرَ[3] ، فلمّا أطال قال : أأسكتُ يا أميرَ المؤمنين؟ قال : وهل تكلّمتَ !

ويقال : أعيا العِيّ[4] بلاغةٌ بِيّ ، وأقبحُ اللَّحْن لَحْنٌ بإعراب .

وقال أعرابىّ : الحَظُّ للمرء فى أُذُنه ، والحظّ لغيره فى لسانه[5] .

ويقال : ربّ كلمةٍ تقول دَعْنى .

ويقال : الصمتُ أبلغُ من عِيٍّ ببلاغة . ونحوه قول الشاعر :

أرى الصَّمتَ أدْنَى لبعض الصَّوَابِ * وبعض التَّكَلُّم أدنى لعِيّ

وقال جعفر البَرْمَكىّ : إذا كان الإكثارُ أبلغَ كان الإيجازُ تقصيرًا ، وإذا كان الإيجازُ كافِيًا كان الإكثارُ عِيًّا .

---

(١) المرزئة من الطعام : الإصابة منه . (٢) الطروقة : زوجة الرجل ، وأنثى الفحل .
(٣) هذر فى كلامه : خلط وتكلم بما لا ينبغى . (٤) فى الأصل : « أعيا العى بلاغة بى » .
(٥) يريد أن حظ الرجل فى أذنه لنفسه لأنه بها يسمع ما يقال ، والحظ فى لسانه لغيره لأنه اذا تكلم فإنما الحظ والفائدة فيه لغيره .

قال ابن السماك : العربُ تقول : العَيِيُّ الناطق أعيا من العَيِيّ الصامت .

قال أنو شِرْوَان لبُزُرْجِمِهْر : متى يكون العَيِيُّ بليغا ؟ فقال : إذا وَصَف حَبيبا .

قال يُونُس بن حبيب : ليس لعييٍّ مُرُوءةٌ ، ولا لمنقوص البيان بَهَاءٌ ، ولو بَلَغ يَأْفُوخُه(١) أعنانَ(٢) السَّماء . قال بعضُ الشعراء :

عَجِبتُ لإدلال العَيِيِّ بنفسه * وصمتِ الذى قد كان بالحقّ أعلما
وفى الصمت سَتْرٌ للعَيِيّ وإنما * صحيفةُ لُبِّ المَرْءِ أن يتكلّما

قال سعيدُ بن العاص : مَوْطِنان لا أَسْتَحْيِي من العِيِّ فيهما : إذا أنا خاطبتُ جاهلا ، وإذا أنا سألتُ حاجةً لنفسى .

ذكر أعرابيّ رجلا بَعْيا فقال : رأيتُ عَوْراتِ الناس بين أَرْجُلِهم ، وعَوْرَةَ فلان بَيْنَ فَكَّيْه .

وعابَ آخرُ رجلا فقال : ذاك من يَتَامَى المَجْلس ، أبلغُ ما يكون فى نفسه أعيا ما يكون عند جُلَسائه .

قال ربيعة الرَّأْى : السكتُ بين النائم والأَخْرَس .

تذاكر قومٌ فضلَ الكلام على الصمت وفضلَ الصمت على الكلام ، فقال أبو مُسْهِر: كلّا ! إنّ النَّجْمَ ليس كالقَمَر، إنّك تَصِف الصمتَ بالكلام ،ولا تَصِفُ الكلامَ بالصمت .

---

(١) اليأفوخ : هو الموضع الذى يتتق فيه عظم مقدّم الرأس مع عظم مؤخره . (٢) أعنان السماء : نواحيها .

وذمّ قومٌ فى مجلس سليمانَ بنِ عبد الملك الكلامَ، فقال سليمان: اللهمّ غَفْرًا، إنّ من تكلّم فأَحْسَن قدَر أن يَصْمُت فيُحْسِن؛ وليس مَن صَمَت فأَحْسن قادراً على أن يتكلّم فيُحْسِن.

قال بكرُ بن عبد الله: طولُ الصمتِ حُبْسَةٌ[1]، ونحوه قول عُمَر بنِ الخطّاب: تَرْكُ الحركةِ عُقْلة.

وكان نَوْفل بن مُساحِق إذا دخل على آمرأته صَمَت، وإذا خرج من عندها تكلّم؛ فقالت له: أمّا عندى فتُطْرِق، وأمّا عند الناس فتَنْطِق! فقال: أَدِقُّ[2] عن جَليلكِ وتَجِلِّين عن دقيق.

وفى حكمة لقمان: يا بُنَىّ، قد نَدِمتُ على الكلام ولم أَنْدَم على السكوت.

قال آبن إسحاق: النَّسْنَاس[3] خَلْقٌ باليَمن لأحدهم عَيْنٌ ويَدٌ ورِجْلٌ يَقْفِزُ[4] بها، وأهلُ اليمن يصطادونهم؛ فخرج قومٌ فى صيدهم فرَأَوْا ثلاثةَ نَفَر منهم فأَدْرَكوا واحدًا فعَقَرُوه وذَبَحُوه وتَوَارَى آثنان فى الشَّجَر، فقال الذى ذَبَحه: إنّه لسَمِينٌ، فقال أحدُ الاثنين: إنه أَكَلَ ضِرْوًا، فأخذوه فذَبَحُوه، فقال الذى ذَبَحه: ما أنفعَ الصمتَ! قال الثالث: فهأنا الصَّمِّيتُ فأخذوه وذبحوه. (الضِّرْوُ: حبّة الخضراء)[5].

كان يقال: إذا فاتَك الأدب فآلزم الصَّمتَ.

---

(١) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٥٠) والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤): «خرسة». والحُبْسة بالضم: اسم من الاحتباس وهو تعذر الكلام عند إرادته. (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٦): «قال: إنى أجل عن دقيقك، وتدقين عن جليل». (٣) وردت هـذه الحكاية فى كتاب الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٤١٥) باختلاف يسير فى بعض ألفاظها لا يخرجها عن المعنى المراد. (٤) كذا فى حياة الحيوان. وفى الأصل: «ينقر».

وقال بعضهم : لا يجترئ على الكلام إلا فائقٌ أو مائقٌ (١) .

وقال الشاعر يمدح رجلا :

صَموتٌ إذا ما الصمتُ زيّن أهلَه * وفتّاقُ أبكارِ الكلامِ المُختّمِ (٢)

قال أبو الدرداء : أنصِفْ أُذُنيكَ من فيكَ ، فإنما جُعِلَ لك أُذُنانِ [اثنتان] (٣) وفمٌ واحدٌ ، لتسمعَ أكثرَ مما تقول .

حَضَر قُشَيْريٌّ مجلسا من مجالس العرب فأطال الصمتَ ، فقال له بعضهم : بحقّ سُمّيتم خُرْسَ العرب ، فقال القُشَيْريّ : يا أخى ، إنّ حظّ الرجل فى أُذُنه لنفسه ، وحظَّه فى لسانه لغيره .

وقال بعضُ الحكماء : أكثِرِ الصمتَ ما لم تكن مسئولا فإنّ فَوْت الصواب أيسرُ من خَطَل القول ؛ وإذا نازعَتْك نفسُك الى مراتب القائلين المُصيبين ، فاذكُرْ ما دون الصواب من وَجَل الخطأ وفضائح المُقصّرين .

تكلّم رجلٌ فى مجلس الهَيْثم بن صالح بخطأ ، فقال له الهيثمُ : يا هـذا ، بكلام مثلك رُزِق أهلُ الصمت المحبة . وقال أبو نُوَاس :

خَلِّ جَنْبَيْك لِرامِ * وامْضِ عنه بسَلامِ
مُتْ بداءِ الصمتِ خيرٌ * لك من داءِ الكلامِ
إنّما السالمُ (٤) من ألـجَمَ فاه بلِجامِ

(١) الفائق : الأديب العالم . والمائق : الهالك حمقا وغباوة .

(٢) فى الأصل «المجبر» وهو تحريف ، لأن القافية ميمية ؛ وهذا البيت لعبد الله بن المبارك صاحب الرقائق يرثى مالك بن أنس المدنى كما فى العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٢٩٣) وبعده :

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة * ونيطت له الآداب باللحم والدم

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) . (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٤٩) : «المسلم» .

وقال آخر :

رأيتُ اللسانَ على أهله * إذا ساسه الجهلُ لَيثاً مُغيرا

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا صاحبٌ لنا عن مالك بن دينار أنه قال : لو كانت الصحُف من عندنا لأقللنا الكلام .

وقال الأصمعىّ : إذا تظرّف العربىّ كثُر كلامه ، وإذا تظرّف الفارسىّ كثر سكوته .

قال حاتم طيء : إذا كان الشيءُ يَكْفِيكَهُ التَّرْكُ فاتركه .

قال عبد الله بن الحسن لابنه : استعن على الكلام بطول الفِكْر فى المَوَاطن التى تدعوك فيها نفسُكَ إلى القول ، فإنّ للقول ساعاتٍ يضُرّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب .

وقال إياس بن قَتَادة :

تُعَاقِبُ[١] أيدينا ويَحْلُم رأينا * ونَشْتُمُ بالأفعال لا بالتكلّمِ

تكلم ابنُ السَّمَّاك يوما وجاريةٌ له تسمع كلامه ، فلما دخل إليها قال : كيف رأيتِ كلامى ؟ قالت : ما أحسَنَه لولا أنك تُكثر تَرْدَادَه ! قال : أُرَدِّده حتى يَفْهَمَه مَن لم يَفْهَمْه ، قالت : إلى أن يَفْهَمه من لم يَفْهَمْه قد مَلَّه مَنْ فَهِمه ! .

قال عيسى بنُ مَرْيَم : مَن كان مَنْطِقُه فى غير ذِكرٍ فقد لغا ، ومَن كان نظرُه فى غير اعتبار فقد سَهَا ، ومن كان صَمْتُه فى غير فكرٍ فقد لها .

---

(١) فى نهاية الأرب (ج ٦ ص ٦) وحماسة أبى تمام شرح التبريزى (طبع مدينة بُن) : «وتجهل أيدينا ... الخ» ونسب البيت فيهما الى معبد بن علقمة . ونسب فى أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٣) الى إياس بن قتادة ، كما فى الأصل هنا .

كان العباس بن زُفَر لا يُكلِّم أحدا حتى تَنْبسطَ الشمسُ، فإذا ٱنْفَتَلَ(١) عن صلاته ضَرَبَ الأعناقَ وقَطَعَ الأيدى والأَرْجل . وكان جَرِير لا يتكلّم حتى تبزُغَ الشمس، فإذا بَزَغت قَذَف المُحْصَنات .

قال قَتَادة : مكتوب فى التَوراة : لا يُعاد الحديث مرتين .

قال الزُّهرىّ : إعادة الحديث أشدُّ من وَقْعِ الصَّخْر .

وفى كتب العجم : أنّ أربعةً من الملوك ٱجتمعوا فقالوا كلُّهم كلمةً واحدةً كأنّها رميةٌ بسهم : ملك فارس، وملك الهند، وملك الروم، وملك الصين . قال أحدهم : إذا تكلمتُ بالكلمة مَلَكَتْنى ولم أَمْلِكها . وقال آخر : قد نَدِمتُ على ماقلتُ ولم أَنْدَم على مالم أَقُل . وقال آخر : أنا على ردّ مالم أقل أقدرُ منِّى على ردّ ماقلتُ . وقال آخر : ما حاجتى إلى أن أتكلّم بكلمة، إن وقعتْ علىّ ضرّتنى، وإن لم تقع علىّ لم تنفعنى .

قال زُبَيْد اليامىّ(٢) : أسكتتنى كلمةُ ٱبن مسعود عشرين سنة : مَنْ كان كلامه لا يوافق فعلَه فإنّما يُوَبِّخ نفسه .

وفى كتاب كليلة ودمنة : ثلاثةٌ يؤمرون بالسكوت : الراقى فى جبل طويل، وآكل السمك، والمُرَوِّى(٣) فى الأمر الجسيم . قال بعض الشعراء(٤) :

قد أفلح السالمُ الصَّمُوتُ ∴ كلامُ راعى الكلام قوتُ

---

(١) انفتل عن صلاته : انصرف عنها . (٢) كذا فى الأنساب للسمعانىّ ؛ وتهذيب التهذيب ؛ وتاج العروس . وهو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب اليامىّ نسبة الى يام بطن من همدان . وفى الأصل «زبيد النامى» بالنون وهو تحريف . (٣) المروّى : من روّى فى الأمر ويقال روّأ (بالهمزة) اذا نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب . (٤) هو محمد بن أبى العتاهية كما فى الأغانى (ج ٣ ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو مذكور أيضا فى ديوان والده أبى العتاهية (ص ١٤ طبع بيروت) .

ما كلّ نُطقٍ لهُ جوابٌ * جوابُ ما يُكرَهُ السكوتُ
يا عجبًا لامرئٍ ظَلُومٍ * مُستيقِنٍ أنّه يموتُ

بلغنى عن أبى أُسامة عن ٱبن عَوْن عن الحسن قال : جلسوا عند معاوية فتكلّموا وصَمَتَ الأحنفُ ، فقال معاوية : ياأبا بَحْر، مالك لاتتكلّم ؟ قال : أَخافُكم إن صَدَقْتُكم، وأخاف الله إن كَذَبت .

حدّثنى محمد بنُ داود قال حدّثنا الحُمَيدىّ قال حدّثنا أبو الحَكَم مَرْوان بن عبد الواحد عن موسى بن أبى درهم عن وهب بن منبّه قال قال ٱبن عبّاس : كفى بك ظالمِا ألّا تزالَ مُخَاصِما ، وكفى بك آثما ألّا تَزال مُمارِيا، وكفى بك كاذبا ألّاتزال مُحدِّثا بغيرذكرالله تعالى .

وقال بعضهم :
يَمُوتُ الفتى من عَثْرةٍ بلسانِهِ * وليس يموتُ المرءُ من عَثْرة الرِّجْلِ(١)
فعثرتُه من فِيهِ تَرْمِى برأسِهِ * وعثرتُه بالرِّجْل تبْرا على مَهْلِ

سُئِل بعضُ الحكماء عن البلاغة، فقال : من أخذ معانىَ كثيرةً فأدّاها بألفاظ قليلة، أو أخذ معانىَ قليلةً فولّد فيها ألفاظا كثيرة .

بلغنى عن أبى إسحاق الفَزَارىّ قال : كان إبراهيمُ يُطِيل السكوتَ ، فإذا تكلّم ٱنبسط، فقلت له ذاتَ يوم : لو تكلّمتَ ! فقال : الكلام على أربعة وُجُوه . فمنه كلامٌ ترجو منفعتَه وتَخْشى عاقبتَه ، فالفضلُ منه السلامةُ ، ومنه كلامٌ لاترجو منفعتَه ولا تخشى عاقبتَه ، فأقلُّ مالَكَ فى تركه خِفة المُؤُونة على بَدَنك ولسانك ، ومنه كلامٌ

(١) هذان البيتان لجعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، كما فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) .

لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته، وهذا هو الدّاءُ العُضال ؛ ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأْمَنُ عاقبته، فهذا الذى يجب عليك نَشْرُه؛ قال : فإذًا هو قد أسقط ثلاثةَ أرباع الكلام .

الاستدلال بالعين والإشارة والنُّصبة (١)

يقال : رُبَّ طَرْفٍ أفصح من لسان . قال أعرابىّ :

إنْ كاتمُونا القِلَى نَمَّت عيونُهمُ * والعينُ تُظْهِرُ مافى القلب أو تَصِفُ

وقال آخر :

إذا قلوبٌ أظْهرتْ غيرَ مَا * تُضْمِره أنبتْكَ عنها العُيُونُ

آخر :

أمَا تُبْصِر فى عينَىَّ عُنوانَ الذى أُبدى

وقال ذو الرُّمّة :

نَعَمْ هاجت الأطلالُ شَوْقًا كَفَى به * من الشَّوقِ إلا أنّهُ غيرُ ظاهرِ

فما زلْتُ أطْوِى النفسَ حتى كأنَّها * بِذى الرِّمْثِ (٢) لَم تخْطُرْ على بال ذَاكرِ

حَيَاءً وإشْفاقا من الرَّكْب أن يَرَوْا * دليلًا على مُسْتَوْدَعات الضمائرِ

وقال الحارثىّ يذكُر ميتا :

أتيناه زُوّارًا فأمجَدَنا (٣) قِرى * من البثِّ (٤) والدّاءِ الدّخيلِ المُخَامِرِ

وأوسَعَنا عِلْمًا بردِّ جوابِنا * فأعْجِبْ به من ناطقٍ لم يُحَاوِرِ

---

(١) النصبة بالضم : هى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد (عن البيان والتبيين ج ١ ص ٤٥).

(٢) أطوى النفس : أضمرها على شىء من حبّ ميّة . وذو الرِّمث : اسم واد لبنى أسد .

(٣) أمجدنا : أشبعنا . (٤) البث : الغمّ والحزن ، وقيل أشدّه .

ومثل هذا قولُ القائل[1] : سَلِ الأرضَ فقل لها : من شقّ أنهارَكِ ، وغرَس أشجارَكِ ، وجَنَى ثمارَكِ ، فإن لم تُجبك حِوارًا[2]، أجابتْك اعتبارا . قال أبو العَتاهيَة[3] :

وللقلبِ على القلبِ * دليلٌ حين يَلقاهُ
وللناسِ من الناسِ * مقاييسٌ وأشباهُ
يُقاسُ المرءُ بالمرءِ * إذا ما هو ماشاهُ
وفى العين غِنًى للعيـ[4]ـنِ أن تَنطِق أفواهُ

الشعر

يقال : خيرُ الشّعر ما رَوّاك نفسَهُ . ويقال : خيرُ الشعر الحَوْلِيّ المُنقّح المُحكّك .

سَمِع أعرابىٌّ رجلا يُنشد شعْرا لنفسه، فقال : كيف ترَى ؟ قال : سُكّر لا حَلاوةَ له . قيل لبعض علماء اللغة : أرأيتَ الشاعرين يجتمعان على المعنى الواحد فى لفظ واحد ؟ فقال : عُقول رجالٍ توَافت على ألسنتها .

قال بَشّار يصف نفسَه :

زُوَّرُ[5] مُلوكٍ عليه أُبَّهَةٌ * يُعرفُ من شِعره ومن خُطَبهْ
لله ما راح فى جَوانحه * من لؤلؤٍ لا ينام عن طَلبِهْ
يَخرُجْن[6] من فيه فى النّدىّ[7] كما * يَخرُجُ ضوءُ السّراج من لَهَبِهْ

(١) القائل هو الرقاشىّ كما فى الصناعتين لأبى هلال العسكرىّ (ص ١١ طبعة الآستانة سنة ١٣١٩ ﻫ) . (٢) الحوار بكسر الحاء : من حاوره إذا جاء به وراجعه فى الكلام . (٣) لم نجد هذه الأبيات فى ديوان أبى العتاهية المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٨ م . (٤) فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٤ ؛ طبعة القاهرة سنة ١٣٣٢ ﻫ) : «للمرء» . (٥) الزور : الزائر . (٦) كذا فى الأصل ، وفى ديوان بشّار (ص ١٠٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م) : «يخرج ... للندىّ ... الخ» .

تَرْنُو إليه الحُدَّاثُ غاديةً * ولا تَمَلّ الحديثَ من عَجَبِهْ
تِلْعَابةٌ[١] تَعكُفُ الملوكُ به * تأخذ من جِدّه ومن لَعِبِهْ
يَزدحِمُ النَّاس كلَّ شارقةٍ * ببابه مُسرِعين فى أدبِهْ

وقال الطائىُّ يذكر الشعر :

إنّ القَوافِىَ والمَسَاعِىَ لم تَزَلْ * مِثلَ النِّظَام[٢] إذا أصاب فَرِيدا
هى جَوْهَرٌ نَثْرٌ فإن أَلَّفْتَهُ * بالشعر صار قلائدًا وعُقُودا
من أجل ذلك كانت العربُ الأُلَى * يَدْعُون هذا سُؤْدُدًا مَجْدُودا[٣]
وتَنِدُّ عندهمُ العُلَا إلّا عُلًا * جُعلت لها مِرَرُ[٤] القَرِيض قُيُودا

وقال أيضا :

ولم أَرَ كالمعروف تُدْعَى حُقوقُه * مغارِمَ فى الأقوامِ وهى مَغانمُ
وإنّ العُلَا[٥] ما لم تَرَ الشعرَ بينها * لكالأرضِ غُفْلًا[٦] ليس فيها مَعالِمُ
وما هو إلا القولُ يَسْرِى فيَغتدِى * له غُرَرٌ فى أوجهٍ ومَواسِمُ
يُرَى[٧] حِكْمَةً ما فيه وهو فُكاهةٌ * ويُقْضَى بما يَقضِى به وهو ظالمُ
ولولا خِلالٌ سَنَّها الشعرُ ما دَرَى * بُغاةُ العُلَا من أينَ تُؤْتَى المكارمُ

(١) رجل تِلْعابة بكسر التاء : كثير المزح والمداعبة .

(٢) فى ديوان أبى تمام المطبوع (ص ٩٠) : «الجُمَان» .

(٣) فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٦ أدب (ص٤٨) وديوانه المطبوع أيضا (ص٩٠) : «محدودا» بالحاء المهملة .

(٤) المِرَر جمع مِرّة ، والأصل فى المِرّة طاقة الحبل .

(٥) رواية الديوان (ص٢٨٦) : «ولا كالعلا ما لم يرَ ... فكالأرض ... الخ» .

(٦) الغُفْل من الأرض : ما لا علامة فيه .

(٧) كذا فى ديوانه . وفى الأصل «ترى» .

وقال عُمر بن لَجَإٍ لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ؛ قال : ولِمَ ذاكَ ؟ قال : لأنّى أقولُ البيتَ وأخاه، ولأنك تقول البيتَ وآبنَ عمّه .

قيل لعَقِيل بن عُلَّفة : ألا تُطيلُ[1] الهجَاء ؟ فقال : يكفيك من القِلَادة ما أحاط بالعُنُـــق .

وقال بعضُهم : خيرُ الشّعر المُطْمِع .

قيـــل لكُثيِّر : يا أبا صخر، كيف تصنع إذا عَسُر عليك قولُ الشـــعر ؟ قال : أطوف بالرِّباع المُخْلِيَة[2] والرِّياض المُعشِبة، فيسهُل علىّ أرْصَنُه ويُسرِع الىّ أحسنُه .

ويقال : إنه لم يُستَدْعَ[3] شارِدُ الشـــعر بمثل المـــاء الجارى، والشَّرَف العـــالى، والمكان الخَضِر الخالى[4] أو الحالى .

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان لأَرْطَاةَ بن سُهَيّة : هل تقول الآن شعرا ؟ قال[5] : ما أشرَب[6]، ولا أطْرَب، ولا أغْضَب؛ وإنمـــا يكون الشـــعر بواحدة من هذه .

---

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مالك لا تطيل ... الخ» .

(٢) كذا فى كتاب الشعر والشعراء للؤلف (ص ١٨ طبعة ليدن ســـنة ١٩٠٢) والمُخْلِية : الخاليـــة من السكان؛ يقال : حلت الدار وأخلت . وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : «بالرباع المحيلة» وهى التى أتت عليها أحوال فغيّرتها . وفى الأصل : المخيلة بالخاء المعجمة .

(٣) كذا فى الشعر والشعراء (ص ١٨) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٢) وفى الأصل : «لم يُسرِع» .

(٤) الخالى هو الخالى من الضوضاء . وقد وردت هـــذه العبارة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) بدون الكلمة «الحالى» ثم قال صاحب العقد : "تأوّل بعضهم «الخالى» يريد الخالى من النوار يعنى الرياض وهو توجيه حسن" . وأما «الحالى» بالمهملة فهو المتحلى بالنوار، ومنه قول أبى بكر بن عبد الرحمن الزهرى (ج ٢ ص ٨٩ من ديوان الحماسة لأبى تمام طبعة مصر سنة ١٣٢٢هـ) :

ولما نزلنا منزلا طلّه النَّـــدَى * أنيقًا وبُستانا من النَّوْر حاليا

(٥) فى الشعر والشعراء (ص ١٨) : «قال كيف أقول وأنا ما أشرب ... الخ» .

وقيل لكُثيّر[1] : ما بَقِيَ من شعرك ؟ فقال : ماتت عَزّة فما أطرب ، وذهب الشَّبَابُ فما أُعْجَب ، ومات ٱبْنُ لَيْلَى فما أرغَب — يعنى عبدَ العزيز بن مَرْوان — وإنما الشعر بهذه الخلال .

وقيل لبعضهم : من أشعرُ الناس؟[2] فقال : آمرؤُ القيس إذا رَكب، والنابغة إذا رَهِب، وزهير إذا رَغِب، والأعشى إذا طَرِب .

وقيل للعجّاج : إنك لا تُحسن الهجاء ، فقال : إن لنا أحلامًا تمنعنا من أن نَظْلِمَ، وأحسابًا تمنعُنا من أن نُظْلَمَ، وهل رأيتَ بانيًا لا يُحسن أن يَهْدِم ! .

وقلتُ فى وصف الشِّعر : الشعر مَعْدِنُ علمِ العرب ، وسِفْرُ حكمتها ، وديوانُ أخبارها ، ومستَوْدَعُ أيامها ، والسُّورُ المضروبُ على مآثرها ، والخَنْدَقُ المحجوزُ على مفاخرها ، والشاهدُ العَدْلُ يومَ النِّفار ، والحُجّةُ القاطعةُ عند الخِصام ؛ ومن لم يقم عندهم على شَرَفه وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفَعَال الحميد بيتٌ منه ، شَذَّت مَساعيه وإن كانت مشهورة، ودَرَسَت على مُرور الأيام وإن كانت جِساما ؛ ومن قَيَّدها بقوافى الشعر، وأوثقها بأوزانه، وأشهَرها بالبيت النادر، والمَثَل السائر، والمعنى اللطيف ، أخلدها على الدهر، وأخلصها من الجَحْد، ورفع عنها كَيْدَ العدوّ وغَضَّ عينَ الحسود .

وما جاء فى الشعر كثير. وقد أفردتُ للشعراء كتابا، وللشعر بابا طويلا فى كتاب العرب. وذكرت هذه النُّتْفَةَ فى هذا الكتاب كَراهيَةَ أن أُخْلِيَه من فَنٍّ من الفنون .

---

(١) رواية الأمالى (ج ١ ص ٣٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية) : «قيل لكثير : مالك لا تقول الشعر ! أجبلت ؟ قال : والله ما كان ذلك ، ولكن فقدت الشباب فما أطرب ، ورزئت عَزّة فما أنسب ، ومات ... الخ » وفسّر أبو علىّ القالى : «أجبلت» بقوله : « أجبلت ، أى انقطعت عن قول الشعر . أخذه من قولهم : أجبل الحافر إذا آنتهى إلى جبل فلم يمكنه الحفر » .

(٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : «وقالوا : أشعر الناس، النابغة إذا رهب، وزهير إذا غضب، وجرير إذا رغب» .

حُسن التشبيه فى الشّعر

من ذلك قولُ ابنِ الزَّبِيرِ الأَسَدِىّ فى الثُّرَيّا :

وقد لاح فى الغَوْر الثُّرَيّا كأنّما (١) * به رايةٌ بيضاءُ تَخْفِقُ للطَّعْنِ

شبّه الثُّرَيّا حين تدلّت للمَغيب براية بيضاء خَفَقت للطعن .

ومن ذلك قولُ عنترةَ فى الذُّبَاب :

وخَلَا (٢) الذُّبابُ بها (٣) فليس ببارِحٍ * هَزِجًا (٤) كفعْلِ الشارِبِ المُتَرَنِّمِ
غَرِدًا (٥) يَحُــكُّ ذِرَاعَه بذِرَاعِهِ * فِعْلَ المُكِبِّ (٦) على الزِّنَاد الأَجْذَمِ (٧)

شبّه حكّه يَدَه بيده برَجُل مقطوع الكفَّين يَقْدَح النار بعُودَيْن .

ومن ذلك قولُ أعرابى فى العِنَب :

يَحْمِلْنَ أوعيَةَ السُّلافِ كأنّمـا * يَحْمِلْنَها بأكارِعِ النِّغْرَانِ (٨)

أوعية السُّلاف : العنب، جعله ظرفا للخمر ؛ وشبّه شُعَب العناقيد التى تحمل الحبَّ بأرجُل النِّغْران . (والنُّغَر : طائر مثل العصفور أحمر المِنْقار) .

---

(١) كذا فى معاهد التنصيص ص ١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ، ونسخة خطية من الأغانى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ م فى أخبار أبى قيس بن الأسلت . وفى نسخة خطية أخرى من الأغانى رقم ١٢٦١ : «تخفض» بدل «تخفق» وفى طبعة بولاق منه (ج ١٥ ص ١٦٦) «وقد لاح فى القور...» بالقاف . وفى الأصل هنا :

وقــد حرم الغور الثريا كأنها * له راية بيضاء تخفض للطعن

وفيــه أيضا «خفضت» فى تفســير المؤلف للبيت بدل خفقت التى أثبتناها، تبعا للرواية التى آثرناها فى البيت . (٢) يروى هــذا البيت فى شرح المعلقات للزوزنى (طبع القاهرة ســنة ١٣٠٤ هـ) : «...فليس ببارح . غردا» ويروى البيت الذى بعده «هزجا يحك ... ... قدح المكب» .

(٣) الضمير فى «بها» يعود على الروضة التى تصدّى عنترة لوصفها فى معلقته . (٤) هزِج كَكَتِف : مصوّت . (٥) غَرِدٌ : من غَرِدَ الطائرُ إذا رفع صوته فى غنائه وطرِب . (٦) المكبّ : من أكبّ على الشىء : أقبل عليه ولزمه . (٧) الأجذم : المقطوع اليد ؛ وقيل الذاهب الأنامل . (٨) فى اللسان مادة «نغر» : «يحملن أزقاق المــدام ... بأظافر... الخ» .

وقال الآخر، وكان غَشِيَ عَيْنَيْه بياضٌ أو نَزَل فيهما ماءٌ، :

يقولون مَاءٌ طَيِّبٌ خان عينَـهُ * وما ماءُ سُوءٍ خان عَيْنِي بطيِّبِ
ولكنّه أزمانَ أنظُرُ طيِّبٌ * بعَيْنَيْ غُدَافِيٍّ[1] علا فوق مَرْقَبِ
كأنّ ٱبنَ جَحْلٍ[2] مَدَّ فضلَ جَناحِهِ * على ماءِ إنسانَيْهِـما المُتَغيِّبِ

شبّه ما علا الحَدَقة بجَناح فَرْخ من فِراخ الزنابير قد مُدَّ على ناظره .

ومن ذلك قولُ امرئ القيس وذكر العُقاب :

كأنّ قلوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويابسًـا * لَدَى وَكْرِها العُنّابُ[3] والحَشَفُ[4] البالى

شبّه الرَّطب بالعُنّاب، واليابس بالحَشَف . وشبّه شيئين بشيئين فى بيت واحد .

ومن ذلك قولُ أَوْس بن حَجَر وذَكَر السيف :

كأنّ مَدَبَّ النمل يتبعُ الرُّبَى * ومَدْرَجَ ذَرٍّ[5] خاف بَرْدًا فأسْـهلا

شبّه فِرِنْدَ[6] السيف بمدرج الذَّرّ ومدبّ النمل .

ومن ذلك قولُ أبى نُوَاس فى البازى :

ومَنْسِرٌ أكْلَفُ فيه شَغًا[7] * كأنّه عَقْـدُ ثَمَانينـا[8]

(١) الغداقىّ : الشديد السواد، نسبة إلى الغداف وهو الغراب وفى الأصل : «بعينى غدافيا» .

(٢) الجحل بتقديم الجيم على الحاء : اليعسوب العظيم؛ وهو فى خلق الجرادة إذا سقط لا يضم جناحه، والجمع جحول وجحلان .

(٣) العناب كرمّان : شجر معروف، حبه كحب الزيتون فى شكله .

(٤) الحشف : ما يبس من التمر، ولم يكن له طعم ولا نوى .

(٥) الذر : صغار النمل، واحدته ذرّة .

(٦) فرند السيف بكسر الفاء والراء : جوهره ووشيه وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل .

(٧) الشَّغا : زيادة فى المنقار الأعلى على الأسفل مع تعقّف وانعطاف، ولذا سميت العقاب بالشغواء .

(٨) شبه منسر البازى الذى فيه الشغا بعقد ثمانين على طريقة حساب العرب أيام جاهليتهم ؛ وصفة عقد الثمانين : أن يجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام . (راجع بلوغ الأرب للآلوسى طبعة بغداد ج ٣ ص ٣٩٩) .

ومن ذلك قولُ أعرابيٍّ فى آمرأة :

قامت تَصَدَّى له عَمْدًا لتقتُلَه * فلم يَرَ الناسُ وَجْدا مثلَ ما وَجَدا
بجيـــدِ آدَمَ[1] لم تُعقـــد قلائدُه * وناهد مثلِ قَلْب الظَّبْي ما نَهَدا
فظلّ كالحائم[2] الهَيْمانِ[3] ليس له * صَبْرٌ ولا يأْمَنُ الأعداءَ إن وَرَدا

شبّه ثَدْيَها فى نُهوده بقلب الظبي فى صلابته ، ولا نعلم أحدا شبه الثّدى بقلب الظَّبْي غيرَه .

ومن ذلك قولُ جَحْدر العُكْليّ فى آمرأة :

على قَدَمٍ مكنونة اللونِ رَخْصَةٍ * وكَعْبٍ كَذِفْرَى[4] جُؤْذُر الرَّمْلِ أَدْرَمَا[5]

شبّه كعبها بأصل أُذُن الجُؤْذُر، وهو الصغير من أولاد البقر .

ومن ذلك قول حُمَيد بنِ ثَوْر يصف فَرْخ القطاة :

كأنَّ على أشــداقِهِ نَوْرَ حَنْوةٍ[6] * إذا هو مَدَّ الجيــدَ منــه لِيَطْعَما

ومن ذلك قول دِعْبِل[7] يهجو آمرأة :

كأنّ الثآليــلَ[8] فى وجههــا * إذا سَفَرَتْ بَدَدُ[9] الكِشْمِش[10]
لهــا شَعَرٌ قِرْدٍ إذا آزَّيَّنَتْ[11] * ووجهٌ كبَيْضِ القَطَا الأَبْرَشِ[12]

(١) يقال : ظبي آدم إذا أُشرب لونه بياضا . (٢) الحائم : العطشان الذى يحوم حول الماء . (٣) الهيان : العطشان . (٤) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . (٥) كعب أدرم : مستو . (٦) كذا رواه المؤلف فى كتابه « الشعر والشعراء » (ص ٢٣٠) . والحنوة بالفتح : نبات سهلىّ طيب الريح . وفى الأصل « خنوة » بالخاء وهو تحريف . (٧) فى شرح حماسة أبى تمام للتبريزى (ص ٨٢١ طبع مدينة بن سنة ١٨٢٨) : «أن أبا عبيدة أنشد هذا الشعر لأبى الغَطَمَّش الحنفى» . (٨) الثّآليل جمع ثُؤلول وهو الحبة تظهر فى الجلد كالحمصة فما دونها . (٩) البِدَدُ جمع بِدّة وهى القطعة . (١٠) الكشمش بكسر الكاف والميم : العنب الصغير .
(١١) كذا فى ديوان الحماسة ، وفى الأصل : «إذا زينت» . (١٢) الأبرش : ما به بَرَش ، والبَرَش كالبرص وزنا ومعنى .

ومن ذلك قولُ أبى نُوَاس فى وصف البطّ :

* كأنّمـا يَصِفِرْنَ من مَلَاعِق [1] *

ومن ذلك قولُ بعض الرُّجّاز فى جارية سوداء :

كأنها والكُحْلُ فى مِرْوَدِها * تَكْحُلُ عينيها ببعض جِلْدِها

ومن ذلك قولُ الجَعْدِىّ [2] فى فرس :

خِيـطَ على زَفْرةٍ [3] فتمّ ولم * يَرْجِعْ إلى دِقّةٍ ولا هَضَمِ [4]

يقول هو منتفخ الجَنْبَيْن، فكأنّه زَفَر فانتفخ جنباه ثم خِيطَ على ذلك .

ومن ذلك قول الطِّرِمّاح يصف الثَّوْر :

يَبْـدُو وتُضمِره البـلادُ كأنّهُ * سيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ [5]

ومن ذلك قول النابغة للنُّعمان :

فإنّك كالليـل الذى هو مُدْرِكى * وإنْ خِلتُ [6] أن المُنْتَأَى عنك واسِعُ

ومن ذلك قولُه فى المرأة [7] :

نَظَرتْ اليك بحاجةٍ لم تَقْضِها * نَظَرَ المريض الى وُجوه العُوَّدِ

يقول : نظرتْ اليك ولم تَقْدِر أن تتكلّم، كما ينظُر المريضُ الى وُجوه عُوّاده ولا يَقْدِر أن يُكلِّمهم .

---

(١) عجزه كما فى الشعر والشعراء ص ٥٢٠ :

* صرصرة الأقلام فى المهارق *

(٢) كذا فى اللسان مادتى «زفر» و « هضم » وفى الأصل «الجعفرىّ» . (٣) زفرة الفرس : وسطه ، يقال للفرس إنه لعظيم الزفرة ، أى عظيم الجوف . (٤) كذا فى اللسان . وفى الأصل «ولا هرم» والهضم : استقامة الضلوع ودخول أعاليها ، وهى من عيوب الخيـل التى تكون خلقة . (٥) كذا فى «الشعر والشعراء» ص ٨٠ وفى الأصل «ويعضد» . (٦) كذا فى ديوان النابغة طبع باريس واللسان مادة «نأى» وفى الأصل «قلت» . (٧) يريد بالمرأة المتجرّدة زوج النعمان .

ومن ذلك قولُ طَرَفَة :

لعمرُكَ إنّ الموتَ ما أخطأَ الفتَى * لَكَالطِّوَلِ(١) المرْخَى وثِنْيَاهُ باليَــدِ

ومن ذلك قولُ بعض الضَّبِّيين(٢) يصف أباريق الشَّرَاب :

كأنّ أباريقَ الشَّمُول عَشِيَّــةً * إِوَزٌّ بأعْلَى الطَّفِّ(٣) عُوجُ الحناجر(٤)

ونحوه قولُ أبى الهندىّ(٥) :

سَيُغْنِى أبَا الهِنْدِىّ عن وَطْبِ سالِمٍ * أباريقُ لم يَعْـلَقْ بها وَضَرُ(٦) الزُّبْدِ
مُفَـدَّمَةٌ(٧) قَــزًّا كأنّ رِقابَهَـا * رِقَابُ بَنَاتِ المـاءِ(٨) تَفْـزَعُ للرَّعْدِ

ومن ذلك قولُ نُصَيب فى عبد العزيز بن مَرْوان :

وكلبُك آنَسُ بالمُعْتَفِين * من الأُمِّ بِٱبْنَتِها الزائِرَهْ

ومن ذلك قولُ عَدِىّ بن الرِّقَاع فى الظبية :

تُزْجِى(٩) أَغَنَّ(١٠) كأنّ إِبْرَةَ رَوْقِه(١١) * قلمٌ أصابَ من الدّواة مِدَادَها

ومن ذلك قولُ بشّار :

كأنّ مُثَار النَّقْع فوق رءوسِهم(١٢) * وأسيافَنَا ليـلٌ تَهَاوى كواكِبُهْ

---

(١) الطِّوَل : الحبل الطويل تشدّ به قائمة الدابة و يمسك صاحبها بطرفه و يتركها ترعى .

(٢) القائل لهذا البيت هو شبرمة الضبىّ كما فى اللسان مادة « برق » . (٣) الطفّ : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق . (٤) كذا فى اللسان وهو المناسب ، لأن المراد عوج الرقاب . وفى الأصل : «المناخر» بالخاء المعجمة ، ولعلها «المناحر» بالحاء المهملة ، جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق . (٥) هو عبد المؤمن بن عبد القدّوس كما فى اللسان مادّة «وضر» .

(٦) الوضر : وسخ الدسم واللبن . (٧) المفدّم : الإبريق الذى على فمه فدام وهو خرقة من قزّ أو غيره . (٨) يريد ببنات الماء الإوزّ و ما يشابهها من طيور الماء . (٩) تزجى : تسوق . (١٠) الأغن من الظباء : ما فى صوته غُنّة . (١١) الرّوْق : القرن .

(١٢) كذا فى الأصل والشعر والشعراء . وفى التلخيص للقزوينى «فوق رءوسنا» وهى الرواية المشهورة .

ومن ذلك قولُه :

جَفَتْ عينى عن التَّغميض حتّى ٭ كأنّ جُفونَها عنها قِصارُ

ومن ذلك قولُ الآخر :

ومولًى كأنّ الشمسَ بينى و بينه ٭ إذا ما آلتقينا ليس ممن أُعاتبُهْ

يقول : لا أقدرُ على النظر اليه من بُغْضه، فكأنّ الشمس بينى و بينه .

ومن ذلك قولُ الآخر :

كأن نيرانَهم فى كلّ مَنْزِلةٍ ٭ مُصَبَّغاتٌ[(١)] على أرسانِ[(٢)] قَصّارِ[(٣)]

الناس يَستحسنون هذا، وأنا أرَى أن أقول : الأَولى أن يُشَبَّه المُصبَّغات بالنيران، لا النيران بالمصبَّغات .

الأبيات التى لا مِثْلَ لها

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا مُعْتَمِر عن لَيْث عن طاوس عن آبن عبّاس قال : إنّها كلمة نبىّ :

سَتُبْدِى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلًا ٭ ويأتيكَ بالأخبار من لم تُزَوِّدِ

حدّثنى الرياشىّ عن الأصمعىّ قال : أبرعُ بيت قالته العرب قولُ أبى ذُؤَيب :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتَها ٭ وإذا تُرَدُّ إلى قليل تَقْنَعُ

وأحسن ما قيل فى الكِبَر قولُ حُمَيْد بن ثَوْر الهلالىّ :

أرَى بَصرِى قد رابَنى بعد صِحّةٍ ٭ وحسبُك داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَما

(١) المصَّبغات : الثياب التى صُبغت ولُوِّنت بالصِبغ .

(٢) الأرسان جمع رَسَن بالتحريك وهو الحبل .

(٣) القَصّار : الذى يُحَوِّر الثياب ويدُقّها بالقَصَرة، وهى قطعة من الخشب .

وأحسن مَن آبتدأ مرثية أوس بن حَجَر في قوله[1] :

أيتها النفسُ أجملي جزَعًا * إن الذى تَكْرَهين[2] قد وَقَعا

وأغرب مَن آبتدأ قصيدة النابغةُ فى قوله :

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُميمــة ناصِبِ * وليلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الكواكبِ

حدثنى الخَثْعَمِىّ الشاعر قال : أحسنُ بيتٍ قيل فى الجُبْن قولُ نَهْشَل ابن حَرِّىّ[3] :

فلو كان لى نفسان كنتُ مُقاتلًا * بإحداهما حتى تموتَ وأسلما

قال : و بيت المُخَبَّل فى قَساوة القلب :

يُبَكَّى علينا ولا نَبْكِى على أحدٍ * لنحنُ أغلظُ أكبادًا من الإبلِ

قال : و بيت عَبِيد فى الآستعفاف :

مَنْ يسألِ الناسَ يحرِمُوه : وسَائلُ اللهِ لا يَخِيبُ

قال : و بيت مَنْجوف بن مُرّة السلمى فى الآحتفاظ بالمال :

وأَدفعُ عن مالى الحقوقَ و إنّهُ * لجمٌّ فإنّ الدهرَ جَمٌّ مصائبُهْ

قال : و بيت الحُطَيئة فى إكرام النفس :

وأُكرِمُ نفسى اليومَ عن سُوءِ طِعْمَةٍ * ويَقْنَى الحياءَ المرءُ والرمحُ شاجِرُهْ[4]

(١) فى الأصل : «وأحسن من ابتدا مرثيــة قول أوس بن حجر» . (٢) فى الشعر والشعراء (ص ٧) «تحذرين» . (٣) فى الأصل : جرى بالجيم . وما أثبتاه عن الأغانى (ج ٨ ص ١٥٩) وطبقات الشعراء لجمحىّ ص ١٣٠ طبعة ليدن سنة ١٩١٣ م . (٤) فى الأصل : «شاجر» وما أثبتناه عن ديوان الحطيئة (طبع ليبسج سنة ١٨٩٣ ص ٦٤) ورواية الديوان : وأ كرمت نفسى ... ... الخ . قنى الحياء (وزان فرح) : لزمه . والبيت من قصيدة يذكر فيها الزبرقان و يمدح آل شماس مطلعها :

عفا مسحلان من سليمى فحامره * تمشى به ظلمانه وجــآذره

قال : وقول كعب (١) فى الإقدام :

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخَطْوِنَا * قُدُمًا ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

قال : وبيت عمرو بن الإطنابة فى الصبر :

وقولِى كُلَّما جَشَأَتْ وجاشت * مكانَكِ تُحْمَدِى أو تَستريحى

وأحسن من هذا عندى قول قَطَرِىّ :

وقولِى كلما جَشَأَتْ لنفسى (٢) * من الأبطال وَيْحَكِ لا تُرَاعِى

فإنكِ لو سألتِ بقاء يوم * على الأَجَلِ (٣) الذى لكِ لم تُطَاعِى

قال : وبيت مِسكين (٤) الدارمىّ فى الجُود :

طَعَامى طَعَامُ الضَّيفِ والرَّحْلُ رَحْلُهُ * ولم يُلْهِنِى عنه الغَزالُ المُقَنَّعُ

قال : وفى حسن الجِوَار قوله :

نارِى ونارُ الجارِ واحدةٌ * وإليه قبلى تَنْزِلُ القِدْرُ

ما ضَرَّ جارا لى أُجاوِرُه * ألَّا يكونَ لبابه سِتْرُ

قال : وممن رضى بالقليل جَمِيلٌ، قال :

أُقَلِّبُ طَرْفِى فى السماء لعلَّهُ * يُوافِقُ طَرْفِى طَرْفَها حين تَنْظُرُ

---

(١) هو كعب بن مالك، كما فى الكامل للمبرد طبع أوربا (ص ٦٦) والأغانى (ج ١٥ ص ٣٠) وورد فيه «يوما» بدل «قدما» . (٢) روى هذا المصراع فى حماسة أبى تمام هكذا :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ... الخ

(٣) كذا فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٢٧) وحماسة أبى تمام . وفى الأصل : « ... حياة ... من الأجل ... الخ » وفى العقد الفريد : « ... حياة ... سوى الأجل ... » (٤) فى شرح حماسة أبى تمام للتبريزى : « قال عتبة بن بجير ، وقيل إنه لمسكين الدارمى » . وروى البيت فيه هكذا :

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهنى عنه غزال مقنع .

وقول الآخر[١] :

أليس الليلُ يُلْبِسُ أُمَّ عَمْرٍو * وإيّانا فـذاك بنـا تَدَانِى
تَرَى وَضَحَ النهـار كما أَراهُ * ويعـلوها النهـارُ كما علانى

قال : وبيت عمرو بن كُلْثُوم فى الجهل :

أَلَا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينـا * فنَجْهَلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

قال : وبيت النابغة فى ترك الإلحاح :

فَٱستبْقِ وُدَّكَ للصديق ولا تكن * قَتَبًا[٢] يَعَضُّ بغَـارِبٍ مِلْحَاحا

قال : وفى إدراك الثأر قول مُهَلْهِل :

لقـد قتلتُ[٣] بنى بَكْرٍ بربِّهِـمُ * حتى بكيتُ وما يَبْكِى لهم أحدُ

قال : وبيت عُرْوة بن الوَرْد فى تبليغ العذر فى الطلب :

لِتُبْلِـغَ عُذْرًا أو تُفِيـدَ[٤] غنيمةً * ومُبْلِـغُ نفس عُذْرَها مثلُ مُنْجِحِ

قال : وبيت جميل فى إنفاق المـال والتوكل على الله تعالى :

كُلُوا اليومَ من رزق الإله وأَبْشِرُوا * فإنّ على الرحمـن رِزْقَكُمُ غدا

قال : وفى الشجاعة قول العباس بن مِرْدَاس :

أَشُدُّ على الكَتِيبة لا أُبالِى * أَحَتْفِى كان فيها أم سِـواها

---

(١) هو المعلوط كما فى كتاب الشعر والشعراء للمؤلف (ص ٢٦٧) ويروى فيه صدر البيت الثانى هكذا :

* بلى وترى السماء كما أراها *

(٢) القَتَب : رحل صغير على قدر السنام . وفى أساس البلاغة : «ومن المجاز رجل مُلِحّ : هو قتب يَعَضّ بالغارب ، وقتب مِلْحاح» ثم ساق بيت النابغة مستشهدا به على ذلك . (٣) فى خزانة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ٢٠٣) : «أكثرت قتل ... الخ» . (٤) رواية ديوان عروة بن الورد طبع المطبعة الأهلية ببيروت (ص ٨) : «... أو تصيب رغيبة ... الخ» .

قال : وبيت المتلمّس[1] فى المال وتثميره :

قليلُ المالِ تُصلحه فيَبْقَى * ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ

وأخبرنا دِعْبِل بن علىّ الشاعر قال : أهجى بيتٍ قيل قولُ الطِّرِمّاح فى تميم :

تميمٌ بطُرْقِ اللُّؤمِ أهدَى من القطا * ولو سَلَكتْ طُرْقَ المكارمِ ضَلَّتِ

قال : وكذلك قولُ الأخْطَل :

قومٌ إذا آستنْبَحَ الأضيافُ كلبَهُمُ * قالوا لأُمِّهِـمُ بُولى على النـارِ

قال : وكذلك قولُ الحُطَيْئة للزِّبْرِقان فى قِصَر الهِمّة :

دَعِ المكارِمَ لا تَرْحَـلْ لِبُغْيَتِها * وآقعُدْ فإنّك أنت الطاعِمُ الكاسِى

قال غيره : وقولُ الطِّرِمّاح فى القِلّة والخُمول :

لو كان يَخْفَى على الرَّحْمٰن خافيةٌ * من خَلْقِه خَفِيَتْ عنه بَنُو أَسَدِ

ونحوه قولُ الآخر :

وأنت مَليخٌ[2] كلحمِ الحُـوَا * رِ لا أنت حُلْوٌ ولا أنت مُرُّ

وكذلك قولُ جَرِيرٍ[3] فى التَّيم :

---

(١) كذا فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٩ طبعة ليدن سنة ١٣٠٥ ﻫ) والشعر والشعراء للؤلف (ص ٨٨) ، ونهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ٦٤) . ويروى صدر البيت فى الأغانى والشعر والشعراء : «وإصلاحُ القليل يزيد فيه ... الخ» . ويروى فى نهاية الأرب : «... مع الفساد» . وفى الأصل نسب البيت «لعبيد» . (٢) مليخ : لا طعم له ، وخصه بعضهم بلحم الحوار الذى ينحر حين يقع من بطن أمه فلا يوجد له طعم . (٣) وقد ورد البيتان فى ديوان جرير المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ ش أدب ، ضمن قصيدة طويلة مطلعها :

أَلَا زارتْ وأهلُ مِنًى هُجودُ * وليت خيالَها بِمِنًى يعود

ويروى فى الديوان : «... او لقيت... أيهم ... الخ» ويروى : «... ...ولا يستأمرون... الخ» . وقد عزا صاحب الأغانى «ج ٧ ص ١٧٧ طبعة بولاق» البيت الأول مع بيت آخر من القصيدة إلى الأخطل .

وإنّك لو رأيتَ عبيــد تَيْم * وتَيْمًا قلتَ أيُّهما العبيــدُ
ويُقْضَى الأمرُ حين تَغيبُ تَيْمٌ * ولا يُسْــتأْذَنون وهم شُهُودُ

وأحسن ما قيل فى الهيبة :

يُغْضِى حَيَاءً ويُغْضَى من مَهَابته * فما يُكَلَّمُ إلّا حين يبتسِمُ

وأغرب ما قيل فى مصلوبٍ قولُ محمد بن أبى حَمْزة مَوْلَى الأنصار :

لَعَمْرِى لئن أصبحتَ فوقَ مُشَذَّبٍ[1] * طَوِيلٍ تُعَفِّيكَ الرياحُ مع القَطْرِ
لقد عِشْتَ مبسوطَ اليدين مُرَزَّأً[2] * وعُوفِيتَ عندالموت من ضَغْطةالقبر
وأُفْلِتَّ من ضِيق التُّراب وغَمّه * ولم تَفْقِدِ الدنيا فهل لك من شكر

وأغرب ما قيل فى مجوسىٍّ قولُ أعرابىّ :

شَهِدتُ عليك بِطيبِ المُشَاش[3] * وأنّك بحرٌ جَــوادٌ خِضَمْ
وأنّك ســيّدُ أهلِ الجَحِيم * اذا ما تَرَدَّيْتَ فيمن ظَلَمْ

ومن أغرب ما قيل فى دَعِىٍّ قولُ إبراهيم بن إسماعيل البنوى[4] :

لو أنّ مَوْتَى تميم كلّهــا نُشِرُوا * وأثبتوك لقيل الأمرُ مصنوعُ
مثلَ الحديد اذا مازِيدَ فى خَلَقٍ[5] * تَبَيَّن الناسُ أن الثوبَ مرقوعُ

ونحوه قولُ الآخر :

أجارتَنا بَانَ الخَليطُ[6] فأبْشِرى * فما العَيْشُ إلا أن يَبِين خليطُ
أُعاتبُــه فى عِرْضِــه ليصونَه * ولا عِلْمَ لى أنّ الأمــيرَ لقيطُ

---

(١) جذع مشذب : مقشر مما عليه من الشوك . (٢) مرزأ : كريم يصيب الناس خيره .
(٣) فى أساس البلاغة للزمخشرى : « ومن المجاز : فلان طيب المشاش ، وإنه لكريم المشاش إذا كان بريا » . (٤) كذا بالأصل ، وفى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرىّ المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب : « النبوىّ » بتقديم النون على الباء ولم نوفق فى المظانّ التى بين أيدينا الى استثباته . (٥) فى ديوان المعانى : « إنّ الجــديد ... الخ » . (٦) الخليط : القوم الذين أمرهم واحد .

ونحوه قولُ دِعْبِل فى مالك بن طَوْق :

النـاسُ كلُّهُمُ يسعَى لِحَاجتـه * ما بين ذِى فَرَحٍ منهم ومَهْمومِ
ومالكٌ ظَـلّ مشغولًا بِنِسْبته * يَرُمّ(١) منها خَرابًا غـير مَرْموم
يبنى بيـوتًا خرابًا لا أنِيسَ بها * ما بين طَوْقٍ الى عَمْرو بن كُلْثومِ

التلطُّف فى الكلام والجواب وحسن التعريض

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : ترك عَقِيلٌ عليًّا وذهب الى مُعاوية ؛ فقال معاوية : يا أهل الشأم ، ماظنُّكم برجلٍ لم يصلُحْ لأخيه؟ فقال عَقِيل : يا أهل الشأم ، إن أخى خيرٌ لنفسه وشرٌّ لى ، وإن مُعاوية شرٌّ لنفسه وخيرٌ لى . قال : وقال مُعاوية يوما : يا أهل الشأم ، إن عمّ هذا أبو لَهَب ؛ فقال عَقيل : يا أهل الشأم ، إن عمة هذا حَمّالة الحَطَب ؛ وكانت أمّ جميل آمرأة أبى لهب وهى بنت حَرْب .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا أبو هِلَال عن قَتَادة قال قال عُبَيد الله آبن زِيَاد لقَيْس بن عَبّاد : ما تقول فىّ وفى الحسـين؟ فقال : أَعْفِنى أعفاك الله ! فقال : لَتَقُولَن ؛ قال : يجىء أبوه يوم القيامة فيشفَعُ له ، ويجىء أبوك فيشفَع لك ؛ قال : قد علمتُ غِشّك وخُبْثك ، لئن فارقتنى يوما لأَضَعَنّ بالأرض أكثَرك شَعْرا .

قيل لمَيْمُون بن مِهْران : كيف رِضَاك عن عبد الأعلى(٢) ؟ قال : نِعْمَ المرءُ عمرُو آبن ميمون .

مرّ عمر بن الخطّاب بالصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففرّوا ووقف ؛ فقال له عمر : ما لك لم تفرّ مع أصحابك ؟ فقال : ياأمير المؤمنـين ، لم أُجْرِم فأخافَك ، ولم يكن بالطريق ضِيقٌ فأُوسعَ لك .

---

(١) رمّ الحائط وغيره : أصلحه . (٢) عبد الأعلى هذا هو ابن ميمون أخو عمرو .

حدّثني الفضلُ بن محمد بن منصور بن زِياد كاتب البرامكة قال : قال عبد الله ابن طاهر ذاتَ يوم لرجل أمره بعمل : اِحذر أن تُخطِئ فأُعاقبَك بكذا (لأمر عظيم) قلت له : أيها الأمير، من كانت هذه عقوبتَه على الخطأ فما ثوابهُ على الإصابة ! .

رأى رجل من قريش رجلًا له هيئةٌ رَثّة، فسأل عنه، فقالوا : مِنْ تَغْلِب، فوقف له وهو يطوف بالبيت، فقال له : أرى رِجْلين قلّما وطئتا البطحاء ؛ فقال له : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة(١)، وهي لى دونك ؛ وبطحاء ذى قار(٢)، وأنا أحقّ بها منك ؛ وهذه البطحاء(٣) وسواءٌ العاكفُ فيه والبادِى .

حدّثني سَهْل عن الأصمعىّ عن أبى عَمْرو بن العلاء أو غيره : أنّ مُعاوية عَرَض فرسًا على عبد الرحمن بن حَسّان فقال : كيف تراه ؟ قال : أراه أجَشّ هَزِيمًا(٤) . يريد قول النجاشىّ(٥) :

ونَجّى ابنَ حَرْب(٦) سابحٌ ذو عُلالة(٧) ... أجشُّ هَزيمٌ والرماحُ دَوَانِى

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حَمّاد بن سلمة قال أخبرنا داود بن أبى هنـد عن محمد بن عَبّاد المخزومىّ أن قريشًا قالت : قَيِّضُوا(٨) لأبى بكر

---

(١) الجزيرة هى التى بين دجلة والفرات . (٢) بطحاء ذى قار : موضع قريب من ذى قار الذى كانت فيه الوقعة المشهورة بين العجم والعرب وانتصرت فيه العرب (راجع ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه) . (٣) يريد بطحاء مكة . (٤) يقال : فرس أجش إذا كان غليظ الصهيل ، وهو مما يحمد فى الخيل . والهزيم من الخيل : الشـديد الصوت . (٥) هو قيس ابن عمرو بن مالك من بنى الحارث بن كعب . (٦) لما بلغ معاوية أن النجاشىّ قال فيه هذا البيت رفع ثندوتيه (تثنية ثندوة وهى للرجل بمنزلة الثدى للمرأة) وقال : لقد علم الناس أن الخيـل لا تجرى بمثلى فكيف قال هـذا ! راجع الشعر والشعراء للمؤلف (ص ١٨٩) . (٧) العلالة بضم العين : بقية جرى الفرس . (٨) قيضوا : هيئوا وأتيحوا له .

رجلا يأخذه، فقيّضوا له طَلْحَة بن عُبيد الله ؛ فأتاه وهو فى القوم فقال : يا أبا بكر قم إلىّ ؛ قال : إلامَ تدعونى؟ قال : أدعوك إلى عبادة اللّات والعُزّى ؛ قال أبو بكر: من اللّات؟ قال بناتُ الله، قال : فمن أمّهم؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه : أجيبوا صاحبَكم، فسكتوا ؛ فقال طلحة : قم يا أبا بكر، فإنى أشهد أن لا إلهَ إلا الله وأشهد أنّ محمّدا رسولُ الله ؛ فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبىَّ صلى الله عليه وسلم فأسلم .

حدّثنى محمد بن عُبَيد عن مُعاوية عن أبى إسحاق عن عُبيد الله بن عمر أنّ عمر قال: من يُخبرنا عن قَنْدَابِيل(١)؟ فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، ماؤها وَشَل(٢)، وتمرُها دَقَل(٣)، ولِصّها بَطَل ؛ إن كان بها الكثيرُ جاعوا ، وإن كان بها القليلُ ضاعوا ؛ قال عمر : لا يسألنى الله عن أحدٍ بعثتُه إليها أبدا .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعىّ قال : مَرِض زيادٌ فدخل عليه شُرَيْح ، فلما خرج بعث إليه مسروقٌ [بن الأجدع يسأله](٤) كيف تركتَ الأمير؟ قال : تركته يأمر وينْهَى، فقال [مسروق](٤) : إن شُرَيحًا صاحبُ تعريض(٥) فسَلُوه [فسألوه](٤) ؛ قال: تركته يأمر بالوصيّة وينهى عن البكاء . ومات آبنٌ لشُرَيح ولم يشعرُ به أحدٌ، فغدا عليه قوم يسألون به، وقالوا : كيف أصبح مَن تَصل يا أبا أميّة؟ فقال : الآن سكن عَلَزُه(٦) ورجاه أهلُه .

(١) كذا فى معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى ، هى مدينة بالسند . وفى الأصل : «فندابيل» بالفاء .

(٢) الوشل بالتحريك : الماء القليل والكثير ضدّ . والمراد هنا الماء القليل .

(٣) الدقل بالتحريك : أردأ التمر .

(٤) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) .

(٥) كذا فى العقد الفريد وفى الأصل : « ... صاحب عويص الخ» .

(٦) العلز بالتحريك : القلق والكرب عند الموت .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني بعض الأعراب قال : هَوِيَ رجلٌ امرأةً ثم تزوجها، فأهدى إليها ثلاثين شاةً وزِقًّا من خَمْر، فشرب الرسولُ في الطريق بعضَ الخمر وذبح شاةً، فقالت للرسول لمّا أراد الانصراف : اقرأ على مولاك السلام، وقل له إنّ شهرنا نَقَص يوماً، وإن سُحَيْماً راعِي شائنا أتانا مرثوما (١) . فلما أتى مولاه فأخبره ضربه حتى أقرّ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : خَطَب أعرابي إلى قوم، فقالوا : ما تبذل من الصَّدَاق؟ وارتفع السَّجْف (٢) فرأى شيئاً كَرِهَه، فقال والله ما عندي نَقْد، وإني لأكره أن يكون عليّ دَيْن .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : قال سَلْم بن قُتَيبة للشَّعْبيّ : ما تشتهي ؟ قال : أعزّ مفقود، وأهون موجود؛ قال : يا غلام اسقه ماء .

المـدائني قال : كان لابن عَوْن ابنُ عمٍّ يُؤذيه، ولاحاه (٣) يوماً فقال له ابن عون، لمّا بلغ منه : لتسكتنّ أو لأشتمنّ مُسَيلِمَة . فشهد بعد ذلك عند عُبيد الله بن الحسن، فردّ شهادته .

المدائني قال : قال المغيرة بن شُعْبة : ما خَدَعني أحدٌ قطُّ غير غلام من بلحارث بن كعب، فإني ذكرت امرأة منهم، فقال : أيها الأمير ! لا خير لك فيها، إني رأيت رجلا قد خلا بها يقبّلها، ثم بلغني بعدُ أنه تزوجها، فأرسلت إليه فقلت : ألم تعلمني أنك رأيت رجلا يقبلها؟ فقال : بلى ! رأيت أباها يقبّلها .

(١) مرثوم : مكسور، يقال : رُثِم أنف فلان أو فوه إذا كسر حتى تقطر بالدم .

(٢) السجف بفتح السين وكسرها : الستر .

(٣) لاحاه : نازعه .

قال المدائني : أتى شُريحا القاضيَ قومٌ برجل ، فقالوا : إن هذا خَطَب إلينا : فسألناه عن حرفته فقال : أبيع الدوابَّ ، فلما زوّجناه ، فإذا هو يبيع السنانير؛ قال : أفلا قلتم أيَّ الدوابّ تبيع ! وأجاز ذلك .

المدائني قال : دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شُبْرُمَة ، فقال له : أتعرفه؟ [وكان رُمِي عنده بريبة] قال : نعم ، إنّ له بيتاً وشرَفاً وقدَماً ، [فخلّى سبيله] [(1)] فلما خرج قال له أصحابه : أعرَفته ؟ قال : لا ، ولكني أعلم أن له بيتا يأوى إليه ، وشرفه أذناه ومَنْكِباه ، وقدمه هي قدمه التي يمشى عليها .

المدائني قال : سُئل الشعبيّ عن رجل ، فقال : إنه لنافذ الطَّعْنة ، رَكين القعْدة [(2)] ، يعني أنه خيّاط [فأتوه فقالوا : غرَّرتنا ؛ فقال : ما فعلت ! وإنه لكما وصفت] [(3)] .

المدائني قال : أُتِيَ العُرْيانُ بن الهيثم بشابٍّ سكران ، فقال له : من أنت؟ فقال :

أنا ابنُ الذى لا ينزِلُ الدهرَ قِدْرُهُ [(4)] * وإنْ نزلتْ يومًا فسوف تعودُ
ترى النـاسَ أفواجًا إلى ضَوْءِ ناره * فمنهــم قِيامٌ حولَهـا وقُعــودُ

فظنّ أنه من بعض أشراف الكوفة فخلّاه ، ثم ندم على ألّا يكون سأله مَنْ هو ، فقال لبعض الشُّرَط : سَلْ عن هذا ، فسأل ، فقالوا : هو ابن بيّاع الباقِلّى .

دخل حارثةُ بن بدر الغُدانيّ على زِياد ، وكان حارثة صاحب شراب وبوجهه أثر ، فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك؟ فقال حارثة [(5)] : أصلح الله الأمير ، ركبت فرسا

(١) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . (٢) فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ١٥٨) : « ركين الجلسة » . وفى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٨٣) : « رزين المجلس » .
(٣) الزيادة عن نهاية الأرب . (٤) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠) : «الأرض» .
(٥) فى الأصل : «فقال زياد» وهو سهو من الناسخ .

لى أشقر فحملنى حتى صدم بى الحائط، فقـال زياد : أمّا إنك لو ركبت الأشهب لم يُصبك مكروه . عنى زيادُ اللبنَ، وعنى حارثةُ النبيذَ .

قعد قوم على نبيذ فسقط ذُباب فى قدح أحدهم [(١)]، فقال رجل منهم: غُطَّ التميمى، فقال آخر : غُطَّه فإن كان تميميًّا رسَب، وإن كان أزديًّا طَفَا ، قال ربّ المـنزل : ما يسرّنى أنه كان [قال] [(٢)] بعضكم [(٣)] حرفا . وإنما عنى أن أزْدَ عُمان ملّاحون .

المدائنى قال : رأى رجل فى يد آمرأة كانت تأتيه خاتمَ ذهبٍ، فقال لهـا : ادفعى إلىّ خاتمك أذكرك به ، فقالت : إنه ذَهَب، وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود لعلك تعود .

حدّثنى الزيادىّ قال حدّثنا عبـد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن صُهَيْب عن أنَس قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة مُردفًا أبا بكر شيخًا يُعْرَف، ورســول الله شابٌّ لا يُعرف، فيَلْقَى الرجلُ أبا بكر فيقول : يا أبا بكر، مَن هذا [الرجل الذى] [(٤)] بين يديك ؟ فيقـول : [هـذا الرجل] [(٤)] يهدينى السبيل ؛ فيحسب السامع أنه يهديه الطريق، وإنمـا يعنى سبيلَ الخير .

كان سِنَان [(٥)] بن مُكَمِّل النميرىّ يُساير آبنَ هُبَيْرة يوما وهو على بغلة، فقال له عمر بن هبيرة : غُضَّ [(٦)] من بغلتك ، قال : كلا ! إنها مكتوبة . أراد آبن هبيرة قول الشاعر:

(١) ورد هـذا الخبر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع الساسى) بتفصيل عما هنا . وملخصه أن القوم كانوا من الأزد ومعهم رجل عدَوْلىّ يتعصب لأصحابه من تميم . فلمـا رأى القوم يهينون تميما عرّض بأنهـم ملّاحون تعييرا لهم . (٢) زيادة من كتاب الحيوان للجاحظ . (٣) فى الأصل : «نقصكم» وهو تحريف . وفى كتاب الحيوان : «بعضهم» . (٤) الزيادة من صحيح البخارى فى باب الهجرة . (٥) كذا فى الأصل والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . وفى نهـاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ١٦١) : «قال عمر بن هبيرة الفزارىّ لأيوب بن ظبيان النميرىّ ... الخ» . وفى كتاب الكنايات للثعالبى (ص ٢٠٧) المطبوع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ هـ : «ساير شريك بن محمد النميرىّ عمر بن هبيرة الفزارى على بغلة فجاوزت البغلةُ عمرَ فقال له : أغضض بغلتك ؛ فقال شريك : إنها مكتوبة ... الخ» . (٦) هو جرير .

فغُضَّ الطَّرفَ إنّك من نُمَــيْرٍ * فلا كَعْبًـا بلغتَ ولا كِلَابَا

وأراد سنان قولَ الآخر[1] :

لا تأمنَنّ فزاريًا خلَوْتَ به * على قلوصك واكتبْها بأسْــيارِ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: قال معاوية للأحنف: يا أحنف، ما الشىء الملفّف فى البِجاد؟ فقال: هو السَّخينة[2] يا أمير المؤمنين. أراد معاوية قول الشاعر:

إذا ما مات مَيتٌ من تميم * فسرَّك أن يعيش فجىء بزادِ

بخُبْزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ * أو الشىء الملفّف فى البِجادِ[3]

وأراد الأحنف أن قريشا تُعيَّر بأكل السخينة.

المدائنى قال: سأل الحَرَسىّ أبا يوسف القاضى عن السواد؛ فقال: النور فى السواد. يعنى نور العينين فى سواد الناظر.

المدائنى قال: لقى شيطانَ الطَّاقِ[4] خارجىٌّ فقال: ما أُفارقك أو تبرأ من علىّ، فقال: أنا من علىّ ومن عثمان برىء. يريد أنه من علىّ، وبرىء من عثمان.

سمع عمر بن الخطّاب امرأةً فى الطَّواف تقول:

فمنهنّ من تُسْقَى بعَذْبٍ مُبَرَّدٍ * نُقَاخٍ[5] فتلكمْ عند ذلك قَرَّتِ

ومنهن من تُسْقَى بأخضرَ آجنٍ[6] * أُجَاجٍ[7] ولولا خَشْيةُ الله فَرَّتِ

(١) هو سالم بن دارة كما فى الشعر والشعراء للمؤلف (ص ٢٣٧ والكامل للمبرد ص ٤٨١) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ٥٥٨ ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦٢). (٢) السخينة: طعام يتخذ من دقيق وسمن وكانت قريش تكثر من أكلها فعيِّرت بها حتى سُمّوا سخينة. (٣) البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب. (٤) الطاق: حصن بطبرستان سكن به محمد بن النعمان أبو جعفر الأحول الملقب بشيطان الطاق؛ وإليه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة. (٥) النقاخ: الماء البارد العذب الصافى. (٦) الآجن: الماء المتغير الطعم واللون. (٧) ماء أجاج: شديد الملوحة والمرارة.

فعلم ما تشكو ، فبعث الى زوجها فوجده متغيّر الفم ، فخيّره بين خمسمائة درهم أو جاريةٍ من الفَيْء على أن يطلّقها ، فاختار خمسمائة ، فأعطاه وطلّقها .

حدّثنى أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال : كنت واقفا بهذا المكان ، وأقبلت آمرأة من هذه الناحية ، وغلامٌ من الناحية الأخرى أبيضُ الوجه رائعه ، ونظرت إليه المرأة ، فلما ٱلتقيا قالت له : ما ٱسمك يافتى ؟ قال : محمد ، قالت : ابن من ؟ قال : ٱبن زانة ، وتبسّم عن ثغر أفلج[1] مختلف قبيح ؛ فقالت : واحَرَباهُ على ما قال ! فقلت لها : قد وقعتُ لك عليها ؛ قالت : من أين ؟ قلت : من كنية أبى الخير النصرانىّ كاتب سعيد الحاجب . أراد أن الياء إذا نُقلت عن أبى الخير الى زانة ، صار هذا أبا الخر ، وصار هذا ٱبن زانية .

مر ٱبن أبى عَلْقمة بمجلس بنى ناجية[2] فكَبَا حمارُه لوجهه فضحكوا ، فقال : ما يضحككم ! إنه رأى وجوه قُرَيش فسَجَد .

قال عمرو بن بحر[3] قال أبو الهذيل لمحمد بن الجَهْم وأنا عنده : يا أبا جعفر ، إنى رجلٌ مُنخرِق الكفّ لا أُليق[4] درهما ، ويدى هذه صَنَاعٌ فى الكَسْب ولكنها فى الإنفاق خَرْقاء ، كم من مائة ألف درهم قسمتها على الإخوان فى مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك ! أسألك بالله يا أبا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال : يا أبا الهذيل ما أشك فيما تقول ؛ قال : فلم يرضَ أن حَضَرتُ حتى ٱستشهدنى ، ولم يرض إذ ٱستشهدنى حتى ٱستحلفنى .

---

(١) أفلج : متباعد ما بين الأسنان .

(٢) ناجيــة : قبيلة ، وهم بنو ناجية بن سامة بن لؤىّ بن غالب بن فهــر بن مالك . (ياقوت) .

(٣) هو الجاحظ وقد ورد هــذا الخبر فى كتابه « البخلاء » (ص ١٤٨ طبع مدينة « ليــدن » سنة ١٩٠٠ م) .

(٤) يقال : فلان ما يليق درهما : أى ما يمسك .

قال المدائنىّ : بعث يزيد بن قَيْس الأرحَبِىّ - وكان واليا لعلىّ - إلى الحسن والحسين رضى الله عنهم بهدايا بعد آنصرافه من الولاية وترك آبن الحَنَفيّة ، فضرب علىّ — عليه السلام — على جنب آبن الحنفيّة وقال :

وما شَرُّ الثـلاثةِ أمَّ عمرٍو * بصاحِبِك الّذى لا تَصْبحِينا (١)

فرجع يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحنفيّة بهديّة سنية .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال حدّثنى موسى بن محمد قاضى المدينة، قال : مرّ رجل بأعرابى يوقد فى أصل مِيلٍ ، فقال : كم على الميل؟ فقال : لستُ أقرأ ، ولكنّ كتّابه فيه ؛ قال : وما كتابه؟ قال : مِحجنٌ (٢) وحَلْقة سِمْط وثلاثة أَطْباء وحَلْقة مُذَنَّبة (يعنى صورة خمسة) .

قال أبو اليقظان : إن عمرو بن مالك بن ضُبَيْعة هو الذى قيل فيه (٣) :

لذى الحِلْم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا * وما عُلِّمَ الإنسانُ إلّا ليَعْلَمـا

وذلك أن سعد بن مالك كان عند بعض الملوك (٤) ، فأراد الملك أن يبعث رائدًا يرتاد له منزلًا ينزله ، فبعث بعمرو فأبطأ عليه ، فآلى الملك لئن جاء ذامًّا أو حامدًا ليقتلنّه ؛ فلما جاء عمرو وسَعْدٌ عنده ، قال سعد للملك : أتأذَنُ لى فأكلّمه؟ قال : إذًا أقطع لسانك ؛ قال : فأشير إليه ؛ قال : إذًا أقطع يدك ؛ قال : فأومئ إليه ؛ قال : أقطع حِنْوَ (٥) عينك ؛ قال : فأقرَعُ له العصا ؛ قال : اقرَعْ . فأخذ العصا فضرب بها

---

(١) كذا فى معلقة عمرو بن كلثوم ؛ وفى الأصل « لا تصحبينا » ومعنى لا تصبحينا : لا تسقيه الصبوح . (٢) يريد بالمحجن : رأس الخاء ؛ وبحلقة سمط : الميم ؛ وبثلاثة أطباء : السين ؛ وبحلقة مذنبة : الهاء . والأطباء جمع طبى بكسر الطاء وتضم : حلمات الضرع التى فيها اللبن من ذوات الحافر والسباع . (٣) ورد هذا الخبر فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٤ — ٢٠٧) مع اختلاف فى الألفاظ . (٤) هو النعمان الأكبر كما فى الأغانى . (٥) حنو العين : حجاجها وهو العظم الذى ينبت عليه الحاجب .

عن يمينه ثم ضرب بهـا عن شماله ثم هزّها بين يديه، فلَقِن[١] عمـرو، فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ! أتيتُـك من أرض زائرها واقف، وساكنُها خائف، والشَّبْعَى بهـا نائمة، والمهزولةُ ساهرةٌ جائعة؛ ولم أرِ خصْبًا محلا، ولا جدبا[٢] مزلا .

لمـا حُكِّم أبو موسى وقدِمَ ليحكم، دَسّ معـاويةُ الى عمرو رجلًا ليعلم علمَه وينظر كيف رأيه؛ فأتاه الرجل فكلّمه بمـا أمره به؛ فعَضّ عمرو على إبهامـه ولم يُجبـه؛ فنَهَض الرجل فأتى مُعاويةَ فأخبره؛ فقال : قاتله الله! أراد أن يُعلمنى أنى فُرِرْتُ قارحًا[٣] .

حدّثنى أبو حاتم قال حدّثنى الأصمـعى قال حدّثنـا عيسى بن عمر قال : سأل الحجاج جبر بن حبيب عن رجل، وكره أن يعاقبه إن دلّ عليه، فقال : تركته والله جسدا يُحرِّك رأسُه يُصَبُّ فى حلقه المـاء، والله لئن حُمِـلَ على سرير ليكوننّ عليـه عورةٌ؛ قال : فتركه .

حدّثنى القاسم بن الحسن عن خالد بن خِدَاش عن حَمّاد عن مُجالد عن عُمَيْر ابن روذى[٤] قال : خَطَبَنا علىٌّ عليه السـلام فقال : لئن لم يدخل الجنـة إلا من قتل عثمان لا أدخلها[٥] ولئن لم يدخل النـار إلا من قتـل عثمان لا أدخلها[٥]؛ فقيـل له :

(١) لقن كفرح : فهم . (٢) كذا فى الأصـل . وورد الخبر فى مجمع الأمثال للميدانى (ج ١ ص ٣٢ طبعة بولاق) : «... فأقبل عمرو حتى قام بين يدى الملك فقال له : أخبرنى، هل حمدت خصبا أو ذممت جدبا؟ فقال عمرو : لم أذمم هزلا، ولم أحمد بقلا؛ الأرض مشكلة، لا خصبها يعرف، ولا جدبها يوصف، رائدها واقف، ومنكرها عارف، وآمنها خائف؛ قال الملك : أولى لك» . وورد هذا الخبر فى الأغانى (ج ٢١ ص ٢٠٥ طبع مدينة ليدن) كما ورد فى مجمع الأمثال وفيه «لم أذمم جدبا» بدل «لم أذمم هزلا» . (٣) فرّ الدابة فرّا وفرارا : كشف عن أسنانها ليعرف ما سنها . والقارح من ذى الحافر : الذى طلع نابه وهو بمنزلة البازل من الإبل . والمراد هنـا أنه اختبر محنكا . (٤) كذا فى الأصل . ولم نعثر على هذا الاسم . (٥) فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٠) : «لا دخلتها أبدا» .

ما صنعتَ! فرّقتَ الناس! فخطَبهم فقال: إنكم قد أكثرتم فى قتـل عثمان، ألَا وإن الله قتَلَه وأنا معه؛ قال: حدّثنا خالد عن حمّاد عن حَبيب بن الشّهيد عن محمد بن سيرينَ قال: كلمةٌ عربيّة لها وجهان. أى وسيقتلنى معه.

سأل زيادٌ رجلا بالبصرة: أين منزلك؟ فقال: وَاسِط، قال: مالكَ (١) من الولد؟ قال: تسعة. فلما قام، قيل لزياد: كَذَبك فى كل ما سألته، ما له إلا ابنٌ واحد، وإن منزله بالبصرة. فلما عاد إليـه، قال: ذكرتَ أن لك تسـعة من الولد، وأن منزلك بواسـط؟ قال: نعم؛ قال: خُبِّرتُ بغير ذلك؛ قال: صَدَقتُ وصَدَقوك، دفنتُ تسعةَ (٢) بنين فهم لى، ولى اليوم ابن واحد ولست أدرى أيكون لى أم لا؛ وأما منزلى فالى جانب الجَبّان (٣) بين أهل الدنيـا وأهل الآخرة، فأىّ منزلٍ أوسط منـه! قال: صدقت.

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن عيسى بن عمر قال قال المختار لجنده: يا شُرْطة الله، لَيخرُجَنّ الى قريبٍ على الكعبة الحرام دابّةٌ (٤) له ستُّ قوائمٍ وله رأسٌ بلا عُنُق، ثم ٱلتفت الى رجل الى جانبـه فقال: أعنى اليَعْسوب.

كان إبراهيم اذا لم يُعجبه الرجل قال: ما هو بأعجب الناس الىّ.

بلغنى عن معاوية بن حَيّان عن المبارك بن فَضَالة عن عبـد الله بن مسـلم بن يَسَار، قال: كان أبى اذا غَضِب على البهيمة، قال: أكلتِ سمًّا قاضيا.

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠): «كم لك من الولد».

(٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠): «... لى تسعة من الولد قدمت منهم ثمانية فهم لى وبقى معى واحد، فلا أدرى ألى يكون أم علىّ».

(٣) الجبان والجبانة بالتشديد: المقبرة. (٤) تقع الدابة على المذكر والمؤنث؛ فيقال هذا دابة وهذه دابة.

حدثني زيد بن أخزم[1] قال حدثنا أبو قُتَيْبة قال حدثنا أبو المنهال البَكْرَاوِيّ[2] قال: كان الحسن اذا أُخِذَ من لِحْيته شيء، قال: لا يكن بك السوءُ.

وقيل للحسن: أتى رجلٌ صاحبًا له في منزله وكان يصلي، فقال: أدخل؟ فقال في صلاته: (أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ)؛ فقال: لا بأس.

كان محمد بن عليّ اذا رأى مُبْتَلًى أخفى الاستعاذة. وكان لا يسمع من داره ياسائل بورك فيك، ولا يا سائل خذ هـذا؛ ويقول: سَمُّوهم بالحسن الجميل عباد الله، فتقولون: ياعبد الله بُورك فيك.

قيـل لعليّ بن أبي طالب عليه السـلام: كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة[3] مستجابة. قيل: فكم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم (يعني للشمس).

كان رَشْمُ[4] عمر بن مِهْران الذي يرشم به على طعامه: اللهم احفظه ممن يَخْطَفه.

خرج رجل من بني أَسَد بإبل له يسقيها، ومعه ابنة له جميلة عاقلة، حتى دفع إلى ماء لبني فَزَارة، فسألهم أن يأذنوا له في سقي إبله؛ فقالوا: على ألا تجأجئ[5] بها، قال: فإذًا لا تشربُ شُرْبَ خير؛ قالوا: إن رَضيتَ وإلا فانْصرِفْ. فقالت له الجارية: اشْرُطْ لهم ما طلبوا وأنا أكفيك؛ فأخذ الدلوَ، وجعلت الجارية ترتجز وتقول:

(١) هو بمعجمتين كما في تهذيب التهذيب، وفي الأصل «أحزم» بالحاء المهملة وهو تحريف.

(٢) البكراوي بفتح الباء وسكون الكاف بعدها الراء المهملة منسوب الى أبي بكرة الثقفي وهو من الصحابة الذين نزلوا البصرة رضي الله عنهم كما في كتاب الأنساب للسمعاني.

(٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥): «مسيرة ساعة لدعوة مستجابة».

(٤) الرشم: ختم الحنطة بالروشم، والروشم لوح منقوش تختم به البيادر.

(٥) جأجأ بالإبل: دعاها لورود الماء لتشرب بقوله: جيء جيء.

جاريةٌ شَبَّتْ شبابَ العُسْلُجِ * ذاتُ وِشاحينِ وذاتُ دُمْلُجِ (١)
وذات ثَغْــرٍ أشنبٍ مُفَلَّجِ * وذات خَلْقٍ مُستتِبٍّ مُــدْمَجِ (٢)

فى أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رَوِيتْ من غير أن جاءا بها .

وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبنا حازرا (٣) ولا يتنحنح ، فلمــا شربه [و] (٤) تقطّع فى حَلْقه، قال: كَبْشٌ أملح، فقال صاحبه : فَعلَهَا وربِّ الكعبة ! فقال : مَن فعلها فلا أفلح . وكان ما تبايعا عليه كبشا .

قال الأصمعى : قلت لأعرابى معه شَاءٌ : لمن هذه الشّاء ؟ فقال: هى لله عندى .

حدّثنى أبو الخطّاب قال حدّثنا أبو داود عن عمّارة بن زاذان قال حدّثنا أبو الصهباء قال : قال الحجّاج لسَعِيد بن جُبَيْر : اِختَرْ أىَّ قِتْلَةٍ شئتَ ؛ فقال له : بل اختر أنت لنفسك، فإن القِصاص أمامك .

وَلِىَ هَرْثمةُ الحرسَ مكان جعفر بن يحيى، فقال له جعفر : ما انتقلت عنى نعمةٌ صارت إليك .

أمر الحجّاجُ ابنَ القِرِّيّة (٥) أن يأتى هنــدَ بنت أسمــاء فيطلقها بكلمتين، ويُمتّعها بعشرة آلاف درهم . فأتاها فقال لها : إن الحجّاج يقول لك : كنتِ فبِنْتِ ، وهذه عشرة آلاف مُتْعةً لك ؛ فقالت : قل له : كنّا فمــا حَمِدْنا، وبِنّا فمــا نَدِمْنا؛ وهذه العشرة الآلاف لك ببشارتك إياى بطلاقى .

---

(١) العسلج : الغصن الناعم . والدملج : ما يشدّ على العضد من الحلى .

(٢) الثغر الأشنب : ما فيه رقة وصفاء . ومستتب : مستقيم . ومدمج : مكتنز غير مسترخ .

(٣) اللبن الحــازر : الحامض .

(٤) زيادة يقتضيها الكلام .

(٥) ورد هذا الخبر فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٢٤٠) بتبسط عما هنا .

سئل سُفيان بن عُيَيْنة عن قول طاوُس فى ذَكَاة السمك أو الجراد، فقال آبنه عنه : ذَكَاتُه صيدُه .

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة ، فقام رجل من عُذْرَة يقــال له يزيد بن المقنَّع(١)، وآخترط من سيفه شبرا ، ثم قال : أميرُ المؤمنين هذا، وأشار الى مُعاوية ، فإن يَهْلِكْ فهذا ، وأشار الى يزيد، فمن أبى فهذا، وأشار الى سيفه . فقال معاوية : أنت سيِّد الخطباء .

قال رجل من أهل الحجاز لآبن شُبْرُمَة : مِنْ عندنا خَرَجَ العلمُ، قال آبن شبرمة : ثم لم يَعُدْ إليكم .

قال المدائنىّ قال معاويةُ لآبن عبّــاس(٢) : أنتم يابنى هاشم تُصابون فى أبصاركم، فقال آبن عباس : وأنتم يابنى أمية تصابون فى بصائركم . وقال له معاوية : ما أبينَ الشَّبَق فى رجالكم ! فقال : هو فى نسائكم أَبْيَن .

أبو اليقظان قال : قال آبن ظَبْيان التَّيْمىّ لزُرْعة بن ضَمْرَة : اتمد طلبتــك يوم الأهواز ولو ظَفِرتُ بك لقطعت منك طابِقًا سُخْنا ، قال : أفلا أدلُّك على طابق هو أسخن وأحوج إلى القطع ؟ قال : بلى ! قال : بَظْرُ بينَ إسْكَتَىْ أمّك .

أبواليقظان قال : بعث الحجّاج إلى الفُضَيْل بن بَزْوَان العَدْوانى، وكان خيِّرا من أهل الكوفة ، فقال : إنى أريد أن أُوَلِّيك، قال : أَوَ يُعفينى الأمير ؟ فأبى وكتب عهدَه، فأخذه وخرج من عنده فرمى بالعهد وهَرَب، فأُخِذَ وأُتِىَ به الحجّاجُ، فقال : يا عدوّ الله، فقال : لستُ لله ولا للأمير بعدوّ، قال : ألم أكرمك ! قال : بل أردتَ أنْ تُهينَنى، قال : ألم أستعملك ! قال : بل أردت أن تستعبدنى، قال :

(١) أى استله من غمده بمقدار شبر . (٢) فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٣٣) «عقيل» مكان «ابن عباس» .

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) الآية؛ قال : ما استوجبتُ واحدةً منهن؛ قال : كل ذلك قد استوجبت بخلافك. وأمر رجلا من أهل الشأم أن يضرب عُنقه .

سليمان بن أبى شيخ قال حدثنى حجر بن عبد الجبّار عن عبد الملك بن عُمَيْر قال : كان[1] فى مجلس زياد، الذى يجلس فيه للناس بالكوفة، فى أربع زواياه كتاب بقلم جليل : "الوالى شديد فى غير عنف، لين فى غير ضعف؛ الأُعْطية لإبّانها، والأرزاقُ لأوقاتها؛ البُعُوث لا تُجمَّر[2]؛ المحسن يُجْزَى بإحسانه، والمسىء يُؤْخذ على يديه" كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها .

قال سليمان وحدّثنا أبو سفيان الحميرىّ قال : أُتِىَ بأبى جَهْم بن كِنَانة يوم الزاوية، فقال له الحجاج : من أنت ؟ قال : أنا أبو جهم بن كنانة، قال له الحجاج : قد زدناك فى اسمك ألفا ولاما فأنت أبو الجهم، وزدنا فى عطائك ألفا .

العباس بن بكّار عن عُبَيد الله بن عمر الغسّانىّ عن الشعبىّ قال : قال مُعاوية لشدّاد بن أوس : ياشدّاد، أنا أفضل أم علىّ؟ وأينا أحبُّ اليك ؟ فقال : علىٌّ أقدمُ هِجْرةً، وأكثرُ مع رسول الله إلى الخير سابقةً، وأشجعُ منك قلبا، وأسلمُ منك نَفْسًا؛ وأما الحبّ فقد مضى علىّ. فأنت اليوم عند الناس أرجى منه .

قال الأحنفُ لمعاوية فى كلام : أنت أعلمنا بيزيد فى ليله ونهاره، وسرّه وعَلَانِيَته، فلا تُلْقمه الدنيا وأنت تذهب الى الآخرة .

(١) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٤) هكذا : «كان فى مجلس زياد مكتوب : الشدّة فى غير عنف، واللين فى غير ضعف؛ المحسن يجازى بإحسانه، والمسىء يعاقب بإساءته؛ الأعطيات فى أيامها؛ لا احتجاب عن طارق ليل، ولا صاحب ثغر» . (٢) تجمير البعوث : جمعهم فى الثغور وحبسهم عن العود الى أهليهم. ومنه حديث الهرمزان : إن كسرى جمّر بعوث فارس . وروى الربيع أن الشافعىّ أنشده :

وجمّرتنا تجمير كسرى جنوده ... ومنّيتنا حتى نسينا الأمانيا

خطب الحجّاجُ فشكا سوءَ طاعة أهل العراق؛ فقال جامعٌ المحاربىّ : أمَا إنهم لو أحبُّوك لأطاعوك، على أنهم ما شنئوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك (١)، فدع ما يباعدهم منك الى ما يقرّبهم إليك، والتمس العافية فيمن دونك تُعْطَها ممن فوقك، وليكن إيقاعُك بعد وعيدك، ووعيدُك بعد وعدك؛ فقال الحجاج : والله ما أُرانى أردّ بنى اللَّكيعة الى طاعتى إلا بالسيف؛ فقال : أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار؛ قال الحجّاج : الخِيَار يومئذ لله؛ قال : أجل ! ولكنّك لا تدرى لمن يجعله الله؛ فقال : ياهَنَاهُ (٢)، إنك من مُحارب! فقال جامع :

وللحـــرب سُمِّينا وكنّا مُحـــاربا * اذا ما القَنَا أمسى من الطعن أحمرا

فقـــال الحجاج : والله لقـــد هممتُ أن أخلع لسانك فأضربَ به وجهك؛ فقال له يا حجّاج : إن صَدَقْناك أغضبناك، وإن كذبناك أغضبنا الله، فغَضَبُ الأمير أهونُ علينا من غضب الله .

قال الأصمعىّ أخبرنا شيخ من قُضَاعة، قال : ضَلَلْنا مرةً الطريقَ فاســـترشدنا عجوزًا؛ فقالت : استبطن الوادىَ وكن سيلاً حتى تبلُغَ .

ابن الكلبىّ قال : كتب معاوية (٣) الى قيس بن سعد (٤): أما بعد، فإنما أنت يهودىٌّ ابن يهودىّ، إن ظَفِرَ أحبُّ الفريقين اليك عزَلك واستبدل بك، وإن ظفر أبغضُهما إليك قتلك ونكّل بك، وقد كان أبوك وَتَرَ قوسَه ورمى غَرَضَه، فأكثر الحَزّ وأخطأ

(١) فى الأصل «لنفسك» وقد أثبتنا ما فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٨) لمنع التكرار مع قوله «لذات نفسك» . (٢) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان، فاذا ناديت مذكرا بغير التصريح باسمه قلت : يا هن أقبل . وقد تزاد الألف والهاء فيقال للرجل : ياهناه أقبل، بضم الهاء على تقدير أنها آخر الاسم، وبكسرها لاجتماع الساكنين . (انظر اللسان مادة هنا) . (٣) وردت هذه الحكاية بكتاب الكامل للبرد ص ٢٩٨ طبع مدينة ليبسيج وكتب عليها بأسفل الصحيفة ما نصه «هذه حكاية غير صحيحة» . (٤) فى الكامل : «الى قيس بن سعد وهو والى مصر لعلى بن أبى طالب» .

المَفْصِل، فخذله قومُه، وأدركه يومُه، ثم مات طريدًا بحَوْران؛ والسلام. فكتب إليه قيس بن سعد: أما بعد، فإنما أنت وثنٌ ابن وثن (١)، دخلت فى الإسلام كرها وخرجت منه طوعا، لم يقدُم إيمانك ولم يحدُث نفاقك، وقد كان أبى وترقوسه ورمى غرضه، وشَغَّبَ (٢) عليه من لم يبلُغ كعبه ولم يشُقّ غُباره، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه، وأعداءُ الدين الذى خرجت اليه؛ والسلام.

قال يحيى بن سَعيد الأُمَوىّ: سمعت الأعمش يقول لخالد بن صَفْوان: شَعَرت أن منزلك لا يُعرف إلا بى حتى يقال عند منزل الأعمش؛ فقال خالد: صدقتَ، مثل حمام عنترة، ويقال وردان وبيطار (حيان).

قال الربيع لشَريك بين يدى المهدىّ: بلغنى أنك خُنْتَ أمير المؤمنين؛ فقال شَريك: لو فعلنا ذلك لأتاك نصيبُك.

قال رجل من العرب: أُرِيتُ البارحةَ فى منامى كأنى دخلت الجنةَ فرأيت جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: للعرب؛ فقال رجل عنده من الموالى: أصعدتَ الغرف؟ قال: لا؛ قال: فتلك لنا.

وكتب قُتَيبة بن مسلم الى عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان: أما بعد، فإن عشمشم أعشى الشجر (٣). فكتب اليه ابن ظَبْيان: من ذلك الشجر كان بَرْبَطُ (٤) أبيك. يعنى مسلم بن عمرو، وكان مغنيًّا ليزيد بن معاوية.

---

(١) كذا بالأصل والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٤ طبع مطبعة الفتوح الأدبية بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) والكامل للمبرد (ص ٢٩٨) ولعلها: وثنى ابن وثنى، نسبة الى الوثن وهو الصنم.

(٢) شغب عليه (بالتشديد): هيج عليه الشر.

(٣) كذا بالأصل، ولم نوفق الى تحقيقه أو فهم التعريض منه.

(٤) البربط بجعفر: العود من آلات الموسيقى، وقيل هو معرّب «بربط» بكسر الراء، كما هو مضبوط فى الأصل هنا، ومعنى بربط بالفارسية: صدر الإوز، أطلق على العود لشبهه به.

قال بَحْر بن الأحنف لجارية أبيه زَبْرَاء : يافاعلة، فقالت : لو كنتُ كما تقول أتيتُ أباك بمثلك .

وقال رجل لابنه : يابن الفاعلة ، فقال : والله لئن كنتَ صدقتَ ما فعلَتْ حتى وجدَتْك فحلَ سَوْء .

أتت ابنةُ الخُسّ عُكَاظ، فأتاها رجل يمتحن عقلها ويمتحن جوابها، فقال لها : إنى أريد أن أسألك، قالت : هاتِ. قال : كاد ، فقالت : المتنعّل يكون راكبا. قال : كاد، قالت : الفقر يكون كُفْرا. قال : كاد، قالت : العَرُوس تكون مَلِكا. قال : كاد، قالت : النّعَامة تكون طائرا . قال : كاد، قالت : السِّرار يكون سحرا. ثم قالت للرجل : أسألك ؟ قال : هاتى ، قالت : عجبت ، قال : للسِّباخ لا ينبت كلؤها ولا يجف ثراها . قالت : عجبت ، قال : للحجارة لا يكبرُ صغيرُها ولا يَهْرَم كبيرُها . قالت : عجبت، قال : لشُفْرِك لايُدْرَك قعرُه ولا يُملأ حفرُه .

المدائنىّ قال : كان عُرَام(1) بن شُتَيْر عند عمر بن هُبَيْرة، فألقى إليه ابنُ هبيرة خاتَمه وفصّه أخضر، فعقد عرام فى الخاتم سَيْرًا . أراد عمر قول الشاعر :

لقد زَرِقَتْ عيناك يابن مُكَعْبَرٍ ... كما كُلُّ(2) ضَبّىّ من اللؤم أزرقُ

وأراد عُرَام :

لاتأمننّ فَزَارِيًّا خلوتَ به ... على قَلُوصك واكْتُبْها بأسيارِ

قال جرير للأخطل : أرّقتُ نومَك ، واستهضمتُ قومَك ، قال الأخطل : قد أرّقت نومى، ولو نمتُ كان خيرا لك .

---

(1) كذا فى الطبرى (طبع أوروبا ص ١٢٠٣ — ١٢٠٤ من القسم الثانى) . وفى الأصل : "غذام" بالذال المعجمة . (2) كذا فى اللسان مادة "زرق" والأغانى (ج ١٩ ص ٤٩ طبع بولاق) وفيه ينسب الشعر الى سويد بن أبى كاهل . وفى الأصل : « كما ظل ظبى ... » وهو تحريف .

أراد معاويةُ أن يخطُب بصفِّين فقال له عمرو بن العاص : دعنى أتكلّم ، فإن أتيتُ على ماتريد وإلّا كنتَ من وراء ذلك ، فأذنَ له ؛ فتكلّم بكلمات ؛ قال : قدّموا المُسْتَلْئِمَة[1] وأخّروا الحُسَّر ، كونوا مِقصّ الشارب ، أعيرونا أيديَكم ساعةً ، قد بلغ الحقّ مَفْصِلَه ، إنما هو ظالم أو مظلوم .

حدّثنى ابن أبى سعد عن محمد بن الحسن التميمى عن عبد الله بن أحمد بن الوَضّاح ، قال : دخل أعرابىّ على عبد الملك بن[2] مروان ؛ فقال له : يا أعرابىّ صف الخمر فقال :

شمولٌ إذا شُجَّت وفى الكأس مُزّةٌ ❊ لها فى عِظَام الشاربين دَبيبُ
تُرِيك القَذَى من دونها وهى دونَه ❊ لوجهِ أخيها فى الإناء قُطُوبُ

فقال : ويحك يا أعرابىّ ! لقد اتّهمك عندى حسنُ صفتك لها ؛ قال : ياأميرالمؤمنين واتّهمك عندى معرفتُك بحسن صفتى لها .

مقطّعات ألفاظ تقع فى الكتاب والكلام

لو أخطأتُ سبيلَ إرشادك ، لما أخطأتُ سبيلَ حسن النية فيما بينى وبينك .

لو خطر ذلك ببالى من فعلك ، ما عرّضتُ ستْرَ الإخاء للهتْك بينى وبينك .

قد أحسنت فى كذا قديما . وفعلُك كذا إحدى الحُسْنَيَين بل ألطفهما موقعا .

أنت رجلٌ لسانُك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك . فقدِّم[3] على نفسك مَنْ قدّمك على نفسه . الله يعلم أنك ما خطرتَ ببالى فى وقتٍ من الأوقات إلا مَثَّل الذكْرُ منك لى محاسنَ تزيدنى صبابةً إليك وضَنًّا بك واغتباطا بإخائك . لعل الأيام

(١) المستلئمة : الطائفة التى عليها اللأم وهى الدروع .

(٢) الذى فى الأغانى (ج ٦ ص ١٢٧ طبع بولاق) : «دخل ابن الأقرع على الوليد بن يزيد...» . «وورد فيه الشطر الأول من البيت الأول هكذا : «كميت اذا شجت وفى الكأس وردة» .

(٣) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) . وفى الأصل : «اتهم على نفسك ...» .

أن تُسهِّل لأخيك السبيلَ الى ما تقتضيه نفسُـك من برّك ومُعَاوضتك(١) ببعض ما سَلَف لك .

ما هـذا الغَبَا العجيب الذى الى جانبه فِطنـةٌ لطيفة . حكمُ الفَلَتات خِلافُ حكم الإصرار .

من أخطأ فى ظاهر دنيـاه وفيما يُؤخذ(٢) بالعـين، كان حَرِيًّا أن يُخطئ فى باطن دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

ومن أول ما أُحبّ أن أُوثِرَك به وأَقضِىَ فيه واجبَ حقّك، تنبيهُكَ على عظيم ما الله عندك ، وحثُّك على الآزدياد ممـا يَزيدك .

من كان بمثـل موضعك يجُمَعَ له حمدُ إخوانه ورضا مُعامليه والاستقصاءُ مع ذلك لمن استكفاه، فقد عَظُمت النعمةُ عليه، ولا أعلم بما أسمع فيك إلا أنك كذلك والحمد لله .

ما أغنى الفقيرَ عن الحمد، وأحوجَه الى ما يجد به طعمَ الحمد !

قد حَسَدك من لا ينام دون الشِّفاء(٣)، وطلبك من لا يُقصِّر دون الظفر، [فآشدُد حَيَازِيمَك وكن على حَذَر(٤)] .

أنت تَتَجَنَّى على مالك لتُتلفه بأسـباب العِلَل، كما يدفع عن ماله البخيلُ بوجوه الاعتلال . أنت طالبُ مَغْنَم، وأنا دافع مَغْرَم ، فإن كنتَ شاكرا لما مَضَى، فاعذِرْ فيما بَقِى . مكرُك حاضر، ووفاؤك متأخّر. أنا راضٍ بعفوك، باذلٌ لمجهودى .

نوائب الأيام رمَتْ به ناحيتك ؛ واذا رأيتَه أنبأك ظاهرُه عن باطنه ودعاك الى محبّته قبولُه ، وهو فى الأدب بحيث المستغنِى عن النسب(٥) .

---

(١) فى الأصل "ومعارضتك" . (٢) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل : "وفيما توجد..." .
(٣) فى الاصل : "السفا" . (٤) زيادة عن العقد الفريد . (٥) فى الأصل : "السبب" .

قد آن أن تَدَع ما تسمع لمـا تعلم وإلَّا يكون غيرُك فيما يُبلغك أوثقَ من نفسك فيما تعرفه .

هذا فلان قد أتاك على رِقَّةٍ من حاله وبُعْـدٍ من شُقَّته ، فنَشَدْتُك الله أن تقدّم شيئا على تصديق ظنّه وسَدّ خَلّته وبَلّ ما يَبّست هذه النكبةُ من أَديمه ، فإنه غَذِىُّ نعمةٍ وخدينُ مُروءة .

أنا أسأل الله أن يُنجز لى ما لم تزل الفِرَاسة تَعِدُنيـه فيك . الحُرِّيّةُ نسبٌ . فهمتُ ما آعتذرتَ به فى تأخُّرك ، وغضضتَ به منى طَرْفًا طامحا إليك ونفسًا تَوّاقةً الى قُرْبك .

وصل كتابك فكان موقعـه مَوْقِعَ الرُّوح من البَـدَن . فإن أمير المؤمنين يحب ألا يَدَع سبيلا من سُـبُل البر وإن عَفَا ودَثَر إلا أناره وأوضح مَحَجّته ، ولا خَلّة من خلال الخير لا أوّلَ لها إلا آهتبل[1] الفرصة فى إنشائها ، وآختيار مَكرمة آبتدائها ، لتجبَ له مساهمةُ الفارط[2] فى أجره ، ويكونَ أُسوةَ الغابر فى ثوابه .

لولا وجوبُ تقديم العذر لصاحب السلطان ، فى الذهول عن مواصلة من يجب عليه مواصلته ، بمـا يستولى عليه من الشغل بعمله ، إذًا لكَثُرَ العَتْبُ .

إنك لكل حسن أبليته ، ومعروف أسديتَـه ، وجميل أتيتَه ، وبَلَاء كان لك ربيتَه ، أهلٌ فى الدين والحَسَب القديم .

لك — أعزّك الله — عنـدى أيادٍ تشفَعُ لى الى محبّتك ، ومعروفٌ يُوجب عليك الرَّبَّ[3] والإتمـام .

---

(١) اهتبل الفرصة : اغتنمها . (٢) الفارط : السابق . (٣) الرب : الزيادة . وفى العقد الفريد «الود والإتمام» .

أفعال الأمير مختارةٌ كالأمانى، متّصلةٌ عنـدنا كالأيام؛ ونحن نختار الشكر لكريم فعله، ونُواصل الدعاء والذكر مواصلةَ برّه .

أبدأ بذكر يدك التى أجارتنى على صرف الزمان، ووقتنى نوائب الأيام، وثمّرت لى بقية النعمة، وصانت وجهى عن آستعباد منّن الرجال، وبَسَطتْ لى الأملَ فى بلوغ ما ناله بك مَنْ رفعت خسيسَته ونوهتَ بذكره ، وأعانتنى على آتبـاع مذهب المـاضين من سلفى فى الوفاء لكم ، وحماية النعمة عليهم بكم عن أيدى غيركم، حتى خَلَصتْ لهم منكم فعزّوا، ولم يشغَلوا شكرَهم بغيركم حين شكروا، ولم يحتملوا صنيعة لسواكم لمـا آعتدّوا، ولم تَشعّبهم الدنيا عنكم اذ آضطُرُّوا .

إنّ الله أحلك[١] منا أهلَ البيت محلًّا نراك به عِوَضًا من الغائب ، وخَلَفًا من الهالك، ونجدك مخصوصا بضرّائنا اذ كنت ولىّ سرّائنا، وكنا لك كالجوارح نألَمُ لكل ما أَلِمَ منها .

نحن نعوذ بالله من سَخَطك، ونستجير به من غَضَبك، ونسألك النظر فيما كتبنا به صادقين، كما سمعتَ قَصَص الكاذبين، فإنا على سلامة ممـا رقّوه[٢] .

كتبى — أعزك الله — تأتيك، فى الوقت بعد الوقت، على حسب الدواعى، وإن كان حقّك يُلزمنى ألّا تُغبّك، لولا ما أتذكر من زيادتها فى شُغلك .

أنت الحامل لكل إخوانه، الناهضُ بأعباء أهـل مودّته ، الصابرُ على ما ناب من حقوقهم .

كنتُ أمس — أكرمك الله — عليـلا ، وركبتُ اليوم على ظَلَع[٣] ظاهر ورقّة شـديدة، فلما آنصرفتُ أمرتُ بإغلاق الباب للتودّع ، ووافق ذلك من سوء نيتك وإرصادك صديقَك بما يستدعى عَتْبَك عليه وعتبَه عليك ما وافق .

(١) فى الأصل : «أهلك ...» . (٢) أى رفعوه اليك من الأخبار الكاذبة .
(٣) فى الأصل : "ضلع" .

لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتّابَ[1] اليك فى الحاجة، فأتوقف أحيانا توقف المبقِ[2] عليك من المؤونة، وأكتب أحيانا كتّاب الراجع منك الى الثقة والمعتمد منك على المقة، لا أعدمَنا الله دوام عزك، ولا سَلَب الدنيا بَهْجتَها بك، ولا أخلانا من الصّنع [لله][3] على يدك وفى كَنَفك، فإنا لا نَعرِف إلا نعمتك، ولا نجد للحياة طعما ونَدًى إلا فى ظِلّك.

إن كان هذا مما ترضاه لى، فلست ألتمس أكثر منه، وقوفا بنفسى عند الحظ الذى رَضيتَه لى.

أنا والله أراك فى رتبة المنعم إجلالا، وبمحل الشقيق من القلب محبّةً وإخلاصا.

أما شكرى فمقصورٌ على سالف أياديك، وبه قصور عنه فكيف يتّسع لما جَدّدته!.

لله عندك نِعَمٌ جِسامٌ تُتقاضاك الشكر. وَقَاك الله شرّ نفسك، فإنها أقرب أعدائك إليك.

ولم أزل وجِلًا من حادثة كذا عليك، إذ كان ما ينالك — لا أنالك الله سوءا — متّصلا بى ومُدخِلا الضرر علىّ فى رُكْنٍ منك أعتمد عليه، وكَنَفٍ لك أَسْتَذْرِى به.

وصل الىّ كتاب منك. فما رأيت كتابا أسهلَ فنونا، ولا أملس متونا، ولا أكثر عيونا، ولا أحسن مقاطعَ ومطالع، ولا أشدّ على كل مَفْصِلٍ حزًّا منه؛ أنجزت فيه عِدَةَ الرأى وبشرى الفراسة، وعاد الظنّ بك يقينا، والأملُ فيك مبلوغا.

لا غيّبك الله عن مواطن العز والصنع، وأشهدك إياها بعلو يدك، وهُبوب رِيحك، وٱستقادةِ جميع أهلها بزِمام طاعتك.

(١) كذا وردت هذه الجملة من هذا الفصل فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٨) وفى الأصل: «لا أزال قد سئلت الكتاب ... الخ» وهو غير مستقيم. (٢) فى العقد الفريد: «المخفف عنك ...». (٣) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد.

قد رميتَ غَرَضَ الحق بسهم الباطل وحلات عِقال الشر[١] .

كنتُ[٢] سالما إن سَلِمتُ من عَتْبك .

أنا أتوسل اليك بحسن ظنّى بك ، وأسألك بحق صبرى على ظُلمك لمّا أسعفتَ بما سألتُك .

ليس ينبغى لك أن تستبطئ فهمى وقد أسأتَ إفهامى .

مَنْ أبعدُ من البُرْءِ من مريضٍ لا يُؤتَى فى دائه إلا من جهة دوائه ، ولا فى علّته إلا من قِبَل حِمْيَته ! .

لستُ فى حالٍ يقيم عليها حرٌّ أو يرضَى[٣] بها كريم ، وليس يرضَى بهذا الأمر إلا من لا ينبغى لك أن ترضَى به .

قد شِخْتُ فى ذَرَاك وهَرِمت فى ظلّك ، فإمّا رددتَ علىّ شبابى وأعدتَ الىّ قوّتى ، وإما دفعتَ إلىّ ما ينوبُ عن الشباب ويجبُرُ الضعف ، ولا بدّ من أحدهما ، فاختَرْ لنفسك وآخرُج إلينا من هـذا الدَّين ؛ فقد أمسكْنا عن التقاضى ماأمكن ، وصَبَرنا على المواعيد ما صَلَح ؛ ودَعْنا من الحَوَالة فإنّ الصنيعةَ لا تتمّ بالحَوالة ؛ وإن جاز أن تقيم لنا زعيماً بالنعمة ، جاز أن نقيم لك زعيما بالشكر ؛ وإن جاز أن تُؤمّلك ويحقّق آمالَنا غيرك ، جاز أن نشكر غيرَ المُنعم ونأمُل غيرَ المصطنع .

ما أستعظم أن تَسبِقَ الى حَسَنٍ بل أستعظم أن تُسبَقَ إليه وتُغلَبَ عليه .

لئن كنتَ[٤] جاوزتَ بى قَدْرى عندك لَمَا بلغتُ بك أملى فيك .

لا يَقبضك عن الأُنْس بى تقصيرُك فى البِرّ .

---

(١) كذا وردت هذه الجملة فى الأصل . وظاهر أن فيها تبديلا ونقصا . ولعل صوابها : قد رميت غرض الباطل بسهم الحق ، وحللت عقال الشر بيد الخير .

(٢) فى الأصل : "كنبت ..." .

(٣) فى الأصل : «ولا يرضى بها ...» وهو غير مستقيم .

(٤) فى الأصل «إن كنت ...» .

بلغتني عِلّتك فنالني من ألمها ، وغالني ممـا مسّك فيها حسبُ حقّك وما يخُصّني من كل حالٍ تصرّفتْ بك .

أعتذر إليك من تأخر كتبي عنك بترامي النُّقلة وتقاذُف الغُرْبة وعدمِ الطمأنينة ، فإني منذ فارقتُك كما قال القائل :

وكنتُ قذَاة الأرض والأرض عينُها * تُلَجْلِج شخصي جانباً بعــد جانب

إني(1) — أعزك الله — على تشوقك متزيد ، فما أُحاشي بك أحدا ، ولا أقف لك على حسنةٍ يومًا إلا أنْسَتْنِيها لك فَضْلةُ غده .

الحمد لله الذى جعل الأمير معقودَ النيّة بطاعته ، مطويّ القلب على مُناصحته ، مشحوذَ السيف على عدوّه ، ثم وَهَب له الظفرَ ، ودوّخ له البلاد ، وشرّد به العدوّ ، وخصّه بشَرَف الفتوح العِظام شرقًا وغربا ، وبرّا وبحرا .

إلى الله أشكو شدّة الوحشة لغَيْبتك ، وفَرْطَ الجَزَع من فِراقك ، وظلمةَ الأيام بعدَك ، وأقول كما قال حبيب بن أوْس :

بَيَّنَ البَيْنُ فقــدَها ، قلّما تعــتـرِفُ فقــدًا للشمس حتّى تَغيبَا

ورد كتابُك ، فياله واردًا بالرِّيّ على ذى ظَمَأ ! ما أنقعه للغليل ، وأعدَلَ شهادتَه لك بكرم العقد ، وصِدْق الودّ ، وحُسن المغيب ، ورعاية حق التحرُّم ، وبُعدالشيمة من شِيَم أهل الزمان إلا من عَصم الله ، وقليلٌ ماهم ، ولله أبواك لقد أوجداك .

قدأجلّ الله خَطَرَك عن الاعتذار ، وأغناك فى القول عن الاعتلال ، وأوجب علينا أن نقنَع بما فعلتَ ، ونرضى بما أتيت وَصَلْتَ أو قَطَعت ، إذ وثِقنا بحُسن نِيّتك ونقاء طويّتك ، وأُلزمنا أن نأخذ أنفسنا لك بما لانُحمّلك مثله ، ولا نلتمس منك مقابلةً به .

(1) فى الأصل : إنك .

ما أخّر كتبى عنك إلا ما أنا عليه من إيثار التخفيف بقطع الكتب، إلا عنـد حقّ يقع فأقضيه، أو نعمة تحدث فأهنّئ بهـا، والقصـد للزيادة فى البرّ بالزيارة فى الغبّ، وٱستدعاء دوام الوداد بانتهاز فُرص الوصل .

وكتبتُ إلى محمد بن عبـد الله بن طاهر :

أمّا شـكرى للأمير على سالف معروفه فقـد غارَ وأنجد . وأمّا ٱبتهالى إلى الله فى جزائه عنّى بالحُسْنَى فبإخلاص النيّة عنـد مَظانّ القبـول . وأمّا أملى فأحياه على بُعـد العهد بلاؤه عندى، إذ كان ما تقدّم منه شافعا فى المزيد، وفسحةُ وعده إياى عند مفارقتى له، إذ كان مؤذنا بالإنجاز . وأما زللى فى التأخّر عما أوجب الله علىّ له، فمقرونٌ بالعقوبة فيما حُرِمتُه من عزّ رياسته، ونَباهة صُحبته، وعلوّ الدرجة به، وإن كنتُ سائرَ أيام ٱنقطاعى عنه مُعتلقا بسبب لا خيارَ معه . مكاتبتُك ـــ أعزّك الله ـــ وأنا مُجاوِرُك ببلدٍ دون السعى اليك مُخِلًّا لقدرك مما أُكْبِر . لاقيك بكتابى هذا فلان، وله علىّ حقّان : حقّ عمّ المسلمين فلزمنى بلزومه لهم، وحق خصّنى بالحُرْمة والعِشرة. فرأيَكَ فى كذا إن سَهُل السبيلُ الى ذلك ورَحُب، وإن يَعُقْ عائق فلستَ على جميلِ رأيِ عندى بمُتَّهَم .

للتفضّل أن يخُصّ بفضلـه من يشاء، ولله الحمدُ ثم له فيما أعطى، ولا حجةَ عليه فيما منع .

مُستعفِي السلطانِ أحدُ ثلاثة : رجلٌ آثر اللهَ وما عنـده، وأسأل الله توفيقَه، ورجلٌ عَجَز عن عمله فخاف بعجزه[(1)] عواقبَ تقصيره، وأستعينُ الله، ورجلٌ سَمَتْ به نفسه عن قليل هو فيه الى كثيرِ أمّاله . وأعوذُ بالله من أن أُدَنِّس نعمةَ الله بك علىّ

(١) فى الأصل : « تعجزه ... » .

وعلى سَلَفى قبلى بالتصدّى لمن لا يُشبه دهرُه يومَك، ولا أكثرُ جهدِه فى المعروف أقلَّ عَفوِك .

كن كيف شئت، فإنّى واحدُ أمرئ خالصةٌ سريرتى، أرى ببقائك بقاء سُرورى، وبتمام النعمة عليك تمامها عندى، فإنه ليس من نعمة يُجدّدها الله لأمير المؤمنين فى نفسه خاصّةً إلا آتصلتْ برعيّته عامّةً، وشَمِلتْ المسلمين كافّةً، وعَظُمَ بلاءُ الله عندهم فيها، ووجب [عليهم](١) شكره عليها؛ لأنّ الله جعل بنعمته تمامَ نعمتهم، وبسلامته هدوءَهم وآستقامتَهم، وبتدبيره صلاحَ أمورهم وأمنهم، وبذبه عن دينهم حفظَ حريمهم(٢)، وبحياطته حَقْن دمائهم وأَمْنَ سُبُلهم، وبرِعْيَته آتّساقَهم وآنتظامَهم؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين مُؤَيَّدا بالنصر، مُعَزًّا بالتمكين، موصولَ الطلب بالظفر، ومدّةِ البقاء بالنعيم المقيم .

فهمتُ كتابك ولم تَعْدُ فى وعدك ووعيدك سبيلَ الراغبِ فى رَبّ عارفته، المحامى على سالف بَلائه، المُؤْثِر لآستتمام صَنيعته . وإنى لأرجو أن أكون على غاية ما عليه ذُو نيةٍ حسنةٍ فى شكر مُصطنعه، وعناية(٣) بأداء ما يلزمه لولىّ نعمته، ومراقبةٍ لرئيسه فى سرّ أمره وعَلانيته، وإيثارٍ للقليل من جميل رأيه على كثير المنافع مع سَخَطه . وليس مذهبى فيما أشرحه من العذر وأُطيل بذكره الكتب، مذهبَ من يموّه بالآحتجاج ويَحتالُ فى الآعتذار، ومَنْ تُطمعه نفسه فى سلامة النعمة مع فساد النيّة، وفى محمود العاقبة مع شَرَهِ النفس، وفى زيادة الحال مع التفريط فى العمل . ولو كنتُ ممن سوّلتْ له نفسه ذلك سائرَ دهره، لقد(٤) وجب إلى أن يَضطرّنى إلى

---

(١) زيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٢) . (٢) فى الأصل : « وبذبه عن دينهم وحفظ ... » بزيادة الواو، وقد وردت هذه العبارة فى العقد الفريد بحذفها . (٣) فى الأصل : « وغنايه ... » . (٤) فى الأصل : « ولقد وجب ... » ولا معنى لذكر الواو مع اعتبار هذه الجملة جوابا للو، كما هو ظاهر السياق، على أن فى جعل «لقد» جوابا "للو" نظرا .

النزوع عنه تأديبُك وتقويمك ، وإنى لمجتهدٌ أن [يكون](١) أثرُ فعلى هو المخبر عنى دون قولى، وأن يكون ما أمُتّ به اليك ظاهرَ كفايتى دون ذِمامى .

لولا ما أنا بسبيله من العمل، وما فى الإخلال به من تعريضه للآنتشار ودخول الخَلَل، وعلمى بأن طاعةَ السلطان مقرونةٌ بطاعة الأمير، وأنه لا فرقَ عنده بين الجانى على السلطان وعليه، لكنتُ الجوابَ راجلًا معظّمًا لأمره، مُكبِرا لسُخْطه؛ وإن كان الله قد جعل عنــد الأمير من إيثار الحق والعمل به، وتقديم الرويّة قبل الإيقاع، والآستثناء(٢) بمن وَضَح ذنبــه وظهر جُرمه دون من وقعتْ الشبهةُ فى أمره، ما أمّننى بادرةَ غَضَبه ونازلَ سَطْوته .

لم أكن أحسَبنى أحُلّ عندك محلَّ مَنْ جَهِل حظَّه، وعَدِم تمييزَه، وغَبِى عمّا عليه وعمّا له ، إذ توهّمتَ علىّ أنّى أبيع خطيراً من رضاك، ونفيسا من رأيك، وشرفا باقيا على الأيام بطاعتك ، وعُدّةً للنوائب أستظهر بهــا من نصرتك ، بالثمن البخس الحقير من كذا، أو أن أستبدلَ بمــا أنا ذو فاقة إليــه من عزّ كَنَفك ومنيع ذَرَاك، ما قد وهب الله الغِنَى عنه بحمده .

كان ورودُك وشخوصُك فى وقتين آنطويا عنى، وكان مُقامك فى حالِ شغلٍ منك ومنى، ولذلك فقدْتَنى فى القاضين لحقك والمثابرين على لقائك .

ورد كتابك مضمّنا من برّك وتَطَوّلك ما حسّن شكرى، وأثقل ظهرى، وأُرْتِج عن مضاهاتك بمثله قولى ؛ فذكرت به — إذ تحيّرت دون تأمّله ، وضَعُفتُ عن تحمّله ، وعَجَزتُ عن الشكر عليه عند تمحّله — قولَ القائل(٣) :

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) الاستثناء : الانتصار . (٣) هو أبو نواس . وقد ورد فى ديوانه (المطبوع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٨٩٨ م ص ٧١) : "جللتنى" بدلا من "أوليتنى" و"لا تسدين" بدلا من "لا تحدثن" .

أنت آمرؤ أوليتنى نعمًا * أوهتْ قُوَى شكرى فقد ضعُفا
لا تُحدِثَنّ الىّ عارفةً * حتّى أقوم بشكر ما سَلَفا

ألفاظ تقع فى كتب الأمان

هذا كتاب من فلان لفلان : إنى أمّنتُك على دمك ومالك وموَاليك وأتباعك ، لك ولهم ذمّةُ الله المُوفّى بها ، وعهدُه المسكونُ اليه ، ثم ذمّةُ الأنبياء الذين أرسلهم برسالته وأكرمهم بوحيه ، ثم ذِمَمُ النجباء من خلائقه : بحقن دمك ومَنْ دخل آسمهُ معك فى هذا الكتاب ، وسلامةِ مالك وأموالهم وكذا وكذا ؛ فآقبلوا معروضه ، وآسكنوا الى أمانه ، وتعلّقوا بحبل ذمته ، فإنه ليس بعد ماوَكّد من ذلك مُتَوَثّق لداخلٍ فى أمان إلا وقد آعتلقتم بأوثق عُرَاه ، ولجأتم الى أحرز كهوفه ، والسلام .

وفى كتاب آخر :

هذا كتاب من فلان : إن أمير المؤمنين ، لمّا جعل الله عليه نيّته فى إقالة العاثر وآستصلاح الفاسد ، رأى[(1)] أن يتلافاك بعفوه ، ويتغمد زلّاتك برُحْمه ، ويبسُط لك الأمانَ على ما خرجتَ اليه من الخلاف والمعصية : على دمك وشعرك وبَشَرك وأهلك وولدك ومالك وعقَارك ؛ فإن أنت أتيتَ وسَمِعت وأطعتَ ، فأنت آمن بأمان الله على ما أمّنك عليه أمير المؤمنين ، ولك بذلك ذمّةُ الله وذمّة رسوله ، إلا ما كان من حق قائم بعينه لمسلم أو معاهد ، والله بذلك راعٍ وكفيل ، وكفى بالله وكيلا .

---

(١) فى الأصل «ورأى ...» بزيادة الواو . ولعله سهو من الناسخ .

وفى كتاب آخر :

إن فلانا آستوهب أميرَ المؤمنين ذنبَك، وسأله أن يَقبــل توبتَك وإنابتك، ويؤمِّنك على دمك وشعرك وبشرك وأهلك وولدك ومالك وعَقَاراتك، على أن تسمع وتُطيع وتُشايع، وتُوالى أولياءه، وتُعادى أعداءه؛ فأجابه أمير المؤمنين الى ذلك، لرأيه فى العفو والصفح وما يحتسب فى ذلك من الثواب والأجر، فأنت آمن بأمان الله على كذا لاتُؤخذ بشيء مما سلف من أحداثك، ولاتُتبع فيه بمكروه ما أقمتَ على الوفاء ولم تُحدِث حَدَثًا تفسَخ به أمانَك وتجعــل به سبيلًا على نفسك، والله لك بذلك راعٍ كفيل، وكفى به شهيدا .

ألفاظ تقع فى كتب العهود

أمَرَه بتقوى الله فيما أَسْنَدَ اليه وجعله بسبيله، وأن يُؤْثِرَ الله وطاعتَه آخذًا ومُعطيا، وأعلمه أنّ الله سائلُه عمّا عَمِل به ومجازيه عليه، وأنّه خارجٌ من دُنيــاه خُروجَه من بطن أمّه إمّا مَغْبوطا محمودا، وإمّا مذموما مسلوبا . فليعتبر بمَنْ كان قبلَه من الوُلَاة الذين وَلُوا مثــلَ مَا وَلِى، أين صار بهم مَرُّ الليل والنهار، وما آنقلبوا به من أعمالهم الى قبورهم ! ويتزوَّد لنفسه الزادَ النافعَ الباقىَ (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) .

وفى فصــــل آخر :

وقد ولّاك أميرُ المؤمنين ما ولّاك من أمور رعيّته، وأشركك فيما أشركك فيه من أمانته، ثِقةً بك، ورجاءً لمتابعتك وإيثارك الحقّ وأهلَه، ورفضك الباطلَ وأهلَه؛ وعَهِــدَ إليك فى ذلك بمــا إن أخذتَ به أعانك الله وسدّدك، وإن خالفتَه خَذَلك وعاقبك .

وفى الحـــج :

فإن أمير المؤمنين قد آختارك من إقامة الحج لوَفْد الله وزَوْر بيته [(١)] ، للأمر العظيم قدرُه ، الشريف منزلتُه ، فعليك بتقوى الله ، وإيثارِ مُراقبته ، ولزومِ الهُدى المحمودِ والطريقةِ المُثلَى والسِّيرة الجميلة التى تُشْبِه حالَك .

فصل — فإن الله نزّه [(٢)] الإســلام عن كل قبيحة ، وأكرمه عن كل رذيلة ، ورفعه عن كل دنيّة ، وشرّفه بكل فضيلة ، وجعل سيماء أهلِه الوقارَ والسكينةَ .

فصل — وإن أحقّ النــاس بالازدياد فى طاعتــه ومناصحته وأداءِ الأمانة فى عمله مَنْ عَظُم حقُّ الأمير عليه فى الخاصّــة بفضل الصنيعة من الأمير عنده ، مع حق الله عليه فى العامّة بحقّ الولاية .

فصل — وكنتَ سيفًا من سيوف الله ، ونكّالًا من أنكاله لأهل الشقاق ، وشجًى لمن ٱبتغى غيرَ سبيلِ المؤمنين ، قد أحكمتك التجاربُ وضرّستك الأمور ، وفُرِرْتَ عن الذكاء وحلبْتَ الدهرَ أشطُرَه .

فصل — أنت ٱبن الحرّية والمروّة ، ومن لا يلحَقه عارُ أُبوّة ولا بُنُوّة .

فصل — قد ٱلتمستُ مواجهتــك بشكرك ووصفِ ما أُجِنّ لك وأُخلص من ودّك وأُجِلّ من قدرك وأعتدّ [(٣)] من إحسانك ، فَلَفَتنى عن ذلك تَعَذُّر الخَلْوة مع ٱنقباض وحشمة .

---

(١) كذا فى الأصل واختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور (النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٦٠ أدب ص ٣٣٣) ولعلها : «فى الحج» .

(٢) فى الأصل : «فان الله بحمده الإسلام ...» .

(٣) فى الأصل : «واعتيد ...» .

فصل — قد أغنى الله بكرمك عن ذَرِيعةٍ اليــك ؛ وما تُنَازِعنى نفسى إلى آستعانةٍ عليك إلا أبى ذلك حسنُ الظنّ بالله فيــك ، وتأميلُ نُجحِ الرغبةِ إليك دون الشفعاء عندك .

فصل — مثلك تقرب الى الله بالتواضُع لنعمته ، والإغاثة لمستغيثه ، والعائدةِ[1] على راجيه بفضله .

فصل — تبًّا لمن يأتى[2] رأيك ! وقبحا لعُزُوب عقلك ، وأَفْنِ[3] تدبيرك ! ما أبعدَ مذهبَك فى الخطأ ، وأسوأ أثرَك على السلطان ، وأقصرَ باعَك عن النهوض ! بجزالة[4] تعقدك ، ومَهَانةٌ تُضْرِعك ، وزَهْوٌ يعلُوك ، ونَخْوةٌ يشمَخ لها عِرْنينك . لقد آنصرف رأىُ أمير المؤمنين عنك ، ودعوتَ له عَتْبَك ، وكشفتَ له عن قِناع سترك ، واجتررتَ اليك سَخْطته وعَطَفْتَ نحوك مَوْجِدَته ، وكنتَ على نصيبك منه والضنّ بمنزلتك عنده أولى تقدُّما وأقربَ رُشْدا . والله الغنىّ الحميد .

أصحاب السلطان ثلاثة : رجلٌ يجعــل الدنيا نُصْبَ عينه ، ينصب فيها للخاصّة مَكَايده ، ويرفَع عن مصلحة العامّة هِمّته ، يُذهله عن التقوى الهوى ، وتُنسيه أيامُ القدرة العثرةَ ، حتى تنصرِم مدّتُه وتنقضىَ دولتُه ، لم يرتهن بدنياه شُكرا ولا قدّم بها الى معَاده ذُخرا . ورجلٌ لا يَحْفِل[5] مع صَلاح الخاصّة مادخل من الخلل فى أمور العامّة ، ولا مع وفور حظه[6] ما أدخل النقص فى حظ رعيته . ورجلٌ حاول فى ولايته إرضاءَ من وَلِى له وعليه ، وأعانته النيّة وخذلته الكفاية . وقد جمع الله لك الثقة والرضا ممن فوقك ،

(١) العائدة : اسم من عاده بمعروفه اذا أقبــل . (٢) كذا ى الأصل وفيها ضعف لعدم اتساقها فى السياق مع ما بعدها . (٣) الأفن : بالتحريك : ضعف الرأى والتدبير .
(٤) كذا فى الاصل . (٥) ى الأصل «لايجعل ...» وهو تحريف . وحفله وبه : بالاه .
(٦) فى الأصل : «مع وفور خطر...» .

والانقيادَ والمحبة ممن دونك ، وأعاد الى النـاس بك عهدَ السلف المـاضى وعَمَّر بك آثارهم ، حتى كأنهم بك أحياء لم تَخْتَرمهم منيّة ، وجميعٌ لم تنصدعْ بينهم فُرْقة ، فليَهْنِئْك أنّ مَنْ تقدّمك من أهل الفضل فى السِّيرة غيرُ متقدّم لك ، ومن معك مُقَصِّر عنك ، ومن دونك مُقتفٍ لأثرك . فلا زالت الأيام لك ، ولا زالت النعمُ عنك ، ولا انتقلت عُرَى الأمور وأزِمّتها[1] عن يدك .

فصل — أَبَى طبعُ الزمان أن يسـمَحَ لنا بك ، كما أبى ذلك فى مثلك ، فلم يزل حتى اعْتَرَضَ بمكروهـه دونك ، وكم من نعمةٍ ذهلتْ عنها النفس حين أدبرت بخيرك ، فإنّ تَعَلُّق القلب بك على قَدْرك فى مواهب الله وقدرِها عندك .

فصل — ولم تأت[2] فى جميع ما عددتُ من أياديك شيئا ، وإن كان متناهيا إلى الغاية ، مختارًا كالأُمنيّـة ، متجاوزًا للاسـتحقاق ، إلا وأنت فوقه والمأمولُ للزيادة فيه .

وفى كتاب — إن كان ما خبّرنى به فلان عن هَزْلٍ فقـد أحوجنا هزلُك إلى الجدّ ، ووَقَفَنا موقف المعتذرين من غير ذنب ، وإن كان عن حقيقةٍ فقد ظهر لنا من ظُلمك وتحريفك ما دلّ على زُهْدك منا فى مثل الذى رَغِبنا منك فيه .

فصل فى كتاب العيد — كتابى إلى الأمير يوم كذا بعد خروجى فيـه ومَنْ قِبَلى من المسلمين إلى المُصَلَّى وقضائنا ما أوجب الله علينا من صلاة العيـد ، ونحن بخير حالٍ اجتمع عليها فريقٌ من المسلمين فى عيدٍ من أعيادهم وتَجَمُّع من مجامعهم ، وكان مَخْرَجُنا إلى المصلَّى أفضلَ مَخْرجٍ ، ومُنصَرَفُنا عنه أفضل مُنصرَف ،

(١) فى الأصل : « وأزمتك ... » . (٢) فى الأصل « ولم يأت » .

بمـا وهب الله من سكون العامّة وهدوئها وأُلفتها، وآحتشاد الجند والشاكريّة(١) بأحسن الزّىّ والهيئة، وأظهر السلاح والعُدّة . فالحمد لله على كذا، وهنّأ الله الأمير كذا .

فصل — القلب قرينٌ ولَهٍ حليفُ حَيْرة، أنظرُ بعينٍ كليلةٍ(٢) وأحضُر بقلبٍ غائب : إلى ورود كتابك بما تعتزمه(٣) . فأما النوم فلو مثّل لعينى لنفرَتْ إلفًا للسُّهاد .

فصل فى كتاب بَيْعة — فبايِعُوا لأمير المؤمنين ولفلانٍ بعدَه على آسم الله وبركته وصُنع الله وحُسن قضائه لدينه وعِباده، بيعةً منبسطةً لها أكفُّكم، منشرحةً بها صدورُكم، سليمةً فيها أهواؤكم، شاكرين لله على ما وفّق له أمير المؤمنين .

عدّد معاويةُ على الأحنف ذنوبًا، فقـال الأحنف : يا أمير المؤمنين ! لِمَ تردُّ الأمورَ على أعقابها ! أما والله إنّ القلوبَ التى أبغضناك بها لبين جوانحنا، وإنّ السيوفَ التى قاتلناك بها لعلَى عَوَاتقنا؛ ولئن مَدَدْتَ [لنـا](٤) بشبرٍ من غدرٍ، لنمدَّنّ إليك باعًا من خَتْرٍ(٥)، ولئن شـئت لتَسْتصفِيَنّ كَدَرَ قلوبنا بصـفو حلمك؛ قال معاوية : فإنّى أفعل .

تقدّم رجل إلى سَوّار، وكان سوّار له مُبغضا، فقال سوّار فى بعض ما يكلمه به : يآبن اللَّخْناء ! فقال : ذاك خَصْمى؛ فقال له الخصم : أَعدِنى عليه(٦)، فقال له الرجل : خذ له بحقه وخذ لى بحقى؛ ففهم، وسأله أن يغفر له ما فرّط منه إليه، ففعل .

الأوزاعىّ قال : دخل خُرَيْم بن فاتك على معاوية، فنظر إلى ساقَيْه فقال : أىّ ساقيـن، لو كانتـا على جاريةٍ عاتق(٧) ! فقال له خُرَيم : فى مثـل عَجِيزتك يا أمير المؤمنين .

(١) الشاكرية : المستخدمون . (٢) فى الأصل «بعين جليلة ...» . (٣) فى الأصل «يعتزم ...» . (٤) زيادة من لسان العرب (مادة ختر) . (٥) الختر (بالفتح) : الخديعة والغدر . (٦) أعدنى عليه : انصرنى عليه وقوّنى . (٧) العاتق : الجارية أوّل إدراكها؛ وقيل هى التى لم تتزوّج .

الخـــطب

تتبّعتُ خُطَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدتُ أوائلَ أكثرها: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليــه ونستغفره ونتوب إليــه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِه الله فلا مُضلَّ له ومن يُضلِلْ فلا هادىَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له». ووجدت فى بعضها: «أُوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثُّكم على طاعته». ووجدت فى خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه: "أيها الناس إن لكم مَعَالِمَ فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهايةً فانتهوا الى نهايتكم؛ إن المؤمنَ بين مخافتين: بين أجلٍ قــد مضى لا يدرى ما الله صانعٌ به، وبين أجلٍ قد بَقِىَ لا يدرى ما الله قاضٍ فيه؛ فليأخُذ العبدُ لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكِبَر، ومن الحيــاة قبل الموت؛ والذى نفس محمد بيده ما بعــد الموت مُسْتَعْتَبٌ ولا بعدالدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار". ووجدتُ كلّ خطبة مفتاحها الحمدُ إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير. وتكبير الإمام قبــل أن يَنزل عن المِنْبر أربع عشرة تكبيرة.

خطبة لأبى بكر الصدّيق رضى الله عنه

حدّثنى أبو سَهْل قال حدّثنى الطَّنَافسىّ عن محمد بن فُضَيْل قال حدّثنا عبد الرحمن ابن إسحاق عن عبد الله القرشىّ عن عبد الله بن عُكَيْم[1] قال: خطبنا أبو بكر رضى الله عنه فقال:

(١) فى الأصل «عبد الله بن عظيم» بالظاء المعجمة بدل الكاف وبالبحث فى كتب التراجم ورواة الحديث لم نجد «عبــد الله بن عظيم» فلعــل ما فى الأصل تحريف عمــا أثبتنا: قال فى التهــذيب: «عبد الله بن عكيم الجهنى أبو محمد معبد الكوفى. قال: قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرض جهينة. وروى عن أبى بكر وعمر وحذيفة بن اليمان وعائشة ... الخ» وفى الخلاصة: «عبد الله ابن عكيم بضم أوله وفتح الكاف ... الخ». واذا كان عبد الله بن عكيم ممن رووا عن أبى بكر رضى الله عنه ترجح لدينا أن ما فى الأصل محرّف عنه.

أما بعد ، فإنى أُوصيكم بتقوى الله وحدَه وأن تُثنوا عليه بما هو أهلُه ، وتَخلِطوا الرغبةَ بالرهبة ، والإلحافَ بالمسئلة ؛ فإن الله أثنى على زكريّا وأهلِ بيته فقال : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) . ثم ٱعلموا أن الله قد ٱرتهن بحقّه أنفسَكم ، وأخَذَ على ذلك مواثيقَكم ، وٱشترى منكم القليلَ الفانىَ بالكثير الباقى . هذا كتابُ الله فيكم لا تَفْنَى عجائبُه ولا يُطفأ نورُه ، فصدِّقوه وٱنتصِحُوه وٱستضيئوا منه ليوم الظُّلمة . ثم اعلموا أنكم تغدُون وتروحون فى أجلٍ قد غُيِّبَ علمُـــه عنكم ، فإن ٱستطعتم ألّا ينقضىَ إلا وأنتم فى عمـــلٍ لله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله . فسابقوا فى مَهَلٍ ؛ فإنّ قومًا جعلوا آجالهم لغيرهم ونَسُوا أنفسهم ، فأنها كم أن تكونوا أمثالَهم ، والوَحَا الوَحَا ، والنجاءَ النجاءَ ! فإن من ورائكم طالبًـــا حثيثًا مَرُّه ، سريعا [ســـــيره] (1) .

وفى غير هذه الرواية : أين مَنْ تعرفون من إخوانكم ! قد ٱنتهت عنهم الأعمال ، ووَرَدُوا على ما قدّموا وحلوا (2) عليهم بالشقْوة والسّـــعادة . أينَ الجبّارون الذين بَنَوا المدائنَ وحصَّنُوها بالحوائط ! قد صاروا تحتَ الصَّخْر والآكام .

خطبة لأبى بكر أيضا رضى الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبى (3) زيد القارئ .

حَمِد الله وأثنى عليه وصلّى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم قال :

---

(1) التكملة من العقـــد الفريد (ج ٢ ص ١٦٠) . وقد وردت فيه هذه الخطبة باختلاف فى بعض الكلمات عما هنا . (2) كذا فى الأصل . وهى غير مستقيمة المعنى وذلك من تحريف النساخ . وصواب العبارة نقـــلا عن تاريخ ابن جرير الطبرى (قسم أوّل ص ١٨٤٧ طبع ليـــدن) : « أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدّموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت » . (3) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) وهو ما تؤيده كتب التراجم كأنساب السمعانىّ وأسد الغابة ؛ وفى الأصل : « من ولد زيد القارئ » .

إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوكُ . فرفع الناس رءوسهم؛ فقال : ما لكم يا معشرَ النــاس ! إنكم لطعّانون عَجِلون، إن الملِك إذا ملَك زهّــده الله فيما فى يده، ورغّبه فيما فى يدَىْ غيره، وانتقصه شطرَ أجله، وأشرب قلبَه الإشفاقَ، فهو يحسد على القليل، ويتسخّط الكثير، ويسأم الرخاءَ، وتنقطع عنه لذّة البهاء[1]، لا يستعمل العِبْرة ولا يسكُن الى الثقة، فهو كالدرهم القَسِىّ[2] والسّراب الخادع ، جَذِل الظاهر، حزين الباطن ، فإذا وَجَبَتْ[3] نفسُه ونَضَب عمرُه وضَحَا ظلُّه ، حاسَبَه الله فأشدّ حسابَه وأقلّ عفوَه . ألَا إن الفقراء هم المرحومون[4]، وخير الملوك من آمن بالله، وحكَم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وســلم . وإنكم اليوم على خلافة نبوّة ، ومَفْرِق مَحَجّة، وستَرَوْن بَعْدى مُلْكا عضوضا[5]، وأُمّةً شَعَاعًا[6]، ودما مُفَاحا[7] . فإن كانت للباطل نَزْوَة ، ولأهل الحق جَــوْلة ؛ يعفو لهــا الأثَر، وتموت السُّنَن . فالزَموا المساجد ، واستشيروا القرآن، والزموا الجماعة . وليكن الإبرامُ بعــد التشاوُر، والصَّفْقة بعــد طُول التناظُر، أى بلادكم خرسة[8] فإن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها .

خطبة أبى بكر رضى الله عنه يوم سقيفة بنى ساعدة

أراد عُمر الكلام، فقال له [أبو بكر] : على رِسْلِك . نحنُ المهاجرون أوّلُ الناس إســلاما، وأوْسَطُهم دارًا، وأكرمُهم أحسابا، وأحسنُهم وُجوها، وأكثرُ النــاس ولادةً فى العرب ، وأمسّهم رَحِمًــا برسول الله صلى الله عليه وســلم، أسلَمنا قبلكم،

(١) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٩) : «البقاء» . وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) : «الباءة» . (٢) القسىّ من الدراهم : الزائف . (٣) وجبت نفسه ، ونضب عمره ، وضحا ظله : كل منها كناية عن الموت . (٤) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) . وفى الأصل : «... ألا إن الفقراء هم المرحومون إلا من آمن ...» . (٥) ملك عضوض : فيه استبداد وعسف . (٦) شعاعا : متفرقة . (٧) الدم المفاح : المراق . (٨) كذا بالأصل والبيان والتبيين ، ولم نوفق الى تصويبها أو تفسير صحيح لها .

وقُدِّمْنا فى القرآن عليكم، فأنتم إخوانُنا فى الدِّين، وشركاؤُنا فى الفَىْء، وأنصارُنا على العَــدُوّ، آويتُمْ وواسَيْتُمْ(١)، فجزاكم الله خيرا؛ نحن الأُمَراءُ، وأنتم الوُزراءُ، لا تَدِينُ العربُ إلا لهذا الحَىّ من قُرَيش، وأنتم محقوقون ألّا تَنْفَسُوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم .

خطبة لأبى بكر رضى الله عنه

الهيْثم عن مُجالد عن الشَّعْبىّ قال : لمـا بُويع أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه، صَعِد المِنْبر فنزل مَرْقاةً من مَقْعَد النبىّ صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

إنى وَلِيتُ أمرَكم ولست بخيرِكم، ولكنه نزل القرآن وسنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . آعلموا أيها الناس أن أكيس الكَيْس التُّقَى، وأن أحمقَ الحُمْق الفُجُور، وأن أقواكم عندى الضعيف حتى آخُذَ له بحقّه، وأضعفَكم عندى القوىُّ حتى آخذَ منــه الحقّ، إنمـا(٢) أنا مُتَّبِع ولست بمبتدِع، فإن أحسنتُ فأعينونى، وإن زُغْتُ فقوِّمونى . أقول قولى هذا، وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال : ولمـا وَلِى عمر صـعِد المنبر وقال :

ما كان اللهُ ليرانى أرى نفسى أهلا لمجلس أبى بكر، ثم نزل عن مجلسه مَرْقاة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : اِقرءوا القرآن تُعرَفوا به، وآعمَلوا به تكونوا من أهله . إنه لم يبلُغ حقُّ ذى حقٍّ أن يُطاعَ فى معصيةِ الله . ألا وإنى أنزلتُ نفسى من مال

---

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٥٨) : وفى الأصل : «وأسلمتم» .

(٢) كذا فى إعجاز القرآن للباقلانى (ص ٦٥ طبع مصر سنة ١٣١٥) : وفى الأصل : «أما» .

الله بمنزلة والى اليتيم : إن آستغنيتُ عففتُ وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف تقرّم[1] البَهْمة الأعرابية : القَضْمَ لا الخَضْمَ .

خطبة لعثمان بن عفّان رضى الله عنه

قال : ولما وَلِى عثمان صعِد المنبر فقال :

رحمهما الله ، لو جلسا هـذا المجلس ما كان بذلك من بأس ، بخلس على ذِرْوة المنبر فرماه الناسُ بأبصارهم ، فقال : إن أوّلَ مركبٍ صعبٌ ، وإن مع اليوم أيّاماً ، وما كُنّا خُطَباء ، وإن نَعِشْ لكم تأتكم الخطبةُ على وجهها إن شاء الله تعالى .

خطبة لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه

خطب فقال :

أما بعدُ ، فإن الدنيا قد أدْبرتْ وآذنتْ بوَداع ، وإنّ الآخرةَ قد أقبلتْ فأشرفتْ باطّلاع ، وإن المِضْمارَ[2] اليوم وغدا السِّباق . ألا وإنكم فى أيام أَمَل من ورائه أَجَل ، فمن قَصَّر فى أيام أمله قبل حضور أجلِه فقد خَسِرَ عمله . ألاَ فاعمَلوا لله فى الرَّغْبة كما تعمَلون له فى الرَّهْبـة . أَلَا وإنّى لم أرَ كالجنة نامَ طالبُها ، ولا كالنار نام هاربُها . ألا وإنه مَن لم ينفعه الحقُّ ضرّه الباطل ، ومن لم يَستقِم به الهُدَى جارَ به الضلال . ألا وإنكم قـد أُمِرتم بالظَّعن ، ودُلِلتم على الزاد ، وإن أخوفَ ما أخافُ عليكم آتباعُ الهوى وطولُ الأمل .

---

(١) تقرّم الصبىّ والبهم : أكل أكلا ضعيفا ، وذلك أوّل ما يأكل . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . يريد بهذا بيان الأكل بالمعروف وأنه الأكل الخفيف الذى تدفع اليه حاجة الحياة .

(٢) فى الأصل : «الضمار» وهو تحريف .

خطبة عليّ عليه السـلام بعد مقتل عثمان رضى الله عنه

أيها الناس، كتابَ الله وسنّةَ نبيكم . لا يدّعى مدّعٍ إلا على نفسه . شُغِل مَن الجنةُ والنارُ أمامَه . ساعٍ نجا، وطالبٌ يرجو، ومقصّرٌ فى النار : ثلاثة ، واثنان : مَلَكٌ طارَ بجناحَيه، ونبىٌّ أخذ الله بيديه، لا سادِسَ . هَلَك مَن اقتحم، ورَدِىَ مَن هوَى . اليمينُ والشّمالُ مَضَلّة، والوُسْطى الجادّةُ : مَنْهَجٌ عليه باقى الكتاب وآثارُ النبوّة. إن الله أدّب هـذه الأمةَ بأدبين : السوط والسيف، فلا هَوَادَةَ فيهما عند الإمام. فاسـتتروا ببيوتكم، وأَصْلحوا ذاتَ بَيْنِكم، والتوبة من ورائكم . مَنْ أبدى صَفْحته للحق هَلَك . قد كانت أمورٌ مِلتُم علىّ فيها مَيْلَةً لم تكونوا عندى محمودين ولا مُصيبين . والله أن لو أشاءُ أن أقول لقلتُ . عفا الله عمّا سَلَف . أُنظروا، فإن أنكرتم فأَنْكِروا، وإن عَرَفتم فآزِرُوا . حقٌّ وباطل ، ولكُلٍّ أهـلٌ . والله لئن أَمِرَ الباطلُ لَقَديمًـا فعل، ولئن أُمِّرَ(١) الحقُّ لَرُبَّ(٢) ولعلّ . ما أدبر شىءٌ فأقبل .

خطبة أيضـا لعلىّ رضى الله عنه(٣)

خطب علىّ حين قُتِلَ عامله بالأَنْبار فقال فى خطبته :

يا عَجَبًا من جِدِّ هؤلاء فى باطلهم وفَشَلِكم عن حَقِّكم! نقُبْحًا لكم وتَرَحًا حين صِرتم غَرَضًا يُرْمَى، يُغارُ عليكم ولا تُغيرون، وتُغْزَون ولا تَغزون، ويُعْصَى اللهُ وتَرضون .

---

(١) أمر (بالبنـاء للجهول والتضعيف) : سلط . والذى فى العقـد الفريد (ج ٢ ص ١٦٢) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٢٤ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) : « ... ولئن قل الحق ... » وعلى ما ورد فيهما يكون معنى « أمر الباطل » : كثر و«أمر» وزان فرح .

(٢) فى العقد الفريد . « ولقلما أدبر ... » .

(٣) وردت هذه الخطبة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٦) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت سـنة ١٨٨٥ م) والعقـد الفريد (ج ٢ ص ١٦٤) باختلاف فى بعض الكلمات وزيادات عما هنا .

إن أمرتكم بالمسير إليهم فى الحرّ قلتم : حَمَارّة القَيْظ[(١)]، أَمْهِلْنا [حتى][(٢)] يَنْسلِخَ الحرّ، وإن أمرتكم بالمسير إليهم فى الشتاء قلتم : أمهِلْنا [حتى][(٢)] ينسلِخَ الشتاء هذا أوانُ قُرٍّ[(٣)]، كلّ هذا فِرارا من الحرّ والقُرّ، فأنتم والله من السيف أفرّ، يا أشباهَ الرجال ولا رجال! أحلام الاطفال وعقول رَبّاتِ الحِجال؛ أفسدتُم علىّ رأيى بالعِصْيان والخِذْلان، حتى قالت قريش : ابن أبى طالب شُجاعٌ [ولكن] لا عِلْمَ له بالحرب . لله أبوهم! هل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِراسا وأطولُ تجرِبةً منّى[(٤)] ! لقد نهضت فيها وما بلغتُ العشرين فهأنا الآن قد نيّفتُ على الستين، ولكن لا رأْىَ لمن لا يُطاع .

خطبة لمعاوية رحمه الله

بلغنى عن شُعَيْب بن صَفْوانَ قال : خطب معاوية فقال :

أيها الناس ، إنّا قد أصبحنا فى دَهْرٍ عَنُود ، وزَمن شديد ، يُعَدّ فيه المحسِنُ مُسيئا ، ويزدادُ الظالمُ فيه عُتُوّا، لا ننتفع بما علِمنا ، ولا نَسأل عمّا جَهِلْنا ، ولا نتخوّف قارِعةً حتى تَحُلّ بنا . فالناس أربعة أصناف : منهم مَن لا يمنعه من الفساد فى الأرض إلا مَهانةُ نفسه وكَلال حَدّه ونَضِيضُ[(٥)] وَفْره؛ ومنهم المُصلِت لسيفه[(٦)] والمُجلِب بخيله ورَجْله والمُعلِن بشرّه، قد أَشْرَط[(٧)] نفسَه وأوبق[(٨)] دِينَه لحُطَامٍ ينتهِزه

(١) حمارّة القيظ : شدّته . (٢) زيادة عن العقد الفريد والبيان والتبيين . (٣) القرّ بضم القاف : البرد الشديد . (٤) كذا فى العقد الفريد والبيان والتبيين، بزيادة كلمة «لها» بعد كلمة «أطول» فى البيان والتبيين . وفى الأصل : « هل منهم أحد لها أشدّ مراسا ولا أطول تجربة منى » . (٥) فى الأصل : « رضيض » وما أثبتناه عن البيان والتبيين والعقد الفريد وإعجاز القرآن . ونضيض وفره : قلة ماله . (٦) فى الأصل : «بسيفه» بالباء . (٧) أشرط نفسه لكذا : أعدّها وقدّمها . (٨) أوبق دينه : أهلكه .

أو مِقْنَب[1] يقــوده أو مِنْبر يَفْرَعُه[2]، ولبئس المَتْجَران[3] تراهما لنفسك ثمناً وممـا عند الله عِوَضا . ومنهم مَن يطلب الدنيـا بعمل الآخرة [ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيـا][4] قد طامَنَ[5] من شخصه وقارَبَ من خَطْوه، وشمَّر من ثوبه، وزَخْرَفَ نفسَه للأمانة، واتخذ سِــتر الله ذَريعةً إلى المعصية . ومنهم من أقعـده عن طلب الملك ضُؤُولةٌ فى نفســه وانقطاعٌ من سببه، فقصَّر به الحال عن أمله[6]، فتحلّى باسم القناعة وتزيَّن بلباس الزُّهّاد ، وليس من ذاك فى مَرَاحٍ ولا مَغْــدًى . و بقى رجَالٌ غضّ أبصارَهم ذكرُ المَرْجِــع، وأراقَ دموعَهم خوفُ المَحْشر فهم بين شَرِيد نادّ[7]، وخائف مُنْقَمِع[8]، وساكتٍ مَكْعُوم، وداعٍ مُخْلِص، ومُوجَع ثَكْلان ، قد أخملتْهم التقيّــة ، وشملَتْهم الذِّلّة ، [فهم][9] فى بَحرٍ أُجَاج، أفواهُهم ضامرةٌ، وقلوبُهــم قَرِحَةٌ ، قد وُعِظُوا حتى مَلُّوا، وقُهِروا حتى ذَلُّوا ، وقُتِلوا حتى قَلُّوا . فلتكن الدنيا فى أعينكم أصغرَ من حُثَالة القَرَظ وقُرَاضــة الجَلَم ، واتّعِظُوا بمَن كان قبلكم قبــل أن يتّعِظ بكم مَن بعدكم، وارفضوها ذَميمةً، فإنها قد رَفضتْ مَن كان أشغَفَ بها منكم .

خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال : إن معاوية كان حَبْلا من حِبال الله ، مدّه ماشاء أن يمُدَّه، ثم قطعه حينَ شاء أن يَقطعَه ، وكان دُونَ مَن قَبْله وهو خيرٌ ممن بعده، [ولا أُزَكِّيه عند[10]

(١) المقنب بكسر الميم : الجماعة من الخيل . (٢) يفرعه : يعلوه . وفى الأصل : «يترعه» وهو تحريف . (٣) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل : «وليس المتجران تراها ... الخ» وهو تحريف . (٤) الزيادة عن العقــد الفريد والبيان والتبين وإعجاز القرآن . (٥) طامن من شخصه : خفض . (٦) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) وفى الأصل : «على حاله ... » . (٧) النادّ : النافر الذاهب على وجهه . (٨) منقمع : مستخفٍ . (٩) الزيادة مأخوذة من البيان والتبين والعقــد الفريد وإعجاز القرآن للباقلانى . (١٠) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٣) .

ر به وقد صار اليه] فإن يعفُ عنه فبرحمته ، وإن يعاقبْه فبذنبه . وقد وَلِيتُ الأمرَ بعــده ، ولستُ أعتذر من جَهْل ولا أشتغل[1] بطلب علم . وعلى رِسْلكم ! إذا كَرِهَ اللهُ أمرًا غيّره .

خطبة لعُتْبة بن أبي سُــفيان

أبو حاتم عن العُتْبيّ قال : احتبستْ كُتُب معاويةَ حتى أَرْجَفَ[2] أهلُ مصر بموته ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعد عتبةُ المنبر والكتابُ فى يده فقال :

يا أهل مصرَ! قد طالت معاتبتُنا إيا كم بأطراف الرِّماح وظُبَات السيوف حتى صِرْنا شَجًى فى لَهَوَاتكم ما تُسيغُنا حلوقُكم ، وأَقْذاءً فى أعينُكم ما تَطْرِف عليها جفونُكم . فحين آشتدّت عُرَى الحق عليكم عَقْدًا ، وآسترختْ عُقَدُ الباطل منكم حَلًّا ، أرجفتم بالخليفة وأردتم توهينَ السلطان ، وخُضتم الحقَّ إلى الباطل ، وأقدمُ عهدكم به حديثٌ ! فاربَحُوا أنفسكم إذ خَسِرْتم دينكم ، فهذا كتابُ أمير المؤمنين بالخبرَ السارّ عنه والعهدِ القريب منه . وآعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ؛ فأصلِحوا لنا ما ظَهَر ، نَكِلْكُم إلى الله فيما بَطَن ؛ وأظهِرُوا خيرا وإن أسررتُم شرًّا ؛ فإنكم حاصــدون ما أنتم زارعون . وعلى الله نتوكّل وبه نستعين .

خطبة لعُتْبة أيضــا

وبهذا الإسناد أن عُتبة خطب أهلَ مصر حين هاجوا فقال :

يا أهل مصر، خَفَّ على ألسنتكم مدحُ الحق ولا تفعلونه ، وذمُّ البــاطل وأنتم تأتُونه ، كالحِمَــار يَحمِل أسفارا أثقله حَمْلُها ولم ينفعْه عِلْمُها . وإنى والله لا أُداوى

---

(١) فى العقد الفريد : «ولا آسى على طلب علم» . (٢) أرجف : خاض فى الأخبار التى تحدث اضطرابا وفتنة .

أدواءكم بالسيف ما آكتفيت بالسَّوْط، ولا أبلغُ السوطَ ما كفتنى الدِّرَّة، ولا أُبطئ عن الأُولى إن لم تصلحوا عن الأُخرى (١) * ناجزا بنـاجز، ومَن حذّر كمن بشّر * (٢) فدعوا قال ويقول من قبلِ أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم الذى ليس (٣) فيـه عِقَاب، ولا بعده عِتَاب .

خطبة لعبد الله بن الزُّبَيْر

خطب عبد الله بن الزُّبير حين قُتِلَ أخوه مُصْعَب فقال :

الحمد لله الذى يُعِزّ مَن يشاء ويُذِلّ مَن يشاء . إنه لن يذلّ مَن كان الحقّ معه وإن كان فَرْدًا ، ولن يعزّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام . أتانا خبرٌ من قِبَلِ العراق أجزَعَنا وأفرَحَنا : قتلُ مُصْعَب رحمه الله . فأما الذى أحزَنَنا من ذلك فإن لفراق الحميم لَذْعةً يجدها حميمُه عند المُصيبة به ثم يَرْعَوِى بعدها ذَوُو الرأى الى جميل الصبر وكريم العزاء . وأما الذى أفرحنا من ذلك فعلمُنا أن قتله شهادةٌ، وأن ذلك لنا وله الخِيَرة . ألا إن أهل العراق أهلَ الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا يأخذونه به . إنا والله ما نموت حَبَجًا (٤) ولا نموت إلا قتلا، قَعْصًا بالرماح تحتَ ظِلال السيوف، ليس كما تموت بنو مروان؛ والله إنْ قُتِلَ رجلٌ منهم فى جاهليّة ولا إسلام.

---

(١) كذا فى الأصل، ولعلها : «على الأخرى» .

(٢) هـذه الجملة التى بين النجمتين وردت فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) فى أثناء خطبة أخرى لعتبة . وفى العقد : «والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها لكم ناجزا بناجز، ومن حذر كمن بشر... » .

(٣) فى العقد الفريد : « قبله » .

(٤) الحبج : أن يأكل البعير لحاء العرفج فيرم بطنه سمنا وربما قتله ذلك . قال فى اللسان بعد أن ذكر كلام ابن الزبير : «يعرّض ببنى مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم فى ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة...» وقعصه (من باب قطع) : قتله مكانه .

ألا إنما الدنيا عَارِيَةٌ من الملك الأعلى [الذى لا يَبِيدُ ذِكْرُه ولا يَذِلّ سلطانُه] (١) فإن تُقبِل علىّ لا آخُذْها أخْذَ البَطِر الأَشِر، وإن تُدبِر عنى لا أَبْكِ عليها بُكاءَ الخَرِف المُهْتَر (٢) .

ثم نزل .

خطبة زياد البتراء (٣)

حدّثنى عبد الرحمن عن الأصمعىّ عن أبى بكر بن أبى عاصم ببعضها، وحدّثنى أبى عن الهيثم بن عَدِىّ، قال : لمّا قدم زيادٌ أميرا على البَصْرة فنظر إلى أبياتها، قال : رُبَّ فَرِيحٍ بإمارتى لن تنفعَه، [و] كارهٍ لها لن تَضُرَّه ؛ فدخل وعليه قَباء أبيض ورداء صغير، فصعِد المنبر، فخطب الناسَ خطبة بتراء : لم يصلّ فيها على النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكان أوّلَ من خطبها، ثم قال :

أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علِمتم . وشهِدت الشهودُ بما قد سمِعتم، وإنما كنت آمرأً حَفظ اللهُ منه ما ضَيّع الناسُ، ووَصَل ما قطعوا (٤) . ألَا وإنا قد وَلِينا ووَلِيَنا الوالون، وسُسْنا وساسنا السائسون، وإنا وجدنا هذا الأمرَ لا يُصلحه إلا شدّةٌ فى غير عُنْف، ولينٌ فى غير ضعف . وآيْمُ الله ما من كِذْبةٍ أكبرُ شاهدًا من كِذْبة إمام على منبر؛ فإذا سمعتموها منّى فآغتمِزُوها فىّ، وآعلموا أن عندى أمثالَها، وإذا رأيتمونى آمر

---

(١) الزيادة من العقد الفريد : (ج ٢ ص ١٨٣) . (٢) الخرف : الذى فسد عقله من الكبر . والمهتر : من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن . وفى العقد الفريد : «بكاء الخرق المهين» .

(٣) وردت هذه الخطبة فى النوادر لأبى على القالى (ص ١٨٥ — ١٨٦ طبع دار الكتب المصرية) كما هنا ولا تختلف إلا فى كلمات يسيرة . ووردت فى الكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٤ طبع ليدن سنة ١٨٦٨ م) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٣) بزيادات كثيرة عما هنا وبتقديم وتأخير فى بعض الجمل والكلمات .

(٤) لم ترد هذه القطعة فى الخطبة البتراء فى مصدر آخر من المصادر التى بين أيدينا إلا فى النوادر لأبى على القالى . وقد وردت فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٤) فى خطبة أخرى لزياد .

فيكم بالأمر فأنفـذوه على أذلاله[1] . وآيم الله إن لى فيكم لصرْعَى كثيرة، فليحذَرْ كلّ آمرئ منكم أن يكون من صَرْعاى . وآيمُ الله لآخُذنّ البرىءَ بالسقيم، والمطيعَ بالعاصى، والمقبِلَ بالمدبر، حتى تستقيمَ لى قَنَاتُكم، وحتى يقولَ القائل : "أُنْجُ سعد فقد قُتِل سُعَيْد"[2] . فقام إليه عبدُ الله بن الأَهْتم[3] التميمىّ، فقال : أيها الأمير، أشهد أنك أُوتِيتَ الحكمةَ وفصلَ الخطاب، فقال له : كَذَبتَ، ذاك نبىّ الله داود . ثم قام اليـه الأحنفُ، فقال : إنمـا المرءُ بجِـدّه، والسيف بحدّه، والجواد بشدّه ؛ وقد بلغك جِدُّك أيها الأمير ما ترى ؛ وإنمـا الحمدُ بعد البَلاء، والثناءُ بعـد العطاء، وإنا لا نُثْنِى حتى نَبْتلِىَ . ثم قام اليـه مِرْداس بن أُدَيّة، فقال : قد سمعنا مقالتك أيها الأمير، وإنّ خليلَ الله إبراهيمَ عليـه السلام أدَّى عن الله غيرَ الذى أدّيتَه، قال الله تعـالى : (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)[4] ؛ وأنت تزعُم أنك تأخُذ البرىءَ

(١) على أذلاله : على طرقه ووجوهه . واحده ذل بكسر الذال، وهو ما مهد من الطريق وذلل .

(٢) قال فى اللسان مادة « سعد » بعد أن ذكر هذا المثل : « هذا مثل سائر ؛ وأصله : أنه كان لضبة ابن أدّ ابنان : سعد وسعيد فخرجا يطلبان إبلاهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد ؛ فكان ضبة إذا رأى سوادا تحت الليل قال : سعد أم سعيد ! هذا أصل المثل ؛ فأخذ ذلك اللفظ منه وصار مما يتشاءم به، وهو يضرب مثلا فى العناية بذى الرحم، ويضرب فى الاستخبار عن الأمرين : الخير والشر أيهما وقع . وقال الجوهرىّ فى هـذا المكان : وفى المثل، أسـعد أم سعيد إذا سئل عن الشىء أهو ممـا يحب أو يكره » .

(٣) كذا فى ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٦ طبـع ليدن والبيـان والتبيين والعقـد الفريد . وفى الأصـل : «نعيم بن الأهتم» وقـد آثرنا ما فى المصادر الأولى لأن الوقوف فى مثل هـذا الموقف يقتضى شجاعة وجرأة، وفى عبد الله بن الأهتم منهما حظ موفور . أما نعيم بن عمرو بن الأهتم، وعبد الله هذا عمه، فكان كما يقول ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (ص ٤٠٢) : «فيه تأنيث ... » . وفى النوادر لأبى علىّ القالى : «صفوان بن الأهتم» وصفوان هذا ابن عبد الله بن الأهتم .

(٤) وردت هذه الجملة فى ابن الأثير والعقد الفريد والبيان والتبيين والنوادر لأبى على القالى باختلاف عما هنا ونصها فى ابن الأثير : «فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية، وهو من الخوارج، وقال : أنبأنا الله بغير ما قلت، قال الله تعالى : (وإبراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) الخ ...» .

بالسقيم ، والمطيعَ بالعاصى ، والمقبلَ بالمدبر، فقال له : أُسكت ، فوالله ما أجد الى ما أُريد سبيلًا ، إلا أن أخوضَ اليه الباطلَ خوضا . ثم نزل .

وقال فى خطبة له أخرى[1] :

حَرَامٌ علىّ الطعامُ والشرابُ حتى أسوِّيَها بالأرض هَدْمًا وإحراقا . إيّاى ودَلَجَ الليل ، فإنى لا أُوتَى بمُدلِجٍ إلا سَفَكتُ دمه ، وإيّاىَ ودَعْوَى الجاهليّة ، فإنى لا أجد أحدًا دعَا بها إلا قطعتُ لسانَه . وقد أحدثتم أحداثا ، وأحدثنا لكل ذنبٍ عقوبة ؛ فمن غَرّق قوما غَرّقته ، ومن أحرق قوما أحرقتُه ، ومن نَقَبَ بيتا نقبتُ عن قلبه ، ومَنْ نَبَش قبرًا دفنتُه فيه حيًّا ، فكُفُّوا أيديكم وألسنتكم أَكُفَّ عنكم . وقد كانت بينى وبين أقوام منكم أشياءُ قد جعلتُها دَبْرَ أذنى وتحت قَدَمى ، فمن كان محسنًا فليزدَدْ ، ومن كان مسيئا فلينزِعْ . إنّى لو علمتُ أنّ أحدكم قد قتله السُّلّ من بُغْضى لم أكشف له قِناعا ولم أهتِكْ له سِترًا ، حتى يُبدىَ لى صَفْحتَه ، فإذا فعل ذلك لم أُناظره ، فأعينوا على أنفسكم وأتِنقوا أمركم .

خطبة للحجاج حين دخل البصرة[2]

دخل وهو متقلّدٌ سيفًا متنكّبٌ قوسا عربية ، فعلا المنبرَ فقال :

أنا ٱبنُ جَلَا وطلّاع الثّنايَا * مَتَى أضَعِ العِمامةَ تعرِفُونى

---

(١) هذه الخطبة وردت فى المصادر المتقدّمة ، ما عدا النوادر لأبى علىّ القالى ، فى ثنايا خطبته البتراء .

(٢) وردت هذه الخطبة فى كثير من كتب الأدب والتاريخ كالكامل للمبرد (ص ٢١٥ طبع ليبسج) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٤) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٧) والكامل لابن الأثير (ج ٤ ص ٣٠٤ طبعة ليدن) مع بعض الاختلاف : بزيادة أو نقص أو تغيير فى بعض الكلمات .

إن أمير المؤمنين نَكَبَ[1] عيـدانَه بين يديه ، فوجدنى أمرّها عُودًا وأصْـلبَها مَكْسِرا ، فوجّهنى إليكم . ألَا فوالله لأعْصِبنّكم[2] عَصْبَ السَّلَمَة ، ولألحُوَنّكم لحوَ العُود ، ولأضرِبنّكم ضربَ غرائبِ الإبل[3] ، حتى تستقيمَ لى قَنَاتُكم ، وحتى يقولَ القائل : «أَنْجُ سعدُ فقد قُتِل سُعَيْدٌ»[4] . ألَا وإيّاى وهذه السُّقَفَاءَ[5] والزَّرَافاتِ ، فإنّى لا أُوتَى بأحدٍ من الجالسين فى زَرَافةٍ إلا ضربتُ عُنُقَه . هكذا حدّثنيه أحمد بن سـعيد عن أبى عُبَيـد فى كتاب غَرِيب الحديث . وقال لى غيره : هو إيّاىَ وهـذه الشُّفَعاءَ والزَّرَافات . وقد فسّرتُ الحديثَ فى كتابى المؤلَّف فى غريب الحديث .

خطبة للحجاج أيضا

أَرْجَف الناسُ بموت الحجّاج ، فخطب فقال :

إنّ طائفةً من أهل العراق ، أهل الشقاق والنفاق ، نَزَغَ الشيطانُ بينهم ، فقالوا : مات الحجاج ومات الحجاج ! فمَهْ ! وهـل يرجو الحجّاج الخيرَ إلا بعـد الموت ! والله ما يسرُّنى ألّا أموتَ وأنّ لى الدنيا وما فيها ! وما رأيت اللهَ رضِىَ بالتخليد إلا لأهونِ خَلْقه عليه إبليس . ولقد دعا اللهَ العبدُ الصالحُ فقال : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ، فأعطاه ذلك إلا البقاء . فما عسى أن يكون أيها الرجل!

---

(١) نكب عيدانه : طرحها . (٢) عصبه : قطعه . والسلمة : واحدة السلم ، وهو شجر من العضاه يتخذ منه القرظ الذى يدبغ به ، وهو شجر السنط . ولحا العود : قشره . (٣) كانت الإبل الغريبة إذا وردت مع إبل قوم ضربت وطردت . ضربه الحجاج مثلا فى التهديد والإنذار . (٤) تقدم شرحه فى خطبة زياد . (٥) فى اللسان مادّة «سقف» : «وأما قول الحجاج : (إياى وهذه السقفاء) فلا يعرف ما هو ؟ وحكى ابن الأثير عن الزمخشرى قال : قيل وهو تصحيف ، قال : والصواب شفعاء جمع شفيع لأنهم كانوا يجتمعون إلى السلطان فيشفعون فى أصحاب الجرائم فنهاهم عن ذلك لأن كل واحد منهم يشفع للآخر كما نهاهم عن الاجتماع فى قوله : إياى وهذه الزرافات» . ومن هذا يعلم ما يرمى إليه المؤلف بالتعقيب بالرواية الثانية من التنبيه على الوجه الصحيح .

وكلكم ذلك الرجل! . كأنّى والله بكلّ حىٍّ منكم ميتًا ، وبكل رطبٍ يابسًا ، ونُقِـل فى ثيابِ أكفانه إلى ثلاثِ أذرُعٍ طُولا فى ذِراع عَرْضا ، وأكلتِ الأرضُ لحمَـه ومَصّتْ صـديدَه ، وانصرف الحبيبُ من ولده يَقْسِم الخبيثَ من ماله ؛ إن الذين يعقلون يعلَمون ما أقول ، ثم نزل .

خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقـال : أيها الناس إنى أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ابنى هذا ، وأوصيتُه بخلاف ما أوصَى به رسولُ الله صلى الله عليه [وسلم] فى الأنصار ؛ إن رسول الله أوصَى أن يُقبَلَ من مُحسنهم ، وأن يُتجاوَزَ عن مُسيئهم ، وإنى أمرتُه ألّا يَقبلَ من محسنكم ولا يتجاوزَ عن مسيئكم . ألّا وإنكم ستقولون بعدى مقالةً لا يمنعُكم من إظهارها إلا مخافتى ، ستقولون بعدى : لا أحسَنَ اللهُ له الصَّحابة! ألّا وإنى مُعجِّلٌ لكم الجوابَ : لا أحسَنَ الله لكم الخِلافة ، ثم نزل .

خطبة للحجاج أيضا

خطب فقـال فى خطبته : سَوْطى سيفى ، فنِجادُه[1] فى عُنُقى ، وقائمُـه فى يدى ، وذُبَابه قِلادةٌ لمن اغترّ بى! فقـال الحسن : بُؤْسًا لهذا! ما أغرّه بالله ! .

وحلف[2] رجل بالطلاق أن الحجاج فى النار ، ثم أتى امرأتَه فمنعته نفسَها ، فأتى ابنَ سيرين يستفتيه ، فقال : يا ابن أخى ، امضِ فكن مع أهلك ، فإنّ الحجّاجَ إن لم يكن فى النار لم يَضُرَّك أن تزنى .

---

(١) نجاد السيف : حمائله . وقائمه مقبضه . وذبابه : طرفه الذى يضرب به .

(٢) فى الاصل : لحلف رجل ... .

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه (١)

حدثنى أبو سَهْل عن إسحاق بن سليمان عن شُعَيب بن صَفْوان عن رجل من آل سَعيد بن العاص، قال :

كان آخر خطبةٍ خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنْ حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم لم تُخْلَقوا عَبَثًا ، ولن تُتْركوا سُدًى ، وإنّ لكم مَعادًا يَنزِل اللهُ فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ؛ فخاب وخَسِر من خَرَج من رحمة الله وحُرِمَ جنّةً عَرْضُها السمواتُ والأرضُ . ألم تعلموا أنه لا يأمَن غدًا إلا من حَذِر اليومَ وخاف ، وباع نافدًا (٢) بباق ، وقليلًا بكثير، وخوفًا بأمان! ألا ترون أنكم فى أَسْلاب الهالكين ، وستكون من بعدكم للباقين كذلك ، حتى تُرَدّ (٣) الى خير الوارثين ! ثم إنكم فى كل يوم تُشَيِّعون غاديًا ورائحًا الى الله قد قَضَى نَحْبَه ، حتى تُغيِّبوه فى صَدْعٍ من الأرض فى بطن صَدْع غير مُوَسَّد ولا مُمهَّد ، قد فارَقَ الأحباب وباشرَ الترابَ وواجه الحسابَ ، فهو مرتَهَنٌ بعمله ، غَنِيٌّ عما ترك فقير الى ما قدّم . فاتَّقُوا اللهَ قبل انقضاء مَوَاقِيته ونزولِ الموت بكم ! أَمَا إنى أقول هذا وما أعلم أنّ عند أحدٍ من الذنوب أكثرَ مما عندى ، فأستغفرُ الله وأتوبُ اليه . ثم رفع طَرَفَ رِدائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله .

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلالَه ثم قال : كنتَ كذلك ما شئتَ أن تكون ، لا يَعلم كيف أنت إلا أنت ، ثم ارتأيتَ أن تخْلُقَ الخَلْق ، فماذا جئتَ به من عجائب صُنْعك ،

(١) وردت هذه الخطبة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٠) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٥) بزيادة عما هنا . (٢) فى الأصل: «وباع ناقدا...» بالقاف وهو تحريف . (٣) فى الأصل: «وسيكون ... حتى يرد ...» .

والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من ذَرْئك : من صُنوف أفواجه وأفراده وأزواجه ، كيف أدمجتَ قوائم الذَّرّة والبَعُوضة إلى ما هو أعظمُ من ذلك من الأشباح التى امتزجتْ بالأرواح ! .

وخَطَب يوما فسقطتْ جَرادةٌ على ثوبه فقال : سبحانَ مَن الجرادةُ من خلقه ، أدمَجَ قوائمها ، وطوّقها جَنَاحها ، ووَشّى جلدَها ، وسلّطها على ما هو أعظمُ منها .

خطبة للحجاج

خطب فقال : أيها الناس ، احفَظُوا فُروجكم ، وخُذوا الأنفس بضميرها ، فإنها أسوكُ[1] شيء إذا أُعطِيَتْ ، وأعصَى شيء إذا سُئلت . وإنى رأيت الصبر عن محَارم الله أيسَرَ من الصبر على عذاب الله .

خطبة سليمان بن عبد الملك

خطب فقال : إن الدار دارُ غُرورٍ ومنزلُ باطلٍ ، تُضحك باكيًا وتُبْكى ضاحكا ، وتُخيف آمنا وتُؤمن خائفا ، وتُفقر مُثريا وتُثرى مُقْترا ، ميّالةٌ غرّارة لَعّابة بأهلها ! عبادَ الله ! اتّخذوا كتاب الله إماما ، وارتَضُوا به حَكَما ، واجعلوه لكم قائدا ، فإنه ناسخٌ لِمَا كان قبله ولم ينسَخْه كتابٌ بعده . اعلموا عبادَ الله أن هذا القرآن يجلو كَيْدَ الشيطان كما يجلو ضوءُ الصبح إذا تنفّس[2] ، ظلامَ الليل إذا عسعس .

(١) أسوك : أضعف ، من ساك الرجل اذا مشى مشيا ضعيفا .

(٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٤) ، وفى الأصل : « دبار الليل ... » . وتنفس الصبح : تبلج وأسفر . وعسعس الليل : أظلم .

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حمد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : أيهـا الناس، والله ما خرجت أَشَرًا ولا بَطَرا ولا حِرْصًا على الدنيا ولا رغبـةً فى الملك ، وما بى إطراءُ نفسى ، وإنى لظَلُومٌ لهـا إن لم يرحَمْنى الله، ولكن خرجت غَضَبًا لله ودِينه، داعيًا إلى الله وإلى سنّة نبيّه، لَمّـا هُدمت معالمُ الهدى، وأُطفئ نورُ أهلِ التقوى، وظَهَر الجبّار العَنِيد، المستحِلُّ لكل حُرْمة، والراكبُ لكل بِدْعة، الكافرُ بيوم الحساب ، وإنه لَابنُ عَمّى فى النَّسَب وكَفِيئى فى الحَسَب ؛ فلمّا رأيتُ ذلك استخرتُ الله فى أمره وسألته ألّا يَكِلَنى إلى نفسى، ودعوتُ إلى ذلك مَنْ أجابنى من أهل وِلايتى، حتى أراح الله منه العبـادَ، وطَهّر منه البلاد، بحَوْله وقُوّته لا بحولى وقوّتى .

أيها الناس، إنّ لكم علىّ ألّا أضَعَ حَجَرًا على حجر، ولا لَبِنةً على لبنة، ولا أَكْرِى(١) نهرا، ولا أكنِزُ مالا ، ولا أُعطيه زوجًا ولا وَلَدًا ، ولا أنقُلُه من بلد إلى بلد حتى أسُدَّ ثَغْرَ ذلك البلد وخَصَاصةَ أهله ، فإنْ فَضَلَ فضلٌ نقلتُه إلى البلد الذى يَلِيه . ولا أُجَمِّرَكم(٢) فى بُعُوثكم فأفتنَكم وأفتِنَ أهليـكم ، ولا أُغْلِق بابى دونكم فيأكُلَ قويُّكم ضعيفَكم ، ولا أحمِلُ على أهل جِزْيتكم ما أُجْليهم به عن بلادهم وأقطَعُ به نَسْلَهم . ولكم علىّ إدرارُ العَطَاء فى كل سنةٍ والرزقِ فى كل شهر، حتى يستوىَ بكم الحال فيكونَ أفضـلُكم كأدناكم . فإن أنا وَفَيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة(٣) ، وإن لم أَفِ لكم [فلكم](٤) أن تخلعونى * إلا أن تستتيبونى(٥) ، فإن أنا تبت

---

(١) كرى النهر : حفره . (٢) تجمير العساكر: حبسهم فى بلاد العدوّ أو الثغور، دون أن يرجعوا الى أهليهم . وفى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) : «ولا أجمركم فى ثغوركم» . (٣) المكانفة : المعاونة . (٤) التكملة منقولة من البيان والتبيين . (٥) كذا فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) وفى الأصل تستسيئونى ، إن تبت ... .

قبلتم منى ، وإن عرفتم أحدا [يقوم مَقَامى ممن][1] يُعرف بالصَّلَاح يُعطيكم من نفسه مثلَ الذى أعطيتُكم فاردتم أن تُبايعوه، فانا أوّلُ مَنْ بايعه ودَخَل فى طاعته .

أيها الناس، إنه لا طاعةَ لمخلوقٍ فى معصية الخالق . وأقول قولى هذا وأستغفر الله العظيمَ لى ولكم .

فلما بُويع مَرْوانُ نَبَشَه وصَلَبه . وكانوا يقرءون فى الكتب : يامبذِّر الكنوز ويا سجّادًا بالأسحار، كانت ولايتُك لهم رحمةً وعليهم حجّة، أخذوك فصَلَبوك .

خطبة أبى حمــزة الخارجىّ[2]

خطب أبو حمزةَ الخارجىّ بمكة فذكر رسولَ الله صلى الله عليه [وسلم]، ثم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بما هم أهله، ثم قال: ووَلِىَ عثمانُ فسار ستَّ سنين بسيرة صاحبيْه وكان دونَهما، ثم سار فى الستّ الأواخر بما أحبط [به][3] الأوائل، ثم مضى لسبيله . ووَلِىَ علىٌّ فلم يَبْلُغ من الحقّ قَصْدًا ولم يرفَعْ [له][3] مَنَارا، ثم مضى لسبيله . ثم وَلِى معاوية لَعِينُ رسولِ الله وابنُ لعينه، اتّخذ عبادَ الله خَوَلًا، ومالَ الله دُوَلًا، ودِينَه دَغَلا، ثم مضى لسبيله، فالْعَنُوه لعنه الله . ثم وَلِى يزيدُ بن معاوية، يزيد الخمور، ويزيد القُرود، ويزيد الفهود، الفاسقُ فى بَطْنه والمأبون فى فَرْجه . ثم اقتصّهم خليفةً خليفةً . فلما انتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرضَ عن ذكره، ثم ذكر يزيدَ بنَ عبد الملك فقال: يا كلَ الحرامِ، ويابسَ الحُلّة بألف دينار، قد ضُربَت فيها الأبشارُ، وهُتِكت الأستار، حَبَابةُ عن يمينه وسَلَّامةُ عن يساره تغنّيانه، حتى إذا أخَذَ الشرابُ فيــه كلَّ مأخَذ قدّ ثوبَه ثم التفتَ الى إحداهما فقال : ألَا أَطِير! نعم! طِرْ الى النار . ثم ذكر أصحابَه

(١) الزيادة منقولة من البيان والتبيين . (٢) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦١) . (٣) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين .

فقال : شبابٌ واللهِ مُكتهلون فى شَبَابِهم ، غَضيضةٌ عن الشر أعينُهم ، ثَقيلةٌ عن الباطل أرجلُهم ، أنْضاءُ عِبادة ، وأَطْلاح سَهَر،[1] ينظُرُ الله اليهم فى جوف الليل مُنْحنيةً أصلابُهم على أجزاء القرآن ، قد أكلت الأرض رُكَبَهم وأيديَهم وجِبَاهَهم ، واستقَلُّوا ذلك فى جَنْب الله ، حتى إذا رأَوُا السِّهام قد فُوِّقَتْ ، والرماحَ قد أُشْرِعتْ ، والسيوفَ قد انتُضِيتْ ، وأرعدت الكتيبةُ بصواعق الموت ، مضى الشابُّ منهم قُدُماً ، حتى اختلفت رجلاه على عُنُق فرسه ، وتخضّبتْ محاسنُ وجهه بالدماء ، فأسرعت اليه سِباعُ الأرض وانحطَّتْ اليه طيرُ السماء ، فكم من عيْنٍ فى مِنْقار طائرٍ طالما[2] بَكَى صاحبُها فى جوف الليل من خوف الله ! وكم من كفٍّ زَايَلَتْ مِعْصَمَها طالما اعتَمَد عليها صاحبُها فى جوف الليل بالسجود لله ! ثم قال : أوِّه أوِّه[3] وبكى ثم نزل .

خطبة لقَطَرِىّ الخارجىّ[4]

ذَكَر فيها الذين قالوا مَنْ أشدُّ منّا قوّةً، فقال : حُمِلُوا الى قُبُورهم فلا يُدْعَوْنَ رُكْبانا ، وأُنْزِلوا فلا يُدعون ضِيفانا ، وجعلوا لهم من الضَّريح[5] أَجْنانا[6] ، ومن التراب أكفانا ، ومن الرُّفَات جِيرانا ؛ فهم جِيرةٌ لا يُجيبون داعيًا ولا يَمنعون ضَيما ، إن

---

(١) أنضاء : جمع نضو ، وهو الخفيف اللحم من التعب . وأطلاح : جمع طلح (بكسر الطاء) وهو المهزول . (٢) فى الأصل « طارما » وهو تحريف . والتصويب من البيان والتبيين والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٧) . (٣) أوّه : كلمة معناها التحزن . وفيها لغات وهى : آوّه (بالمد وسكون الهاء) وأوّه بضم الهاء ، وآووه (بالمد وواوين) وأوه (بكسر الهاء) خفيفة وأوه (بفتح الهاء وسكون الواو فيها) وآه (بالمد وكسر الهاء) . (انظر اللسان مادة أوه) . (٤) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٣) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) . (٥) فى البيان والتبيين والعقد الفريد « وجعل لهم ... أجنان » ولعل روايتهما أكثر استقامة . (٦) أجنان : جمع جنن ، والجنن (بالتحريك) : القبر .

أَخْصَبوا لم يفرحوا، أو أَقْحَطوا لم يَقْنَطوا، جميعٌ أوحادٌ، وجيرةٌ أَبْعاد، لا يَزُورون ولا يُزارون . فاحذَرُوا ما حَذَّركم الله، وانتفِعوا بمَوَاعظه واعتصِموا بحبله .

وفى خطبة ليوسف بن عمر :

اتقوا اللهَ عبادَ الله ! فكم من مُؤَمِّلٍ أملًا لايبلُغه، وجامعٍ مالًا لا يأكله، ومانعٍ ماسوف يَتركُه، ولعله من باطلٍ جَمَعَه، ومن حقٍّ مَنَعَه، أصابه حرامًا ووَرَّثه عدوًّا، احتمل إِصْرَه[1] وبَاءَ بوِزْره، ووَرَدَ على ربِّه آسفًا لاهفًا، قد خَسِر الدنيا والآخرةَ، ذلك هو الخُسْرانُ المبين .

وفى خطبة للحجاج :

قال مالك بن دِينار: سمعته على المنبر يقول : امرأً[2] زوّر عمله امرأً حاسَبَ نفسَه، امرأً فكّر فيما يقرؤُه فى صحيفته ويراه فى ميزانه، امرأً[3] كان عند هواه زاجرا، وعند همّه آمرا، أَخَذَ بعِنَانِ قلبه[4] كما يأخُذ بخِطام جَمَلِه، فإن قاده الى طاعة الله تَبِعه، وإن قاده الى مَعْصية الله كَفّه .

خطبـــة للمنصـــور

خطب المنصور بمكة فقال : أيها الناس، إنما أنا سلطانُ الله فى أرضه، أسوسُكم بتوفيقه وتَسْديده[5] وتأييده وتَبْصيره، وخازنُه على فَيْئه أعْمَلُ فيه بمشيئته، وأَقْسِمه بإرادته، وأُعطيه بإذنه، قد جَعَلنى عليه قُفْلا اذا شاء أن يفتَحَنى لإعطائكم وقَسْمِ أرزاقكم فتحنى، واذا شاء أن يُقفِلنى عليها أقفلنى . فارغَبُوا الى الله وآسألوه

---

(١) الإصر : الثقل . (٢) فى العقد «آمرؤ ...» بالرفع . وزوّر عمله : حسنه . (٣) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٦) وفى الأصل «عند قلبه...» . (٤) كذا فى العقد الفريد وفى الأصل : «بعنان عمله ...» . (٥) كذا فى العقد الفريد، وفى الأصل : «بشيته ...» .

فى هذا اليوم الشريف الذى وَهَبَ لكم فيه من فَضْله ما أعلمكم فى كتابه؛ اذ يقول: (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا) أن يُوَفِّقنى للصَّواب والرشاد، ويُلْهِمَنى الرأفة بكم والإحسانَ إليكم، ويَفْتَحنى لإعطائكم وقَسْم أرزاقكم بالعَدْلِ عليكم .

خطبة لداود بن علىّ

خطب فقال : أحرزَ لسانٌ رأسه، اتّعظ آمرؤٌ بغيره، اعتبرَ عاقلٌ قبل أن يُعْتَبَر به، فأمسكَ الفَضْلَ من قوله وقدّم الفضـلَ من عمله . ثم أخذ بقائم سيفه فقال : إن بكم داءً هذا دواؤُه، وأنا زعيمٌ لكم بشِفائه؛ وما بعد الوعيد إلّا الإيقاع .

خطبة لداود بن علىّ أيضا

لمـا قام أبو العبّاس فى أوّل خلافته على المنبر قام بوجهٍ كورقة المصحف فاستَحْيا فلم يتكلَّم، فنَهَض داودُ بن علىّ حتّى صَـعِد المنبر؛ فقال المنصور : فقلت فى شيخنا وكبيرِنا ويدعو إلى نفسه فلا يختلف عليـه آثنان ؛ فانتضَيْتُ سيفى وغَطَّيت ثوبى وقلتُ : إن فَعَلَ ناجزتُه؛ فلما رَقِىَ عَتَباً استقبل الناسَ بوجهه دون أبى العباس، ثم قال : أيهـا الناس، إن أمير المؤمنين يَكْرَه أن يتقدّم قولُه فعلَه، ولَأثَرُ الفعال عليكم أجْدَى من تَشْقيق المَقال(١)، وحسـبكُم بكتابِ الله مُمْتَثَلًا فيكم، وآبنِ عمِّ رسـولِ الله خليفةً عليكم . والله قَسَمًا بَرًّا لا أُريد إلّا اللهَ به ما قام هـذا المقامَ أحدٌ بعد رسـول الله أحقُّ به من علىّ بن أبى طـالب وأميرِ المؤمنين هـذا . فليَظُنّ ظانُّكم وليَهْمِس هامسُكم . قال أبو جعفر : ثم نزل وشِمْتُ(٢) سيفى .

---

(١) تشقيق الكلام : إخراجه أحسن مخرج . (٢) شام سيفه : أغمده، ويستعمل بمعنى سل أيضا .

خطبة لأعرابي[1]

أمّا بعد، فإن الدنيا دارُ بَلاء والآخرةَ دارُ بقاء، فخُذُوا أيها الناس لمقرّكم من ممرّكم، ولا تَهْتِكوا أستارَكم عند من لا يَخْفَى عليه أسرارُكم، ففى الدنيا أُحيِيتم ولغيرها خُلقتم. أقول قولى هذا، والمستَغْفَرُ الله، والمدعوُّ له الخليفةُ ثم الأميرُ جعفر بن سليمان .

خطبة المأمون يوم الجمعة

الحمد لله مستخلِص الحمدِ لنفسه، ومستوجبه على خَلْقه، أحمَدُه وأستعينُه وأُومن به وأتوكّل عليه، وأشهَدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهد أنّ محمّدًا عبدُه ورسولُه، أرسله بالهُدَى ودينِ الحقّ ليُظهِرَه على الدِّينِ كلّه ولو كَرِهَ المُشركون. أُوصيكم عِبادَ الله بتقوى الله وحدَه، والعمل لما عنده، والتنجُّز لوعده، والخوف لوعيده، فإنه لا يسلَم إلا من اتّقاه ورَجَاه، وعَمِل له وأَرْضاه. فاتّقوا اللهَ عبادَ الله وبادِرُوا آجالَكم بأعمالكم، وٱبتاعُوا ما يبقَى بما يزولُ عنكم، وترحّلوا فقد جُدَّ بكم، واستعِدّوا للموت فقد أظلّكم، وكُونوا قومًا صِيحَ بهم فٱنتبهوا، وعلِموا أنّ الدنيا ليستْ لهم بدار فٱستَبْدلوا؛ فإنّ الله لم يخلُقْكم عبثًا ولم يترُكْكم سُدًى؛ وما بين أحدِكم وبين الجنّة والنار إلا الموتُ أنْ يَنزِلَ به. وإنّ غايةً تنقصُها اللحظةُ وتَهدِمها الساعةُ الواحدةُ لجديرةٌ بقِصَر المُدّة، وإنّ غائبًا يحدُوه الجديدانِ الليلُ والنهارُ لَحَرِيٌّ بسُرعة[2] الأَوْبة، وإنّ قادمًا يحُلّ بالفوز أو بالشِّقْوة لمستحِقٌّ لأفضل العُدّة، فاتّقى عبدٌ ربَّه، ونَصَحَ نفسَه، وقدّم توبتَه، وغلَب شهوتَه، فإنّ أجلَه مستورٌ عنه، وأملَه خادعٌ له، والشيطانُ مُوكَّلٌ به: يُزيّنُ له المعصيةَ ليركبَها، ويُمنّيه التوبةَ ليُسَوِّفَها، حتى تهجُمَ

(١) وردت هذه الخطبة فى الأمالى لأبى علىّ القالى (ج ١ ص ٢٥٤ طبع دار الكتب المصرية) بزيادة عما فى الأصل هنا. (٢) كذا فى العقد الفريد (ج٢ ص ١٨٠). وفى الأصل: «جدير».

عليه منيّتُه أغفلَ ما يكون عنها . فيالها حسرةً على ذى غَفْلة : أن يكون عمرُه عليه حُجّةً ، أو تؤدّيَه أيامُه إلى شِقْوة ! نسألُ الله أن يجعلَنا وإيّاكم ممن لا تُبطره نعمة ، ولا تُقَصِّر به عن طاعته غَفْلة ، ولا تَحُلّ به بعد الموت فَزْعة(١) ، إنه سميع الدعاء ، وبيده الخيرُ ، وإنه فعّالٌ لما يُريد .

وفى خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأوّل :

إنَّ يومكم هــذا يومٌ أبانَ الله فضلَه ، وأوجبَ تشريفَه ، وعَظّم حُرْمته ، ووَفّق له من خَلقه صفوتَه ، وابتَلَى فيــه خليلَه ، وفَدَى فيــه من الذَّبْح نبيَّه ، وجعله خاتمَ الأيامِ المعلومات من العَشْر ، ومتقدِّم الأيام المعدودات من النَّفْر ؛ يومٌ حرامٌ من أيّام عِظام فى شهرٍ حَرَام ، يومُ الحجِّ الأكبر ، يومٌ دعا اللهُ الى مَشْهَده ، ونَزَل القرآنُ بتعظيمه ، قال الله جلّ وعزّ : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) الآيات ؛ فتقربوا الى الله فى هــذا اليوم بذبائحكم ، وعَظِّموا شعائرَ الله واجعلوها من طَيِّب أموالكم وبصحّة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبيّ والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنــة والنار : عَظُمَ قدرُ الدارين وارتفع جزاءُ العملين(٢) وطالت مدّة الفريقين اللهَ اللهَ ! فوالله إنه الجِــدُّ لا اللّعِبُ ، وإنه الحقُّ لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبَعْث والميزان والحساب والقِصَاص والصِّراط ثم العقاب والثَّواب ، فمن نجَا يومئذٍ فقــد فاز ، ومن هَوَى يومئذ فقــد خاب . الخيرُ كلّه فى الجنّــة ، والشرُّ كله فى النــار .

---

(١) كذا بالعقد الفريد ، وفى الأصل « سرعة » .

(٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) والمراد بالعملين عمل الخير وعمل الشر . وفى الأصل : «العاملين» .

وفى خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأوّل :

إنّ يومكم هذا يومُ عيدٍ وسُنَّة وابتهال ورغبة . يومٌ خَتَمَ الله به صيامَ شهر رمضان وافتتح به حَجَّ بيته الحَرَام ، فجعله خاتمةَ الشهر وأوّلَ أيامِ شهور الحجّ ، وجعله مُعقِّبا لمفروض صيامكم ومُتنفَّلِ قيامكم ، أحلَّ فيه الطعامَ لكم وحَرَّم فيه الصيامَ عليكم ؛ فاطلبوا إلى الله حوائجكم واستغفروه لتفريطكم ، فإنه يُقال : لا كبيرَ مع استغفار ، ولا صغيرَ مع إصرار . ثم التكبير والتحميد وذكر النبيّ عليه السلام والوصية بالتقوى . ثم قال : فاتقوا الله عبادَ الله وبادروا الأمرَ الذى اعتدَلَ فيه يقينكم ، ولم يحتضر الشكُّ[1] فيه أحدًا منكم ، وهو الموت المكتوبُ عليكم ، فإنه لا تُستقالُ بعده عَثْرةٌ ، ولا تُحْظَر قبله توبة . واعلموا أنه لا شيءَ قبله إلا دونَه ولا شيءَ بعده إلا فوقَه . ولا يُعين على جَزَعه وعَلَزِه[2] وكُرَبه ، ولا يُعين على القبر وظُلْمته وضيقه ووَحْشته وهَوْل مَطْلَعه ومسألة ملائكته ، إلا العملُ الصالحُ الذى أمر الله به . فمن زَلَّتْ عند الموت قَدَمُه ، فقد ظهرت ندامتُه ، وفاتته استقالتُه ، ودعا من الرَّجْعة إلى ما لا يجابُ إليه ، وبذَل من الفِدْية ما لا يُقْبَلُ منه . فالله اللهَ عبادَ الله ! وكونوا قوماً سألوا الرَّجْعةَ فأُعْطُوها إذ مُنِعَهَا الذين طَلَبوها ، فإنه ليس يتمنّى المتقدّمون قبلكم إلا هذا المَهَلَ[3] المبسوطَ لكم . واحذَروا ما حَذَّركم الله ، واتّقوا اليومَ الذى يجمعُكم الله فيه لوَضْع موَازينكم ، ونَشْر صُحُفكم الحافظةِ لأعمالكم . فلينظُرْ عبدٌ ما يَضَعُ فى ميزانه مما يثقل به ، وما يُمِلُّ[4] فى صحيفته الحافظةِ لما عليه وله ؛ فقد حَكَى الله لكم ما قال المفرِّطون عندها إذ طال إعراضُهم عنها ، قال : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الآية . وقال : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ . ولستُ أنهاكم عن الدنيا بأعظمَ مما نهتكم

(١) احتضر : مثل حضر . (٢) العلز بالتحريك : ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب . (٣) فى العقد الفريد : «الأجل» . (٤) يُمِلّ : يملى .

الدنيا عن نفسها ، فإنه كلُّ مالها ينهَى عنهــا ، وكل مافيها يدعو الى غيرها . وأعظمُ مما رأته أعينكم من عجائبها ذمُّ كتاب الله لها ونَهْىُ الله عنها، فإنه يقول : (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ) وقال : (إِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) الآية . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها ، واعلَموا أنَّ قوما من عباد الله أدركتْهم عِصمةُ الله فحـذِروا مَصارِعَها ، وجانَبُوا خدائعها ، وآثروا طاعةَ الله فيها . فأدركوا الجنَّة بمـا تركوا منها .

كلام مَنْ أُرتِجَ عليه

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال حدّثنا عيسى بن عمر قال : خَطَب أميرٌ مرّةً فانقطع نخجِل، فبعث الى قومٍ من القبائل عابوا ذلك وأَلَّفَهم(١)، وفيهم يَرْبوعيٌّ جَلْد، فقال : اخطُبُوا؛ فقام واحدٌ مرّ فى الخطبة، حتى اذا بلغ "أما بعد" قال : أما بعد أما بعد ، ولم يدرِ ما يقول، ثم قال : فإنّ امرأتى طالقٌ ثلاثاً، لم أُرِد أن أجمع اليوم فمنعتْنى، وخطب آخر، فلما بلغ "أما بعد" بَقِىَ ونَظَر فإذا إنسان ينظر اليه، فقال: لعنك الله ! ترى ما أنا فيه وتَلْمَحنى ببصرك أيضا ! . قال وقال أحدهم(٢) : رأيتُ القَرَاقير(٣) من السُّفُن تجرى بينى وبين النـاس . قال : وصَعِد اليربوعيُّ نخطب فقال : أمّا بعدُ فواللهِ ما أدرِى ما أقولُ ولا فِيمَ أقمتمونى، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم: قل فى الزيت؛ فقال : الزيتُ مبارك، فكُلُوا منه وآدَّهِنوا . قال : فهو قولُ الشُّطَّار(٤) اليوم اذا قيل: لم فعلت ذا، فقل فى شأن الزيت وفى حال الزيت .

ولمـا أتى يزيدُ بن أبى سُفْيان الشام واليًا لابى بكر رضى الله عنه، خطب فأُرتِج عليه، فعاد الى الحمد لله فأُرتِج عليه، فعاد الى الحمد لله ثم أرتج عليه، فقال : يا أهل

(١) ألفهم : جمعهم . (٢) فى الأصل : «أحدهما» . (٣) القراقير : السفن العظيمة، واحدها قرقور . (٤) الشطار : جمع شاطر، وهو من أعيا أهله خبثا ، والمراد بالشطار هنا : أهل الدعارة والفتك وأصحاب النوادر والتنكيت والمضحكات .

الشأم عسى الله أن يجعل من بعد عُسْرٍ يُسرا، ومن بعد عِيٍّ بيانا، وأنتم الى إمامٍ عادل[١] أحوجُ منكم الى إمام قائل . ثم نزل . فبلغ ذلك عمرَو بن العاص فآستحسنه .

صعِد ثابتُ قُطْنَةَ[٢] منبرًا بسِجِسْتان فحمِد الله ثم أُرتِج عليه، فنزل وهو يقول :

فإلّا أكُنْ فيكم خطيبًا فإنّنى ✻ بسيفى اذا جَدّ الوَغَى لخطيبُ

فقيل له : لو قلتَها على المنبر كنتَ أخطبَ الناس .

وأُرتِج على عبد الله بن عامر بالبَصْرة يومَ أَضْحَى ، فمكث ساعةً ثم قال : والله لا أجمَعُ عليكم عِيًّا ولُؤْمًا، من أخذ شاةً من السُّوق فهى له وثمنُها علىّ .

وأُرتِج على خالد بن عبد الله القَسْرىّ فقال : إن هذا الكلامَ يجىء أحيانًا ويعزُبُ أحيانا، وربما طُلِب فأَبَى، وكُوبِر فعسا[٣]، فالتأنّى لمجيئه، أيسرُ من التّعاطى لأبِيِّه؛ وقد يَختلِط من الجرىء جَنانُه، وينقطعُ من الذَّرِب لسانُه، فلا يُبْطِره ذلك ولا يَكْسِره؛ وسأعودُ إن شاء الله .

وأُرتِج على مَعن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال : "فتًى حُروبٍ لا فتَى مَنابِرٍ" .

وكان عبد ربّه اليَشْكُرىّ عاملًا لعيسى بن موسى على المدائن، فصعِد المنبرَ فحمِد الله وأُرتِج عليه فسكت، ثم قال : والله إنى لأَكون فى بيتى فتجىءُ على لسانى ألفُ كلمة، فاذا قمتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطانُ فمحاها من صَدْرى، ولقد كنتُ وما فى الأيّام يومٌ أحبُّ الىّ من يوم الجمعة، فصِرْتُ وما فى الأيام يومٌ أبغضُ الىّ من يوم الجمعة، وما ذلك إلّا لخطبتكم هذه .

---

(١) فى المصادر التى بين أيدينا : «الى أمير فاعل ...» . (٢) قطنة لقب ثابت هذا لقب به لأن عينه أصيبت بسمرقند، فكان يحشوها بالقطن . وصحت اضافة ثابت الى قطنة لأن الأسماء تصح اضافتها الى ألقابها . (٣) عسا : اشتد وصعب .

صَعِدَ رَوْح بن حاتم المنبرَ، فلما رأى جَمْعَ الناس حَصِر، فقال: نكِّسوا رءوسَكم وغضُّوا أبصاركم، فإن أوّلَ مَرْكبٍ صَعْبٌ، واذا يَسّر الله فتْحَ قُفْلٍ تيسّر.

ودُعِي رجلٌ ليخطب فى نكاح فحَصِر، فقال: لقِّنوا موتاكم شهادةَ أنْ لا إلهَ إلا الله، فقالت امرأةٌ حضرتْ: ألهذا دعوناك! أماتك الله!.

قال عُبَيد الله بن زِياد: نِعْمَ الشيءُ الإمارةُ لولا قعقعةُ البريد والتشرُّف للخُطَب.

قيل لعبد الملك: عَجِّلَ عليك الشَّيبُ، فقال: كيف لا يُعجِّل علىّ وأنا أعرِض عقلى على الناس فى كل جمعة مَرّةً أو مرتين.

ووَلِيَ رجلٌ من بنى هاشم يُعْرَف بالدَّنْدان بحر اليمامة. فلمّا صعد المنبر أُرْتِج عليه، فقال: حَيّا الله هذه الوجوهَ وجعلنى فِداءَها، إنّى قد أَمرتُ طائفى بالليل ألّا يرى أحدًا إلا أتانى به وإن كنت أنا هو[1]. ثم نزل.

المنابر

قال بعض المفسّرين فى قول الله جلّ وعزّ ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ إنّه المنبر. وقال الشاعر:

لنا المساجدُ نَبْنِيها ونَعْمُرُها * وفى المنابر قَعْداتٌ لنا ذُلُلُ
فلا نَقِيلُ عليها حين نَرْكبُها * ولا لهنّ لنا من مَعْشرٍ بَدَلُ

وقال الكُمَيْت يذكر بنى أُمَيّة:

نَصيبٌ على الأعوادِ يومَ رُكوبِه * لِمَا قال فيها، مُخطِئٌ حين ينزلُ
يُشَبِّهُها[2] الأشباهَ وهى نَصيبُه * له مَشْرَبٌ منها حرامٌ ومأكَلُ

(١) كذا فى الأصل والعقد الفريد، وقواعد اللغة تقتضى أن يكون: «ولو كنت أنا إياه».

(٢) الضمير للدنيا.

وقال بعض المُحْدَثين

فامنبرٌ دنَّسته بآستِ «أفكلٍ» * بزاكٍ ولو طهّرته بابن «طاهرِ»

ومن الأُقَيْشر بمَطَر بن نَاجية اليربوعى حين غَلَبَ على الكُوفة فى أيام الضَّحاك ابن قيس الشّارى ومَطَرٌ يخطُبُ، فقال :

أبنى تَميم ما لمنـــبرِ مُلْككم * لا يستمِرّ قعودُه يتمرمرُ(١)

إنّ المنابرَ أنكرتْ أشـباهَكم(٢) * فآدعُوا خُزَيْمةَ يستقرّ المنـبرُ

خلعُوا أميرَ المؤمنـين وبايَعُوا * مَطَرًا لعمرُك بَيْعـةً لا تظهرُ

وآستخلفوا مطرًا فكان كقائلٍ * بَدَلٌ لعمرُك من أُمَيّـة أعورُ

خَطَب قُتَيْبة بن مُسْـلِم على منبر خُرَاسان فسَقَط القضيبُ من يده، فتفاءل له عدوّه بالشرّ وآغتمّ صديقُه، فعرَف ذلك قُتَيبة فقال : ليس الأمرُ على ما ظنّ العدوّ وخاف الصديقُ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألقتْ عصَاها واستقرّ بها النّوى * كما قرّ عيْنًا بالإياب المُسـافرُ

وقال واثلةُ بن خَليفة السَّدُوسىّ يهجو عبد الملك بن المُهلّب :

لقد صَـبَرتْ للذُّلّ أعوادُ منبرٍ * تقوم عليها فى يديك قضيبُ

بكى المنبرُ الغربىُّ إذ قُمْتَ فوقَه * وكادت مساميرُ الحديد تذوبُ

تمّ كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبار لآبن قتيبة رحمه الله، و يتلوه فى الكتاب السادس كتاب الزهد .

والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

---

(١) يتمرمر : يتحرك .

(٢) فى الشعر والشعراء للؤلف (ص ٣٥٢) «أنكرت أستاهكم» .

صورة ما كتبه الناسخ بخطه فى آخر النسخة الفتوغرافية

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرىّ، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

قال بعضهم : بُنِي الإســلامُ على خمسة : التواضــع عند الدولة، والعفو عند القدرة، والسخاء مع القِلّة، والعطيّة من غير مِنّة، والنصيحة للعامّة .

وقال بعض الشعراء فى الصبر :

وإذا ابتُليتَ بمحْنةٍ فالبس لهــا * ثوبَ السكوتِ فإنّ ذلك أسلمُ
لا تشكوَنّ إلى العباد فإنما * تشكو الرحيمَ إلى الذى لا يَرْحَمُ

ويُرْوَى للشافعىّ رضى الله عنه :

نَعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا * وما لزماننــا عيبٌ سوانا
وقد نهجُو الزمانَ بغيرِ جُرْمٍ * ولو نطق الزمانُ بنا هجانا
فدُنْيانا التصنّعُ والترائى * ونحن به نُخادع من يرانا
وليس الذئبُ يأكل لحمَ ذئبٍ * ويأكلُ بعضُنا بعضًا عِيانا

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الزهد

[ما] أوحى الله جلّ وعزّ الى أنبيائه عليهم السلام

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا خَلَف بن تَميم عن أبى عِصْمة[(1)] الشامىّ عن آبن اخت وهب بن منبِّه عن وهب قال : أوحَى الله الى نبىّ من أنبياء بنى إسرائيل يقال له "أرْمِياء" حين ظهرت فيهم المعاصى : أن قم بين ظَهْرانَىْ قومك فأخبرهم أنّ لهم قلوبا ولا يفقهون، وأعينا ولا يبصرون، وآذانا ولا يسمعون، وأنّى تذكّرتُ صلاحَ آبائهم ، فعطّفنى ذلك على أبنائهم ، سلهم كيف وجدوا غِبَّ طاعتى ، وهل سعِد أحدٌ ممن عصانى بمعصيتى، وهل شقِى أحدٌ ممن أطاعنى بطاعتى! إنّ الدوابَّ تذكُرُ أوطانَها فتنزِعُ إليها . وإنّ هؤلاء القوم تركوا الأمر الذى أكرمتُ عليه آباءهم ، والتمسوا الكرامةَ من غير وجهها . أما أحبارهم فأنكروا حقّى ؛ وأما قرّاؤهم

---

(1) لم نعثر على هذا الاسم فى كتب التراجم التى بين أيدينا . وإنما الموجود بها عصمة بن راشد الأملوكى (بضم الهمزة واللام وسكون الميم بينهما) شامىّ مجهول يروى عن بعض التابعين كحبيب ابن عبيد ، ويوجد بها أيضا أبو عصمة وهو نوح بن مريم الجامع أحد رواة المغازى وممن يذكر بوضع الحديث ، ولكنه مروزىّ وليس بشامى (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى فى اسم عصمة واسم نوح بن أبى مريم) .

فعبدوا غيرى؛ وأمّا نُسّاكهم فلم ينتفعوا بما عُلِّموا من حكمتى؛ وأمّا وُلاتهم فكذَبوا علىّ وكذّبوا رسلى، خزنوا المكر فى قلوبهـم، وعوّدوا الكذبَ ألسـنتهم؛ وإنى أُقسم بجـلالى وعزتى لأُهيّجنّ عليهـم جنودا لا يفقهون ألسـنتهم، ولا يعرفون وجوههـم، ولا يرحمون بكاءهم؛ ولأبتعثنّ فيـهم ملكا جبّارا قاسـيا، له عساكر كقِطَع السـحاب، ومواكبُ كأمثـال العَجاج، كأنّ خَفَقانَ راياته طَيَرانُ النسور، وكأنّ حمـلَ فُرسانه كرُّ العِقبان، يعيـدون العُمران خرابا، ويتركون القُرى وحشةً. فياويلَ إيلياءَ[1] وسُكانها! كيف أُذلّلهم للقتل، وأُسلِّطُ عليهم السِّباء، وأُعيدُ بعد لَجَب الأعراس صُراخَ الهام، وبعد صهيل الخيل عُواءَ الذئاب، وبعد شُرفات القصور مساكنَ السباع، وبعد ضوءِ السُّرُج رَهْجَ العَجَاج. ولأبدلنّ رجالهم بتلاوة الكتاب انتهـارَ الأرباب، وبالعـزّ الذلّ، وبالنعمة العبوديّةَ. ولأبدلنّ نساءهم بالطِّيب الترابَ، وبالمشى على الزرابىّ الخِبَبَ[2]؛ ولأجعلنّ أجسـادَهم زبلا للأرض، وعظامَهم ضاحيـةً للشمس. وفى رواية أخرى: ولأدوسـنّهم بألوان العذاب، حتى لو كان الكائنُ خاتَمـا فى يمينى لوصَلت الحربُ إليـه؛ ثم لآمرنّ السماءَ فلتكوننّ طبَقا من حديد، والأرضَ فلتكوننّ سبيكةً من نحاس. فإن أمطرت السماءُ وأنبتت الأرضُ شيئا فى خلال ذلك فبرحمتى للبهائم، ثم أحبسه فى زمن الزرع وأُرسـله فى زمن الحصاد، فإن زرعوا خلال ذلك شيئا سلّطتُ عليـه الآفةَ. فإن خلَص منـه شىء نزعتُ منه البركةَ. فإن دعَوْنى لم أُجبهم. وإن سألوا لم أُعطهم. وإن بكَوْا لم أرحمهم، وإن تضرّعوا صرفتُ وجهى عنهم.

(١) إيلياء: مدينة بيت المقدس.
(٢) الزرابىّ: البسط. والخبب (وزان عنب): الخلق من الثياب.

حدثنى عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب : أنّ الله عزّ وجلّ أوحى الى موسى بن مَنَشّى[(١)] بن يوسف أن قُل لقومك : إنى برىء ممن سَحَــر أو سُحِر له ، أو تَكَهّن أو تُكُهِّن له ، أو تَطَيَّر أو تُطُيِّر له ؛ من آمن بى صادقا فليتوكل علىّ صادقا ، فكفى بى مثيبا ؛ ومن عدل عنى[(٢)] ووثق بغيرى[(٣)] فإنى خير شريك أردّ عليه ما توسّل به إلىّ ، وأَكِلُه الى من توكل عليه ؛ ومن وَكَلته الى غيرى فليستعدّ للفتنة والبلاء .

وحدثنى بهذا الإسناد قال : أوحى الله الى داود عليه السلام فى الزّبور : ياعبدى الشكور! إنى قد وهبتُ لك الزبور، وأتبعتُــه بنصح منّى من أعين السطور، ومن الوحى المحفوظ المحجوب من وراء الستور، فاعبدْنى به فى الأيام والليالى والشهور ؛ وأحبِبْنى من كلّ قلبك ، وحبِّبْنى الى خَلْقى ، وأبغض من عبادى كلّ منافقٍ جهول . قال : ياربّ ، كيف أُحَبِّبُكَ الى خلقك؟ قال : تذكِّرهم آلائى .

وبهذا الإسناد قال : أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة ، وكانت صُحُفه أمثالا وعِبَرا وتسبيحا وتمجيدا وتهليلا ، فكان فيها : أيها الملك المسلَّط المغرور المبتـلَى ، إنى لم أبعثك لتجمعَ الدنيـا بعضَها على بعض ولتبنىَ المدائنَ والحصونَ ، ولكن بعثتك لتَرُدّ عنى دعوةَ المظلوم ، فإنى لا أردّها ولو كانت من كافر .

وبهذا الإسناد أن الله تعالى قال لشَعْيا : قم فى قومك أُوحِ على لسانك ، فلمــا قام شَعْيا أنطق اللهُ لسانَه بالوحى ، فقال : ياسماءُ استمعى ، يا أرضُ أنصتى ، فأنصتت الأرضُ واستمعت السماءُ ، فقال : إن الله يقول لكم : إنى استقبلتُ بنى إسرائيــلَ

---

(١) فى الأصل : « ميشا » وهو تحريف والتصويب عن التوراة (سفر التكوين ٥١ : ١ : ٢) طبع بيروت . (٢) كذا فى قصص الأنبياء لأبى اسحاق الثعلبى طبع المطبعة البهية سنة ١٣٠١ هـ وفى الأصول « بدل بى » . (٣) كذا فى الأصول ، وفى قصص الأنبياء « فأنا أغنى الشركاء عن الشركة ، أكله إلى من وثق به دونى ، ومن وكلته ... الخ » .

بالكرامة وهم كالغنم الضائعة لا راعىَ لها، فآويتُ شاذَّتها، وجمعتُ ضالَّتها، وجبرتُ كسيرها، وداويتُ مريضها، وأسمنتُ مهزولَها ؛ فبطرتْ فتناطحتْ ، فقتل بعضُها بعضا حتى لم يبق منها عظمٌ صحيح يُجبر اليه آخرُ كسيرٌ. إن الحمار مما يتذكر آريَّه(١) الذى شبع عليه فيراجعه ، وإن الثور مما يتذكر مَرْجَه الذى سمن فيه فينتابه ، وإن البعير مما يتذكر وطنَه الذى نُتِج فيه فينزِع اليه ، وإن هؤلاء القومَ لا يذكرون أنّى جاءهم الخيرُ وهم أهلُ الألباب وأهل العقول ، ليسوا بإبلٍ ولا بقرٍ ولا حميرٍ . وإنى ضاربٌ لهم مثلا فاسمعوه : قل لهم : كيف ترون فى أرض كانت زمانًا من زمانها خربةً مواتا لا حَرْثَ فيها ، وكان لها ربٌّ قوىٌّ حليم ، فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخربَ أرضُه وهو قوىٌّ وأن يقال له ضيَّع وهو عليم ، فأحاط عليها سياجا وشيَّد فيها قصرا وأنبط فيها نهرا وصنَّف فيها غِراسا من الزيتون والرُّمان والنخيل والأعناب وألوان الثمار، وولَّى ذلك ذا رأيٍ وهمّةٍ حفيظا قويًّا أمينا ؛ فلما جاء إبَّانُ إثمارها أثمرت خُرّوبا، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليه ؟ قالوا : كنا نقول : بئست الأرض أرضُك، ونشير عليه أن يقلعَ سياجها ، ويهدمَ قصرها، ويدفنَ نهرها ، ويحرق غرسَها حتى تعودَ خربةً مَواتا لا عُمرانَ فيها ؛ قال الله تعالى : قل لهم، إن السياجَ ذمتى، وإن القصرَ شريعتى، وإن النهر كتابى، وإن القيِّم نبيِّ ، وإن الغرسَ مثَلٌ لهم ، والخرّوبَ أعمالُهم الخبيثةُ ؛ وإنى قد قضيتُ عليهم قضاءَهم على أنفسهم ، يتقرَّبون الىَّ بذبح الغنم والبقر وليس ينالنى اللحمُ ولا آكُلُه ؛ ويَدَعون أن يتقربوا إلىّ بالتقوى والكفِّ عن ذبح الأنفس التى حرَّمتُها ويُشيِّدون لى البيوتَ ويزوِّقون لى المساجدَ ؛ وأىّ حاجةٍ بى الى تشييد البيوت ولستُ أسكنُها، والى تزويق المساجد ولست أدخلُها ؛ إنما أمرتُ برفعها لأُذكَرَ فيها وأُسبَّحَ ، ويُنجِّسون أنفسهم وعقولَهم

(١) الآرى : محبس الدواب وحبل تشد به فى محبسها .

وقلوبهم ويخرّبونها، يقولون: لو كان يقدرُ على أن يجمع أُلفتنا لجمعها، ولو كان يقدر على أن يُفقّه قلوبنا(١) لفقّهها . فاعمِـدْ الى عودَين يابسَين فاكتب فيهما كتابا ثمّ ائْتِ ناديَهم أجمـعَ ما يكونون، فقل للعودين : إن الله يأمركما أن تعـودا عُودا واحدا؛ فقال لهما ذلك ، فاختلطا فصارا عُودا واحدا ، وصار الكتاب فى طرَفَى العـودِ كتابا واحدا : يامعشر القبائل، إن الله يقول لكم : إنى قدرت على أن أفقّه العيدانـ اليابســة وعلى أن أُؤلّف بينها، فكيف لا أقـدرُ على أن أجمـعَ أُلفتكم إن شئتُ ! أم كيف لا أقدِر على أن أؤلّف قلوبكم! يقولون: صمنا فلم يُرفَع صيامُنا وصلّينا فلم تُنَوَّرْ صلاتُنا(٢) وزكّينا فلم تَزْكُ زكاتُنا ، ودعَونا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عُواء الذئاب، فى كلّ ذلك لا يُسـمعُ منّا ولا يُستجابُ لنا ؛ قال الله تبارك وتعالى : سلهم لِمَ ذلك وما الذى منعنى أن أجيبهم ؟ ألستُ أسمَعَ السامعين وأبصَرَ الناظرين وأقرَبَ المجيبين وأرحم الراحمين ! أَلأنّ خزائنى فَنِيَتْ ! كيف ويداى مبسوطتان بالخير أُنفِق كيف أشاء! أم لأن ذاتَ يدى قلّتْ ! كيف ومفاتيح الخير بيـدى لا يفتحها ولا يُغلقها غيرى! أم لِأنّ رحمـتى ضاقت ! كيف ورحمتى وسِعتْ كلَّ شىء، وإنمـا يتراحم بفضلها المتراحمون ! أم لأنّ البخل يعترينى ! كيف وأنا النفّاح بالخيرات أَجوَدُ مَن أعطَى وأكرمُ مَن سُئل ! ولكن كيف أرفعُ صيامَهم وهم يَلْبِسونه بقول الزور ويتقوّون عليه بطُعْمة الحرام ! كيف أُنوِّر صلاتَهم وقلوبهم صاغيَةٌ الى من يُحَادُّنى وينتهك محارمى ! أم كيف أستجيب دعاءهم وإنمـا هو قولٌ بألسنتهم والعملُ من ذلك بعيـد ! أم كيف تزكو صـدقاتُهم وهى من أموال غيرهم ! إنمـا أَجزى عليها المغصوبين ، وإنّ من علامة رضاى رضا المساكين .

---

(١) كذا فى قصص الأنبياء، وفى الأصل «قلوبهم» وهو تحريف . (٢) فى قصص الأنبياء (ص ٢٥٣) : «فلم تنوّر قلوبنا ...» .

قال وهب : وفيما ناجى الله به موسى عليه السلام : لا تُعجبْكما زينة ولا ما مُتّع به ، ولا تَمُدّا الى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين . ولو شئت أن أُزيّنكما بزينة يعلم فرعون حين ينظر اليها أن مقدرته تعجز عما أُوتيتما فعلتُ ، ولكنّى أرغب بكما عن ذلك وأُزويه عنكما ؛ وكذلك أفعل بأوليائى ، إنى لأذودُهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعى الشفيقُ غنمَه عن مراتع الهَلَكة ، وإنى لأحميهم عيشَها وسَلوتَها[1] كما يُجنّبُ الراعى الشفيقُ إبلَه مباركَ العُرّ[2] ، وما ذاك لهوانهم علىّ ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفّرا لم يَكلِمْه الطمعُ[3] ولم يُطبِّعْه[4] الهوى . واعلم أنه لن يتزيّنُ العبادُ بزينةٍ أبلغَ فيما عندى من الزهد فى الدنيا ، إنما هى زينة الأبرار عندى ، وأنقَ ما تزيّن به العبادُ فى عينى عليهم منها ، لباسٌ يُعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم النحولُ والسجود ، أولئك أوليائى حقا . فاذا لقيتَهم فاخفضْ لهم جناحَك ، وذلّل لهم قلبَك ولسانَك .

واعلم أنه من أهان لى وليًّا أو أخافه ، فقد بارزنى بالمحاربة وبادأنى وعرّضنى بنفسه ودعانى اليها ، وأنا أسرع شىء الى نُصرة أوليائى ، أفيظنّ الذى يحاربنى فيهم أنه يقوم لى ! أم يظنّ الذى يعادينى فيهم أنه يُعجزنى ! أم يظنّ الذى يبادرنى اليهم أنه يسبقنى أو يفوتنى ! كيف وأنا الثائر لهم فى الدنيا والآخرة ، لا أَكِلُ نصرَهم الى غيرى !

وفى التوراة : أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام بطور سيناء : يا موسى ابن عمران صاحب جبل لُبنان ، أنت عبدى وأنا إلهك الديّان ، لا تستذلّ

---

(١) السلوة : رخاء العيش . (٢) العر : جمع أعرّ وهو الجمل الأجرب .

(٣) فى الأصل : « لما يكلمه الطمع » . (٤) يطبعه : ينجسه .

الفقير، ولا تغبط الغنىّ بشيء يسير؛ وكن عند ذكرى خاشعا، وعند تلاوة وحيى طائعا؛ أسمعْنى لذاذة التوراة بصوت حزين .

وفيما أوحى الله الى عيسى عليه السلام : أنزلْنى من نفسك كهمّك، واجعلْنى ذُخْرك فى مَعادك، وتقرَّبْ الىّ بالنوافل أُدْنِك، وتوكّل علىّ أَكْفِك، ولا تولَّ غيرى فأخذُلك؛ اصبِرْ على البلاء، وارضَ بالقضاء، وكن كمسرّتى فيك، فإنّ مَسرّتى أن أُطاعَ، وأَحْيِ ذكرى بلسانك، وليكن وُدّى فى قلبك؛ تيقَّظْ لى فى ساعات الغفلة، وكن راهبا لى وراغبا الىّ. أمِتْ قلبك بالخشية، راعِ الليلَ لتحرِّى مَسَرّتى، واظمأ لى نهارَك لليوم الذى عندى؛ نافسْ فى الخيرات جُهْدَك، قم فى الخليقة بعدلى، واحكم فيهم بنصيحتى، فقد أنزلتُ عليك شفاءَ وساوس ما فى الصدور من مرض الشيطان، وجلاءَ الأبصار من غشاء الكَلال؛ ولا تكن حِلْساً[1] كأنك مقبورٌ وأنت حىّ تتنفّس. اكْحَلْ عينيك بمُلمولِ[2] الحزن اذا ضحك البطّالون. اِبكِ على نفسك أيّام الحياة بكاءَ من قد ودّع الأهلَ وقَلَى الدنيا، وترك اللذاتِ لأهلها، وارتفعتْ رغبتُه فيما عند إلهه. طوبَى لك إن نالك ما وعدتُ الصابرين! تَرَجَّ من الدنيا يوما فيوما، وارضَ بالبُلْغة، وليكفِك منها الخشِنُ. تذوّق مذاقةَ ما قد خلا أين طعمُه! وما لم يأت أين لذّتُه! لو رأت عيناك ما أعددتُ لأوليائى لذاب[3] قلبك وزهقتْ نفسُك شوقا اليه .

وفيما قال للحواريّين : بحقٍّ أقول لكم : إنّ شجر الأرض بمطر السماء تعيش وتزكو، وكذلك القلوب بنور الحكمة تُبصر وتهتدى؛ بحقٍّ أقول لكم : إنه من ليس عليه دَينٌ أروَحُ وأقلّ همّا ممن عليه دين وإن حَسُنَ قضاؤه. وكذلك من لم يعمل

(١) الحلس : الذى يلزم بيته فلا يبرحه . (٢) الملمول : المرود . (٣) فى الأصل «لدار» .

الخطيئة أروحُ وأقلّ همًّا ممن عمل بها وإن حَســنتْ توبتُه . إن الدابة تزداد على كثرة الرياضــة خيرا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوةً . إنّ الجســدَ اذا صلَح كفاه القليــلُ من الطعام ، وإنّ القلب اذا صحّ كفاه القليــلُ من الحكمة ، كم مِن سراجٍ قد أطفأته الريحُ ، وكم من عابد قد أفسده العُجْب . يابنى إسرائيل ، استمعوا قولى ، فإنّ مَثَــل من يســتمع قولى ثم يعمَلُ به مثــلُ رجلٍ حكيم أسس بنيانَه على الصَّــفا (١) ، فمطرت السماءُ وسالت الأوديةُ وضربتــه الرياحُ فثبت بنيانُه ولم يَخِرّ ، ومَثَــلُ الذى يستمعُ قولى ثم لا يعمَل به مَثَــلُ رجلٍ سفيهٍ أسّس بنيانَه على الرمل ، فمطرت السماءُ وسالت الأوديةُ وهاجت الريحُ فضربته فسقط بنيانُه . يا بنى إسرائيل ، ما يُغنِي عن الأعمَى سَعَةُ نورِ الشــمس وهو لا يُبصرها ! وما يغنِي عن العالِم كثرةُ العــلم وهو لا يعمَل به ! . بحقٍّ أقول لكم : إنّ قائلَ الحكمة وسامعَها شريكان ، وأَوْلاهمــا بها من حقّقها بعمله . بحقٍّ أقول لكم : لو وجدتم سراجا يتوقّد بالقَطِران فى ليلة مظلمةٍ لاستضأتم بنوره ولم يمنعكم منه نَتْنُ قَطِرَانه ، فكذلك ينبغى لكم أن تأخذوا الحكمةَ ممن وجدتموها عنده .

بلغنى عن محمد بن فُضَيل عن عمران بن ســليم قال : بلغنى أنّ عيسى بن مريم قال لأصحابه : إن كنتم إخوانى وأصحابى فوطِّنوا أنفسكم على العــداوة والبغضاء من الناس ، إنكم لا تُدرِكون ما تطلبونــ إلا بترك ما تشــتهون ، ولا تنالون ما تُحِبّون إلا بالصــبر على ما تكرهون . إياكم والنَّظْرةَ ، فإنها تزرع فى القلب الشهوةَ . طوبى لمن كان بصرُه فى قلبه ولم يكن قلبه فى بصره ! .

---

(١) الصفا : جمع صفاة وهى الصخرة الصلبة .

قال : وبلغنى أن عيسى خرج على أصحابه وعليه جُبَّةٌ من صوف وكساءٌ وتُبَّانٌ(١) حافيا مجزوزَ الرأس والشارب باكيا شَعِثا مصفرَّ اللون من الجوع يابسَ الشفتين من العطش. طويلَ شعر الصدر والذراعين والساقين، فقال: السلام عليكم يا بنى إسرائيل، أنا الذى أنزلتُ الدنيا منزلَها، ولا عَجَبَ ولا فخر، أتدرون أين بيتى؟ قالوا : أين بيتك يا رُوحَ الله ؟ قال : بيتى المساجد، وطيبى الماء ، وإدامى الجوعُ، ودابتى رجلى. وسراجى بالليل القمرُ، وصِلائى(٢) فى الشتاء مشارقُ الشمس، وطعامى ما تيسَّر، وفاكهتى وريحانى بُقُولُ الأرض، ولباسى الصوفُ ، وشعارى الخوفُ ، وجلسائى الزَّمْنَى والمساكينُ ، أُصبِحُ وليس لى شىء ، وأُمسى وليس لى شىء، وأنا طيِّب النفس غنىّ مكثر، فمن أغنى وأربح منى ! .

وقرأت فى بعض الكتب : عبدى! ما يزال مَلَكٌ كريمٌ قد صعِد إلىّ منك بعمل قبيح، أتقرب اليك بالنِّعم، وتمقَّتُ إلىّ بالمعاصى، خيرى اليك نازلٌ، وشرُّك إلىّ صاعدٌ .

وفى التوراة : لعلّك يا إسرائيلُ اذا أنت خرجتَ من البرِّيّة فدخلتَ الأرضَ المقدسة، أرضَ بنى آبائك إبراهيم وإسحاقَ، فإنها تَفيضُ بُرًّا وشعيرا ولبنا وعسلا ، فوَرِثتَ بيوتا بناها غيرُك وعصرتَ كروما غرسها غيرك، فأكلتَ وشربتَ وتنعَّمتَ بشحم لُبابِ القمح، ضربتَ بيدك الى صدرك ورمحتَ كما ترمح الدابَّةُ برجليها، وقلتَ : بشدّتى وبقوّتى وبأسى ورِثْتُ هذه الأرضَ وغلَبتُ أهلَها ، ونسيتَ نعمتى عليك! فأقذف الرُّعبَ فى صدرك اذا أنت لقيتَ عدوّك، واذا هبّت الريحُ

(١) التبان : سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين .

(٢) الصلاء : الوقود والنار العظيمة . وفى الأصل «صلاتى» بالتاء .

فتقعقعَ لهـا ورقُ الشجر انهزمتَ ، فأُقِلّ رجالكَ، وأُرمِّلُ نساءك، وأُيتِّم أبنـاءك، وأجعلُ السماءَ عليك نُحاسًـا والأرضَ حديدا، فلا السماءُ[1] تُمطـر ولا الأرضُ تُنبِت، وأُقِلُّ لك البركةَ حتى تجتمع نِسوةٌ عَشْرٌ يختبزن فى تَنّورٍ واحدٍ .

بلغنى عن عبد الرحمن المحاربىّ عن جعفر بن بُرْقان قال : بلغنى عن وهب بن منبّه قال : أَجدُ فى الكتابْ أنّ قوما يتـديّنون لغير العبادة، ويختلون[2] الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون مُسُوكَ[3] الضأن على قلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل وأنفُسهم أمَرّ من الصبر، أبى يغترّون ! أم إياى يخادعون! أقسمتُ لأبعثنّ عليهم فتنةً يعود الحليمُ فيها حَيْرانَ .

وقرأت فى الإنجيـل : «لا تجعلوا كنوزكم فى الأرض حيث يفسدها السُّوسُ والدودُ وحيث ينقُبُ السراقُ . ولكن آجعـلوا كنوزكم فى السماء فإنه حيث تكون كنوزكم تكون قلوبكم . إنّ العينَ هى سِراجُ الجسـد فاذا كانت عينك صحيحةً فإنّ جسدَك كلَّه مُضِىء، وإنه لا يستطيع أحدٌ أن يعملَ لربَّين آثنيْن إلا أن يُحبَّ أحدَهُما ويُبغِضَ الآخر، ويُوقِّر أحدهما ويُهِينَ الآخرَ، فكذلك لا تستطيعون أن تعمَلوا لله وللمـال . ولا يُهمَّنَّكم ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون، أليست النفسُ أفضـل من الطعام، والجسدُ أفضلَ من اللباس ! ! اُنظروا الى طَير السماءِ فإنهنّ لا يزرعن ولا يَحصدن ولا يَجمعنَ فى الأَهْراءِ[4]، وأبوكم الذى فى السماء هو الذى يرزقُهنَّ، أفلستم

---

(١) فى الأصل : «ولا السماء» والسياق يقتضى العطف بالفاء لأنه مفرع على ما قبله .

(٢) أى يطلبون الدنيا بعمل الآخرة : ومنه ما جاء فى الحديث : «من أشراط الساعة أن تعطل السيوف من الجهاد وأن تختل الدنيا بالدين» أى تطلب الدنيا بعمل الآخرة ، من ختله اذا خدعه (انظر اللسان مادة ختل) . (٣) المسوك : جمع مسك (بالفتح) وهو الجلد . (٤) الأهراء : جمع هرى (بالضم) وهو بيت كبير يجمع فيه الطعام .

أفضلَ منهنّ ! ! وأيُّكم الذى اذا جهِد قدَر[1] أن يزيدَ فى طوله ذراعا واحدا ! فلِمَ تهتمون باللباس ! اعتبروا بسُوسِ البرِّيّة فإنه لا يعمَل ولا يغزِل ، أنا أقولُ : إنّ سليمانَ بوقاره[2] لم يستطع أن يلبسَ كواحدةٍ منـه ؛ فإذا كان الله يُلبِسُ عُشبَ الأرض الذى ينبت[3] اليوم ويُلقَى فى النارِ غدًا ، أفلستم يا قليلى الإيمـانِ أفضلَ منه ! ولا تهتمُّوا فتقولوا : ماذا نأكل وماذا نشربُ وماذا نلبَس ، فإنه إنمـا يهتمُّ لذلك ابنُ الدنيا ، وإن أباكم الذى فى السماء يَعْلم أنّ ذلك[4] ينبغى لكم ، فابدءوا فالتمسوا ملكوتَ الله وصدِّيقيّته[5] ، فإنكم سوف تُكْفَون . ولا يُهمّنّكم ما فى غدٍ ، فإن غدًا مكتفٍ بهمه ، وحَسْبُ اليوم شرُّهُ . وكما تَدينون تُدانون ، وبالمكيال الذى تكيلون يُكال لكم . وكيف تُبصر القـذاةَ فى عين أخيك ولا تُبصر السارية فى عينك ! لا تُعطوا الكلاب القُدْسَ ، ولا تُلقوا لؤلؤكم للخنازير . سَلُوا تُعْطَوا ، وابتغُوا تجِدُوا ، واستفتحُوا يُفتحْ لكم ، وانظروا الذى تُحبُّون أن يأتىَ الناسُ اليكم فأتوا اليهم مثلَه . أُدخلوا البابَ الضيِّق ، فإن البابَ والطريقَ الى الهَلَكة عَريضان ، والذين يسلُكونَهما كثيرٌ . وما أضيقَ البابَ والطريقَ اللذين يُبلِّغان الى الحياة ! والذين يسلكونَهما قليلٌ » .

وقال له رجل : أَتْبَعُك حيث ذهبتَ ، فقال له عيسى : للثعالبِ جِحَرةٌ ، ولطير السماء كِنانٌ ، وليس لابن الإنسانِ مكانٌ يُسنِدُ فيه رأسَه .

وقال له رجلٌ من الحَوارِيِّين : أتأذن لى أن أدفِنَ أبى ؟ فقال له : دع الموتَى يَدفنون موتاهم واتْبَعْنى . وقال للحوارِيّين : لا تتزوَّدوا شيئا ، فإن العائلَ محقوقٌ أن

(١) فى الأصل : «اذا جهد فقدر» الفاء فى جواب اذا ، ولا معنى لذكر الفاء فى هذا الموضع .

(٢) الوقار : العظمة . وفى الأصــل : « بوفاره » بالفاء ، ولا معنى له هنـا الا أن يكون محرفا عن (وفوره) جمع وفر «بالفتح» وهو الغنى .

(٣) فى الأصل : «تنبت» «وتلق ... ... منهن» .

(٤) لعل اسم الاشارة يرجع الى عدم الاهتمام المأخوذ من قوله «ولا تهتموا» ، ليستقيم الكلام .

(٥) الصدّيقية : درجة أعلى من الولاية وأدنى من النبوّة .

يُطْعِمَ قُوتَه ، وإنى أُرسلُكم كالخرفان بين الذئاب ، فكونوا حُلَماء كالحيّات وبُلْهًا[١] كالحمام . واذا دخلتم البيتَ فسلِّموا على البيت ، فإن كان ذلك البيت أهلًا لسلامكم فليُصِبْهم ، وان لم يكن أهلا لسلامكم فإنه يرجع اليكم . ومن لم يُؤْوِكم ويسمَعْ لقولكم ، فاذا خرجتم من قَريته فانفُضُوا الغبارَ عن أرجُلكم .

حدّثنى عبدالرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وَهْب قال : كان فيما ناجَى به عُزَيرٌ ربَّه : اللهمّ فإن لك من كلِّ خَلْقٍ خلقتَه خِيَرَةً اخترتَها ، وإنك اخترتَ من النبات الحُبْلَة[٢] ، ومن المواشى الضائنةَ ، ومن الطير الحمامةَ ، ومن البيوت بيتَ[٣] إيلياء ، ومن إيلياءَ بيتَ المقدِس ، ومن جميع الخلائق آدمَ ، ومن وَلَدِ آدمَ نوحا ، ومن وَلَد نوحٍ ابراهيمَ ، ومن وَلَد ابراهيمَ اسماعيلَ واسحاقَ ، ومن وَلَد اسحاقَ اسرائيلَ ؛ اللهمّ فأصبحتْ خِيَرَتُك قد تمّت ونفذَتْ فى كلّ ما اخترتَ إلا ما كان من وَلَد خليلك ابراهيم ، فإنّهم أصبحوا أعبُدًا لأهل معصيتك وخَوَلا لأعدائك ، فما الذى سَلَّط علينا ذلك ؟ أمن أجل خطايانا ؟ فالخاطئون ولَدونا ، أو من أجل ضعفنا ؟ فمن ضعفِ خُلِقْنا ، قال : فجاءنى المَلَكُ فكلَّمنى ، فبينما أنا كذلك سمعت صوتا هالنى فنظرت ، فإذا امرأةٌ حاسرةٌ عن رأسها ، ناشرةٌ شعرَها ، شاقّةٌ جَيْبَها ، تَلطِمُ وجهَها ، وتصرُخُ بأعلى صوتها ، وتحثُو الترابَ على رأسها ، فأقبلتُ عليها وتركتُ ما كنتُ فيه ، فقلتُ لها : ما بالُكِ أيّتها المرأةُ وما الذى دهاكِ ؟ أخبرينى خبرَكِ ، فقد أصابت المصائبُ غيرَكِ ؛ قالتْ : اليكَ عنّى أيها الرجلُ ، فإن ربّى هو الذى أبكانى ،

(١) كذا فى الأصل . وفى حياة الحيوان للدميرى (ج ١ ص ٢٢٦) : «روى أحمد فى الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه السلام كان يقول لأصحابه : إن استطعتم أن تكونوا بلها فى الله تعالى مثل الحمام فافعلوا» . وفى انجيل متى من الكتاب المقدس (طبع بيروت سنة ١٨٨٢ م مجلد ثالث ص ١٧ س ١٢) : «فكونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام» . (٢) الحبلة بالضم : الكرم أو أصل من أصوله ، وثمر السلم أو ثمر العضاه . (٣) فى الأصل : «بيتا ايلياء» .

ومصيبتى أعظمُ مما ترى ؛ فقلتُ : فإن فى الله عزاءً من كلّ مصيبة ، وخَلَفا من كلّ هالك ، وعوضًا من كلّ فائتٍ ، فإياه فاستعينى ، والى نظره لك فانظرى ؛ قالت : انى كنتُ امرأةً كثيرًا مالى ، عظيمًا شرفى ، وكنت عاقرا لا وَلَدَ لى ، وكنتُ عنــد بعلٍ له نِســوةٌ معى وكُلُّهن وُلِد له غيرى ، فملّ به لحبّ الولد فصرفَ وجهَه عنّى ، فحزنتُ وحزن أهلى وصديقى ، فلما رأيتُ هوانى عليه وسقوطَ منزلتى عنده ، رغبتُ الى ربى ودَعَوْتُه فأجابنى ، واستوهبتُه غلاما فوهبــه لى ، فقرّتْ به عينى ، وفرح أهلى ، وعطّف اللهُ به زوجى ، وقطعَ عنّى ألسـنةَ ضرائرى ، فربّيْتُ غلاما لم تحمِلْ أنثى مثلَه حُسنًا وجمالًا ونَضرةً وتماما ، فلما بلغ أشُدَّه وكَمَل به سرورى خطبتُ عليه عظيمةَ قومى ، وبذلتُ دونه مالى ، وخرجتُ من خُلعتى[1] ، وجمعتُ رجالَ قومى ، فخرج يمشى بينهــم حتّى دخلَ بيتَه ، فلما قعَد على سريره ، خرّ منه فاندقّت عنقُــه فمــات ابنى وضلّ عملى وبطَلَ نصيبى وتلِف مالى ، فخرجتُ الى هــذه البرّيّة أبكيه فيهــا لا أريدُ أن أرى أثرا من آثاره ولا أحدا من أصحابه ، ولن أبرحَ أبكيــه حتّى ألحقَ به . قال عُزَيرٌ : أذكرى ربَّك وراجعيه ، فقــد أصابت المصائبُ غيرَك أما رأيتِ هــلاكَ إيلياءَ وهى سيّدةُ المدائن وأمُّ القُرَى ؟ أوَما رأيتِ مصيبة أهلها وهم الرجال ؟ قالت : إى رحمك اللهُ ! إن هذا ليس لى بعزاء وليستْ لى بشىء منه أُســوةٌ ، إنمــا تبكى مدينةٌ خربَتْ ، ولو تُعمَرُ عادتْ كما كانتْ ، وإنمــا تبغى قوما وعدَهم اللهُ الكَرّةَ على عدوّهم ، وأنا أبكى على أمرٍ قد فات ، وعلى مُصيبة لا أستقيلُها[2] ؛ قال عُزَيرٌ : فإنه خُلِقَ لمــا صار اليــه ، وكلّ شىء خُلِقَ للدنيا فلا بدّ أن سيفْنَى ،

---

(١) الخلعــة (بالكسر والضم) : المـال وخياره يخلع على الانسان .

(٢) لا أستقيلها أى لا أطلب منها إقالة ، لأن الطلب فيها غير مجد ؛ ومنه قول الشماخ :

« ومرتبة لا يستقال بهـا الردى »

أى لا يرجى فيها إقالة الردى لإنه لا بد من الهلاك .

أمَا رأيتِ مدينتنا أصبحتْ خاويةً على عروشها بعد عِمارتها ، وأوحشتْ بعــد أُنسها وأثاثها ! أوَ ما رأيت مسجدَنا كيف غُيِّر حسنُه ، وهُدِمَ حِصنُه ، وأُطفئ نورُه ! أوَ ما رأيتِ عزَّ أهلها كيف ذَلَّ ، وشرفَهم كيف تحوَّل ، ومجدَهم كيف سقَط ، وفخرَهم كيف بطَل ! أو ما رأيت كتاب الله كيف أُحرِق ، ووحيَ الله كيف رُفِعَ ، وتابوتَ السكينة[1] كيف سُبِي ! أو ما رأيتِ نساءَ الملوك وبناتِهم فى بُطونِ الأسواقِ حاسرات عن السُّوق والوجوه والأشعار ! أو ما رأيت الأشياخَ الذين على وجوههم النورُ والسكينةُ مقرَّنين فى الحبال والقِطار ! أو ما رأيتِ الأحبارَ والرهبانَ مصفَّدين فى الإسار . أو ما رأيتِ أبناءَ موسى وهارونَ تُضرب عليهم السِّهامُ ويقتسمُهم الأشرارُ . وولدانَ الملوك خَدَمًا[2] للكُفَّار . أو ما رأيتِ قتلانا لم يوارِ أحدا منهم قبرٌ ولم يَتعهَّدْ أحدٌ منهم الى ولد ، فالحكماء مبهوتون ، والعلماء يموجون ، والحلماء متحيّرون ، وأهل الرأى مُلْقُون بأيديهم مُستسلِمون . قال : فبينا أنا أكلِّمها غشَّى وجهَها نورٌ مثلُ شعاع الشمس حال بينى وبين النظر اليها ، فخمّرتُ من شدّته وجهى ورددتُ يدى على بصرى ، ثم كشفتُ وجهى فاذا أنا لا أُحِسّها ولا أرى مكانَها ، واذا مدينةٌ قد رُفعتْ لى حصينةٌ بسورها وأبوابها . فلما نظرتُ الى ذلك خَرَرتُ صَعِقا ، فجاءنى الملَك فأخذ بِضَبْعِي ونعشنى[3] وقال لى : ما أضعفك ياعُزَيْر ! وقد زعمتَ أنّ بك من القوّة ماتخاطبُ به ربَّك وتُدلِي بالعذر عن الخاطئين من

(١) ورد فى دائرة المعارف للبستانى عند الكلام على التابوت ما ملخصه : وتابوت العهد أو الشهادة هو صندوق من الخشب مصفح من الداخل ومذهب من الخارج ، وكان موضعه فى قدس الأقداس وكان اليهود يعتبرون ذلك مقدّسا وكانوا يحملونه بالأحتفال أمامهم وهم مسافرون الى أرض الميعاد ... والظاهر أنه فقد عند ما هدم بختنصر الهيكل فى القدس بإتلافه إياه أو نقله الى بابل . ومن أراد الوقوف على تفاصيل وصف هذا التابوت فليراجع ذلك فى التوراة . (٢) فى الأصل : « خدم الكفار » .
(٣) نعشه : رفعه وأقامه .

بنى إسرائيل ؛ قال له عُزَيْر : مثل الذى رأيتُ وعاينتُ أضعفنى وأذهب روحى ؛ قال المَلَك : فإن المرأةَ التى كلّمتْك هى المدينة التى تبكى عليها ، صوّرها الله لك فى صورة أنثى فكلّمتك ، فافقهْ عنها : أما قولها : إنها عُمِّرتْ زمانا من دهرها عاقرا لا ولد لها ؛ فكذلك كانت إيلياءُ صعيدا من الأرض خرابا لا عُمرانَ فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة . وأمّا[1] قولهـا : إن الله وهبَ لها غلاما عند اليأس ، فذلك حين أقبل الله عليها بالعُمران فابتعث اللهُ منها أنبياءه وأنزل كتابه . وأما قولها : إنه هلك ولَدُها حين كمل فيه سرورُها ، فذلك حين غيَّر أهلُها نعَم الله وبدّلوها ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا جُرأة على الله وفسادا ، فغيَّر الله ما بهـم وسلّط عليهم عدوّهم حتى أفناهم ، وقد شفّعك الله فى قومك وكتابك ومدينتك ، وسيُعيدها الله عامرة كما رأيت : عليها حيطانُها وأبوابُها ؛ وفيها مساجدُها وأنهارها وأشجارها .

وحدّثنى بهذا الإسناد قال : لمـا أمر الله إبراهيم أن يذبح إسحاق عليهما السـلام ويجعلَه قُربانا ، أسرَّ ذلك الى خليل له يقال له : العازر ؛ فقال له الصديق : إن الله لا يَبتلى بمثل هـذا مثلَك ، ولكنّه يريد أن يُجرِّبك ويختـبرَك ، وقد علمتَ أنه لم يبتلك بهـذا ليَفتِنك ولا ليُضـلَّك ولا ليُعنتك ولا لينقُص به بصيرتَك وإيمـانَك ويقينَك ، ولا يروعنَّك هذا ولا تَسُوءنّ بالله ظنَّك ، وإنمـا رفَع الله اسمك فى البـلاء على جميع أهل البلاء ، حتى كنت أعظمهم فى نفسك وولدك ، ليرفعَك بقدر ذلك عليهـم فى المنـازل والدرجات والفضائل ؛ فليس لأهل الصبر فى فضيلة الصـبر إلا فضلُ صبرك ؛ وليس لأهل الثواب فى فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك ، وليس لأهل البلاء فى جسيم شرف البلاء إلا فضلُ شرفك ، وليس هـذا من وجوه البلاء الذى يبتلى اللهُ به أولياءه ؛ لأن الله أكرمُ فى نفسه وأعدلُ[2] فى حكمه وأعدل فى عباده

(١) فى الأصل : «وانمـا» . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : «وأرحم بعبده ...» .

من أن يجعــل ذبح الولد الطّيب بيد الوالد النبيّ المصطفَى ؛ وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا منّى حتما على الله أو ردّا لأمره أو سُخْطا لحكمه على عباده ، ولكن هــذا الرجاءُ فيــه والظنّ به . فإن عزم ربك على ذلك فكن عبــدًا[(1)] أحسن علمه بك ؛ فإنى أعلم أنه لم يُعرّضك لهذا البلاء العظيم إلا لحُسن علمه بك وبصدقك وبصبرك ، ليجعلك للناس إماما ؛ ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

وحدّثنى بهذا الإسناد أن يوسف عليه السلام لمــا لبث فى السجن سبعَ سنين أرسل الله عزّ وجلّ اليه جبريلَ عليه السلام بالبشارة بخروجه ، فقال له : أتعرفنى أيها الصِّــدّيق ؟ قال له يوسف : أرى صورةً طاهرةً وروحا طيّبا لا يشبه أرواح الخاطئين ؛ قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول ربّ العالمين ؛ قال يوســف : فمــا أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقرّبين ؟ قال جبريل : أوَ لم تعلم أيها الصدّيقُ أنّ الله يطهّر البيوت بطُهر النبيّين ، وأن البقعة التى يحلُّون بها هى أطهر الأرَضين ، وأنه قد طهّر بك السجنَ وما حوله يآبن الطاهرين ؛ قال يوسف : كيف تشبّهنى بالصالحين ، وتسمّينى بأسماء الصدّيقين ، وتُعدّنى مع آبائى المخلصين ، وأنا أسيرٌ بين هؤلاء المجرمين ! قال جبريلُ : لم يكلِمْ قلبَــك الجزعُ ، ولم يغيّر خُلُقَك البلاءُ ، ولم يتعاظمك السجنُ ، ولم تطأ فراش سيّدك ، ولم يُنسك بلاءُ الدنيا بلاءَ الآخرة ، ولم تُنسك نفسُك أباك ولا أبوك ربّك ؛ وهذا الزمان الذى يفُكُّ الله به عنوَك[(2)] ، ويُعتِق به رِقّك ، ويُبيّن للنــاس فيه حكمتك ، ويُصــدّق رؤياك ويُنصفك ممن ظلمك ، ويجمع اليك أحبّتك ، ويهب لك مُلك مصرَ : يملّكك ملوكها ، ويُعبِّد لك جبابرتها ، ويُذلّ لك أعزّتها ، ويُصغّر لك عظماءها ، ويُخدمُك سُوقتها ،

(1) فى العقد الفريد (ج ١ ص٣٥٧) : «فكن عند أحسن علمه فيك ... » . (2) العنو : الأسر والذل ، يقال : عنا فى القوم عنوّا وعناء ، صار فيهم أسيرا . وفى العقد الفريد (ج ١ ص٣٥٨) : « عنقك » .

ويخوّلك خوَلهـا ، ويرحم بك مساكينها ، ويُلقى لك المودّة والهيبة فى قلوبهـم ، ويجعل لك اليـدَ العليا عليهم والأثر الصالحَ فيهم ، ويُرى فرعونَ حلمًا يفزَع منـه ويأخذه له كربٌ شديدٌ حتى يُسهره ويُذهب نومه ، ويُعمَى عليه تفسيره وعلى السحرة والكهنة ويعلِّمك تأويله .

وفى بعض الكتب : أوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء : إذا أردت أن تسكنَ معى غدًا فى حظيرة القُدس فكن فى الدنيا وحيـدا فريدا مهموما حزينا ، كالطائر الوحدانىّ يظلُّ بأرض الفـلاة ويردُ ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر ، فاذا جَنَّ عليه الليل أوى وحده استيحاشا من الطير واستئناسا بربّه جلّ وعزّ .

لمـا قُتِلَ عبـدُ الله بن الزُّبَير وجدَ الحجّاجُ فيما ترك صُـندوقا عليه أقفال حديد ، فتعجّب منه وقال : إنّ فى هذا شيئا ، ففتحه فاذا صـندوقٌ آخرُ عليه قُفْـل ففتحه فاذا سَفَطٌ فيـه دُرج ، ففتحه فاذا صحيفةٌ فيها : إذا كان الحديث حَلفا ، والميعادُ خُلْفا ، والمِقْنبُ(١) ألفا ، وكان الولدُ غيظا ، والشتاءُ قيظا ، وغاض الكرامُ غيضا ، وفاض اللئـام فيضا ، فأعنزٌ عُفْرٌ(٢) ، فى جبل وَعْر ، خير من مُلك بنى النَّضر . حدّثنى بذلك كعب الحبر .

الـــدعاء

ـ حدّثنى أبو مسـعود الدارمىّ(٣) قال حدّثنـا جرير(٤) عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قال ربُّكم عزّ وجلّ ثلاثةٌ : واحدةٌ لى ، وواحدةٌ لك

(١) المقنب كمنبر : جماعة الخيل والفرسان . (٢) العفر : جمع أعفر وعفراء . والعفرة : غبرة فى بياض . (٣) هكذا ورد بالأصل . ولم نعثر على هذه النسبة لمن يكنى بأبى مسعود لا فى كتب الأنساب ولا فى كتب التراجم وغيرها من الكتب التى بين أيدينا . (٤) فى الأصل : «جدير» بالدال المهملة . ولم نعثر على اسم «جدير» بين أسماء الرواة فى الكتب التى عندنا . وقد ورد فى تهذيب التهذيب أن من بين من اسمه «جرير» بالراء : «جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدى ثم العتكى وقيل الجهضمى» . وجرير هـذا ممن رووا عن قتادة عن أنس بن مالك ، ولذا ترجح لدينا أن ما جاء بالأصل محرّف صوابه ما أثبتناه .

يابن آدم، وواحدةٌ بيني و بينك، فأما التي لي فتُخلِص لي لا تُشرِك بي شيئا، وأما التي لك فأحوجُ ما تكون الى عملك أوفّيكه، وأما التي بيني و بينك فمنك الدعاءُ وعليّ الإجابة".

~ حدّثني عَبْدةُ بن عبـد الله قال أخبرنا زيد بن الحُبَاب قال حدّثنـا معاوية قال حدّثني أزهرُ بن سـعيد عن عاصم بن حميد قال: سألتُ عائشـةَ رضي الله عنها، ما كان يفتتح به رسولُ الله صلى الله عليـه وسلّم به صلاته في قيام الليل؟ قالت: كان يُكبِّر عَشْرا ويحمَدُ عشرا ويسبّح عشرا ويهلّل عشرا ويسـتغفرُ الله عشرا، ثم يقول: "اللهـمّ اغفرْ لي واهدني وارزقني وعافني"، ويتعوّذ من ضيق المقام يوم القيامة.

~ حدّثنا حسين بن حسن المروزيّ قال حدّثنـا الخُفَافُ عن أبي الورْقاء عن عبد الله بن أبي أَوْفَى قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اذا أصـبح قال: "أصبحنا وأصبح الملكُ والكبرياءُ والعظمةُ والخَلْقُ والأمرُ والليلُ والنهارُ وما يسكن (١) فيهما لله ربّ العـالمين وحده لا شريك له. اللهم اجعل أوّل هـذا النهار صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا. اللهم إني أسألك خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرة ياأرحمَ الراحمين".

حدّثنا إسحاق بن راهويه (٢) قال أخبرنا حسـين بن عليّ الجُعْفِيّ عن اسرائيل عن الحسين أنه كان اذا استسقى قال: «اللهم اسقنا سُقْيا (٣) واسعةً وادعةً عامةً نافعةً غيرَ

(١) في نهاية الأرب للنويري (ج ٥ ص ٣٠٠ طبع دار الكتب المصرية): «وما سكن فيهما من شيء لله وحده لا شريك له... الخ». وفي كتاب الأذكار للنووي: «وما سكن فيهما لله تعالى... الخ».
(٢) قال ابن خلكان في ترجمة اسحاق بن راهويه: «وراهويه بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعـدها هاء ساكنة ... وقيل فيه أيضا: راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء».
(٣) ورد هـذا الأثر في كتاب الأذكار للسيوطي (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ مجاميع) في صلاة الاستسقاء، بصيغة تخالف ما هنا في بعض الكلمات وبالزيادة والنقص.

ضارّة تعمّ بها حاضرَنا وبادينا وتزيد بها في رزقنا وشكرنا . اللهم اجعله رزقَ إيمانٍ وعطاءَ إيمانٍ إنّ عطاءك لم يكن محظورا . اللهم أنزل علينا في أرضنا سكنَها [1] ، وأنبتْ فيها زينتها ومرعاها » .

روى الكلبيّ عن أبي صالح أن العباس قال يوم استسقى عمر رضي الله عنه : " اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلا بذنب ، ولا يُكشَف إلا بتوبةٍ ، وقد توجّه بي القوم إليك لمكاني من نبيّك [2] ، وهـذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، فاسقنا الغيث " . فأرخت السماءُ شآبيب [3] مثلَ الجبال بديمةٍ مُطبِقةٍ .

وروى سفيان بن عيينة عن أبي عبـد الملك قال : سمعت عمر بن عبد العزيز عشية عرفة بعرفة وهو يقول : " اللهم زدْ في إحسان محسـنهم ، وراجعْ بمسيئهم الى التوبة ، وحُطْ من ورائهم بالرحمة " .

حدّثنا حسين بن حسين [4] قال حدّثنا عبـد الله بن المبـارك قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر [5] عن خالد بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات : "اللهم اقسمْ لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تُبلّغنا به

---

(١) كذا في الأصل ولسان العرب مادّة «سكن» . وفي منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسـند الإمام أحمد (ج ٣ ص ٦٥ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هـ) : « اللهم أنزل في أرضنا بركتها وزينتها وسكنها وارزقنا وأنت خير الرازقين » . وسكنها بفتح السين والكاف : غياث أهلها الذي تسكن أنفسهم اليه .

(٢) في الأصل : «من بيتك» والسياق يقتضي ما أثبتناه . (٣) شآبيب جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (٤) كذا ورد في الأصل . وفي تهذيب التهذيب أن ممن رووا عن عبـد الله بن المبارك الحسين بن الحسن . ولعل ما في الأصل محرّف عنه . (٥) في الأصل : «زخر» بالخاء المعجمة . وما أثبتناه هو ما في تهذيب التهذيب .

الى رحمتك، ومن اليقين ما تهونُ به علينا مصيباتُ الدنيا، ومَتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا، واجعــل ذلك الوارثَ منا ، وانصرنا على من ظلمنا ، ولا تجعــل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلّط علينا من لا يرحمنا" .

بلغنى عن يونس عن الأوزاعىّ عن حسّانَ بن عُطَيَّة[1] قال : كان شدّاد بن أَوْس فى سفر، فنزلنا منزلا فقــال لغلامه : ائتنا بالسفرة نَعبث بها[2]؛ فأنكرت منه، فقال: ما تكلمت بكلمة مذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمّها غير كلمتى هذه فلا تحفظوها عنى ، واحفظوا عنى ما أقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اذا[3] كنز الناسُ الذهبَ والفضّة فاكنزوا هؤلاء الكلمات : اللهم إنى أسألك الثباتَ فى الأمر والعزيمةَ فى الرشــد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسنَ عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك مــن شرّ ما تعلم ، وأستغفرك لمــا تعلم، إنك أنت علّام الغيوب" .

بلغنى عن الوليد بن مســلم قال حدّثنا أبو سلمة الدوسىّ[4] عن سالم بن عبــد الله قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم ارزقنى عينين هطّالتين تبكيان[5] بذروف الدموع وتشفيانى من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس جمــرا" .

---

(١) هكذا ضبطه فى تقريب التهذيب بضم العين وفتح الطاء . (٢) كذا فى مسند الامام أحمد (ج ٤ ص١٢٣) . وفى الأصل : "فعبث بها" وما أثبتناه هو الموافق لقول الزمخشرى فى أساس البلاغة مادّة «عبث» «تعال بالسفرة نعبث بها» . (٣) فى منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١١٦) : «يا شداد بن أوس اذا رأيت النــاس يكنزون ... الخ » وفى بقية الحــديث بعض زيادات عما هنا ، ولعلها رواية أخرى . (٤) هكذا ورد فى الأصل ، ولم نوفق الى تحقيق هذه النسبة لأبى سلمة فى الكتب التى بين أيدينا . (٥) فى منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١٠٦) ه « ... تشــفيان القلب بذروف الدموع من خشيتك ... الخ ...» .

حدّثنى أبو سفيان الغنوىّ قال حدّثنا عمر بن عمران قال حدّثنى الحارث بن عتبة عن العلاء بن كثير عن أبى الأسقع : أنه كان يحفظ من دعاء النبىّ صلى الله عليه وسلم : "ياموضعَ كلّ شكوى وياشاهدَ كلّ نجْوَى بكلّ سبيل أنت مقيم تَرَى ولا تُرَى وأنت بالمنظَر الأعلى" .

حدّثنا عبد الرحمن عن عبد المنعم (١) عن أبيه عن وهب بن منبّه قال : كان دعاء عيسى الذى يدعو به للرضى والزَّمْنَى والعميان والمجانين وغيرهم : "اللهم أنت إله من فى السماء وإله من فى الأرض لا إله فيهما غيرُك ، وأنت جبار مَنْ فى السماء وجبّار من فى الأرض لاجبّارَ فيهما غيرك ، وأنت حَكَمُ مَنْ فى السماء وحَكَمُ مَنْ فى الأرض لا حَكَمَ فيهما غيرُك ، وأنت ملِك من فى السماء وملِك من فى الأرض لاملِك فيهما غيرك ؛ قُدرتُك فى الأرض كقُدرتك فى السماء ، وسلطانُك فى الأرض كسلطانك فى السماء ؛ أسألك باسمك الكريم ووجهك المنير ومُلكك القديم ، إنك على كلّ شىء قدير" . قال وهب : هذا يُقرأ للفزع على المجنون ويُكتب له ويُغسل ويُسقى ، فيبرأ بإذن الله أىّ ذلك شاء فعل .

وحدّثنى أيضا بهذا الإسناد قال : كان من دعاء المسيح حين أخذه اليهود ليصْلُبوه بزعمهم فرفعه الله اليه : "اللهم أنت القريب فى علوّك ، المتعالى فى دنوّك ، الرفيع على كل شىء من خَلْقك ؛ أنت الذى نفذ بصرك فى خلقك ، وحَسِرَت الأبصار دون النظر اليك وعَشِيَتْ دونك ، وشمخ بك العلوّ فى النور ؛ أنت الذى جلّيت الظُّلَمَ

(١) ورد فى الأصل "عبد الرحمن بن عبد المنعم" وورد فى عدّة أسانيد أخرى فى الأصل نفسه "عبد الرحمن عن عبد المنعم" كما أثبتناه هنا وعبد الرحمن الذى يروى عنه المؤلف كثيرا هو عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخى الأصمعى ولعل المراد من عبد المنعم عبد المنعم بن ادريس بن مناف بن ابنة وهب ابن منبه .

بنورك فتباركت اللهم خالق الخلق بقُـدرتك، مقدِّر الأمور بحكمتك، مبتدِعَ الخلق بعظمتك، القاضي فى كل شيء بعلمك؛ أنت الذى خلقتَ سبعًا فى الهواء بكلماتك، مستوِياتِ الطباق مذعِناتٍ لطاعتك، سمابهنّ العلو بسلطانك، فأجبنَ وهنّ دخان من خوفك، فأتين طائعاتٍ بأمرك، فيهن ملائكتك يسبّحون قُدسَك بتقديسك، وجعلتَ فيهنّ نورا يجلو الظلام، وضياء أضـوأَ من شمس النهـار، وجعلتَ فيهنّ مصابيحَ يُهتدى بها فى ظلُمات البحر والبر ورجوما للشياطين، فتباركتَ اللهم فى مفطور سمواتك، وفيما دَحَوت من أرضك، دَحوتها على المـاء، فأذللت لها المـاء المتظاهر[(١)] فذلّ لطاعتك وأذعن لأمرك، وخضع لقوّتك أمواج البحار، ففجّرتَ فيها بعد البحار الأنهارَ، وبعـد الأنهار العيونَ الغِزارَ والينابيعَ؛ ثم أخرجتَ منها الأشجارَ بالثمـار، ثم جعلتَ على ظهرها الجبالَ أوتادا فأطاعتك أطوادُها، فتباركت اللهم فى صنعك، فمن يبلغ صفةَ قدرتك ومن يَنعَتُ نعتك . تُنزِل الغيث وتُنشِئ السحابَ، وتفُكّ الرقابَ وتَقضِى الحقّ وأنت خير الفاصلين . لا إله إلا أنت سبحانك أمرتَ أن يستغفرك كلُّ خاطئ . لا إله إلا أنت إنمـا يخشاك مِن عبادك العلماء الأكياس . أشهد أنك لست بإله استحدثناه، ولا ربٍّ يبيد ذِكرُه، ولا كان لك شركاءُ يقضون معـك فندعوهم وندعُك، ولا أعانك أحدٌ على خَلْقِك فنشكّ فيك . أشهدُ أنك أحدٌ صمدٌ لم تلِد ولم يكن لك كفوًا أحدٌ، ولم تتّخذ صاحبةً ولا ولدا . اجعل لى من أمرى فرجًا ومخرجا"؛ قال وهب : وهذا الدعاء عُوذَةٌ للشقيقة وغيرها من قولك: "أشهد أنك لستَ بإلهٍ استحدثناه، الى آخره .

---

(١) «المتظاهر» بالظاء المعجمة من تظاهر بمعنى تساند وتعاون يراد بذلك المـاء الكثير المجتمع يدفع بعضه بعضا لقوّته وهو ما يقتضيه السياق . وفى الأصل «المتطاهر» بالطاء المهملة .

حدّثني محمد بن عُبَيد قال حدثنا سفيان بن عُيَينة عن ابن عباس قال: "الإخلاص هكذا، وبسط يده اليمنى(١) وأشار بإصبعه من يده اليسرى، والدعاء هكذا، وأشار براحتيه الى السماء، والابتهال هكذا، ورفع يديه فوق رأسه ظهورُهما الى وجهه".

حدّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال: كان داود اذا دعا في جوف الليل قال: "اللهمّ نامت العيونُ وغارت النجومُ وأنت حيّ قيّوم اغفرلي ذنبي العظيم إنك عظيمٌ وإنما يغفر العظيمَ العظيمُ، اليك رفعتُ رأسي عامرَ السماء نظرَ العبيد الى أربابها. اللهمّ تساقطت القُرَى وأُبطل ذكرُها وأنت دائبٌ الدهرَ مُعدٌّ كرسيٌّ القضاء".

قال: وكان من تحميده: "الحمد لله عدد قَطر المطر، وورق الشجر، وتسبيح الملائكة، وعددَ ما في البرّ والبحر. والحمد لله عددَ أنفاس الخَلق ولَفْظهم وطَرْفهم وظِلالهم، وعددَ ما عن أيمانهم وشمائلهم، وعددَ ما قهره ملكُه، ووسعه حِفظُه، وأحاطت به قُدرته، وأحصاه علمُه. والحمد لله عددَ ما تجرى به الرياحُ، وتحمله السحابُ، وعددَ ما يختلف به الليلُ والنهارُ، وتسير به الشمسُ والقمرُ والنجومُ. والحمدُ لله عددَ كلِّ شيء أدركه بصرُه، ونفذَ فيه علمُه، وبلغ فيه لطفُه. والحمد لله الذى أدعوه فيُجيبُني وإن كنتُ بطيئا حين يدعوني. والحمد لله الذى أسأله فيعطيني، وإن كنتُ بخيلا حين(٢) يَستقرِضُني. والحمد لله الذى أستعفيه فيُعافيني، وإن كنتُ متعرّضا لما يُهلِكني. والحمد لله الذى حَلُمَ في الذنوب عن عقوبتي حتى كأني لاذنبَ لي، ولو يؤاخِذُني لم يظلِمني سيّدي. والحمد لله الذى أرجوه أيامَ حياتي،

---

(١) كذا ورد في الأصل. وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥): «... وبسط يده اليسرى وأشار باصبعه من يده اليمنى ... الخ». وفي نهاية الأرب للنويري (ج ٥ ص ٢٨٤) تختلف الرواية عما هنا في أكثر الألفاظ. (٢) في الأصل: «حتى» وهو تحريف.

وهو ذُخْرِى فى آخرتى ، ولو رَجوتُ غيره لأنقطع رجائى . والحمـد لله الذى تُمسى أبواب الملوك مغلقةً دونى ، وبابُه مفتوحٌ لكلّ ما شئتُ من حاجاتى بغـير شفيع فيقضيها لى . والحمد لله الذى أخلو به فى كل حاجاتى ، وأضعُ عنـده سرّى(١) فى أىّ ساعة شئتُ من ساعاتى . والحمـد لله الذى يتحبّب الىّ وهو عنّى غنىٌّ ، فربّى أحمدُ شىء عندى وأحقُّه بحمدى" .

وكان من دعاء يوسفَ : " ياعُدَّتى عنـد كربتى ، وياصاحبى فى وَحْدَتى ، ويا غِياثى عند شدّتى ، ومَفزَعى عنـد فاقتى ، ورجائى إذا انقطعتْ حيلتى ، ياإلٰهى وإلٰه آبائى إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ ، اجعـل لى فرجًا ومخرجا وآقض حاجتى" .

وكان بَكّاء بنى اسرائيل يقول : "اللهمّ لاتؤدّبنى بعقوبتك ، ولا تمكُرْ بى فى حيلتك ، ولا تؤاخذنى بتقصيرى عن رضاك ، عظيم خطيئتى فاغفِرْ ، ويسـير(٢) عملى فتقبّل ، كما شئتَ تكون مشيئتك ، وإذا عزمتَ يمضى عزمُك ؛ فلا الذى أحسنَ آستغنى عنـك وعن عَونك ، ولا الذى أساء استبدَّ بشىء يخرُج به من قُدرتك ؛ فكيف لى بالنجاة ولا توجـدُ إلا من قِبَلك ! إلٰهُ الأنبيـاء ، ووليُّ الأتقياء ، وبديعُ مرتبـة الكرامة ، جديدٌ لا يبـلى ، حفيظٌ لا يَنْسَى ، دائمٌ لا يبيـد ، حىٌّ لا يموت ، يقظانُ لاينام ؛ بك عرفتُـك ، وبك آهتديتُ اليك ، ولولا أنت لم أدرِ ما أنتَ ؛ فتباركتَ وتعاليتَ" .

قال الأزدىّ حُدِّثتُ عن محمّـد بن النضر الحارثىّ أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "لا تقطعوا الشهادة على أهـل القبلة فإنه من يقطع الشهادةَ عليهم فأنا منـه

(١) فى الأصل : « سره» وما أثبتناه هو الأنسب بالمقام .

(٢) فى الأصل : «تسبير» .

برىءٌ إنّ الله كتمنا ما يصنع بأهل القبلة". وقال : «من علّم آيةً من كتاب الله أو كلمةً من سنّة فى دين الله حثا الله له من الثواب حَثْوا[١]» .

قال وقال الأوزاعىّ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهم إنى أسألك التوفيق لمحابّك من الأعمال وحسن الظنّ بك وصدق التوكل عليك" .

محمد بن بشر العَبْدى[٢] قال حدّثنا بعض أشياخنا قال : اعتمر علىٌّ عليه السـلام فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول : يامن لا يشـغَلُه سمعٌ عن سمع ، ولا تُغلِطه[٣] المسائلُ، ولا يُبرِمه[٤] إلحـاحُ الملحّين، أَذِقْنى بَرْدَ عفوك وحلاوةَ مغفـرتك ؛ فقال علىّ : والذى نفسى بيـده، لو قلتها وعليك ملءُ السـموات والأرَضين ذنوبا لغُفِر لك .

دعا أعرابىّ عند الملتزَم[٥] فقال : اللهم إنّ لك علىَّ حقوقا فتصدَّقْ بهـا علىّ ، وللناس قِبَـلى تَبِعـاتٍ فتحملها عنّى ، وقد أوجبتَ لكلّ ضيف قِرًى ، وأنا ضيفُك فاجعلْ قِراى الليلةَ الجنةَ .

وقال آخر : اللهم إليك خرجتُ ، وما عندك طلبتُ ، فلا تحرمنى خيرَ ما عندك لشرّ ما عندى . اللهمّ وإن كنتَ لم ترحم نَصَبى وتَعَبى فلا تحرمنى أجرَ المصابِ على مصيبته .

---

(١) حثا له : أعطاه . (٢) كذا فى الأصل والخلاصة وتهذيب التهذيب . وجاء فى تقريب التهذيب : «محمـد بن بشير العبدى» . (٣) لا تغلطه : لا توقعه فى الغلط ، وهو من قولهم : أغلطه إذا أوقعه فى الغلط . (٤) لا يبرمه : لا يمله ولا يضجره . (٥) الملتزم هكذا ضبطه صاحب المصباح فى مادة «لزم» فقال «والتزمته : اعتنقته فهو ملتزم ومنه يقال لمـا بين باب الكعبة والحجر الأسود الملتزم لأن الناس يعتنقونه أى يضمونه الى صدورهم» .

وقرأتُ فى كتابٍ لشيخ لنا : اللهمّ إنه من تهيّأ أو تعبّأ ، وأعدّ وآستعدّ لوِفادة مخلوقٍ رجاءَ رِفْـدِه وطَلَبَ نَيْلِه ، فإن تهيّئى وتعبّئى وإعدادى واستعدادى لك رجاءَ رِفْـدِك وطلبَ نائلك الذى لا خطَرَ(١) له ولا مِثْلَ . اللهـمّ إنى لم آتكَ بعملٍ صـالحٍ قدّمتُه ، ولا شفاعةِ مخلوقٍ رجوتُه ، أتيتك مُقِرًّا بالظُّلم والإساءةِ على نفسى ، أتيتُـك بأنّى لا حجّـةَ لى ، أرجو عظيمَ عفوك الذى عُدْتَ به على الخطّائين ، ثم لم يمنعـك عكوفُهم على عظيم الجُـرمِ أن جُدتَ لهم بالمغفرة . فيا مَنْ رحمتُه واسعةٌ ، وفضـلُه عظيم اغفر الذنبَ العظيم .

ابن عائشة قال : قال الفضل بن عيسى الرَّقاشىّ : اللهمّ لا تُدخلنا النارَ بعـد إذ أسكنتَ قلوبَنا توحيدَك ، وإنى لأرجو ألّا تفعلَ ، ولئن فعلتَ لتجمعنّ بيننا وبين قومٍ عاديناهم فيك .

بلغنى عن ابن عُيَيْنـةَ عن أبى حازم قال : لَأنا مِنْ أن أُمنعَ الدعاءَ أخوفُ منّى من أن أُمنعَ الإجابةَ .

أنشدنا محمد بن عمر لبعض الشعراء فى وصف دعوة :

وساريةٍ لم تَسْرِ فى الأرض تبتـغى * مَحَـلًّا ولم يقطع بهـا البيـدَ قاطعُ
سَرتْ حيث لم تَسْرِ الركابُ ولم تُنَخْ * لِوِرْدٍ ولم يَقْصُرْ لهـا القيـدَ مانعُ
تَحُـلُّ(٢) وراءَ الليل والليـلُ ساقطٌ * بأرواقه فيـــه سميـرٌ وهاجـعُ
تَفَـتَّحُ أبوابُ السماء ودونَهـا(٣) * إذا قَرَعَ الأبوابَ منهـنّ قارعُ

---

(١) الخطر بالتحريك : النظير والمثل .
(٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : «تظل ...»
(٣) فى العقد الفريد : « ... لوفدها ... الخ» .

إذا أوفدتْ[(١)] لم يردُدِ اللهُ وفدَها * على أهلهـا واللهُ راءٍ وسامــعُ
وإنى لأرجو اللهَ حتّى كأنّنى[(٢)] * أرى بجميلِ الظنِّ ما الله صانعُ

وقال آخر :

وإنى لأدعو اللهَ والأمرُ ضيّقٌ * علىّ فمـا ينفكّ أنْ يتفرّجا
ورُبَّ فتًى سُدّتْ عليه وجوهُهُ * أصاب له فى دعوةِ الله مَخْـرَجا

ونحـــوه :

إذا تضـايقَ أمرٌ فانتظر فرجا * فأضيقُ الأمرِ أدناه من الفرجِ

أُخِذَ لرجلٍ من العربِ مالٌ فكتبَ الى آخذِه : يا هــذا ، إنّ الرجلَ ينام على الثُّكْلِ، ولا ينام على الحَرَب[(٣)]؛ فإمّا رددتَه ، وإمّا عرضتُ اسمَك على الله تعالى كلّ يومٍ وليلةٍ خَمْسَ مرّاتٍ .

قال عبد الرحمن بن زياد : اشتكى أبى فكتب الى بكر بن عبــد الله يسأله أن يدعُوَ له ، فكتب اليه بكر : يحقّ لمن عمِل ذنبا لا عُذرَ له فيه، وتوقّع موتا لا بدّ له منــه ، أن يكونَ وَجِلًا مُشفِقًا ، سأدعو لك ، ولستُ أرجو أن يُستجابَ لى بقوّةٍ فى عملٍ، ولا براءةٍ من ذنبٍ، والسلام .

خَلَفُ بنُ تميم عن عبــد الجبّار بن كُلَيب[(٤)] قال : قال لنـا إبراهيم بن أدهم حين عَرَض لنا السَّبُعُ : قولوا : اللهمّ احرُسْنا بعينك التى لاتنامُ، واجعلنا فى كَنَفك الذى لايُرام، وارحمنا بقدرتك علينا، لا نَهلِكُ وأنت رجاؤنا؛ قال خَلَف : فما زلتُ أقولُها مذ سمعتُها، فمـا عرَضَ لى قطُّ لِصٌّ ولا غيرُه .

(١) فى العقد الفريد : * إذا سألت لم يردد الله سؤلها * (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : « ... كانما ... » . (٣) الحرب بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله كله ويترك بلا شىء . (٤) هكذا ورد فى الأصل ولم نوفق الى تحقيق هذا الاسم فى كتب التراجم التى بين أيدينا .

قال أعرابىّ : من أقام بأرضنا فليُكثر من الاستغفار، فإنّ مع الاستغفار القُطَار (١) .

بلغنى عن موسى بن مسعود النّهْدىّ (٢) عن سفيان الثورىّ عن قُدامة بن حَمَاطَة الضّبىّ عن خالد بن مِنْجاب عن زياد بن حُدَير (٣) الأسدىّ أن العلاء بنَ الحضرَمىّ عبَر إلى أهل دَارِين (٤) البحرَ بهذه الكلمات : ياحليمُ يا حكيمُ يا علىُّ ياعظيمُ .

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا يزيد بن هارون عن هشام الدّسْتَوائىّ (٥) عن حمّاد عن إبراهيم عن عبد الله فى الرجل إذا أراد الحاجةَ صلّى ركعتين ثم قال (٦) : اللهمّ إنّى أستخيرك بعلمك، وأستقدِرُك بقُدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدِرُ ولا أقدِرُ، وتملك ولا أملك، وتعلَمُ ولا أعلَمُ، إن كان هذا الأمرُ الذى أريده — ونُسمّيه — خيرًا لى فى دِينى وخيرا لى فى معيشتى وخيرا لى فيما أبتغى فيه الخِيَرَةَ فيَسِّرْه لى وبارِكْ لى فيه، وإن كان شرًّا لى فى دِينى وشرًّا لى فى معيشتى وشرًّا لى فيما أبتغى فيه الخيرَ فاصرفه عنّى ويسِّرْ لى الخيرَ حيث كان ثم رَضِّنِي [به] (٧) .

(١) القطار بالضم : السحاب العظيم القطر .

(٢) فى الأصل : « المهدى » بالميم وهو تحريف من الناسخ صوابه ما أثبتناه كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة وتقريب التهذيب .

(٣) فى الأصل : « جدير » بالجيم وهو خطأ والتصويب عن شرح القاموس وتهذيب التهذيب والخلاصة .

(٤) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند . (انظر ياقوت) .

(٥) هو أبو بكر هشام بن أبى عبد الله سنبر البكرى البصرى الدستوائى بفتح الدال وسكون السين وفتح التاء نسبة الى دستوا بالقصر وتمدّ : كورة من كور الأهواز كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة ومعجم ياقوت . وقد ضبطه صاحب القاموس بضم التاء وقال فى النسبة إليها : دستوائى ودستوانى .

(٦) ورد هذا الدعاء فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ٣٢٦) باختلاف فى بعض الكلمات وزيادات عما هنا .

(٧) الزيادة عن نهاية الأرب .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهمّ إنّى أستغفرك من كلّ ذنب قَوِىَ عليه بدنى بعافيتك، ونالته يدى بفضل نعمتك ، وانبسطتُ اليه بسَعَة رزقك، واحتجبتُ فيه عن الناس بسَتْرك، واتّكلتُ فيه على أناتِكَ وحلمك، وعوّلتُ فيه على كريم عفوك .

الأوزاعىّ قال : من قال : «اللهمّ إنى أستغفرك لمَـا تبتُ اليك منه ثم عدتُ فيـه ، وأستغفرُك لمَـا وعدتُك من نفسى وأخلفتُك ، وأسـتغفرك لمَـا أردتُ به وجهَك فخالَطَه ما ليس لكَ، وأستغفرك للنِّعم التى أنعمتَ بها علىّ فتقوَّيتُ بهـا على معصيتك، وأستغفرك لكلّ ذنبٍ أذنبتُه أو معصيةٍ ارتكبتُها » غفر اللهُ له ولو كانت ذنوبُه عَدَدَ ورق الشجر، ورملِ عالج(١)، وقَطْرِ السماء .

وكان مُطَرِّف يقول: اللهمّ إنى أعوذُ بك من شرّ السلطان، ومن شرّ ما تجرى به أقلامُهم ، وأعوذ بك أن أقولَ قولا حقًا فيـه رضاك ألتمسُ به أحدا سواك ، وأعوذ بك أن أتزيَّن للنـاس بشىءٍ يَشينُنى ، وأعوذ بك أن أكونَ عِبرةً لأحدٍ من خَلْقك، وأعوذ بك أن يكونَ أحدٌ من خَلْقك أسـعدَ بمـا علّمتَنى منّى، وأعوذ بك أن أستغيثَ بمعصيةٍ لك من ضُرٍّ يُصيبنى .

الأزدىّ عن عبد الواحد بن زيد(٢) قال : شهدتُ مالكَ بن دينار يوما وقيل له : يا أبا يحيى ادعُ اللهَ أن يَسقيَنا ، قال : "ستبطِئـون المطرَ ! قالوا : نعم ؛ قال : إننى والله أستبطئُ الحجارةَ .

قال أبو كعب : سمعتُ عطاءً السَّلَمِىّ يقول : اللهـمّ ارحَمْ غُربتى فى الدنيا، ومَصرعى عند الموت، ووَحْدتى فى القبور، ومُقامى بين يديك .

(١) عالج بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل متراكم ومتداخل بعضه فى بعض .

(٢) كذا فى الأصل . ولم نعثر على اسم عبد الواحد بن زيد فى المراجع الخاصـة التى تحت أيدينا بأخبار الرواة والتراجم . ولعله «عبد الواحد بن زياد» لوروده كثيرا فى المصادر المتقدمة .

حدّثنى محمد بن عبـد العزيز قال حدّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدّثنا زُهير عن زُبيد اليامىّ[1] عن مُرّةَ عن عبد الله قال : إن الله تعالى قسمَ بينكم أخلاقكم كما قسمَ بينكم أرزاقكم ، إن الله يُؤتِى المـالَ مَنْ يحبّ ومن لا يحبّ ، ولا يؤتى الإيمـانَ إلا من يُحب ، فمن ضنّ بالمـال أن يُنفقه ، وهاب العدوّ أن يُجاهدَه ، والليلَ أن يكابدَه فليُكثِر من سبحان الله والحمد لله ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبر » .

ومن جامع الدعاء : اللهمّ أغننى بالعلم ، وزيّنى بالحلم ، وجمّلنى بالعافية ، وأكرمنى بالتقوى .

وكان من دعاء أبى المجيب : اللهمّ لا تَكِلْنا الى أنفسنا فنعجِزَ ، ولا الى النـاس فنَضِيعَ ، اللهمّ اجعلْ خيرَ عملى ماقاربَ أجلى .

ومن دعاء عمرو بن عبيد ، اللهمّ أغننى بالافتقار اليك ، ولا تُفقِرنى بالاستغناء عنك .

ابن عائشة عن سلّام بن أبى مُطيع قال : سمعت ابن عون يقول : كانوا يَستحِبّون من الدعاء : اللهمّ عبـدُك وابنُ عبدك وابنُ أمتك اعبيـدك وإمائك ، أنا الذليـلُ ولا أنتصر ، وأنا الظالم ولا أعتـذر ، عملتُ سوءًا وظلمتُ نفسى وإلّا تغفرْلى وترحمْنى أكنْ من الخاسرين ، فمـا أتمّها ابن عون حتى أجهش[2] بالبكاء .

ومن دعاء النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : « اجعلْنى لك شكّارا ، لك ذكّارا ، لك رهّابا ، لك مطيعا ، اليك مُخبِتًا ، لك أوّاها مُنيبا ، ربّ تقبّلْ توبتى واغسِلْ حَوْبتى وأجبْ دعوتى وثبّت حجّتى واهدِ قلبى وسدّدْ لسانى » .

---

(١) فى الأصل : « الناى » بالنون وهو تحريف وصوابه « اليامى » نسبة الى يام : بطن من همدان ، كما تقدّم فى صفحة ١٧٩ من الحاشية رقم ٢ من هذا المجلد .

(٢) أجهش بالبكاء : هم به وتهيأ له .

المنـاجاة

حدّثنى عبدُ الله بن هارون عن سُلَيم بن منصور عن أبيه قال : كنتُ بالكوفة[1] فخرجتُ فى بعض الليـل لحاجةٍ وأنا أظنُّ أنّى قد أصبحتُ فإذا علىّ ليـلٌ فملتُ الى بعض أبوابها أنتظر الصبحَ فسمعتُ من وراء الباب كلامَ رجلٍ وهو يقول : فوعزّتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتى مخالفتَك ، وما عصيتُك إذ عصيتُك وأنا بنَكالك جاهلٌ ، ولا بعقوبتك ولا بنظرك مستخفٌّ ، ولكن سوّلتْ لى نفسى ، وأعانتنى على ذلك شِقوَتى ، وغرّنى سترُك المرخَى علىّ ، فعصيتُك بجهلٍ وخالفتُك بجهلٍ ؛ فالآنَ من عذابك مَنْ يستنقِذُنى وبحبلِ مَنْ أعتصمُ إن قطعتَ حبلَك عنّى ، فواسَوأتاه من الوقوف بين يديك غدا ! إذا قيل للمخفّين : جُوزُوا ، وللمثقلين : حُطُّوا ؛ أفمع المثقَلين أحُطُّ أم مع المخفّين أجُوز ! ويلى ! كلّما كَبِرتْ سِنّى كَثُرتْ ذنوبى ؛ ويلى ! كلّما طال عمرى كثُرت مَعاصِىَّ فمِن كَمْ أتوبُ ! وفى كم أعودُ ! أما آن لى أن أستحيىَ من ربّى ! .

بلغنى عن الوليد بن مُسلم عن عثمان بن أبى العاتكة قال : كان داودُ النبىُّ عليه السلامُ يقول فى مُناجاته : سبحانَك إلهى ! اذا ذكرتُ خطيئتى ضاقت علىّ الأرضُ برُحْبها ، واذا ذكرتُ رحمتَك ارتدّ الىَّ رُوحى ، سبحانك إلهى ! أتيتُ أطباءَ عبادك ليُداووا لى خطيئتى فكلّهم عليك يَدُلُّنى .

حدّثنى بعضُ أشياخنا قال : كان داودُ الطائىّ يقول : همُّك عطّلَ علىّ الهمومَ ، وحالفَ بينى وبين السُّهادِ ، وشدّةُ الشفَق من لقائك أوبَقَ[2] علىَّ[3] الشهواتِ ،

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٤) : « وكان آخر يدعو بعرفات : يا رب لم أعصك إذ عصيتك ... الخ » مع اختلاف فى بعض الكلمات ونقص عما هنا .

(٢) أوبق : حبس . (٣) كذا فى الأصل ولعلها " عنى " ليستقيم المعنى .

ومنعنى اللذّاتِ ، فأنا فى طلبـك أيها الكريمُ مطلوبٌ(١) . وقال : تعبّـدَ ضيغمٌ قائمـا حتى أُقعِدَ ، وقاعدا حتى استلقَى ، ومُسـتلقيا حتى أُفحِمَ ؛ فلمـا جَهِدَ رفع بصرَه الى السماء وقال : سبحانك ، عجبا للخليقـة كيف أرادتْ بك بَدَلا ! وسـبحانك ، عجبا للخليقة كيف استنارت قلوبُها بذكرِ غيرك ! وعجبا للخليقة كيف أَنِسَتْ بسواك .

عُتبة أبو الوليد قال : كانت امرأة من التابعين تقول :

سـبحانك ، ما أضيقَ الطريقَ على من لم تكن دليلَه ، سـبحانك ما أوحشَ الطريقَ على من لم تكن أنيسَه .

أبو الحسن قال : كان عُروة بن الزُّبير يقول فى مناجاته بعد أن قُطعتْ رجلُه [ومات ابنُـه](٢) : كانوا أربعةً ، يعنى بنيه ، فأخذتَ واحدا وأبقيتَ ثلاثةً ، وكنّ أربعا يعنى يديْه ورِجليْه ، فأخذتَ واحدةً وأبقيتَ ثلاثا ، لَيمُنُكَ(٣) لئن كنتَ أخذتَ لقد أبقيتَ ، ولئن كنتَ ابتليتَ لقد عافيتَ .

وفى حديث بنى إسرائيل أنّ يونُسَ عليه السـلامُ قال لجبريلَ عليه السـلام : دُلَّنى على أعبدِ أهل الأرض فدلَّه على رجلٍ قد قَطَع الجُذامُ يديه ورِجليْه ، وذهب ببصرِه ، فسـمعه يقول : متّعتَنى ما شئتَ ، وسلبتَنى حين شئتَ ، وأبقيتَ لى فيك الأملَ يابارُّ يا وَصُولُ .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهـمّ اقطع حوائجى من الدنيا بالشوق الى لقائك ، واجعـل قُرّةَ عينى فى عبادتك ، وارزقنى غَمَّ خوفِ الوعيـد ، وشوقَ رجاءِ الموعود ، اَللهمّ إنك تعلم ما يُصلِحُنى فى دنياى وآخرتى فكن بى حفيًّا(٤) .

---

(١) فى الأصل : « مطلوبا » وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتناه . (٢) التكملة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥) . (٣) ليمنك : بمعنى قولهم : يمين الله .

(٤) الحفىّ : اللطيف البارّ المبالغ فى الإكرام .

باب البكاء

حدّثنى أبو مسـعود الدارمىّ (1) قال حدّثنى جدّى عن أنس بن مالك قال : جاء فتًى من الأنصار الى رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم [وقال] (2) : إن أمّى تُكثر البكاءَ وأخاف على بصرها أن يذهب ، فلو أتيتَها فوعَظتَها ! فذهب معه فدخل فقال لهـا فى ذلك ، فقالت : يا رسول الله ، أرأيتَ إن ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرت الى الجنة ، أيُبدلنى الله خيرا منه ؟ قال : « نعم » قالت : فإن ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرت الى النار ، أفيُعيد الله بصرى ؟ فقال النبىّ عليـه السلام للفتى : «إنّ أمّك صِدّيقةٌ » .

حدّثنى محمد بن عبيـد عن معاوية بن عمرو عن أبى (3) إسحاق عن الأوزاعىّ عن ثابت بن سعيد قال : ثلاث أعين لا تمسُّها النار ، عينٌ حَرَسَتْ فى سبيل الله ، وعينٌ سهِرتْ فى كتاب الله ، وعينٌ بكت فى سواد الليل من خشية الله .

أبو حاتم عن العُتبىّ قال حدثنا أبو ابراهيم قال : لا يكون البكاءُ إلا من فضلٍ فإذا اشتدّ الحزنُ ذهب البكاءُ ، وأنشد :

فلئن بكيناه يَحِقُّ لنـا * ولئن تركنا ذاك للكِبر (4)
فلمثله جرت العيونُ دَمًا * ولمثله جمَـدتْ فلم تجرِ

(1) لم نعثر على هـذه النسبة فى الكتب التى بين أيدينا فيمن كنيته أبو مسعود (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٧٧ من هذا المجلد فيما تقدّم) . (2) زيادة يقتضيها السياق .

(3) ورد فى الأصل : «أبيه» وهو تحريف لأن الاوزاعىّ ممن روى عنـه (أبو اسحاق الفزارىّ) ومعاوية المذكور هو ابن عمـرو بن المهلب الذى روى عن أبى اسحاق الفزارىّ أيضا فيتعين حينئـذ أن (أبا اسحاق) هو المقصود فى هذه الرواية . راجع تهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ٢١٥ وج ٦ ص ٢٣٨) وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣١ من هذا المجلد . (4) يوجد فى الأصل كلمة «للصبر» فوق كلمة «للكبر» ولعلها رواية نسخة أخرى .

بلغنى عن أبى الحارث الليث[1] بن سـعد عن أبيه عن ابن لَهِيعَة عن أبى قَبِيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال[2] : دخل يحيي بن زكريّا بيتَ المقــدس وهو ابنُ ثمَــانِى حِجج ، فنظر الى عُبّادِ بيت المقدس قد لبِسُوا مدارعَ الشَّعر ، وبَرانسَ الصــوف ، ونظر الى متهجِّديهم أو قال مجتهديهم قــد خرقوا التراقىَ ، وسلكوا فيهــا السلاسلَ ، وشــدّوها الى حنايا[3] بيت المقــدس ، فهاله ذلك ، فرجع الى أبويه فمرّ بصبيانٍ يلعبون فقالوا : يا يحيي هلمّ فلنلعبْ قال : إنى لم أُخلَق للّعب ، فذلك قول الله تعــالى : ﴿وآتيناه الحكمَ صبيًّا﴾ فأتى أبويه فسألهما أن يُدَرِّعاه الشَّــعَرَ ففعلا ، ثم رجع الى بيت المقــدس فكان يخدُمه نهــارا ويَصيحُ فيه ليــلا ، حتى أتت له خمسَ عشرةَ ســنة ، وأتاه الخوفُ فساح ولزم أطرافَ الأرض وغِيرانَ[4] الشّــعاب ، وخرج أبواه فى طلَبه فوجداه حين نزلا من جبال التِّيه على بُحيرة الأردنّ وقد قعــد على شَفير البُحَيرة وأنقعَ قدميه فى المــاء ، وقد كاد العطشُ يذبحُه وهو يقول : وعزّتِك لا أذوقُ باردَ الشراب حتى أعلَم أين مكانى منك ! فسأله أبواه أن يأكلَ قُرصا كان معهما من شَــعير ، ويشربَ من المــاء ففعلَ وكفَّر عن يمينه فمُدِحَ بالبِرّ ، قال الله عز وجل : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِياًّ﴾ وردّه أبواه الى بيت المقدس ،

(١) فى الأصل : « ... عن الحارث بن الليث ابن سعد » وهو تحريف ؛ اذ هو الليث بن ســعد ويكنى بأبى الحارث . ومما يؤيد ما ذهبنا اليه أن بن لهيعة ومن بعــده روى عنهم الليث بن ســعد ولذا ترجح لدينا أن ما ورد فى الأصل خطأ صوابه ما أثبتناه . راجع تهــذيب التهذيب (ج ٣ ص ٧٣ و ج ٨ ص ٤٥٩) وطبقات ابن ســعد (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٤ طبع « ليدن » سنة ١٣٣٨ هـ) . وورد فى الأصل : « أبى لهيعة » وهو تحريف والتصويب عن المصادر المتقدمة .

(٢) فى قصص الانبياء (ص ٢٨٨) : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كان من زهد يحيي أنه أتى بيت المقدس ... الخ » . ووردت فيه هذه القصة باختلاف فى بعض الالفاظ وزيادات عما هنا .

(٣) فى قصص الأنبياء : « ... وشدّوا بها الى سوارى المسجد » .

(٤) غيران : جمع غار وهو ما ينحت فى الجبل كالمغارة يأوى اليه الوحوش فاذا اتسع قيل له : كهف .

فكان اذا قام فى صلاته بكى ، ويبكى زكريّا لبكائه حتى يُغمى عليه ، فلم يزل كذلك حتى خرقتْ دموعُه لحمَ خدّيه ، وبدَتْ أضراسُه ، فقالت له أمه : يا يحيى ، لو أذنتَ لى لاتّخذتُ لك لِبدًا يُوارِىَ أضراسَك عن الناظرين ؛ قال : أنتِ وذاكِ ، فعمَدَتْ الى قِطْعَتَىْ لُبودٍ فألصقتهما على خدّيه ، فكان اذا بكى استنقعتْ دموعُه فى القطعتين فتقومُ اليــه أمُّهُ فتعصِرُهما بيديها ، فكان اذا نظر الى دموعه تجرى على ذراعَىْ أُمّه قال : اللهمَّ هذه دموعى وهذه أُمّى وأنا عبدُك وأنت أرحمُ الراحمين .

بلَغنى عن أبى معاوية عن أبى إسحـاق الخَمِيسىّ(١) قال كان يزِيدُ الرَّقاشىّ يقول : ويحك يا يزيدُ ! مَن يصومُ عنـك ! مَن يصلّى عنك ! ومن ذا يترضّى لك ربَّك من بعـدك ! ثم يقول : يا معشرَ مَنِ الموتُ موعدُه ، والقبْرُ بيتُـه ألا تبكون ! قال : فكان يبكى حتى تسقطَ أشفارُ(٢) عينيه .

بلَغنى عن محمّـد بن فُضَيل عن العَلاء بن المسـيَّب عن الحَسَن قال : قال النبىّ صـلّى الله عليـه وسـلّم : « مَا مِنْ قطرةٍ أحبُّ الى الله مِنْ قطرةِ دمٍ فى سبيله وقطرةِ دمعٍ فى جوف الليـل من خشيته ، وما من جَرْعةٍ أحبُّ الى الله من جَرْعةِ مصيبةٍ مُوجِعةٍ ردّها بصبرٍ وحُسْن عزاؤه ، وجرعةِ غيظٍ كظَمَ عليهـا »

مُعتَمِر بن سليمان عن رجلٍ قال : كان فى وجنتَىِ ابن عباس خطّان من أثر الدموع .

(١) فى هامش تهـذيب التهذيب ما نصـه : « والخميسىّ بفتح المعجمة وكسر السين المهملة كذا فى الخلاصة والتقريب » وفى هامش الخلاصة «أن السمعانىّ صاحب الأنساب ضبطه بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء التحتانية ثم مهملة مكسورة وهكذا فى لب اللباب » . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) وهو ما يقتضيه نص اللغة ، ففى تاج العروس : « الشفر بالضم ويفتح : أصل منبت الشعر فى الجفن ويجمع على أشفار ، قال سيبويه : ولا يكسر على غير ذلك » . وفى الأصل : « شفار » .

حدّثنى محمّدُ بن داو[1] عن سـعيد بن نُصَيْرٍ قال حدّثنـا سَيّار عن جعفرٍ قال : كنتُ اذا أحسستُ من قلبى بقسوةٍ أتيتُ محمدَ بن واسعٍ فنظرتُ اليه نظرةً، قال : وكنت اذا رأيت وجهَـه حسبتُه وجهَ ثَكلَى .

وكان يقال : أخوك مَنْ وعَظَك برؤيته قبلَ أن يعظَك بكلامه .

تكلّم الحسَن يوما حتى أبكَى مَن حولَه فقال : عَجِيجٌ[2] كعجيج النساء ولا عزم ، وخدعةٌ كخدعة إخوة يوسف جاءوا أباهم عِشاءً يبكون .

أبو عاصم قال : فقَـدَ مالكُ بن دينـار مصحفَه فى مجلسه ، فنظر اليهـم كلِّهم يبكون ، فقـال : كلُّكم يبكى ! فمن سَرق المصحف ؟ .

قال عبد العزيز بن مرزوق : الكمد أبقَى للحزن ، وكانت له شُعَيراتٌ فى مُقـدَّم صُدْغه فإذا رقّ نتفها أو مدَّها الى فوق فتقلَّص دمعُـه .

قيل لغالب بن عُبيد[3] الله : إنا نخاف على عينك العمى من طول البكاء ، فقال : هُوَ لها شهادة ، قال بعض الشعراء :

سأبكيك حتى تُنفِدَ العينُ ماءَها * ويَشـفِىَ منّى الدمعُ ما أتوجّعُ

وقال بعض الكُتّاب فى مثله :

إبك فمن أنفع مافى البكا * أنّه للأحزانـ تسهيلُ
وهو إذا أنت تأمّلتَـــه * حُزْنٌ على الخدّين محلولُ

قيل لعُفَيْرَةَ العـابدة : ألا تسأمين من طول البكاء ؟ فبكت ثم قالت : كيف يسأم ذو داءٍ من شىءٍ يرجو أن يكونَ له فيه من دائه شفاء ! .

(١) كذا فى الأصل ، ولعله محرف عن «داود» . (٢) العجيج : الصياح ورفع الصوت .
(٣) كذا فى الأصـل وفى طبقات ابن سـعد (ج ٧ قسم ثان ص ١٨١) . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) والبيان والتبيين (ج ٣ ص ٨١) : «غالب بن عبد الله» .

قال ابن أبي الحَوَاريّ : رأيت أبا سليمان الدارانيّ يبكى، فقلت له : ما يُبكيك؟ فقال : إنما أبكي لذلك الغمّ الذى ليس فيه فرحٌ، وذلك الأمدِ الذى ليس له انقطاعٌ .

قال بعضهم : أتيتُ الشامَ ، فمررتُ بدير حَرْمَلَة ، وبه راهبٌ كأن عينيه عِدْلَا مَزادٍ؛ فقلتُ : ما يُبكيك ؟ فقال : يا مسلمُ، أبكي على ما فرَّطتُ فيه من عمرى ، وعلى يومٍ مضى من أجلى لم يَتبيَّنْ(١) فيــه عملى . قال : ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ عنه؛ فقالوا : أسلمَ وغزَا فقُتِل فى بلاد الروم .

أشعث قال : دخلتُ على يزيد الرَّقاشيّ فقــال لى : يا أشعثُ ، تعــالَ حتى نبكيَ على المـاء البارد فى يوم الظمأ ، ثم قال: والهفاه! ســبقني العابدون وقُطِعَ بى؛ وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة .

زيد الحميريّ(٢) قال : قلتُ لثوبانَ الراهب : أخبرنى عن لُبْس النصارى هــذا السوادَ، ما المعنى فيه ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصائب؛ قال فقلتُ : وكلّكم معشرَ الرهبان قد أُصيبَ بمصيبة ؟ فقال : يرحمــك الله ! وأىّ مصيبةٍ أعظمُ من مصائب الذنوب على أهلها! قال زيد(٣) : فلا أذكر قولَه ذلك إلا أبكانى .

ابن أبي الحَوَاريّ قال : دخلت على أبي سليمان وهو يبكى؛ فقلت : ما يُبكيك؟ قال : يا أحمد، إنه إذا جنّ الليلُ وهــدأت العيونُ وأنِسَ كلُّ خليلٍ بخليله، فرَشَ أهلُ المحبة أقدامَهم، وجرت دموعُهم على خدودهم يُســمع لها وقْعٌ على أقدامهم، وقد أشرف الجليلُ عليهــم فقال : بعيني مَنْ تلذَّذ بكلامى واســتراح الىّ ، فمــا هذا البكاء الذى أراه منكم ! هل أخبركم أحدٌ أنّ حبيبا يعذِّبُ أحباءَه ! أم كيف أُبيِّتُ

(١) فى العقد الفريد : «لم يحسن فيه عملى» . (٢) هكذا فى الأصل، وفى العقد الفريد «أبو زيد الحميرىّ» . (٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٦٨) : «وقال أبو زيد» .

قوما، وعند البيات أجدهم وقوفا يتلقوننى! فبى حلفتُ أن أكشفَ لهم يومَ القيامة عن وجهى ينظرون الىّ .

قالت خنساء : كنتُ أبكى لصخرٍ من القتل، فأنا أبكى له اليوم من النار .

قال عمر بن ذرّ لأبيــه : يا أبتِ، مالَكَ اذا تكلّمت أبكيتَ الناسَ، واذا تكلّمَ غيرُك لم يُبكهم؟ فقال : يا بنىّ، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجَرة .

وفى بعض ما أوحى الله الى نبىٍّ من أنبيائه: هبْ لى من قلبك الخشوعَ ، ومن بَدَنك الخضوعَ، ومن عينك الدموعَ، وادعُنى، فإنى قريب .

وكان عمر يقول : استغزروا العيون بالتذكّر .

التهجـــــد

حدّثنـا حسين بن حسن المَرْوَزىّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنى مَعْمَر والأوزاعىّ عن يحيى بن أبى كَثِير(١) عن أبى سلَمَة عن أبى زَمَعة بن كعب الأسلمىّ قال : كنتُ أبيتُ عنــد حُجرة النبىّ صلى الله عليــه وسلم فكنت أسمعُ، اذا قام من الليل، "سبحانَ اللهِ ربِّ العالمين" الهَوِىَّ(٢) من الليل، ثم يقول : "سبحانَ اللهِ وبحمده" الهَـــوِىَّ .

حدثنا حسين قال حدّثنـا سفيان بن عُيَينة عن زياد بن عِلَاقَة(٣) قال : سمعتُ المُغيرةَ بن شُـعْبة يقول : قام رسول الله صلّى الله عليــه وسلّم حتى تورّمت قَدَماه ؛

---

(١) فى الأصــل : «يحيى بن أبى كثين» وهو تحريف . والتصويب من تهذيب التهذيب والخلاصة وتقريب التهذيب . (٢) الهوىّ بالفتح : الحين الطويل من الزمان، وقيل هو مختص بالليل . (لسان العرب) . (٣) فى الأصل : «زياد عن علاقة» بالفاء وهو خطأ صوابه «زياد بن علاقة» كما وضعناه . (راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٣٨٠ وج ٤ ص ١١٧ وج ١٠ ص ٢٦٢ وطبقات ابن سعد (ج ٦ ص ٢٢١) .

فقيل: يارسول الله، قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، قال: "أفلا أكون عبدا شكورا".

حدّثنا حسين قال حدّثنا عبـد الله بن المبارك قال أخبرنا حمّـاد بن سلَمة عن ثابت البُنَانِيّ عن مُطَرِّف بن عبد الله عن أبيه قال: أتيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلّي ولجوفه أزيز كأزيز المِرْجَل.

بلغني عن رَبَاح عن مُعْتَمِر عن رجلٍ قد سمّـاه قال: قال يزيد الرَّقَاشيّ: اذا أنا نِمتُ ثم استيقظتُ ثم نِمتُ فلا نامت عيناي. وعلى المـاءِ البارد السلامُ. يعني بالنهـار.

وروى جَرير عن عطاء بن السائب قال: قال عبيدة بن هلال الثقفي[(1)]: لايشهد عليّ ليـلٌ بنومٍ ولا شمسٌ بإفطارٍ، فبلغ ذلك عمرَ فأقسم عليه لَيُفطرنّ العيدين.

وروى حمّاد بن سَلَمة عن أبي جعفر الخَطميّ عن جدّه عُمَير بن حبيب قال: كان يقول لأهله: ياأهلاه، الدُّلجةَ الدُّلجةَ، إنه من يسبِق الى المـاء يظمأ، ياأهلاه، الدُّلجةَ الدُّلجةَ، إنه من يسبق الى الظلّ يَضْحَى.

قال أبو سليمان الداراني: أهلُ الليل في ليلهم ألذّ من أهـل اللهو في لهوهم، ولولا الليلُ ما أحببتُ البقاء.

خرج عيسى عليه السلام على الحواريّين، وعليهم العَبَاءُ[(2)] وعلى وجوههم النور، فقال: ياأبناءَ الآخرة، ما تنعّم المتنعّمون إلا بفضل نعيمكم.

---

(1) هكذا في الأصل، ولم نوفق إلى تحقيق هذه النسبة لمن يسمى «عبيدة بن هلال» ولم نعثر عليه لا في كتب تراجم الرواة ولا في كتب الأنساب وغيرها من الكتب التي بين أيدينا؛ وفي البيان والتبيين (ج ٣ ص ٨٠): «... عن عبدة الثقفي ...». (٢) العباء بالفتح: كساء من صوف مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب.

وقيل للحسن : ما بالُ المتهجّدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال : إنهم خَلَوا بالرحمن فألبسهم (١) نورا من نوره .

حُصَين بن عبـد الرحمن عن إبراهيم قال : كان رجلٌ يقال له همـام (٢) يقول : اللهمّ آشفِني من النوم باليسيـر، وآرزقني سهرا فى طاعتك . وكان يُصبح وجُمّتـه (٣) مُرَجَّلة، فيقول بعضُهم لبعض : إن جُمّةَ همام تخبركم أنه لم يتوسّدها الليلة .

قال عبد الله بن داود : كان أحدُهم اذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشَـه . وكان بعضهم يُحيي الليلَ، فإذا نظر الى الفجر قال : "عند الصباح (٤) يَحْمَدُ القومُ السُّرَى" .

حدّثنا حسين بن حسن قال : أخذ الفُضَيل بن عياض بيدى ثم قال : ياحسين، يقول الله : كَذَبَ من ادّعى محبتى واذا أجَنَّه الليلُ نام عنى، أليس كلّ حبيبٍ يُحبّ خلوةَ حبيبه ! هاأنذا مُطَّلِـعٌ على أحبّائى، إذا أجَنَّهم الليلُ جعلتُ أبصارَهم فى قلوبهم، ومثّلتُ نفسى بين أعينهم، فخاطَبونى على المشاهدة وكلّمونى على الحضور .

الوليد بن مسلم قال حدّثنى عبد الرحمن بن يزيد قال : كُنّا نعازى (٥) عطاء الخُراسانىّ فكان يُحيي الليلَ صلاةً، فاذا مضى من الليل ثُلُثُه أو أكثرُ نادانا ونحنُ فى فِسطاطنا : ياعبـدَ الرحمن بن يزيد ، ويايزيد بن يزيد ، ويا هشام بن الغاز (٦) ، قوموا فتوضّئـوا

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) : «فأسفر نورهم من نوره» . (٢) سموا بهمام بالفتح والتشديد وهمام بالضم والتخفيف . ولم نستطع ضبطه هنا لأنه ورد مجردا . (٣) الجمة بالضم : مجتمع شعر الرأس . ومرجلة : مسرحة . (٤) هذا مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة . (٥) هكذا فى الأصل، والمعنى معه غير مستقيم . ويظهر من سياق الكلام أن كلمة «نعازى» الواردة فى الأصل محرّفة عن كلمة «نقارئ» من قارأه مقارأة اذا دارسه أى شاركه فى الدرس؛ وبهـا يلتئم نظم الكلام ويستقيم المعنى . (٦) كذا بالأصل وتهذيب التهذيب وتقريب التهـذيب . وفي الخلاصة : «الغازى» بياء بعد الزاى المعجمة .

وصلُّوا، فإنّ قيامَ هذا الليل وصيامَ هذا النهـار أيسرُ من شرب الصـديد ومن مُقطّعات الحديد، فالوَحَا الوحا ثم النجاءَ النجاء، ويُقبل على صلاتِه .

مالك بن مِغْوَل[1] عن رجل من جُعْفِيّ[2] عن السدىّ عن أبى أراكة قال : صَلَّى علىٌّ الغـداةَ ثم جلس حتى آرتفعت الشمسُ كأنّ عليه كآبةً، ثم قال : والله ، لقـد رأيتُ أثرا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فما أرى أحدا يُشبههم، والله إن كانوا لَيُصبحون شُعْثًا غُبْرا صُفْرا، بين أعينهم مثل رُكَبِ المِعْزَى، قد باتوا يتلُون كتابَ الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكروا الله مادوا كما يميدُ الشجر فى يوم ريح، وآنهملت أعينُهم حتى تَبُلَّ ثيابَهم، وكأنهم، والله، باتوا غافلين . يريد أنهم يستقلّون ذلك .

المحاربىّ عن الإفريقىّ قال حدّثنا أبو عَلْقَمة عن أبى هريرة قال: إن أهلَ السماء ليرَوْن بيوتَ أهلِ الذكر تُضِيءُ لهم كما تضيء الكواكبُ لأهلِ الأرض .

يَعْلَى بن عُبَيْد عن محمّد بن عَوْن عن إبراهيم بن عيسى عن عبـد الله بن عيسى قال : كونوا ينابيعَ العلم، مفاتيحَ الهدى، أحلاسَ[3] البيوت، جُدُدَ القلوب، خُلقانَ الثياب، سُرُجَ الليل، تُعْرَفوا[4] فى أهل السماء، وتَخْفَوا فى أهل الأرض .

حدّثنى محمـد بن داود قال حدّثنا أبو الربيع الزَّهْرانىّ قال حدّثنا أبو عَوَانة عن المغيرة عن إبراهيم : فى الرجل يرى الضوءَ [بالليل][5]، قال: هو من الشيطان، لو كان هذا فضلا لأُوثِر به أهلُ بدر .

---

(١) كذا فى تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال والقاموس وشرحه . وفى الأصل : « معول » بالعين المهملة، وهو تحريف . (٢) جعفى : قبيلة من مذحج . (٣) الأحلاس جمع حلس (بكسر الحاء وسكون اللام) وهو من يلازم البيت ولا يبرحه ؛ ومنـه الحديث الشريف : « كونوا أحلاس بيوتكم » أى الزموها . (٤) فى الأصل : « تعرفون ... وتخفون ... » وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتناه ؛ لوقوعهما جوابا للأمر . (٥) التكملة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) .

المـــــوت

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنى عيسى بن ميمون عن محمـد بن كعب قال : نظرت الى عمر بن عبـد العزيز فأدَمتُ النظرَ اليه ، قال : ما تنظرُ يا محمد ؟ قلت : أنظر الى ما ٱبيضّ من شعرك ، ونحَلَ من جسمك ، وتغيّرَ من لونك ، فقال : أمَا والله لو رأيتنى فى القبر بعد ثالثـة ، وقد سالتْ حدقتاى على وجنتىّ ، وسال منخراى صديدا ودودا ، لكنتَ أشدَّ نَكْرَةً(١) .

وقال الأصمعىّ : دخلتُ بعضَ الجَبَابين(٢) ، فإذا أنا بجاريةٍ ما أحسبها أتت عليها عَشْرُ سنينَ ، وهى تقول :

عَدِمتُ الحيـاةَ ولا نلتُها * إذا كنتَ فى القبر قد ألحدوكا
وكيف أذوق لذيذ الكرى * وأنت بيمناك قد وسّـدوكا

قال الأزدىّ : بلغنى أنّ داود الطائىّ مرَّ بامرأة تبكى عنـد قبرٍ وهى تقول : يا أخاه ! ليت شعرى :

بأىّ خدَّيك تبدَّى البِلى * وأىُّ عينيـك إذًا سالا

فصعِق مكانه ثم تعبَّد .

حدّثنى محمـد بن مرزوق قال حدّثنا محمد بن نصر المعـلّم قال حدّثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال :

أتيت القبـورَ فناديتُهـنّ أيـن المعظَّم والمحتقَرْ
وأين المُـدِلُّ بسـلطانه * وأين المزكَّى اذا ما ٱفتخَرْ

---

(١) النكرة (بفتح النون والكاف) : اسم من الانكار . (٢) الجبابين جمع جبانة ، وهى المقبرة .

قال : فنوديتُ من بينها ولا أرى أحدا :

تفانَوا جميعًا فما مُخبِرٌ * وماتوا جميعا وماتَ الخبَرْ
تروحُ وتغدو بنـاتُ الثرى * وتُمْحَى(١) محاسنُ تلك الصُّوَرْ
فياسائلى عن أناسٍ مَضَوْا * أمَا لك فيما ترى مُعتَبَرْ

قال : فرجعت وأنا أبكى .

بلغنى أنه قرئ على قبرٍ بالشام :

باتوا على قُلَلِ(٢) الأجبال تحرُسُهم * غُلْبُ الرجالِ فلم تنفعهم(٣) القُلَلُ
واستُنْزِلوا بعـد عزٍّ من معاقلهم * فأُسكِنوا حُفْرةً يابئس ما نزلوا
ناداهُمُ صارخٌ من بعـد ما دُفنوا * أين الأسرَّةُ والتيجانُ والحُلَلُ
أين الوجوهُ التى كانت مُحَجَّبةً(٤) * من دونها تُضرَبُ الأستارُ والكِلَلُ(٥)
فأفصحَ القبرُ عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوهُ عليها الدودُ تقتتلُ(٦)
قد طال ما أكلوا دهرا وما نَعِموا(٧) * فأصبحوا بعدطولالأكل قدأُكِلُوا

وقال آخر :

ربَّ قوم غَبَروا من عيشهم * فى نعيم وسرورٍ وغَدَقْ
سكتَ الدهرُ زمانا عنهمُ * ثم أبكاهم دمًا حين نَطَقْ

---

(١) فى الإحياء للغزالى : « فتمحو ... » . (٢) القلل : جمع قلة ، وهى أعلى الجبل .
(٣) فى تاريخ أبى الفدا (ج ٢ ص ٤٧ طبع الآستانة) : « فما أغنتهم » . (٤) فى تاريخ أبى الفدا : « منعمة » . (٥) الكلل : جمع كلة (بكسر الكاف) وهى الستر الرقيق المعروف فى زمننا هـذا بالناموسية . (٦) فى تاريخ أبى الفدا : « يقتتل » ، وفى اسم الجنس ، كالدود هنا ، يجوز الامران . (٧) فى تاريخ أبى الفدا : « شربوا » .

نزل النّعمان ومعه عدىّ بن زيد فى ظلّ شجرةٍ عظيمةٍ ليلهُوا، فقال له عدى بن زيد : أتدرى ما تقولُ هذه الشجرةُ ؟ قال : لا، قال تقول :

ربَّ شَرْبٍ[1] قد أناخوا عندنا * يشربون الخمرَ بالمـاءِ الزلالِ
ثم أضحَوْا لَعِب الدهرُ بهم * وكذاك الدهرُ حالًا بعد حالِ

وقال ابراهيم بن المهدى :

بالله ربِّك كم بيتٍ مررتَ به * قد كان يُعْمَر باللذّات والطربِ
طارتْ عُقابُ[2] المنايا فى سقائفه * فصار من بعدها للويلِ والحربِ

أنشـدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل بن أحمـد العروضىّ :

كن كيف شئتَ فقَصْرُكَ[3] الموتُ * لا مَزْحَلٌ عنـــه ولا فَوْتُ
بينـا غِنَى بيتٍ وبهجـــتُه * زال الغنَى وتقـــوّضَ البيتُ

حدّثنى يزداذ[4] بن أسـد عن الطّنافسىّ قال حدّثنا أبو محمد قال : كان مالك بن دينار يخرج الى القبور كلَّ خميس على حِمار قوطرانىّ[5] ويقول :

ألا حَىِّ القبـــورَ ومن بهنّهْ * وجوهٌ فى القبـــورِ أُحِبُّهُنَّهْ
فلو أنّ القبورَ سمعنَ صوتى * إذًا لأجبننى من وجدِهِنّــهْ
ولكنّ القبــورَ صمَتْنَ عنّى * فأُبْتُ بحسرةٍ من عندِهِـــنّهْ

---

(١) فى الكامل للمبرد (طبع أوروبا صفحة ٢٨٣) : «رب ركب... حولنا * يمزجون...» وفى البيت الثانى «عصف» بدل «لعب» . (٢) فى الأصل : «عقار المنايا» . (٣) قصرك : قصاراك وغايتك . (٤) كذا بالأصل ، ولم نجد فى مصدر آخر مسمى بهذا اللفظ وإنما سموا يزداد (بالدال) ويزدان (بالنون) . (٥) كذا بالأصل ولم نوفق الى هذه النسبة .

ثم يبكى ونبكى .

قال معاوية بن أبى سـفيان لعُبَيد بن شرية الجُرْهُمىّ : أخبرنى بأعجبِ شىءٍ رأيتَه فى الجاهليّة؛ فقال : إنى نزلتُ بحىٍّ من قُضاعة فخرجوا بجنازةِ رجلٍ من عُذرةَ يقال له حُرَيث وخرجتُ معهم، حتى اذا واروْه فى حفرته انتبذتُ جانبـا عن القوم وعيناى تَذْرِفان ثم تمثّلتُ بأبياتِ شعرٍ كنتُ أَرويها قبل ذلك بزمانٍ طويلٍ :

تجرى أمورٌ ولا تَدْرى : أوائلُهـا * خَيْرٌ[1] لنفســـك أم ما فيـــه تأخيرُ
فاســـتقدرِ اللهَ خيرا وارضَـينّ به * فبينما العسرُ إذ دارت مياســـيرُ
وبينما المرءُ فى الأحيـاءِ مغتبطًا * إذ صار فى الرمس تعفوه الأعاصيرُ
يبكى الغريبُ عليـــه ليس يعرفه * وذو قرابتـــه فى الحىّ مسرورُ

قال : والى جانبى رجلٌ يسـمع ما أقول، فقال لى يا عبـدَ الله، هل لك علمٌ بقائلِ هذه الأبيات ؟ قلتُ : لا والله، إلا أنّى أَرويها منذُ زمانٍ ؛ فقال : والذى تحلِفُ به إن قائلَها لصاحبُنا الذى دفنّاه آنفا، وهذا الذى ترى ذو قرابته أسرّ الناس بموته، وإنك لغريبٌ وتبكى عليه كما وصفتَ؛ فعجبتُ لمـا ذكره فى شعره وما صار اليه من أمره وقوله، كأنه ينظر إلى مكانى من جنازته، فقلت : «إنّ البلاء موكَّلٌ بالقول»، فذهبتْ مثلا .

قال أعرابىٌّ : خيرٌ من الحياة ما اذا فقدتَه أبغضتَ لفقده الحيـاةَ، وشرٌّ من الموت ما اذا نزل بك أحببت لنزوله الموت .

---

(١) فى درة الغواص للحريرى (ص ٣٢ طبعة الجوائب) : "وما تدرى أعاجلها * أدنى لرشدك"
وفى الأصل هنا : ولا يدرى أوائلها * خيرا الخ ... ... وهو تحريف .

وقال أبو زُبَيد :

يَملكُ المرءُ بالرجاءِ ويُضحى * غَرَضا للمنون نَصْبَ العودِ
كلَّ يومٍ ترميه منها بَرَشْقٍ (١) * فمصيبٌ أو صافَ (٢) غير بعيد

وقال أبو العتاهية :

وعظتْك أجداثٌ صُمُتْ * ونَعَتْك أزمنةٌ خُفُتْ
وتكلّمتْ عن أوجهٍ * تَبلى وعن صور شُتُتْ (٣)
وأرتك قبرَكَ فى القبو * رِ وأنت حىٌّ لم تمُتْ

وقال أعرابىٌّ : أبْعدَ سفرٌ أوّلُ مَنْقَلةٍ (٤) منه الموتُ . وقيل لأعرابىّ : مات فلانٌ أصحَّ ما كان؛ فقال : أوَ صحيحٌ مَن الموتُ فى عُنقِه ! وقال بعض المحدَثين :

اِسمعْ فقد أسمعك الصوتُ * إن لم تبادر فهو الفوتُ
بل كُلْ اذاشئت وعِشْ ناعما * آخرُ هذا كلِّه الموتُ

وكان صالح المرّىّ يقول فى قَصَصه :

مؤمِّلُ دنيا لتبقَى له * فماتَ المؤمِّلُ قبل الأَمَلْ
وباتَ يُروِّى أصولَ الفَسيلْ (٥) * فعاش الفسيلُ ومات الرجُلْ

وقال مسلم بن الوليد :

كم رأينا من أناس هلكوا * وبكَى أحبابُهم ثم بُكُوا
تركوا الدنيا لمن بعدهمُ * وُدُّهم لو قدموا ما تركوا

(١) الرشق : الشوط من الرمى . (٢) صاف السهم عن الهدف : عدل عنه ولم يصبه .
(٣) كذا فى ديوان أبى العتاهية طبع بيروت . وفى الأصل والمسعودى : « وعن صور سبت » .
(٤) المنقلة (بالفتح) : المرحلة من مراحل السفر . (٥) الفسيل : صغار النخل .

كم رأينـا من ملوكٍ سُوقةً * ورأينـا سُوقةً قـد مَلَكوا

قَلَبَ الدهرُ عليهـــم ورَكا * فاستداروا حيث دار الفَلَكُ

حدّثنى أبى عن أبى العتاهيـة أنه قرئ له بيتـان على جدارٍ من جُدُر كنيسة القسطنطينية :

ما آختلف الليلُ والنهارُ ولا * دارتْ نجومُ السماءِ فى الفلَكِ

إلا بنقلِ السلطانِ عن مَلِكٍ * كان يحبُّ الدنيا الى مَلِكِ

وقال آخر:

ما أنزل الموتَ حقَّ منزلِه * من عدّ يوما لم يأتِ من أجَلِهْ

والصدقُ والصبرُ يبلُغان بمن * كانا قرينيْـــه منتهى أملِهْ

عليك صدقَ اللسان مجتهدا * فإنّ جُلَّ الهـــلاك فى زلَلِهْ

وقال الطِّرِمّاح :

فيارَبِّ لا تجعـــلْ وفاتى إن أتت * على شَرجعٍ[1] يُغـــلَى بدُكْنِ المطارفِ

ولكن أجِزْ يومى[2] شهيدًا وعُصْبةً * يصابون فى فجٍّ من الأرض خائفِ

عصائبُ من شتَّى يؤلِّفُ بينهـــم * هُـــدى اللهِ نزّالون عنـد المواقفِ

اذا فارقوا دنيـاهمُ فارقوا الأذى * وصاروا الى موعودها[3] فى المصاحفِ

فأُقتَـــلْ قَعْصًا[4] ثم يُرمَى بأعظمى * كضِغْثِ[5] الخَلَا بين الرياح العواصفِ

ويُصبِـــح لحى بطنَ طيرٍ مقيـلةً * دُوَينَ السماء فى نســـورٍ عوائفِ[6]

(١) الشرجع : النعش . (٢) رسمت هذه الجملة فى الأصل هكذا : «ولكن أخر يومى» . وقد وردت هذه الأبيات فى الأغانى فى ترجمة الطرماح باختلاف كثير فى الكلمات عما هنا . (٣) فى الأغانى (ج ١٠ ص ١٦٠ طبع بولاق) : «الى ميعاد ما فى المصاحف» . (٤) قعصه قعصا : قتله مكانه . (٥) الضغث : قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس . (٦) العوائف من الطير : التى تستدير على الشىء، حائمة حوله تريد الوقوع .

وُهَيب بن الوَرْد قال : اتّخذ نوح بيتـا من خُصٍّ ، فقيل له لو بنيت بيتـا ؟ فقال : هذا لمن يموت كثيرٌ.

بلغنى عن إسماعيل بن عَيّـاش عن شُرَحْبيل بن مسـلم أن أبا الدّرداء كان اذا رأى جنازةً قال : إغْدِى فإنّا رائحون ،أو قال : روحى فإنا غادون . وهذا مثل قول لبيد :

وإنا وإخواناً لنا قد تتابعوا * لكالمغتـدى والرائح المتهجِّرِ(١)

بلغنى عن وَكيع عن شَريك عن منصور عن هلال بن إساف قال : ما من مولود يولد إلا وفى سرّته من تُربة الأرض التى يموت فيهـا .قال الأصمعىّ : أوّل شعر قيل فى ذمّ الدنيا قول ابن خَذّاق(٢) :

هل للفتى من بناتِ الدهر من راقى * أم هل له من حِمـام الموت من واقى
قـد رجّلونى وما رُجِّلتُ من شَعَثٍ * وألبســونى ثيـابا غيرَ أخــلاقِ
وطيّبــونى وقالوا أيّمـا رجــلٍ * وأدرجــونى كأنّى طىّ مخــراقِ(٣)
هوِّن عليــك ولا تُولَع بإشــفاقِ * فإنمـا مالُنا للــوارث البـاقى

محمد بن فُضَيل عن عُبيـد الله بن عُمَير قال : جاء رجل الى النبىّ عليـه السلام فقال : يا نبىَّ الله ، مالى لا أحبُّ الموت ؟فقال له : «هل لك مال» ؟قال : نعم ؛قال : «قدّمه بين يديك» ؛قال : لا أُطيق ذلك ؛قال : فقال النبىُّ عليه السلام: "إنّ المرءَ مع ماله إنْ قدّمه أحبَّ أن يَلْحَقَ به وإن أخّره أحَبَّ أن يتخلّف معه " .

المحاربىّ عن عبـد الملك بن عُمَير قال : قيل للربيع بن خُثَيْم فى مرضه : ألا ندعو لك طبيبا؟ قال : أنظرونى ؛ثم فكر فقال : (وعادًا وثَمُودَ وأصحابَ الرَّسِّ وقُرُونًا

(١) كذا فى ديوان لبيد، وفى الأصل «المتبجر» بالباء وهو تحريف . (٢) كذا فى كتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى والقاموس وشرحه مادة «خذق» وفى الأصل «حلاق» وهو تحريف .

(٣) مخراق : ثوب أو منديل يلف ويضرب به .

بينَ ذلكَ كثيرًا) قد كانت فيهـم أطباءُ، فمـا أرى المداوِى بَقِى ولا المُداوَى؛ هلك الناعتُ والمنعوتُ له، لا تدعوا لى طبيبا .

إسحاق بن سليمان عن أبى أحمد قال : كان عمر بن عبد العزيز ليس له هِجِّيرَى[1] إلا أن يقول :

تُسَرُّ بمـا يَبْلَى وتفرَحُ بالمـــنى * كما اغترّ باللذّاتِ فى النوم حالمُ
نهارُك يا مغــرورُ سهوٌ وغَفْلةٌ * وليــلُك نومٌ والرّدَى لك لازمُ
وسعيُك فيما سوف تكره غِبَّـــهُ * كذلك فى الدنيـا تعيشُ البهائمُ

كم من مستقبِلٍ يوما ليس بمستكمله ، ومنتظِرٍ غدا ليس من أجله ؛ لو رأيتم الأجل ومسيرَه، لأبغضتم الأملَ وغرورَه .

لا يلبث القُرَناء أن يتفرقوا * ليل يَكُرّ عليهـــمُ ونهارُ

يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن وَرْد عن سالم بن بَشير ابن جَحْل عن أبى هريرة : أنه بكى فى مرضه فقــال : أمَا إنّى لا أبكى على دنياكم ولكنّى أبكى على بعد سفرى وقلّة زادى ، وأنى أمسيتُ فى صُعودٍ مهبِطُه على جنةٍ أو نار، ولا أدرى على أيّهما يؤخذ بى ! .

أبو جَنَاب قال : لـمـا احتُضر معاذٌ قال لجاريتــه : ويحكِ ! هل أصبحنا ؟ قالت : لا ؛ ثم تركها ساعةً ثم قال لها : انظُرِى ! فقالت : نعم؛ فقال : أعوذ بالله من صباح الى النار ! ثم قال : مرحبا بالموت، مرحبا بزائرٍ جاء على فاقةٍ، لا أفلح مَنْ نَدِم ! اللهمّ إنك تعلم أنّى لم أكن أُحبُّ البقاءَ فى الدنيا لكَرْى الأنهارِ ولا لغرس الأشجارِ ، ولكن كنت أُحبُّ البقاءَ لمكابدة الليــل الطويل ولظمأ الهواجر فى الحرِّ الشديد ولمزاحمةِ العلمـاءِ بالرُّكَبِ فى حِلَق الذِّكر .

(١) الهِجِّيرى : الدأب والعادة .

أبو اليَقْظان قال : لمــا احتُضِر عمرُو بن العاص جعــل يدَه فى موضع الغُلّ من عنقه ثم قال : اللهــمّ إنك أمرتَنا ففرّطْنا، ونهيتنا فركبنا ، اللهمّ إنه لا يَســعُنا إلا رحمتُك؛ فلم يزل ذلك هِجِّيراه حتى قُبض .

قيل لأزاذ مَرْد[1] بن الهِرْبِذ حين احتُضِر : ما حالُك ؟ فقال : ما حال من يريد سفرا بعيــدا بلا زاد، وينزلُ حفرةً من الأرض مُوحِشةً بلا مؤنس، ويَقْــدَمُ على ملِكٍ جبّارٍ قد قَدّم اليه العــذرَ بلا حُجّة !

حدّثنى عَبْدَةُ الصفّارُ قال حدّثنى العَلاء بن الفضل قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيــه قال : سمعتُ أميّةَ بن أبى الصّلْت عنــد وفاته وأُغمِىَ عليــه طويلا ثم أفاق، ورفع رأســه الى سقف البيت وقال : لبّيكما لبّيكما، هأنذا لديكما ، لا عشيرتى تَحميِنى، ولا مالى يَفْــدِينى، ثم أُغمِىَ عليه طويلا ثم أفاق فقال :

كلُّ عيشٍ وإن تطاولَ دهرا * صائرٌ مرّةً الى أنــ يزولا
ليتنى كنتُ قبــل ما قد بدا لى * فى رءوس الجبال أرعَى الوُعُولا

ثم فاضت نفسُه .

الحَكَم بن عثمان قال : قال المنصور عند موته : اللهمّ إن كنتَ تعــلمَ أنى قد ارتكبتُ الأمورَ العظامَ جُرأَةً منّى عليك، فإنك تعلم أنى قد أطعتُك فى أحبّ الأشياء اليــك شهادةِ أن لا إله إلا أنت، مَنّاً منك لا مَنّاً عليــك . وكان سببُ إحرامه من الخضراء أنه كان يوما نائمــا، فأتاه آتٍ فى منامه فقال :

---

(١) كذا بالأصل ، وأصل الكلمة فى اللغة الفارسية "آزاد" بالدال المهملة فلعل ما فى الأصل تحــريف .

كأنّى بهذا القصر قد بادَ أهـلُهُ * وعُرِّىَ منــه أهــلُه ومنازلُه
وصار عميدُ القوم من بعد نعمةٍ * الى جَدَثٍ تُبنَى عليــه جنادِلُهْ
فلم يبق إلا رسمـــهُ وحديثُــه * تُبَــكِّى[1] عليه مُعْـوِلاتٍ حلائلُهْ

فآستيقظ مرعوبا ثم نام فأتاه الآتى فقال :

أبا جعفرٍ حانت وفاتُك وانقضت * ســنُوكَ وأمرُ الله لا بدّ واقــعُ
فهــل كاهنٌ أعددتَه أو منجِّم * أبا جعفرٍ عنــك المنيــةَ دافعُ

فقــال : يا ربيع ائتنى بطَهورى ، فقام واغتسل وصــلّى ولبّى وتجهّز للحجّ ، فلمــا صار فى الثلث الأوّل اشتدّت علّتُــه ، فجعــل يقول : يا ربيع ألْقِنى فى حَرَم الله ، فمــات ببئر ميمونٍ[2] .

حدّثنى محمد بن داود عن سـعيد بن نصــير عن العباس بن طالب قال : قال الربيع بن بَرّة : كنتُ بالشام فسمعتُ رجلا وهو فى الموت يقال له : قل لاإله إلا الله ، فقال : اشرب واسقنى . ورأيت رجلا بالأهواز قيل له : قل لا إلهَ إلا اللهُ ، فقال : ده يا ذده وده دوازده[3] . وقيل لرجل بالبصرة : قل لا اله الا الله ، فقال :

يارب قائلة يوما وقــد لَغِبتْ * كيف الطريقُ الى حمّام مِنجابِ[4]

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن معمر عن أبيه قال : لقِّن ميّتَك ، فإذا قالهــا فدعه يتكلّم بغيرها من أمر الدنيا ولا تُضجِرْه .

---

(١) تبكّى (بالتشديد) : مثل تبكى بالتخفيف . (٢) بئر ميمون : بمكة منسوبة الى ميمون ابن خالد بن عامر بن الحضرمىّ . (٣) هــذه كلمــات فارسية معنى الأولى منها عشرة أحد عشر ومعنى الثانيــة عشرة اثنا عشر . وهى كلمــات أجراها على لسانه هذيان الاحتضار . (٤) حمــام منجاب (بكسر الميم) : ينسب الى منجاب بن راشد الضبىّ .

قال مالك بن ضيغم : لما احتُضِر أبى قلنا له : ألا تُوصِى ؟ قال : بلى، أُوصيكم بما أوصى به إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ : ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وأوصيكم بصلة الرحم وحسنِ الجوار وفعلِ ما استطعتم من المعروف، وادفنونى مع المساكين .

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه[1] : كيف تجِدُك ؟ قال : فى الموت ؛ قال : لأن تكونَ فى ميزانى أحبّ الىّ من أن أكون فى ميزانك، قال : وأنا والله لأن يكون ما تُحبّ أَحَبّ الىّ من أن يكون ما أُحِبّ .

احتضر سيبويه النحوىّ فوضع رأسه فى حجر أخيه فقطَرت قَطرةٌ من دموع أخيه على خدّه، فأفاق من غشيته وقال :

أُخَيَّيْن كنّا فرّق الدهر بيننا * الى الأمد الاقصى ومن يأمن الدهرا !

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال : قيل لهَرِم بن حِبّان : أوص، فقال : قد صدّقتنى نفسى فى الحياة ، مالى شىء أُوصى فيه ، ولكن أُوصيكم بخواتيم سورة النحل .

قال الشاعر :

ما ارتدّ طرفُ امرئٍ بلحظته * إلا وشىءٌ يموتُ من جسدِهْ

وقال آخر :

المرء يشقَى بما يسعَى لوارثه * والقبرُ وارثُ ما يسعى له الرجُلُ

حدثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق عن أبى حيّان التيمىّ عن أبيه قال : أَوصَى الربيعُ بن خيثم وأشهدَ على نفسه وكفَى بآلله شهيدا

(١) يوجد بهامش النسخة الفتوغرافية ما نصه : « هو عبد الملك رحمه الله » .

وجازياً لعباده الصالحين ومُثيبا : إنى رضيت بالله ربًّا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا ، وأُوصِى نفسى ومن أطاعنى أن يعبُدَ اللهَ فى العابدين ويحمَده فى الحامدين وينصحَ لجماعة المسلمين ؛ وأَوصَى أهله : أَلَّا تُشعِروا بى أحدا وسُلُّونى الى ربّى سَلًّا .

حدّثنى محمد بن أحمد بن يونس قال سمعتُ عمر بن جرير المهاجرىّ يقول : لما مات ذرّ بن عمر بن ذرّ قال لأصحابه : الآن يضيع الشيخ (لأنه كان به بارًّا)؛ فسمعها الشيخُ فقال : أنّى أضيعُ واللهُ حىٌّ لا يموت! فلما واراه الترابَ وقف على قبره وقال : رحمك الله ياذرّ! ما علينا بعدك من خصاصةٍ وما بنا الى أحدٍ مع الله حاجةٌ ، وما يسرُّنى أنّى كنت المقدَّمَ قبلَك ، ولولا هولُ المطَّلَع لتمنّيتُ أن أكون مكانَك ، لقد شغلنى الحزنُ لك عن الحزن عليك ، فياليت شعرى ما ذا قلتَ وما قيل لك! ثم رفع رأسه الى السماء فقال : اللهمّ إنّى قد وهبتُ حقّى فيما بينى وبينه له ، فهبْ حقّك فيما بينك وبينه له . ثم قال عند انصرافه : مضينا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا شُرَيح بن النّعمان عن عبد العزيز بن أبى سَلَمة الماجشُون عن عبد الواحد بن أبى عَوْن عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : «تُوفِّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو نزل بالجبالِ الراسياتِ ما نزل بأبى لهاضَها ، اشرأبَّ النفاقُ بالمدينة وارتدّت العربُ ، فوالله ما اختلفوا فى نقطة إلا طار أبى بحظها وغَنَائها[1] فى الإسلام» . وكانت مع هذا تقول : «من رأى عمرَ بن الخطاب عرفَ أنه خُلِقَ غَنَاءً للإسلام ، كان والله أحوزيًّا[2] نسيجَ

---

(١) فى الأصل : «وغنا بها» . (٢) الأحوزىّ : الحسن السياق للأمور وفيه بعض النفار .

وحده، قد أعدّ للامور أقرانها » . وقالت عنـد قبره : « رحمك الله يا أبتِ ! لقـد قمتَ بالدين حين وهي شَـعْبُه[1] وتفاقم صَـدْعُه ورجفت جوانبُه ؛ انقبضت ممـا أصغَوْا اليـه[2]، وشمّرتَ[3] فيما وَنَوا فيه واستخففتَ من دنياك ما استوطنوا[4] وصـغّرتَ منهـا ما عظّموا ورعَيت دينـك فيما أغفلوا ، أطالوا عِنان الأمن واقتعدت مطيّ الحـذر، ولم تهضم دينك ولم تَشِـنْ غدَك ففاز عنـد المساهمة قِدْحُك وخفّ ممـا استوزروا ظهرُك » . وقالت أيضا عند قبره : « نضّر الله وجهك يا أبتِ ! فلقـد كنتَ للدنيا مُذِلّا بإدبارك عنها، وللآخرة معزًّا بإقبالك عليها ؛ ولئن كان أجلّ الرزايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزْؤك وأكبرَ المصائب فقدُك إنّ كتابَ الله ليَعِدُ بجميل العزاء عند أحسنِ العوَض[5] منك ، فأنا أتنجّز من الله مَوعودَه فيك بالصبر عليك ، وأستعيضُه منك بالاستغفار لك ؛ عليك سلامُ الله ورحمتُه ، توديعَ غيرِ قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك » .

قال الحسين بن عليّ عند قبر أخيه الحسن : « رحمك اللهُ أبا محمـد ! إن كنتَ لَتُباصِرُ الحقَّ مَظَانَّه ، وتُؤْثِر اللهَ عند تداحُض الباطل[6] فى مواطن التقيّة بحسن الرويّة ، وتستشِفُّ جليلَ مَعاظم الدنيا بعينٍ لهـا حاقرة ، وتُفيضُ عليها يدًا طاهرةَ الأطراف نقيّةَ الأسرّة[7] ، وتردَعُ بادرةَ غربِ أعدائك بأيسر المؤونة عليك ؛ ولا غَروَ وأنت ابن

---

(١) وهى شعبه : تمزق وتفرق جمعه . (٢) أصغوا اليه : مالوا اليه . (٣) شمر : جدّ . وفى الأصل : «سموت» وهو تحريف ، اذ ما بعده يعين ما أثبتناه . (٤) كذا بالاصل .
(٥) الذى فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٦٧ طبع دار الكتب المصرية) : «ان كتاب الله ليعـد بحسن الصبر فيك وحسن العوض منك » . (٦) تداحض الباطل : من الدحض وهو الزلق والزلل ، ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بين أيدينا ، فلعلها «عند مداحض الباطل» جمع « مدحضـة » كمزلة وزنا ومعنى . (٧) الأسرة : جمع سرار (بالكسر) وهى الخطوط التى تبدو فى ظاهر اليد والجبهة .

سلالة النبوّة و رضيعُ لِبان الحكمة ، فالى رَوْح ورَيحان وجنّة نعيم ، أعظمَ اللهُ لنا ولكم الأجرَ عليه ، ووهبَ لنا ولكم السّلوةَ وحُسْنَ الأَسى[1] عنه » .

حدّثنى عبد الرحمن بن الحسين السعيدىّ عن محمد بن مُصْعَب : أنّ ابن السمّاك قال يوم مات داودُ الطائىّ فى كلام له : إن داود رحمه الله نظر بقلبه الى مابين يديه من آخرته ، فأعشَى بصرُ القلب بصرَ العين ، فكان كأنه لا ينظر الى ما اليه تنظرون ، وكأنكم لا تنظرون الى ما اليه ينظر ، فأنتم منه تعجّبون وهو منكم يعجَب ، فلما رآكم راغبين مذهولين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولكم وأماتت بحبّها قلوبكم استوحش منكم ، فكنتُ اذا نظرتُ اليه نظرت [الى] حىّ وسطَ أموات . يا داود ما أعجب شأنك بين أهل زمانك ! أهنت نفسك وانما تريد إكرامها ، وأتعبتها وانما تريد راحتها ، أخشنتَ المطعمَ وانما تريد طِيبَه وأخشنتَ الملبسَ وانما تريد لِينَه ، ثم أمتَّ نفسك قبل أن تموتَ ، وقبرتَها قبلَ أن تُقبرَ ، وعذّبتها ولمّا تُعذَّب[2] ، وأغنيتها عن الدنيا لكيلا تُذكَر ، رغبتْ نفسُك عن الدنيا فلم ترها لك قدْراً الى الآخرة ، فما أظنُّك إلا وقد ظَفِرت بما طالبت ، كان سِماك فى سِرّك ولم يكن سِماك فى علانيتك ، تفقّهتَ فى دينك وتركت الناس يُفتُون ، وسمعتَ الحديثَ وتركتهم يُحدّثون ، وخرِسْتَ عن القول وتركتهم ينطقون ، لا تحسُد الأخيارَ ، ولا تعيبُ الأشرارَ ، ولا تقبل من السلطان عطيّة ، ولا من الإخوان هديّة ، آنَسُ ما تكون اذا كنتَ بالله خاليا ، وأوحشُ ما تكون آنسُ ما يكون الناس ، فمن سمع بمثلك وصبرَ صبرَك وعزَم عزمَك ! لا أحسَبُك الا وقد أتعبت العابدين بعدَك ، سجنتَ نفسَك فى بيتك فلا مُحدِّثَ لك ولا جليسَ معك ولا فراشَ تحتك ولا سترَ على بابك

(١) الأسى (بضم الاول ويكسر) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضا) وهى مايتعزى به .
(٢) فى الأصل «ولما أن تعذب» . بزيادة «أن» بعد «لما» وليس هذا من مواضع زيادتها .

ولا قُلّةَ يُبرّد فيها ماؤك ولا صحفةَ يكون فيها غداؤك وعَشاؤك ، مطهّرتُك قلبُك وقَصْعتُك تَوْرُك[1] . داود ما كنتَ تشتهى من الماء بارده ولا من الطعام طيّبه ولا من اللباس ليّنه ، بلى ! ولكن زهدتَ فيه لما بين يديك ؛ فما أصغرَ ما بذلتَ ، وما أحقرَ ما تركتَ فى جنب ما أمّلتَ ، فلما متّ شهّرك ربُّك بموتك ، وألبسك رداءَ عملك ، وأكثرَ تبعَك ، فلو رأيتَ من حضرك عرفتَ أنّ ربّك قد أكرمك وشرّفك ، فلتتكلّم اليوم عشيرتُك بكلّ ألسنتها ، فقد أوضح ربُّك فضلَها بك ، ووالله لو لم يَدْعُ عبدا الى خيرٍ بعمله إلا حُسْنُ هذا النّشر من كثرة هذا التّبَع ، لقد كان حقيقا بالاجتهاد والجهد لمن لا يُضيع مُطيعا ولا ينسى صنيعا شاكرا ومُثيبا .

وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إنى أرجوك له وأخافك عليه ، فحقق رجائى وآمن خوفى .

مات ابنٌ لأنس بن مالك فقال أنسٌ عند قبره : اللهمّ عبدُك وولدُ عبدك وقد رُدّ اليك ، فارأف به وارحمْه ، وجافِ الأرضَ عن بدنه ، وافتح أبوابَ السماء لرُوحه وتقبّله بقبولٍ حسنٍ . ثم رجع فأكلَ وشربَ وادّهن وأصاب من أهله .
وقال جرير فى امرأته :

لا يلبثُ القُرَناءُ أن يتفرّقوا * ليلٌ يَكُرُّ عليهم ونهارُ
صلّى الملائكةُ الذين تُخيِّروا * والطّيّبون عليك والأبرارُ

وقفتْ أعرابيّة على قبر ابنها فقالت : والله ما كان مالُك لعرسك ، ولا همُّك لنفسك ، وما كنتَ إلا كما قال القائل :

رحيبُ الذراع بالتى لا تَشينُه * وإن كانت الفحشاءُ ضاقَ بها ذرْعا

---

(١) التور : إناء صغير يتوضأ به .

حدّثنى محمد بن داود عن الصّلْت بن مسعود قال : كان سفيان بن عُيَينة يستحسن شعرَ عدىّ بن زيد :

أين أهلُ الديار من قومِ نوحٍ * ثم عادٌ من بعدهم وثمودُ
بينما هـم على الأسرّة والأنْ * ماطِ أفضتْ الى التراب الخدودُ
ثم لم ينقضِ الحديثُ ولكن * بعد ذا الوعدُ كلُّه والوعيدُ
وأطباءُ بعدَهم لحِقوهم * ضلَّ عنهم سَعُوطهم واللَّدود[1]
وصحيحٌ أضحى يعود مريضا * وهو أدنى للموتِ ممن يعودُ

أخذه علىّ بن الجهم فقال :

كم من عليل قد تخطّاه الردى * فنجا وماتَ طبيبُه والعُوَّدُ

حدّثنى عَبْدة بن عبد الله قال أخبرنا عُبَيد الله بن موسى قال أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد عن عبد الملك بن عُمَير عن رِبْعِىّ بن حِراش قال : أتيتُ أهلى فقيل لى : مات أخوك ، فوجدتُ أخى مُسَجًّى عليه بثوب ، فأنا عند رأسه أترحّم عليه وأدعو له إذ كَشَفَ الثوبَ عن وجهه فقال: السلام عليكم ، فقلنا : وعليكَ السلام ، سبحان الله ! بعد الموت ! فقال : إنى تُلُقِّيتُ برَوْحٍ ورَيحان وربٍّ غيرِ غضبان ، وكسانى ثيابا من سندسٍ وإستبرق ، وإنى وجدتُ الأمرَ أيسرَ مما تظنّون ولا تتّكلوا ، إنى استأذنت ربّى أن أخبركم وأبشّركم . احملونى الى رسول الله ، فقد عُهِد إلىّ ألّا أبْرَحَ حتى ألقاه ثم طَفِئ[2] .

حدّثنى أبو سهل عن علىّ بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمارة بن زاذان عن ثابت أن مُطرِّفا كان يبدو[3] على دابّته بين المقام فأغفى فاذا أهلُ القبور جلوسٌ على

(١) السعوط : الدواء الذى يؤخذ من الانف ، واللدود (وزان صبور) : ما يؤخذ من الدواء بالمسعط و يصب فى أحد شق الفم . (٢) همد وسكن . (٣) كذا بالأصل ولعلها يغدو .

شِفَاه[1] قبورهم يقولون : هــذا مُطَرِّفٌ يروح الى الجُمعة ؛ قلتُ : هل تعرفون يومَ الجمعة؟ قالوا: نعم، وما تقول الطيرُ فى جوف السماء، يقولون : سلامٌ، يومٌ صالحٌ .

حدّثنى محمد بن عبيــد قال : حدّثنا سُــفيان بن عُيَينة عن أبى الزُّبير عن جابر قال : لمــا أراد معاوية أن تجرِىَ العينُ التى حفرها — قال سفيان : تُسمّى عينَ أبى زياد — نادَوْا بالمدينة : من كان له قتيلٌ فليأتِ قتيــلَه ؛ قال جابر : فأتيناهم فأخرجناهم رِطَابا يتثنَّون ، وأصابت المِسحَاة رِجْلَ رَجُلٍ منهم فانقَطَرَتْ[2] دمًا . قال أبو سعيد الخدرىّ : لا يُنكَرُ بعدَ هذا مُنكَرٌ أبدا .

حدّثنى محمد بن عُبيد قال حدّثنا ابن عُيينة عن عمرو بن دينار عن عُبَيد بن عُمَير قال : أهلُ القبور يتوكّفون[3] الأخبــارَ فاذا أتاهم الميت سألوه : ما فعــل فلانٌ ؟ فيقول : ألم يأتكم ! فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سُلِكَ به غيرُ سبيلنا .

حدّثنى عبــد الرحمن العَبْــدىّ عن جعفر بن أبى جعفر قال : حدّثنا أبو جعفر السائح عن الربيع بن صَبيح قال : شهِدتُ ثابتا البُنَانىّ يوم مات وشهِده أهلُ البَصرة، فدخلتُ قبرَه أنا وحُمَيدٌ الطويلُ وأبو جعفر حسن مما يلى رأسه فلما ذهبتُ أُسَوِّى عليه اللَّبِنةَ سقطَتْ من يدى فلم أرَ فى اللحد أحدا، وأصغى إلىَّ حُميدٌ أن اختُطِفَ صاحبُنا وضجَّ الناسُ فسوَّينا على اللحد وحثَونا الترابَ؛ فلم يكن لحُميــد هِمّةٌ حتى أتى سليمانَ بن علىّ وهو أميرٌ على البَصرة فأخبره،فقال: ما يُنكَرُ لله قدرةٌ! إلا أنى أنكر أن يكون أحدٌ من أهل زماننا يُفعَلُ هــذا به ، فهل علم به أحدٌ سواك؟ قال:

(١) كذا بالأصل ، ولعل أصله « أشفاء » جمع شفا أى حرف . (٢) انقطرت دما : سالت دما ، يقال انقطرت قدم فلان أو أصبعه دما أى سالت وفى الأصل . « انفطرت » بالفاء ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا صيغة انفعل من قطر . (٣) يتوكفون الأخبار: ينتظرونها ويسألون عنها .

نعم، الربيع بن صَبيح وحَسَن؛ قال : عَدْلان مَرْضِيّان، فبعثَ أمناءَ جيرانه فنبشوا عنه فلم يجدوه فى قبره .

وحدّثنى أيضا عن أعرابيّــة كان يُقال لهــا أمّ غَسّان مكفوفة وكانت تعيشُ بمنزلهــا وتقول : الحمــدُ لله على ما قضى وارتضى، رضيتُ من الله ما رضِىَ لى ، وأستعينُ اللهَ على بيتٍ ضيّقِ الفِناء قليلِ الكِوَاءِ(١) وأستعين الله على مايُطالع من نواحيه. وماتت جارةٌ لهــا فقيل لها : ما فعلتْ جارتُك ؟ فقالت :

تقسّم جاراتُهــا بيتَهــا * وصارت الى بيتها الأتلد

وقالت يوما : إن تقبّلَ اللهُ منى صلاةً لم يعذّبْنى، فقيل لها : كيف ذلك؟ قالت : لأنّ الله عزّ وجل لا يثنى فى رحمتِــه وحلمِه، قال : وكنتُ سمعتُ حديثَ معــاذ «من كُتِبَتْ له حسنةٌ دخلَ الجنّةَ» ولم أدر ما تفسيره حتى سمعت أمّ غسانَ تقول هذا، فعرفت تأويلَه :

الكِبَر والمشيب

حدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا أبو داود عن عبد الجليــل بن عطيّــة عن شَهْر ابن حَوْشَب عن عمرو بن عَنْبَسَةَ قال : سمعتُ رسول الله صــلّى الله عليه وســلّم يقول : «مَنْ شابَ شَيبةً فى الإســلام كانت له نورا يومَ القيامة ما لم يَخضِبْها أو يَنتِفْها» .

أبو حاتم عن الأصمعىّ عن شــيخ من بنى فَزارة قال : مررتُ بالبــادية وإذا شيخٌ قاعدٌ على شــفيرِ قبر، وإذا فى القبور رجالٌ كأنهم الرّماحُ يدفِنون رجُلا والشيخُ يقول :

(١) الكــواء : جمع كوة وهى الخرق فى الحائط .

أُحثُوا على الدَّيسَم من بَرْد الثرى * قِـــدْمًا أبَى ربُّك إلا ما ترَى[(١)]

فقلت له : مَن الميتُ؟ فقال : ابنى، فقلت له : مَن الذين يَدفِنونه؟ قال : بنـــوه .

حدّثنا أبو عبد الرحمن قال : دخل يونس بن حبيب المسجدَ يُهادَى[(٢)] بين اثنين من الكِبَر فقال له رجلٌ كان يَتَّهِمه على مودّته : بلغتَ ما أرى يا أبا عبد الرحمن ! قال : هو ما ترَى فلا بَلَغْتَه . ونحوه قولُ الشاعر :

* يا عائبَ الشيبِ لا بَلَغْتَه *

ويقال فى الزبور : «من بلغ السبعينَ اشتكَى من غير عِلّة». وقال محمد بن حسّان النبطىّ : لا تسأل نفسَك العامَ ما أعطتك فى العام المــاضى .

رأى ضرار بن عمرو الضبىّ له ثلاثةَ عشر ذكرا قد بلغوا فقال : من سرّه بنوه ساءته نفسُه .

قال ابن أبى فَنَنٍ :

من عاش أخلقت الأيامُ جِدّتَه * وخانه الثِّقتانِ السمعُ والبصرُ
قالت عَهِدتُك مجنونا فقلت لها * إنّ الشبابَ جنونٌ برؤه الكِبَرُ

أبو عبيـــدة قال : قيـل لشيخ : ما بقِيَ منك؟ قال : يسبِقُنى مَنْ بين يدىّ ، ويُدرِكنى مَنْ خلفى ، وأنسى الحديثَ، وأذكُر القديمَ، وأنعُس فى الملا، وأسهَرُ فى الخلا، وإذا قمتُ قرُبتِ الأرضُ منّى، وإذا قعدتُ تباعدتْ عنّى؛ قال الشاعر :

قالت عَهِدتك مجنونا فقلتُ لها * إنّ الشبابَ جنونٌ برؤه الكِبَرُ

---

(١) كذا بالأصل وجاء هذا البيت فى اللسان مادة « دسم » هكذا
أحثى على ديسم من برد الثرى * أبى قضاء الله إلا ما ترى

(٢) بالبناء للفعول أى يمشى بينهما معتمدا عليهما لضعفه .

قال عبد الملك بن مروان للعُريان بن الهَيثم : كيف تجِدُك ؟ قال : أجِدُنى قد ٱبيض منّى ما كنتُ أُحبُّ أن يسودّ واسودّ منّى ما كنتُ أُحبُّ أن يبيَضّ واشتدّ منّى ما أُحبُّ أن يلين ولان منّى ما أُحِبّ أن يشتدّ وقال :

سَــلْنِى أُنَبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ * نومُ العِشاء وسُعَالٌ بالسَّحَرْ
وقِلّةُ النومِ اذا الليــلُ اعتكَرْ * وقِلّةُ الطعمِ اذا الزادُ حضَرْ
وسرعةُ الطرفِ وتَحميجُ النظرْ (١) * وتَرْكُكَ الحسناءَ فى قُبْلِ الطُّهُرْ
* والناس يَبْلَوْن كما تَبْلَى الشَّجَرْ *

وقال حميد بن ثور :

أَرى بصرى قد رابنى بعد صحّة * وحسبُك داءً أن تصِحّ وتَسلما

وقال الكميتُ :

لا تَغبِط المرءَ أن يُقــالَ له * أمسى فلانٌ لِسِنّه حَكَما
إن سَرّه طولُ عمره فلقــد * أضحى على الوجه طولُ ما سَلِما

وقال النَّمِر بن تَوْلب :

يَوَدّ الفتى طولَ السلامة والغنَى * فكيف تُرى طولَ السلامةِ يَفعَلُ

---

(١) التحميج : تصغير العين لتمكينها من النظر ، و يقال على إدامة النظر مع فتح العينين ، وهكذا ذكره الأزهرى والجوهرى وغيرهما بالحاء المهملة قبل الميم والجيم المعجمة بعدها ، وفى الأصــل : «تجحيح» بتقديم الجيم وتأخير الحاء ، وهو موافق لما رواه ابن الأثير فى حديث عمر بن عبد العزيز «فطفق يجحح الى الشاهد النظر» ثم قال : هكذا ورد فى كتاب أبى موسى وكأنه والله أعلم سهو . وقال الزمخشرى : هى لغة فى التحميج (انظر اللسان مادتى حمج وجحح) .

وقال آخر :

كانت قناتى لا تلينُ لغامز * فألانها الإصـــباحُ والإمســاءُ
ودعوتُ ربّى بالسلامة جاهدا * ليُصحّنى(١) فإذا السّــلامةُ داءُ

وقال أبو العتاهية :

* أسرعَ فى نقص امرئٍ تمــامُهُ *

وقال عبــد الحميد الكاتب :

ترحّـــل(٢) ما ليس بالقــافلِ * وأعقب ما ليس بالآئلِ
فلهفى من الخلف النــازل * ولهفى على السلف الراحلِ
أُبكّى عـــلى ذا وأبكى لذا * بكاءَ المولّهـــة الثاكلِ
تُبكّى من ٱبن لهــا قاطعٍ * وتبكى على ٱبن لهــا واصلِ
تقضت غواياتُ سُكرِ الصبا * وردّ التُّـــقَى عَنَدَ الباطلِ

محمد بن سلّام الجُمحىّ عن عبد القاهر بن السرىّ قال: كتب الحجاج الى قتيبة ابن مســلم : إنى نظرتُ فى سنّك فوجدتُك لِدّتى(٣) وقد بلغت الخمسين وإنّ آمرأً سار الى منهل خمسين عاما لقريبٌ منه . فسمع به الحجاج بن يوسف التيمىّ فقال :

إذا كانت السبعون سِــنَّك لم يكن * لدائك إلا أنْ تموتَ طبيبُ
وإنّ آمرأً قد سار سبعين حِجّــة * الى منهـــل من وِرْده لقـــريبُ
اذا ما خلوتَ الدهر يوما فلا تقل * خلوتُ ولكن قل علىّ رقيبُ
اذا ما ٱنقضى القرْن الذى أنت منهمُ * وخُلِّفتَ فى قــرْنٍ فأنت غريبُ

(١) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٢٥ وبالأصل : «لينجنى» . (٢) فى الأصل «رحل» . ولا يستقيم معه الوزن . (٣) لدة الرجل : تربه .

وقال لبيد :

أليس ورائى إن تراخت منيّتى * لزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابعُ
أُخَبِّر أخبارَ القرونِ التى مضت * أدِبّ كأنى كلّما قمتُ راكعُ

وقال آخر فى مثله :

حنتنى حانياتُ الدّهر[1] حتّى * كأنّى خاتِلٌ[2] يدنو لصــيدِ

وقيل لرجل مِن الحكماء : مالك تُدْمِنُ إمساكَ العصا واستَ بكبيرٍ ولا مريضٍ؟ فقال : لأذكرَ أنى مسافر، قال الشاعر :

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجبَ حملَها * عــلىّ ولا أنى تحنيتُ مِن كِبَرْ
ولكنّنى ألزمتُ نفسىَ حملَهـا * لأُعلِمَها أنّ المقــيمَ على سَــفَرْ

ومرّ شيخ من العرب بغــلامٍ فقال له الغلام : أحْصَدْتَ[3] ياعمّاه فقال : يابنىّ وتُحتَصَدون .

قال الحسنُ فى موعظة له : يامعشر الشيوخ، الزرعُ اذا بلغ ما يُصنَع به؟ قالوا : يُحصد . يامعشر[4] الشباب كم من زرع لم يبلغ أدركته آفةٌ، قال الشاعر :

الدّهر أبلانى وما أبليتُــه * والدّهرُ غيّرنى وما يتغــيّرُ
والدّهر قيّدنى بخيطٍ مبرَمٍ * فمشيتُ فيه وكلّ يومٍ يقصُرُ

---

(١) كذا فى اللسان مادة «ختل» وفى الأصل «نائبات» . (٢) كذا فى اللسان مادة ختل وفى الأصل «حابل» . (٣) أحصدت : آن لك أن تحصد . (٤) كذا بالأصل : وهــذه الجملة غير منتظمة مع ما قبلها فلعل بعض الكلمات سقطت بينها وبين الجملة التى قبلها و بين المراد «ثم قال» الخ .

وقال عُمارة بن عَقيل :

وأدركتُ مِلءَ الأرضِ ناسا فأصبحوا * كأهــل الديار قَوَّضــوا فتحمَّلوا
وما نحن إلا رُفقــةٌ قد ترحَّلت * وأخرَى تُقَضِّى حاجَها وتَرَحَّــلُ

ذكر أعرابىٌّ الشيبَ فقال : والله لقد كنتُ أُنكر الشعرةَ البيضاء فقد صرتُ أُنكر السوداء، فياخير بَدَلٍ وياشرَّ مبدول (١) . وقال بعض الشعراء :

شاب رأسى وما رأيتُ مشيبَ الـ * ـرَّأس إلا من فضلِ شَيب الفؤادِ
وكذاك القــلوب فى كلّ بؤسٍ * ونعــيم طلائــعُ الأجســادِ
طــال إنكارىَ البيــاضَ فإن عُـ * ـمِّـرتُ شيئا أنكرتُ لونَ الســوادِ

رأى إياس بن قَتادة شَعرة بيضاءَ فى لحيته، فقال : أرى الموتَ يطلبنى وأرانى لا أفوته ، أعوذ بك ياربِّ من فُجَاءاتِ الأمور، يابنى سعد قد وهبتُ لكم شبابى فهبوا لى شيبتى، ولزم بيتَه .

قال قيس بن عاصم : الشيب خِطام المنية .

قال آخر : الشيبُ بريدُ الحِمام .

قال آخر : الشيب تَوْءم الموت .

قال آخر : الشيب تاريخ الموت .

قال آخر : الشيب أوّل مراحل الموت .

قال آخر : الشيب تمهيد الحمام .

قال آخر : الشيب عنوان الكِبَر .

---

(١) كذا فى الأصل : وهذا يوافق قول أبى عبيدة : هذا باب المبدول من الحروف، ونحو هذه كما فى اللسان مادة «بدل» دليل على أن بدل متعد ، وفى العقد الفريد : «مبدل» .

قال عُبيدُ بن الأبرص : * والشَّيْبُ شـينٌ لمن يشيب * . ويقال : شَيْب الشَّعَر موتُ الشَّعَر، وموتُ الشعَرِ عِلّةُ موتِ البشر . قال الشاعر :

وكان الشباب الغضُّ لى فيه لذةٌ * فوقَّرنى عنـه المشـيبُ وأدّبا
فَسَقْياً ورَعْياً للشبابِ الذى مضى * وأهلا وسهلا بالمشـيب ومرحبا

وقال أعرابىّ — ويقال هى لأبى دُلَف — :

فى كل يوم من الأيام نابتـةٌ * كأنمـا نبتَتْ فيـــه على بَصَرى
لئن قَرَضتكِ بالمقراض عن بصرى * لمـا قرضـتُك عن همّى ولا فِكَرى

وقال أعرابىّ :

أرَى الشيبَ مذ جاوزتُ خمسين دائباً * يَدِبّ دبيبَ الصبح فى غَسَـق الظُّلَمْ
هو السُّـــمّ إلا أنه غـــيرُ مُـؤلِم * ولم أر مثـــلَ الشيب سُمًّـا بلا ألَمْ

وقال آخر :

قَصَر الحوادثُ خطوَه فتدانَى * وحَنَيْنَ صـــدرَ قَناته فتحَانَى
صحِبَ الزمانَ على اختلاف فُنُونه * فأراه منـــه شِـــدّة ولَيَـانَا
ما بالُ شـيخ قد تخـدّد لحمُـه * أنضَى(١) ثلاثَ عمـــائم ألوانَا
سوداءَ داجيـةً وسَحْقَ(٢) مُفَوَّفٍ * وأجدّ أخرى بعـــد ذاك هِجَانَا(٣)
بِمِ المَـاتُ وراء ذلك كلِّه * وكأنمـا يُعْـنَى بذاك سِـــوانَا

وقال آخر يذكر الشبابَ :

لمـا مضى ظاعِناً عنـا فـــودّعنا * وكان كالميْت لم يـــترك له عَقِبـا
عُدنا الى حالةٍ لا نســتطيعُ لهـا * وصلَ الغوانى وعابَ الشيبُ مَنْ لَعِبا

---

(١) أنضى : أبلى وأخلق . (٢) السحق : الثوب البالى؛ والمفوّف من البرود ما فيه خطوط بيض . (٣) الهجان : الخالص البياض .

وقال محمود الورّاق :

بكيتُ لقُرب الأجلْ * وبُعْـدِ فوات الأملْ
ووافـدِ شيبٍ طـرا * بعُقْب شـبابٍ رَحَلْ
شـبَابٌ كأن لم يكن * وشـيبٌ كأن لم يَزَلْ
طَـوَاكَ(١) بشـيرُ البقا * وجاء بشـيرُ الأجَلْ
طَوَى صاحبٌ صاحبًا * كذاك انتقالُ الدُّوَلْ

وقال أبو الأسود يذمّ الشبابَ :

غدا منك أسبابُ الشبابِ فأسرعا * وكان بجارٍ بانَ يـومًا فـوَدّعَا
فقلت له فأذهَبْ ذميمـا فليتَـنِي * قتلتُـك علمًا قبـل أن نتصدّعَا
جنيتَ عـلىّ الذنبَ ثم خذلتَـني * عليـه فبئسَ الخَلّتانِ هُمَـا معَـا
وكنتَ سَرابًا ماضحًا(٢) إذ تركتَني * رَهينـةَ ما أجني من الشّرِّ أجمعَا

وقال آخر :

استنكرتْ شـيبي فقلتُ لهـا * ليس المشيبُ بناقصٍ عُمْرِى
وتنفّستْ بي هِمّـةٌ وصلَتْ * أملى بكلّ رفيعـةِ الذِّكـرِ

روى عبد الله بن حَفْص الطاحِى عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدىّ عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اخْضِبُوا بالسّواد، فانه أُنْسٌ للنساء وهَيبةٌ للعدوّ . قال عمرُ بن المبارك الخزاعىّ :

مَنْ لأُذْنِى بمَـلامٍ * وإكفى بمُـدَامِ
دَقّ عظمُ الجهـل مِنّى * وانثنَى شَنُّ(٣) عُرَامى

(١) طواك : جاوزك . (٢) ماضحا : ما بدا وظهر . (٣) كذا فى الأصل ، ومن المحتمل أن يكون : "وانثنى سن عرامى" والعرام : الشدة والقوة .

وتمشّى القَـذُ من شَيـ * ـبى الى الشَّيب التُّؤامِ[1]
تَظْمَكَ الدرَّ الى الد * رّة فى سِـــلكِ النِّظامِ

وقال أبو العتاهية :

نَعَى لك ظلَّ الشبابِ المشيبُ * ونادتك باسم سِواك الخُطوبُ
فكن مُســـتعدًا لداعى المنون * فكلّ الذى هو آتٍ قَـــريبُ
وقبلكَ داوَى المريضَ الطبيبُ * فعاشَ المريضُ ومات الطبيبُ
يَخافُ على نفسه مَنْ يتوبُ * فكيف ترى حال مَن لايتوبُ

محمدُ بن سلّام قال : سمعتُ يونسَ بن حبيب يقول : لا يأمنُ مَنْ قطع فى خمسةِ دراهم خيرَ عُضوٍ منك أن يكون عقابه هكذا غدًا .

الدنيــا

حدّثنى أبو مسعود الدارمىّ قال حدّثنى جدّى خِراشٌ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : « مَنْ أصبحت الدنيا همَّه وسَـدَمه[2] نَزَعَ اللهُ الغِنَى من قلبه ، وصيرَ الفقرَ بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتبَ له ، ومن أصبحتِ الآخرةُ همَّه وسَدَمه نزعَ اللهُ الفقرَ من قلبــه وصَيرَّ الغِنَى بين عينيه وأتته الدنيا وهى راغمةٌ » .

حدّثنى محمــد بن داود قال حدّثنــا أبو الربيع عن حمّــاد عن على بن زيد عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للضحّاك بن سفيان : « ما طَعامكَ » قال : اللحمُ واللبنُ، قال : « ثم يصير الى ما ذا » قال : ثم يصيرُ الى ما قد علمتَ ، قال :

(١) التؤام : جمع توأم ، وأصله المولود مع غيره فى بطن ، ويستعار للزدوجات كما وقع فى هذا البيت .
(٢) السدم : اللهجة والولوع بالشىء .

« فإنّ الله ضربَ ما يخرجُ من ابن آدم مثلًا للدّنيا » قال : وكان بشـــيرُ بنُ كعبٍ يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه : انطلقوا حتى أُرِيَكم الدّنيا ، فيجىءُ فيقفُ بهم على السُّوقِ، وهى يومئذ مَزْبَلةٌ ، فيقول : انظروا الى عَسَلهم وسَمْنِهم والى دَجاجهم وبطّهم صار الى ما ترَوْن .

حدّثنى هارونُ بنُ موسى قال حدثنا محمد بن سعيد القَزْوينى عن عمرو(1) بن أبى قيس عن هارون بن عنترة عن عمرو بن مُرّة قال : سُئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فقال : «اذا دخل النورُ القلبَ وانفسحَ شُرِح لذلك الصدرُ» ؛ قالوا : يانبىّ الله هل لذلك آيةٌ يُعرَفُ بها؟ قال : « نعم الإنابةُ الى دار الخلود والتّجافِى عن دار الغرور والاستعدادُ للموت قبل نُزول الموت » .

بلغنى عن العُتبىّ عن حبيب العَــدَوىّ عن وهب بن منبّــه قال : رأينا ورقةً يَهفُو بها الريحُ فأرسَــلْنا بعضَ الفتيانِ فأتانا بها فإذا فيها : الدنيا دارٌ لا يُسـلَمُ منهـا إلا فيها ، ما أخذَ أهلُها منها لهـا خرجوا منــه ثم حُوسِبوا به ، وما أخَذَ منها أهلُها لغــيرها خرجوا منــه ثم أقاموا فيــه ، وكأن قوما من اهل الدنيا ليسوا من أهلها ، هم فيها كمن ليس فيها، عمِلوا بمـا يُبصِرون وبادَرُوا ما يحذَرون، تتقلّبُ أجسادُهم بين ظهرَانَىْ أهل الدنيا ، وتتقلّبُ قلوبهم بين ظهرانَىْ أهل الآخرة، يَرَوْن النـاسَ يُعظّمون وفاةَ أجســامهم وهم أشــدّ تعظيما لموت قلوب أحيائهــم . فسألت عن الكلام فلم أجد مَنْ يعرفه .

وقال المسيح عليه السلام : الدّنيا قنطرةٌ فاعبُرُوها ولا تعمُرُوها .

(1) كذا فى تهذيب التهذيب فى ترجمة محمد بن سعيد . وفى الأصل « عمر » .

وفى بعض الكتب : أن الله تعالى أوحى الى الدنيا «مَنْ خَدَمَنِي فاخْدُمِيه، ومَنْ خَدَمكِ فاستَخْدِميه» .

قال بعضُ العابدين يذكُر الدنيا :

لقد غَرّت الدنيا رجالاً فأصبحوا * بمنزلةٍ ما بعدها متحوَّلُ
فساخِطُ أمرٍ لا يُبَدَّلُ غيرَه * وراضٍ بأمرٍ غيرَه سيُبَدَّل
وبالغُ أمرٍ كان يأمُلُ دونه * ومختَلَجٌ من دون ما كان يأمُلُ

وقال آخرُ يذكر الدنيا :

حُتوفُها رَصَدٌ[1] وعيشُها رَنَقٌ[2] * وكَدُّها نَكَدٌ ومُلْكُها دُوَلُ

وقال آخر :

نُراعُ لذكر الموت ساعةَ ذكره * وتَعترِضُ الدنيا فنلهو ونلعبُ
ونحن بنو الدنيا خُلِقنا لغيرها * وما كنتَ منه فهو شيء محبَّبُ[3]

وقال يحيى بن خالد : دخلنا فى الدنيا دُخولا أخرجنَا منها .

ذمّ رجلٌ الدنيا عند علىّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال علىّ عليه السلام : الدنيا دارُ صِدقٍ لمن صَدَقها، ودارُ نجاة لمن فَهِم عنها، ودارُ غِنًى لمن تَزوّد منها، مَهْبِطُ وحي الله، ومُصلَّى ملائكته، ومَسجِدُ أنبيائه، ومَتْجَرُ أوليائه، رَبِحُوا منها الرحمةَ واحْتَسَبُوا فيها الجنةَ؛ فمن ذا يذمّها وقد آذَنَتْ ببينها ونادَتْ بفراقها وشَبَّهَتْ بسرورها السّرورَ وببلائها البلاءَ ترغيبًا وترهيبًا؛ فيأيها الذامُّ الدنيا المعلِّلُ نفسَه، متى خَدَعَتْك الدنيا أم متى استذَمّت[4] اليكَ! أبمصارع آبائك فى البِلَى! أم بمضاجع أمهاتك فى الثَّرى!

(١) رصد : مترصدة مترقبة . (٢) رنق : كدر . (٣) يريد أن الناس أبناء الدنيا فهم منها، ولهذا كانت محبوبة لهم . (٤) استذمت اليك : فعلت ما تذمها على فعله .

كم مَرّضتَ بيديك، وعَلّلتَ بكفّيك، تطلبُ له الشفاء، وتستوصفُ له الأطباءَ، غداة لا يُغنى عنه دواؤك، ولا ينفعك بكاؤك .

كان إبراهيم بن أدهم العِجلىّ يقول :

نُرَقِّعُ(١) دنيانا بتَمـزيق ديننا * فلا ديننا يبقَى ولا ما نُرَقِّعُ(١)

قال أبو حازم : وما الدنيا ! أمّا ما مضى فحُلْمٌ وأمّا ما بقى فأمانىّ .

قال ســفيانُ :

أوحى الله تعالى الى نبىّ من الأنبياء «اِتّخِذ الدنيا ظِئْرًا والآخرةَ أُمًّا» .

قال الشعبىّ : ما أعلمُ لنا وللدنيا مَثَلًا إلا ما قال كُثَيِّرٌ .

أسِيئى بنا أو أحسِنى لا مَلُومَةٌ * لَدَيْنَـا ولا مَقْلِيَّةٌ إن تَقَلَّتِ(٢)

قال بكر بن عبد الله : المستغنى عن الدنيا بالدنيا كالمطفئ النارَ بالتِّبْنِ .

قال ابن مسعود : الدنيا كلّها غمومٌ، فما كان فيها من سرورٍ فهو ربح .

قال محمد بن الحنفية : مَنْ كَرُمَتْ عليه نفسُه هانت عليه الدنيا .

وقال بعضُ الحكماء : مَثَــلُ الدنيا والآخرةِ مَثَــلُ رجل له ضَرّتان إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى .

قال سفيان : ترك لكم الملوكُ الحكمةَ فاترُكوا لهم الدنيا .

وقال آخر : إن الدنيا قد استودَقَتْ(٣) وأنعظَ الناسُ .

---

(١) كذا ورد فى الإحياء للغزالى (ج ٣ ص ١٥٥) طبع مصر وهو المعروف فى رواية هذا البيت وفى الأصل : «نمزق» فى الموضعين، وهو تحريف .

(٢) تقلت : تبغضت، وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة . (٣) يقال : ودقت الفرس تدق ودقا واستودقت اذا طلبت الفحل .

قال وُهَيبُ بن الورد : مَنْ أرادَ الدنيا فَلْيتهيّأ للذلّ .

قيل لمحمد بن واسع : إنك لَترضَى بالدّون ؛ فقال : إنما رضِىَ بالدُّونِ مَنْ رضى بالدنيـا .

قيل لعلىّ بن الحسين : مَنْ أعظمُ الناس خَطَرًا؟ فقال : مَنْ لم يرالدنيا خَطرا لنفســه .

كان يقال : لأَنْ تُطلَبَ الدنيا بأقبحِ ما تُطلَبُ به الدنيا أحسنُ مِنْ أن تُطلَبَ بأحسنِ ما تُطلَبُ به الآخرةُ .

قالتِ امرأةٌ لبعلها ورأته مهمــوما : مِمَّ هَمُّكَ ؟ أَبالدّنيا فقــد فرغ اللهُ منها أم بالآخرة فزادك اللهُ همًّا ! .

الثورىّ قال : قال المسيحُ : حبُّ الدنيا أصلُ كلِّ خطيئةٍ والمـالُ فيها داءٌ كثيرٌ؛ قيــل : ما داؤه ؟ قال : لا يَسلمُ [صاحبه][1] من الفخر والكبر ؛ قيل: وإن سَلم ؟ قال : يَشْغَلُه إصلاحُه عن ذكر الله .

بلغنى عن محمد بن فُضَيلٍ قال : حدّثنـا عبدالله بن عبــد الرحمن عن سالم بن أبى الجعد عن أبى الدرداء قال : ياأهل حِمْصَ، مالى أرا كم تجمعونَ كثيرًا ، وتبنُونَ شَديدًا، وتأمُلُون بعيدا ! إنّ مَنْ قبلكم جمعوا كثيرا وبَنَوْا شديدا وأمّلوا بعيدا فصار جمعهم بُورا وصارتْ مسا كنُهم قبــورا وأملُهم غُرورا . وفى رواية أخرى : ياأهل دمشق، مالكم تجمعونَما لا تأكلون، وتبنون مالا تسكنون، وتأمُلُون ما لا تُدركون! ألا إن عادا وثمودَ كانوا قــد ملئوا ما بين بُصرَى وعَدَن أموالا وأولادا ونَعَمًا ؛ فمَنْ يَشترِى مِنّى ما تركوا بدرهمين !

(١) زيادة يتطلبها السياق .

بلغنى عن داود بن المحبّر عن عبد الواحد بن الخطّاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الروم نُريدُ البصرةَ ، حتى اذا كنّا بين الرُّصافة وحمص سمعنا صائحا يصيحُ من بين تلك الرمالِ — سمعته الآذانُ ولم تره العيونُ — يقول : يا مستورُ يا محفوظُ ! اِعْقِلْ فى سِتْرِ مَنْ أنتَ ! فإن كنتَ لا تعقِلُ [مَنْ أنتَ][1] فى سِتْرِه فاتّقِ الدنيا فإنها حِمَى الله ؛ فإن كنتَ لا تعقِلُ كيف تتّقيها فَصَيِّرْها شوكا ثم انظر أين تضَعُ قدميكَ منها ! ،

قال المأمون : لو سُئِلَت الدنيا عن نفسها ما أحسَنَتْ أن تصفَ نفسَها صِفَةَ أبى نُواسٍ فى هذا البيت :

إذا اختَبَرَ الدنيا لَبِيبٌ تكشَّفَتْ * له عن عَدُوٍّ فى ثياب صَـديقِ

قال المسيحُ عليه السلام : أنا الذى كَفَأتُ الدنيا على وجهها ، فليسَتْ لى زوجةٌ تموتُ ولا بيتٌ يَخرَبُ .

قال أبو العتاهية :

يامَنْ ترفَّعَ للدُّنيـا وزِينتهـا * ليس الترفُّع رفعَ الطِّينِ بالطينِ
إذا أردت شريفَ الناس كُلِّهِمِ * فانظُر الى مَلِكٍ فى زِىِّ مِسكينِ

وقال آخر وذكر الدنيا :

إذا تَمَّ أمرٌ دنا نقصُـــه * توقَّـعْ زوالًا اذا قيـــل تَمّ

وقال آخر :

لا تَبْـكِ للدُّنيـا ولا أهلِها * وابكِ ليومٍ تسكُنُ الحافِرهْ[2]
وابْكِ اذا صِـيحَ بأهل الثرى * فاجتمَعوا فى ساحة السَّاهِرهْ[3]
ويْلَكِ يا دنيـا لقـد قصَّرَتْ * آمالَ مَنْ يسكُنُكِ الاخــرهْ

---

(١) زيادة يتطلبها السياق . (٢) أى الأرض التى تحفرفيها قبورهم ، فسماها الحافرة والمراد المحفورة . (٣) الساهرة : الأرض وقيل : وجهها ؛ قال تعالى : (فاذا هم بالساهرة) . وقيل : هى الأرض التى لم توطأ وقيل : هى أرض يجدّدها الله يوم القيامة . (انظر اللسان مادة سهر) .

مقامات الزهّاد عند الخلفاء والملوك

مقـام صالح بن عبد الجليل بين يدى المهدىّ

قام فقال : إنه لمـا سَهُلَ علينا ما توعَّرَ على غيرنا من الوصول اليك، قُمنا مَقامَ الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسـلم بإظهار ما فى أعناقنا من فَريضـةِ الأمرِ والنهىِ عند انقطاع عُذر الكِتمانِ، ولاسيّما حين اتّسَمْتَ بِمِيسَم التواضع ووَعَدتَ اللهَ وحَمَلَةَ كتابه إيثار الحقّ على ما سواه، فجمعَنا وإياكَ مَشْهدٌ من مشاهد التمحيص لِيُتمَّ مُؤَدِينا على موعود الأداء وقابِلُنَا على موعود القبول، أو يَزيدنا تمحيصُ الله إيانا فى اختلاف السرِّ والعلانية، ويُحَلِّينا حِليةَ الكذّابين ، فقد كان أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يقولون : مَنْ حجب اللهُ عنه العلم عذّبه على الجهل، وأشدُّ منه عذابا مَنْ أقبل اليه العلمُ وأدبَرعنه، ومن أهدى اللهُ اليه علما فلم يعمَل به فقد رَغِبَ عن هـديّة الله وقصَّربها، فاقبل ما أهدَى الله اليكَ من ألسنتنا قبولَ تحقيقٍ وعملٍ لا قبولَ سمعةٍ ورياءٍ، فإنه لا يعدَمك منّا إعلامٌ لمـا تَجهَلُ أو مواطأةٌ على ما تعـلمُ أو تذكيرٌ من غفلةٍ ؛ فقد وطّن الله عزّ وجلّ نبيَّه عليه السلام على نزولها تعزيةً عما فات وتحصيناً من التمـادى ودلالةً على المخرَج، فقال : ﴿وإمّا يَنْزَغَنَّكَ مِن الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾، فأطْلِـع اللهَ على قلبكَ بما يُنَوّرُه مِنْ إيثار الحقّ ومُنَابذةِ الأهواء . ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

مقامُ رجل من الزهّاد بين يدى المنصور

بينا المنصورُ يطوفُ ليلا إذ سمع قائلا يقول : اَللهمَّ إنى أشكو اليـكَ ظهورَ البغى والفسادِ فى الأرض وما يحولُ بين الحقّ وأهـله من الطمع ؛ فخرج المنصورُ

(١) انظر بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ ما قاله صالح بن عبد الجليل بين يدى المهدى .

فجلس ناحيةً من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه، فصلّى الرجلُ ركعتين واستلمَ الركنَ وأقبل مع الرسول فسلّم عليه بالخلافة، فقال المنصورُ : ما الذى سمعتُــكَ تذكُرُ من ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحقّ وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حَشَوْتَ مَسَامِعى ما أرمَضَنِى[1] ؛ قال : يا أميرَ المؤمنين إن أمّنتَنى على نفسى أنبأتُك بالأمور من أصولها، وإلا ٱحتجزتُ منكَ وٱقتصرتُ على نفسى ففيها لى شاغلٌ، فقال : أنتَ [آمنٌ][2] على نفسك [فقل][2]؛ فقال : إنّ الذى دخله الطمعُ حتى حال بينه و بين ماظهر من البغى والفساد لأنتَ؛ قال : ويحك وكيف يدخلُنى الطمعُ والصفراءُ والبيضاءُ فى قبضتى والحلو والحامض عندى! قال : وهل دخل أحدًا من الطمع ما دخلكَ! إن الله تبارك وتعـالى استرعاك المسلمينَ وأموالَهم فاغفلتَ أمورَهم واهتممتَ بجمع أموالِهم، وجعلتَ بينك و بينهم حجابا من الجصّ والآجُرّ وأبوابا من الحديد وحَجَبَــةً معهم السلاحُ ثم سجنتَ نفسَكَ فيها عنهم، وبعثتَ عُمّالَكَ فى جباية الأموال و جمعها وقوّيتَهم بالرجال والسلاح والكُراع، وأمرتَ بألّا يدخُلَ عليك من الناس إلا فلانٌ وفلانٌ نفرٌ سمّيتَهم، ولم تأمر بإيصـال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيفِ الفقير، ولا أحدٌ إلا وله فى هــذا المــال حقٌّ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتَهم لنفسك وآثرتَهـم على رعيّتكَ وأمرتَ[3] ألّا يُحجَبُوا عنــك ، تَجْبى الأموالَ وتجمعُها ولا تقسِمُها قالوا : هــذا قد خان الله فــا بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسَه ! فَأْتمروا بألّا يصلَ اليك منْ علم أخبار الناس شيءٌ إلا ما أرادوا، ولا يخرجَ لك عاملٌ فيخالفَ أمرَهُم إلا قصبوه[4] عندك ونَفَوْه حتى تسقطَ منزلتُه و يَصْغُرَ قدرُه،

---

(١) أرمضنى : أوجعنى وآلمنى . (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤

(٣) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ وفى الأصل « وأمرتهم » . (٤) قصبوه : عابوه وشتموه وبالعقد الفريد « خونوه » .

فلما انتشر ذلكَ عنكَ وعنهم، أعظمَهُم الناسُ وهابوهم، فكان أوّلَ مَنْ صانعَهم عُمّالُكَ بالهدايا والأموال لِيَقْوَوْا بهـا على ظلم رَعيّتكَ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلمَ من دونهم، فامتلأتْ بلادُ الله بالطمع بغيا وفسادا، وصار هؤلاء القوم شُركاءك فى سلطانك وأنت غافل. فإن جاء مُتظلّم حِيلَ بينه وبين دخول مدينتك، فإن أراد رفع قصتـه اليك عنـد ظهورك وجدك قد نهيتَ عن ذلكَ، وأوقفت للنـاس رجلا ينظر فى مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلَغ بطانتَكَ [خبرُه](١) سألوا صاحبَ المظالم ألّا يرفعَ مَظْلِمَتَه اليك، فإن المتظلّمَ منه له بهم حُرمةٌ، فأجابهم خوفا منهم؛ فلا يزال المظلوم يختلف اليـه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتلّ عليه، فاذا أُجهِدَ وأُحرِجَ وظَهَرْتَ، صَرَخَ بين يديك، فضُرِبَ ضَرْباً مُبَرِّحاً، ليكون نكالا لغـيره، وأنت تنظر فلا تُنكِر، فما بقاءُ الإسلام على هـذا! وقد كنتُ يا أمير المؤمنين [أسافر](٢) الى الصّين فقدِمتها مرّةً وقد أُصيبَ مَلِكُها بسمعه، فبكى يوما بكاء شديدا فحثّـه(٣) جلساؤه على الصبر فقال: أمَا إنى لست أبكى للبليّة النازلة بى، ولكنى أبكى لمظلوم بالباب يصرُخُ ولا أسمعُ صوتَه ثم قال: أمّا إذ ذهب سمعى فإنّ بصرى لم يذهب نادُوا فى الناس ألّا يلبَسَ ثوبا أحمرَ إلا متظلّمٌ، ثم كان يركب الفيل طرفَىْ نهاره، وينظر هل يرى مظلوما. فهذا يا أمير المؤمنين مُشركٌ بالله غلبتْ رأفتُه بالمشركين شُحَّ نفسه وأنت مؤمنٌ بالله ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتُـكَ بالمسلمين على شحّ نفسك! فإن كنت إنمـا تجمع المـال لولدك، فقد أراك الله عبرا فى الطّفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مالٌ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزالُ الله يلطُفُ بذلك الطفل حتى تعظُمَ رغبةُ الناس اليه، ولست

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥ (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥

(٣) كذا فى العقد الفريد «فحثه» وفى الأصول «فداه» وهو تحريف.

بالذى تُعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء، وإن قلت إنما أجمع المـال لتشـديد السلطان فقد أراك الله عبرا فى بنى أمية: ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وأعدّوا من الرجال والسلاح والكُرَاع حتى أراد الله بكم ما أراد، وإن قلت إنما أجمع المـالَ لطلب غايةٍ هى أجسمُ من الغاية التى أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنتَ فيه إلا منزلةٌ لا تُدركُ إلا بخلاف ما أنتَ عليـه يا أميرَ المؤمنين، هل تُعاقبُ من عصاك بأشد من القتل قال المنصور: لا، قال: فكيف تصنع بالملِك الذى خوّلك مُلكَ الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل! ولكن بالخلود فى العـذاب الأليم، قد رأى ما قد عُقِدَ عليه قلبك وعَمِلته جوارحُك ونظر اليه بصرُك واجترحَتْه يداكَ ومشت اليه رجلاك، هل يغنى عنك ما شححتَ عليه من مُلك الدنيا اذا انتزعَه من يدك ودعاكَ الى الحساب، فبكى المنصور وقال: يا ليتنى لم أُخْلَقْ! ويحكَ! فكيف أحتال لنفسى قال: يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاماً يفزعون اليهم فى دينهم ويرضَوْن بهم فاجعلهم بطانتكَ يُرشدُوكَ، وشاورْهم فى أمرك يُسَدِّدوك، قال: قد بعثت اليهم فهربوا منى، قال: خافوا أن تحمِلَهم على طريقتك ولكن افتحْ بابكَ وسهّل حجابَك وانصُر المظلومَ واقمَعْ الظالمَ وخذ الفىءَ والصدقاتِ مما حلّ وطابَ واقسِمه بالحقّ والعدل على أهله وأنا الضامن عنهم أن يأتوكَ ويسْعِدوك على صلاح الأمة، وجاء المؤذنون فسلموا عليه فصلى وعاد الى مجلسه وطُلِبَ الرجلُ فلم يوجَدْ.

مقـام آخر والمنصور يخطب

خَطَبَ المنصورُ فحمِد اللهَ ومضى فى كلامه، فلما انتهى الى أشهد أن لا إله إلا اللهُ وثَبَ رجل من أقصى المسجد فقال أذَكِّرك مَنْ تذكرُ، فقال المنصور: سمعًا لمن فَهِم عن الله وذُكِّرَ به وأعوذ بالله أن أكون جبّـارا عصيا وأن تأخذنى العزةُ بالإثم

لقد ضَلَلتُ إذًا وما أنا من المهتدين، وأنتَ والله أيها القائل ما أردتَ بها اللهَ ولكن حاولتَ أن يقال: قام فقال فعوقب فصبر، وأَهونْ بقائلها لو هممْتُ، فاهتبلها(١) ويلكَ إذ عفوتُ، وإياكم معشرَ الناس وأختها، فإن الموعظة علينا نزلت ومن عندنا انبثّتْ فرُدّوا الأمر الى أهله يُصْدِرُوه كما أوردوه؛ ثم رجع الى خطبته فقال: وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

مقام عمرو بن عُبَيد بين يدى المنصور

قال للمنصور: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشترِ نفسك ببعضها، واذكر ليلةً تمخّضُ عن يوم لا ليلةَ بعده؛ فوجَم أبو جعفر من قوله؛ فقال له الربيع: يا عمرو غمّمْتَ(٢) أميرَ المؤمنين؛ فقال عمرو: إن هذا صحبك عشرين سنة لم يرَ لك عليه أن ينصحكَ يومًا واحدًا وما عملَ وراءَ بابك بشىء من كتاب الله ولا سنة نبيّه؛ قال أبو جعفر: فما أصنع! قد قلتُ لكَ: خاتمى فى يدكَ فتعالَ وأصحابك فاكفِنى؛ قال عمرو: ادعُنا بعدلكَ تَسْخُ أنفسُنا بعونك، ببابكَ ألف مَظْلمةٍ اردُدْ منها شيئًا نعلَمْ أنك صادقٌ.

مقام أعرابىّ بين يدى سليمان

قام فقال: إنى مكلّمُكَ يا أميرَ المؤمنين بكلام فيه بعضُ الغِلظة فاحتمِلْهُ إن كرهتَه، فإن وراءه ما تُحبّه إن قبلتَه، قال: هاتِ يا أعرابىّ؛ قال: فإنى سأُطلِقُ لسانى بما خَرِسَتْ عنه الألسُنُ من عِظَتكَ تأديةً لحقّ الله وحقِّ إمامتك، إنه قد

(١) فاهتبلها أى اغتنمها، والاهتبال: الاغتنام وانتهاز الفرصة. (٢) فى الأصل «واغممت» ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا «أغم» متعديا وإنما يقال: «غمه الأمر» من غير همز.

اكتنفكَ رجال أساءوا الاختيارَ لأنفسهم، فابتاعوا دنياكَ بدينهـم ورِضَاكَ بسخط ربّهم، خافوكَ فى الله ولم يخافوا اللهَ فيكَ، فهم حَرْبٌ للآخرة سِـلْمٌ للدنيا، فلا تأمَنْهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنّهم لن يألوا الأمانةَ تضييعا والأمة عَسْفًا وخسفًا، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت، فلا تُصْلِحْ دنياهم بفساد آخرتكَ، فإنّ أعظم الناس غَبْنًا مَنْ باع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : أمّا أنت يا أعرابىّ فقد سلّلتَ[1] لسانكَ، وهو أقطعُ سيفيكَ، فقال: أجلْ، لكَ لا عليكَ .

مقام أعرابىّ بين يدى هشام

قال: أتتْ على الناس سِنُون، أما الأولى فلَحَتِ[2] اللحمَ، وأما الثانية فأكلتِ الشَّحْمَ، وأما الثالثةُ فهاضَتِ[3] العظمَ، وعندكم فضولُ أموالٍ، فإن كانت لله فاقسِمُوها بين عباده، وإن كانت لهم ففيمَ تُحظَرُ عنهم ! وإن كانت لكم فتصدّقوا عليهم بها فإن الله يَجْزِى المتصدّقينَ، فأمر هشامٌ بمالٍ فقُسِم بين الناس وأمرَ للأعرابىّ بمالٍ، فقال: أكلّ المسلمين له مثل هذا؟ قالوا : لا ولا يقوم بذلك بيتُ مالِ المسلمين، قال : فلا حاجةَ لى فيما يبعثُ لائمةَ الناسِ على أمير المؤمنين .

مقام الأوزاعىّ بين يدى المنصور

ذكره عبدُ الله بن المبارك عن رجل من أهل الشأم قال : دخلتُ عليه فقال : ما الذى بَطَّأَ بك عنّى؟ قلتُ : يا أميرَ المؤمنين وما الذى تريد منى؟ فقال : الاقتباسُ منك، قلتُ : انظر ما تقول، فإنّ مكحولا حدّثنى عن عطية بن بَشير أنّ رسول الله

---

(١) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٣٣٨ وفى الأصل «لقد» .

(٢) من لحوت الشجرة اذا أخذت لحاءها وهو قشرها .

(٣) هاض العظم يهيضه هيضا فانهاض : كسره بعد الجبور فهو مهيض .

صلى الله عليه وسـلم قال : "مَنْ بلَغه عن الله نصيحةٌ فى دينـه فهى رحمةٌ من الله سِيقَتْ اليه ، فإن قَبِلَها من الله بشكرٍ وإلّا كانتْ حُجّةً من الله عليه ، ليزداد إثماً وليَزْداد الله عليه غضبا ، وإن بلغه شيءٌ من الحق فرضِيَ فله الرضا ، وان سَخِط فله السخطُ ، ومن كرِهَه فقد كره اللهَ ، لأن الله هو الحق المبين" ، فلا تجهلَنّ ، قال : وكيف أجهل؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمَعُ . قال الأوزاعىّ : فسلّ علىّ الربيعُ السيفَ وقال : تقول لأمير المؤمنين هذا ! فانتهرَه المنصورُ وقال : أمسِكْ . ثم كلّمه الأوزاعىّ ، وكان فى كلامه أن قال : إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذى أصبحت به ، والله سَائِلُكَ عن صـغيرها وكبيرها وفتيلها ونقيرها ، ولقد حدّثنى عُروةُ بن رُوَيْمٍ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ما مِنْ راعٍ يبيتُ غاشًّا لرعيّتـه إلا حَرّمَ اللهُ عليـه رائحةَ الجنة " ، فحقيـق على الوالى أن يكون لرعيتـه ناظرًا ، ولِمَا استطاعَ من عَوراتهـم ساترًا ، وبالقسط فيما بينهم قائمـا ، لا يتخوّف محسنُهم منه رهَقا ولا مسيئهم عدوانا ، فقـد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدةٌ يستاكُ بها ويردَعُ عنـه المنافقينَ ، فأتاه جبريلُ فقـال : " يامحمدُ ما هـذه الجريدةُ بيدكَ ! اِقذِفْها لا تملأْ قلوبَهم رُعباً " . فكيف مَنْ سفكَ دماءهم وشَـقّقَ أبشارهم وأنهبَ أموالهم ! ياأمير المؤمنين ، إنّ المغفورَ له ماتقدّم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسـه بخدش خدشه أعرابيًّا لم يتعمّده ، فهبط جبريل فقال : يامحمد إن الله لم يبعثْكَ جبّارا تكسرُ قرونَ أمتك " . واعلم أنّ كلّ ما فى يدك لا يعـدِلُ شربةً من شراب الجنة ولا ثمرةً من ثمارها ، قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم : " لَقَابُ قوسِ أحدكم من الجنة أو قُذّةٌ[1] خيرٌ له من الدنيا بأسرها " . إنّ الدنيا تنقطِعُ ويزولُ نعيمها ، ولو بقى الملكُ لمن قبلكَ لم يصل اليـكَ . ياأمير المؤمنين ، ولو أنّ ثوبا من

(١) قاب القوس : ما بين مقبضها وسيتها . والقذة (بالضم) : ريش السهم .

ثياب أهل النار عُلّق بين السماء والأرض لآذاهم فكيف مَنْ يتقمّصه! ولو أن ذَنُوبًا[1] من صديد أهل النار صُبّ على ماء الأرض لآجَنَه[2] فكيف بمن يتجرّعه، ولو أنّ حَلقةً من سلاسل جهنم وُضعتْ على جبل لذاب، فكيف مَنْ سُلِكَ فيها[3] ويُردّ فضلُها على عاتقه! وقد قال عمر بن الخطاب: "لا يُقَوِّم أمرَ الناس إلا حَصيفُ العقدة، بعيدُ الغِرّة، لا يَطّلِعُ الناسُ منه على عَورة، ولا يُحنِق في الحق على جِرّة[4]، ولا تأخُذُه في الله لومةُ لائم".

وآعلم أنّ السلطان أربعة: أمير يَظْلِفُ[5] نفسَه وعُمّالَه، فذلك له أجرُ المجاهد في سبيل الله وصلاتُه سبعونَ ألفَ صلاةٍ ويدُ الله بالرحمة على رأسه تُرفرفُ؛ وأمير رتَع ورتَع عُمّالُه، فذاك يحمِلُ أثقالَه وأثقالًا مع أثقاله؛ وأمير يَظْلِفُ نفسَه ويرتَعُ عُمّالُه، فذاكَ الذي باع آخرتَه بدنيا غيره؛ وأميرٌ يرتَعُ ويَظْلِفُ عُمّالَه، فذاكَ شرُّ الأكياس.

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد آبتُليتَ بأمرٍ عظيم عُرِضَ على السّموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنه وأشفقنَ منه[6]؛ وقد جاء عن جدّكَ في تفسير قول الله عز وجل: ﴿لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إلّا أحصاها﴾: أنّ الصغيرة التبسّمُ، والكبيرةَ الضّحكُ، وقال: فما ظنكم بالكلام وماعملته الأيدى! فأُعيذكَ بالله أن يُخَيَّل اليك أن قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع مع المخالفة لأمره؛ فقد

---

(١) الذنوب: الدلو التي دون الملء، تذكر وتؤنث. (٢) آجنه: جعله آجنا أي متغير الطعم واللون ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة متعدية منه، فأثبتناه بالهمزة على القول بأن تعدية الفعل بها قياسية. (٣) في الاصل: «فيه». (٤) لا يحنق في الحق على جرة: لا ينطوي على حقد ودخل. وأصل الإحناق: لحوق البطن بالصلب والتصاقه به. والجرة (بالكسر): ما يخرجه البعير من جوفه ويمضغه. فكنى عمر رضي الله عنه بعدم الإحناق على الجرة عن عدم إضمار الحقد والغيظ. (٥) يظلف نفسه: يكفها. (٦) في الأصل «أن يحملنها» ومرجع الضمير هاهنا مذكر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ياصفية عمة محمد ويافاطمة بنت محمد استوهبا أنفسكما من الله إنى لا أغنى عنكما من الله شيئا". وكان جدك الأكبر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة، فقال: "أى عم نفس تحييها خير لك من إمارة لا تحصيها"، نظرا لعمه وشفقة عليه أن يلى فيجور عن سنته جناح بعوضة، فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا. هذه نصيحتى إن قبلتها فلنفسك عملت، وإن رددتها فنفسك بخست، والله الموفق للخير والمعين عليه؛ قال بلى! نقبلها ونشكر عليها، وبالله نستعين.

مقام خالد بن صفوان بين يدى هشام

قال خالد: وفدت عليه فوجدته قد بدأ يشرب الدهن، وذلك فى عام باكر وسميه[1] وتتابع وليه وأخذت الأرض زخرفها، فهى كالزرابى المبثوثة والقباطى[2] المنشورة، وثراها كالكافور لو وضعت به بضعة[3] لم تترب، وقد ضربت له سرادقات حبر[4] بعث بها اليه يوسف بن عمر من اليمن تتلألأ كالعقيان، فأرسل الى فدخلت عليه، ولم أزل واقفا، ثم نظر الى كالمستنطق لى؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أتم الله عليك نعمه ودفع عنك نقمه؛ هذا مقام زين الله به ذكرى وأطاب به نشرى، اذ أرانى وجه أمير المؤمنين، ولا أرى لمقامى هذا شيئا هو أفضل من أن أنبه أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ليحمد الله على ما أعطاه، ولا شىء أحضر من حديث

---

(١) الوسمى: مطر الربيع الاول سمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات. والولى (وزان غنى): المطر بعد الوسمى. (٢) الزرابى: البسط الملونة. والقباطى بضم أوله وتشديد آخره أو بفتح الأول مع تخفيف الأخير): جمع قبطية (بضم القاف) وهى ثياب كتان بيض رقاق تعمل فى مصر. (٣) البضعة (بالفتح وتكسر): القطعة من اللحم. (٤) حبر (وزان عنب): جمع حبرة (كعنبة) وهى المخطط من البرود، يقال: برد حبرة على الاضافة والوصفية.

سلف لملك من ملوك العجم إن أذن لى فيه حدّثته به؛ قال : هات؛ قلتُ : كان رجل من ملوك الأعاجم جُمِـعَ له فَتاءُ السِّنّ وصِحّةُ الطِّباع وسَعَةُ المُلك وكثرةُ المـال، وذلك بالخَوَرْنَق، فأشرف يوما فنظر ما حوله فقال لمن حضره: هل علمتم أحدا أُوتى مثلَ الذى أوتيتُ؟ فقال رجل من بقايا حَمَلة الحجة : إن أذِنت لى تكلّمتُ ؛ فقال: قل، فقال : أرأيتَ ما جُمِـعَ لك، أشىءٌ هولك لم يزل ولا يزولُ، أم هو شىء كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك وكذلك يَزُولُ عنك؟ قال: لا ! بل شىء كان لمن قبلى فزال عنه وصار إلىّ وكذلك يزول عنّى ؛ قال : فسُرِرتَ بشىءٍ تذهب لذته وتبقى تَبِعَتُهُ، تكون فيه قليلا وتُرْتَهن به طويلا ؛ فبكى وقال: أين المهربُ؟ قال: إلى أحد أمرين: إما أن تُقيمَ فى مُلكك فتعملَ فيه بطاعة ربّكَ، وإما أن تُلقِىَ عليك أمساحا(١) ثم تلحق بجبل تعبـد فيه ربَّكَ حتى يأتىَ عليك أجلُكَ؛ قال : فمـالى اذا أنا فعلت ذلك؟ قال : حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحّة لا تسقم وملك جديد لا يبـلى؛ فأتى جبلا فكان فيه حتى مات . وأنشده قول عدىّ بن زيد :

وتَفَكَّرْ رَبُّ الخَوَرْنَقِ إذ أصـ * ـبحَ يـومًا وللهُـدَى تَفْكِيرُ
سَـــرَّه حالُه وكثرةُ ما يَمْـ * ـلكُ والبحرُ مُعْرِضًا(٢) والسَّدِيرُ
فارعَوَى قلبُــه فقال وما غِبـ * ـطةُ حىّ الى الممـات يصـــيرُ

فبكى هشام وقام ودخل ؛ فقـال لى حاجبه : لقـد كسبت نفسَـكَ شرًّا ، دعاك أمير المؤمنين لتحدِّثه وتُلهيَه وقد عرَفتَ علّته فمـا زِدْتَ على أن نَعيتَ اليه نَفْسَه . فأقمتُ أياما أتوقّعُ الشرّ، ثم أتانى حاجبُه فقال : قد أمر لك بجائزةٍ وأَذِنَ لك فى الانصراف .

(١) الأمساح : جمع مسح (بالكسر) وهو الكساء من شعر كثوب الرهبان (٢) معرضا : من أعرض الشىء اذا ظهر وبرز .

مقام محمد بن كعب القرظيّ بين يدى عمر بن عبد العزيز

قال : إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق،فمنها نخرج الناسُ بما ينفعهم و بما يضرّهم ، وكم من قومٍ قد غرهم مثلُ الذى أصبحنا فيه حتى أتاهم الموتُ فاستوعبَهم فخرجوا من الدنيا مُرمِلينَ لم يأخذوا لِما أحبّوا من الآخرة عُدّةً ولا لما كرهوا جُنّةً ، واقتسم ما جمعوا من لم يحمَدْهم وصاروا الى من لا يعذِرُهم . فانظر الذى تُحبُّ أن يكون معك اذا قدِمْتَ ، فقَدّمه بين يديك حتى تخرجَ اليه ؛ وانظر الذى تكره أن يكون معك اذا قدِمْتَ ، فابتغ به البدلَ حيث يجوز البدلُ ؛ ولا تذهبَنّ الى سِلْعةٍ قد بارت على غيرك ترجو جوازَها عنك . يا أمير المؤمنين ، اِفتح الأبوابَ ، وسَهّل الحجابَ، وانصُر المظلومَ .

مقام الحسن عند عمر بن هُبَيرة

كتبَ ابنُ هُبيرةَ الى الحسن وابن سيرين والشعبيّ فقدِم بهم عليه ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين يكتب إلىّ فى الأمر، إن فعلتُه خفتُ على دينى، وإن لم أفعله خفتُ على نفسى؛ فقال له ابنُ سيرين والشعبيّ قَولا رَقّقا فيه، وقال له الحسن : يابن هبيرة، إن اللهَ يمنعُك من يزيدَ، وإنّ يزيد لا يمنعُكَ من الله . يابن هبيرة، خَفِ اللهَ فى يزيد ولا تخفْ يزيدَ فى الله . يابن هبيرة، إنه يُوشِكُ أن يبعثَ اللهُ اليك مَلَكًا فيُنزِلَكَ عن سريرك الى سَعَةِ قصرك، ثم يخرجك عن سعةِ قصرك الى ضِيقِ قبرك ، ثم لا يُنجيك إلا عملُكَ . يابن هبيرة إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق؛ فأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر لابن سيرين والشعبيّ بألفين؛ فقالا : رَقّقْنا فرقّقَ لنا .

باب من المواعظ

كلام للحسن

قال فى كلام له : أمتكم آخر الأمم وأنتم آخر أمتكم ، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون ! المعاينة ؟ فكأن قد . هيهات هيهات ! ذهبت الدنيا بحال بالها(١)، وبقيت الأعمال أطواقا فى أعناق بنى آدم ؛ نيالها موعظة لو وافقت من القلوب حياةً ! إنه والله لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبيّ بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم ؛ أنتم تسوقون الناسَ والساعةُ تسوقكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم . مَنْ رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا رائحا لم يضع لَبِنة على لَبِنة ولا قصبة على قصبة ، رُفع له علمٌ فشمّر اليه ؛ فالوحا الوحا ، والنجاءَ النجاء . علام تعرجون ؟ أُسرِعَ بخياركم وأنتم كلّ يوم تَرذلون(٢) . لقد صحبتُ أقواما كانت صحبتهم قرّةَ العين وجَلاءَ الصدور ، وكانوا من حسناتهم أن تُرَدَّ عليهم أشفقَ منكم من سيئاتكم أن تُعذَّبوا عليها ، وكانوا فيما أحلّ الله لهم من الدنيا أزهدَ منكم فيما حرّم اللهُ عليكم . إنى أسمع حسيسا ، ولا أرى أنيسًا ؛ ذهب الناسُ ، وبقيتُ فى النِّسناس ؛ لو تكاشفتم ما تدافنتم ؛ تهاديتُم الأطباقَ ولم تهادَوُا النصائحَ . يابن آدم ، إن دين الله ليس بالتحلّى ولا بالتمنى ، ولكنه ما وقر فى القلوب وصدّقته الأعمالُ .

كلام لبعض الزهاد

لا تغترّنّ بطول السلامة مع تضييع الشكر ، ولا تُعْمِلنّ نعمةَ الله فى معصيته ؛ فإن أقلّ ما يجبُ لمهديها ألا تجعلها ذريعةً الى مخالفته . واستدْعِ شاردَ النّعم

(١) كذا بالأصل . (٢) ترذلون : تصيرون أرذالا ، والأرذال : جمع رذل وهو الدون من الناس .

بالتوبة ، واستدم الراهن منها بكرم الجوار ، واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، أو ما علمت أن المستشعر لذل الخطيئة المخرج نفسه من كُلَف(1) الطاعة نَطِف الثناء(2)، زَمِر المروءة، قصىّ المجلس، لا يُشاوَر وهو ذو بَزْلاء(3)، ولا يُصَدَّر وهو جميل الرُّواء، غامض الشخص ضئيل الصوت نَزْر الكلام يتوقع الإسكات عند كل كلمة ، وهو يرى فضل مزيته وصريح لُبّه وحسن تفضيله ، ولكن قطعه سوء ما جنى على نفسه، ولو لم تَطّلع عليه عيون الخليقة لهجست العقول بإدهانه(4) . وكيف يمتنع من سقوط القدر وظَنّ المتفرّس(5) مَنْ عُرِّيَ من حلية التقوى وسُلِب طبائع الهدى ! ولو لم يتغشَّ ثوب سريرته وقبيح ما أجنّ من مخالفة ربه لقطعه العلم بقبيح ما قارف عن اقتدار ذوى الطهارة فى الكلام وإدلال أهل البراءة فى الندىّ .

كلام لغيلان

إن التراجع فى المواعظ يوشك أن يُذهب يومها ويأتى يوم الصاخة، كلّ الخلق يومئذ مُصيخ يستمع ما يُقال له ويُقضى عليه، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا . فاصمت اليوم عما يُصمتك يومئذ، وتعلّمْ ذلك حتى تعلمه، وابتغه حتى تجده، وبادرْ قبل أن تفجأك دعوة الموت ، فإنها عنيفة إلا بمن رحم الله، ليُقحمك فى دار تسمع فيها الأصوات بالحسرة والويل والثبور، ثم لا يُقالون ولا يُستعتبون. انى رأيت قلوب العباد فى الدنيا تخشع لأيسر من هذا وتقسو عند هذا، فانظر الى نفسك أعبدُ الله أنت أم عدوه، فيارب متعبّد لله بلسانه، معادٍ له بفعله ذلولٌ فى الانسياق الى عذاب السعير فى أمنية أضغاث أحلام يعبُرها بالأمانى والظنون. فاعرف نفسك

(1) كذا فى الأصل، وفى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٩ «كنف العصمة» . (2) نطف الثناء: قليله . وزمر المروءة: قليلها . (3) البزلاء: الرأى الجيد . (4) أى باللين له والمصانعة .
(5) كذا فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٠، وفى الأصل «المتقربين» .

وسَـــلْ عنها الكتابَ المنيرَ، سُؤالَ من يُحِبّ أن يعــلم ، وعِلمَ من يُحبّ أن يعمَلَ، فإن الربّ جلّ ثناؤه لا يعذِر بالتعذير والتغرير، ولكن يعذِرُ بالجدّ والتشمير. اكتس نصيحتى ؛ فإنها كُسوةُ تقوى ودليـــلٌ على مفاتح الخير، ولا تكن كعلماء زمن الهَرْج إن وُعِظوا أنِفوا، وإن وَعَظوا عَنُفوا . والله المستعان .

كتاب رجل الى بعض الزهّاد

كتب اليه : إنّ لى نفسا تُحِبُّ الدّعةَ، وقلبا يألف اللذاتِ، وهمةً تَسْتثقِلُ الطاعةَ، وقــد وهَمتُ نفسى الآفاتِ، وحذّرتُ قلبى الموتَ، وزجرتُ هِمّتى عن التقصير، فلم أرضَ ما رجع إلىّ منهنّ ، فأهدِ لى — رحمك الله — ما أستعينُ به على ما شكوتُ اليك، فقد خفتُ الموت قبلَ الاستعدادِ .

فكتب اليــه : كثر تعجُّبى من قلبٍ يألَفُ الذنبَ ، ونفسٍ تطمئنُّ الى البقاء ، والساعاتُ تنقُلُنا والأيامُ تَطوِى أعمارَنا؛ فكيف يألفُ قلبٌ ما لا ثباتَ له ، وكيف تنام عينٌ لا تدرِى لعلها لا تطرِفُ بعد رَقْدَتها إلا بين يدى الله! والسلام .

وكتب رجل من العبّاد الى صديق له :

إنى لمّا رأيتُ الناسَ فى اليقين متفقين ، وفى العمل متفاوتين ، ورأيت الحجة واجبـــة ، فلم أرَ فى يقينٍ قَصَّرَ بصاحبه عن عملٍ حجةً ، ولا فى عملٍ كان بغيرِ يقينٍ منفعةً ؛ ورأيتُ من تقصيرِ أنفسنا فى السعى لمرجوّ ما وُعِدَتْ والهــرَبِ من مَخُوف ما حُذِّرَتْ، حتى أسلمها ذلك الى أن ضَعُفَتْ منها النيةُ وقلّ التحفّظ واستولى عليها السَّقَط(1) والإغفالُ واشتعلَتْ منهـا الشهوةُ ، ودعاها ذلك الى التترّع فى فضـائح

(1) السقط : الخطأ من القول والفعل .

اللذّاتِ، وهى تعلم أن عاقبتَها الندمُ ،وثمرتَها العقوبةُ، ومصيرَها الى النار إن لم يعفُ اللهُ — عجبتُ لعملِ امرئٍ كيف لا يشبهُ يقينَه ، ولعلمِ موقنٍ كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ، حتى لا تكون الرغبةُ منه إلا اليه والرهبةُ منه إلا له . وزادنى عجبًا أنّى رأيت طالب الدنيا أجدَّ من طالب الآخرة ، وخائفَها أتعبَ من خائف الآخرة، وهو يعلم يقينا أنه رُبَّ مطلوبٍ فى الدنيا قد صار حين نيلَ حتفًا لطالبه ، وأنه رُبَّ مَخُوفٍ فيها قد لَحِقَ كَرْهًا بالهارب منه فصار حظًّا له ، وأن المطلوبَ اليه من أهلها ضعيفٌ عن نفسه محتاجٌ الى ربه مَملوكٌ عليه مالُه مخزونةٌ عنه قدرتُه . واعلم أن جِمَاعَ ما يسعى له الطالبُ ويَهرُبُ منه الهاربُ أمران : أحدهما أجلُه ، والآخر رزقُه ، وكلاهما بعينه شاهدٌ على أنه لا يملكُه إلا الذى خلقه . فلم أَدْرِ حين صار هذا اليقينُ فى موضع الإيمان يقينا لا شكّ فيه ، كيف صار فى موضع العمل شبيها بالشك الذى لا يقينَ فيه ! وكيف ، حين اخْتُلِفَ فى أمر الآخرة ، لم يُختلَف فى أمر الدنيا ، فيكون خائفُ الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه صبرًا له على تجشُّم المكروه ، وتجرّعًا منه لغُصَص الغيظ ، واحتمالا منه لفادح النَّصَب ، وعملا له بالسخرة ، وتحفّظا من أن يُضمِرَ له على غشٍّ أو يَهُمَّ له بخلاف ؛ ولو فعل ذلك ما علمه منه حتى يَظهَرَ له بقولٍ أو فعلٍ ؛ ولو علمه ما قَدَر له على قطع أجل لم يَفْنَ ورزقٍ لم ينفَدْ ؛ فإن ابتُلِيَ بالسَّخَط من سلطانه فكيف حزنُه ووحشتُه ، وإن أَنِسَ منه رضًا عنه فكيف سُرورُه واختيالُه(١) ! فإن قارَفَ ذنبًا اليه فكيف تضعضُعُه واستخذاؤه ، فإن ندبه لأمرٍ فكيف خِفّته ونشاطه ! وان نهاه عنه فكيف حَذَرُه واتّعاظُه ! وهو يعلم أن خالِقَه ورازقَه يعلمُ سِرَّه وجهرَه ، ويراه فى متقلّبه ومثواه ، ويُعاينُه فى فضائحه وعورته ، فلم يَزَعْه عنها حياءٌ منه ولا تقيّةٌ له ، قد أمره فلم يأتمر ، وزجره فلم يزدجر ،

(١) استخذاؤه : خضوعه .

وحذّره فلم يحذر، ووعده فلم يرغبْ، وأعطاه فلم يشكر، وستره فلم يزدَدْ بالستر إلا تعرّضا للفضائح، وكفاه فلم يقنع بالكفاية، وضَمِنَ له فى رزقه ما هو فى طَلَبِهِ مُشيحٌ(1)، ويقظه من أجله لما هو عنه لاهٍ، وفرّغه من العمل لما هو عنه بغيره مشغولٌ؛ فسبحان من وَسِعَ ذلك حلمه وتغمّده من عبادِه عفوُه؛ ولو شاء ما فعلوه؛ ولا يُسألُ عما يفعل وهم يُسألُونَ .

فأجابه : إنى رأيتُ الله تبارك وتعالى جعلَ اليقينَ بأعظمِ المواضع فى أمر الدنيا والدين، فهو غايةُ علمِ العالم وبصرِ البصير وفهمِ السامع، ليس كسائر الأشياء التى تدخلها الشبهاتُ ويجرّحها الإغفال ويشوبها الوَهْنُ؛ وذلك أن الله تعالى جعل مَغرِسَه القلبَ، وأغصانه العملَ، وثمرتَه الثوابَ . وإنما جَعَلَ القلبَ لليقين مَغرِسًا، لأنه جعل الحسّ الجوالب لعلم الأشياء كلّها الى القلب : السمعَ والبصرَ والمجسّةَ والمذاقةَ والاسترواحَ . فاذا صارت الأشياء اليه ميّز بينها العقلُ، ثم صارت بأجمعها الى اليقين، فكان هو المثبتَ لها والموجِّه كلّ واحدةٍ منهن جهتَها . ولولا معرفة القلب بالعقل الذى جعله الله لذلك، لم يفرُقْ سمعٌ بين صوتين مختلفين، ولا بصرٌ بين صورتين متقاربتين، ولا مجسّةٌ بين شيئين غير متشابهين . ولليقين بعد ذلك منزلة يُعرَفُ بها حالُ الضارّ والنافع فى العاقبة عند الله تعالى . فلما صار اليقينُ فى التشبيه كالشجرة النابتة فى القلب، أغصانُها العملُ وثمرتها الثوابُ، أخبر ذلك أنه قد تكون الشجرة نابتة الأصل بلا أغصان كما قد يكون اليقين نابتا بلا عمل؛ وأنه كما لا تكون الأغصان نابتةً بلا أصل، فكذلك لا يكون العمل نافعًا إلا بيقين؛ وكما أنه لا تُخلِفُ الثمرةُ فى الطيب والكثرة اذا كان الأصل نابتًا والأغصانُ ملتفّةً ،

(1) المشيح : الجادّ فى الأمر .

فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحَسُنَ عمله . وقد تعرِضُ للأعمال عوارضُ من العِلل : منهن الأملُ المثبِّطُ، والنفسُ الأمّارةُ بالسوء، والهوى المزيِّنُ للباطل، والشيطانُ الجارى من ابن آدم مجرَى الدم، يضرِرْنَ(١) بالعمل والثواب ؛ ولا يبلغ ضررُهن اليقين ، فيكون ذلك كبعض ما يَعرِضُ للشجرة من عوارض الآفات فتَذْوِى أغصانها وتَنتَثِرُ ورقها وتمنع ثمرتَها والأصل ثابتٌ ؛ فاذا تجلّت الآفةُ عادت الى حال صلاحها . فماذا يُعجِبك من عمل آمرئ لا يشبه يقينَه وأن يقينَه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ؟ فإنما العجب من خلاف ذلك ! ولَعَمْرى لو أشبهَ عملُ امرئ يقينَه فيكان فى خوفه ورجائه كالمعاين لِمَا يُعاينه بقلبه من الوقوف بين يدى الله والنظر الى ما وعَد وأوعَدَ، لكان ما يعتلج على قلبه من خطرات الخوف شاغلا له عن الرجاء، حتى يأتىَ على نفسه أوّلَ لحظةٍ ينظر بها الى النار خوفا لها أو الى الجنة أسفًا عليها اذا حُرِمَها ، وإذًا لكان الموقن بالبعث بقلبه كالمعاين له يوم القيامة ، وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقلَ فضلًا عن أن يعملَ ! وأما قولك : «كيف لم يكن خائف الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه» ، فإن الله عزّ وجلّ خلق الإنسان ضعيفا وجعله عجولًا ، فهو لضعفه موكَّل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره، وهو بعجلته موكل بحبّ الأعجل فالأعجل مما يشتهى ؛ وزاده حرصا على المخلَص من المكروه وطلبًا للمحبوب حاجتُه الى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذى لولا ما طُبِعَ عليه القلبُ من حبّه وسَهُل على المخلوقين من طلبه، لما انتفع بالدنيا مُنتفعٌ ولا عاش فيها عائشٌ . ومع ذلك إن مكاره الدنيا ومحابّها عند ابن آدم على وجهين ، أما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليتُ به لذنبٍ سلف منّى ؛ وأما المحبوب فيقول فيه : عسى أن أكون رُزِقتُه بحسنةٍ كانت منى فهو ثواب

(١) فى الأصل " يضرون " .

مُجَلّ ؛ وهو مع هذا يعلم أن حلومَ المخلوقين الى الضّيق ، وأن قلوبَ أكثر مُسَلِّطيهم الى القســوة ، وأن العيبَ عنهــم مستورٌ ، فليس يلتمس ملتمسهم إلا علمَ الظـاهر ولا يضع إلا به [(١)] ، ولا يلتفتُ من امرئٍ الى صلاح سريرته دون صلاح علانيته . ومن طباع الإنسان اللؤمُ ، فليس يرضَى اذا خِيفَ إلا بأن يُذلّ ، ولا اذا رُجِيَ إلا بأن يُتعبَ ، ولا اذا غَضِبَ إلا بأن يُخضَعَ له ، ولا اذا أمرَ إلا بأن يُنفَّذَ أمرُه ، ولا ينتفع المتشفع [(٢)] بإحسانه عنــده اذا أساء ولا المطيعُ بكثرة طاعتــه فى المعصية الواحدة اذا عصى ، ولا يرَى الثوابَ لازما له ولا العقابَ محجورا عليه ، فإن عاقب لم يَستَبْقِ ، وإن غَضِبَ لم يتثَبَّتْ ، وإن أســاء لم يَعتذِر ، وإن أذنبَ اليه مذنبٌ لم يَغفِر ؛ واللطيفُ الخبير يعلمُ السريرةَ فيغفرُ بها العلانيةَ ، ويمحو بالحسنة عشرا من السيئات ، ويصفحُ بتوبةِ الساعة عن ذنوب مائة عام ، إن دُعِيَ أجاب ، وإن اسْتُغفِر غَفَر ، وإن أُطيعَ شكر ، وإن عُصِيَ عَفَا ، ومن وراءِ عبده بعد هذا كله ثلاث : رحمتُــه التى وسعت كلَّ شىء ، وشهادةُ الحق التى لا يزكو إلا بها عمــل ، وشفاعة النبيّ صــلى الله عليه وسلم ؛ وهذا كله مثبِّتٌ لليقين باسطٌ للأمل مُثَبِّطٌ عن العمل إلا مَنْ شاء الله وقليلٌ ما هُمْ . فلا تَحمِلْ نَطَفَ عملك على صحة يقينك فتُوهِنَ إيمــانَك ، ولا تُرَخِّصْ لنفسك فى مُقارفة الذنوب ، فيكونَ يقينُك خصمًا لك وحُجّــةً عليك ؛ وكَذِّب أملَك وجاهد شهوتَك ، فانهما داءاك المخوفان على دينك المعتونان [(٣)] على هلَكَتك . وأسأل الله الغنيمة لنا ولك .

موعظــة مســتعملة

وكيع عن مِسْعَر عن زيد العمّيّ [(٤)] عن عون بن عبــد الله قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم الى بعض بهؤلاء الكلمات : مَن عَمِلَ لآخرته كفاه الله أمر دنياه ،

(١) كذا بالأصل . (٢) بالأصل «المتنفع» . . (٣) المعتونان : المتعاونان .

(٤) سمى زيد هذا العمى لأنه كان كلما سئل عن شىء قال «حتى أسأل عمى» وقيل : هو منسوب الى بنى العم بطن من تميم (انظر تهذيب التهذيب فى اسم زيد بن الحوارى) .

ومن أصلحَ ما بينــه و بين الله أصلح اللهُ ما بينــه و بين الناس، ومن أصلح سريرتَه أصلح الله له علانيتَه .

موعظة لعمرو بن عتبة

العتبىّ عن أبيه عن أبى خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال :

كان أبونا لا يرفعُ المواعظَ عن أسماعنا، فأراد مرّةً سفرا فقال : يا بَنِيّ تألّفُوا النعم بحسن مُجاوَرتها، والتمسُوا المزيدَ فيها بالشكر عليهــا ، واعلموا أن النفوسَ أقبلُ شيء لمــا أُعطِيَتْ وأعطى شيء لمــا سُئِلَتْ ، فاحملوها على مطيّة لا تُبطِئ اذا رُكِبَتْ، ولا تُسبَقُ وإن تُقُدِّمَتْ ، عليها نجا مَنْ هرب من النار، وأدرك مَنْ سابقَ الى الجنة؛ فقال الأصاغرُ : ياأبانا ماهذه المطيةُ؟ قال : التوبة .

صـــــفات الزهاد

حدّثنى عبد الرحمن العبدىّ عن يحيى بن سعد السعدىّ قال :

سأل الحواريّون عيسى عليه السلام فقالوا : يارُوحَ الله مَنْ أولياءُ الله ؟ قال : هم الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناسُ الى ظاهرها، والى آجل الدنيا حين نظر الناسُ الى عاجلها، فأماتوا منها ماخَشُوا أن يُميتهم وتركوا منها ماعلموا أن سيتركُهُم، فصار استكثارُهم منها استقلالا، وفرحُهم بما أصابوا منها حزنًا، فما عارضهم من نائلها رفضوه وما عارضهم من رفيعها بغير الحقّ وضَعوه، فهم أعداء ما سالَمَ النــاسُ وسِلْمُ ما عادَوْا ، خَلَقَت[1] الدنيا عنــدهم فليس[2] يعمُرونها، وماتت فى قُلوبهم فليس يُحبونَها[2]، يهدِمُونها و يبنون بها آخرتهم، و يبيعونها و يشترون بها ما يبقى لهم؛ ونظروا الى أهلها

(١) خلقت (بفتح اللام وضمها) : بليت . (٢) كذا بالأصل غير مسند لضمير الجماعة ، ووجهه أن اسم ليس ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها .

صَرْعَى قد خلت منهم المَثُلاتُ فأحيَوْا ذكر الموت وأماتوا ذكرَ الحياة ، بهـم نطق الكتابُ وبه نطقوا ، وبهـم عُلِمَ الكتاب وبه عمِـلوا ، لا يرون نائلًا مع ما نالوا ، ولا أمنا دون ما يرجون ، ولا خوفا دون ما يحذرون .

حدّثني أيضا عن أنس بن مصلح عن أبي سعيد المصّيصى :

إن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرض ، فاذا فيهم شابٌّ ذابلٌ ناحلٌ ، فقال له عمر : يافتى ما الذي بلغ بك ما أرَى؟ قال : ياأميرَ المؤمنين أمراضٌ وأسقام ، فقال عمر : لتَصْدُقَنّي ، قال : ياأمير المؤمنين ذقتُ حلاوة الدنيا فوجدتُها مرّة فصغُر في عيني زهرتها وحلاوتُها ، واستوى عندي حجرُها وذهبُها ، وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا ، والى الناس يُساقُون الى الجنة والى النار ، فأظمأت لذلك نهاري وأسهرت له ليلي ، وقليلٌ حقير كل ما أنا فيه فى جنب ثواب الله وجنب عقابه .

بلغني عن إسحاق بن سليمان عن أخيـه عن الفياض عن زبيد اليامى (١) عن معاذ ابن جبل :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إنّ الله يحب الأخفياءَ الأتقياءَ الأبرياءَ الذين اذا غابوا لم يُفتقَدُوا واذا حَضَرُوا لم يُعرفوا ، قلوبُهم مصابيحُ الهدى يخرجون من كل غبراء مُظلِمَة" .

وعن وكيع عن عمرو بن منبّه عن أوفَى بن دلهم قال :

قال عليّ عليه السلام : تعلّموا العلمَ تُعرَفُوا به وآعمَلُوا به تكونوا من أهله ، فإنه يأتى من بعـدكم زمانٌ يُنكِر فيه الحقَّ تِسعةُ أعشِرائهم (٢) لا ينجو فيه إلا كلّ نُوَمَة ، يعنى

(١) نسـبة الى يام بطن من همدان ، انظر تهذيب التهذيب فى اسم زبيـد بن الحارث ، وفى الأصل « النامى » وهو تحريف .

(٢) جمع عشير كالعشير جزء من عشرة .

الميّتَ الذكر[1]،أولئك أئمة الهدى ومصابيحُ العلم ليسوا بالعُجُلِ المذاييع[2] البُذُرِ[3] . وقال عليّ عليه السلام أيضا : إنّ الدنيا قد ارتحلت مُدبِرةً وإنّ الآخرةَ قد ارتحلتْ مُقْبِلةً ، ولكل واحدة منهما بَنُون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . ألَا إن الزاهــدين فى الدنيا اتخـذوا الأرض بساطا والترابَ فِرَاشا والمــاء طِيباً . ألَا مَن اشتاق الى الجنة سَلَا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجَع عن الحُرُمات ، ومَنْ زهد فى الدنيا هانت عليــه المصيبات . ألَا إن لله عبادا كمن رأى أهلَ الجنــة فى الجنة مخلَّدين وأهلَ النار فى النار مُعَــذَّبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسُهم عفيفةٌ ، وحوائجهم خفيفةٌ ، صبَرُوا أياماً قليلةً لعقبى راحةٍ طويلة ؛ أمّا بالليل فصافّو أقدامِهــم ، تجرى دُموعُهم على خدودهم ، يجأَرُون الى الله : ربَّنا ربَّنــا يطلبُون فَكَاكَ رِقَابِهم ؛ وأما بالنهار فحلماءُ عُلَماءُ بَرَرَةٌ أتقياء كأنهم القِدَاحُ ينظُر اليهمُ الناظر فيقول : مَرْضَى ، وما بالقوم من مرضٍ ، ويقول : خُولِطُوا ، ولقــد خالط القومَ أمرٌ عظيم .

حدثنا إسحاق المعروفُ بابن رَاهَوَيْهِ أن عون بن عبد الله بن عتبة كان يقول : يابُنيّ كن ممّن نأى به عمّن نأى عنه يقينٌ ونزاهة ، ودنُوُّه[4] ممن دنا منه لينٌ ورحمــةٌ ، ليس نأيه تكبرا ولا عظمة ، ولادنوه بخَــدْعٍ ولا خِلَابَةٍ ، يَقتَدِى بمن قبلــه ، وهو إمامُ من بعده ، لا يعجل فيمن رابه[5] ويعفو اذا تبين له ، ينقصُ فى الذى له ويزيد فى الذى عليــه ، لا يعزُبُ حلمُه ولا يحضُرُ جهلُه ، الخير منــه مأمول والشرّ

(١) فى الأصل : « الميت الداء » وما أثبتناه يدل عليــه قول أبى عبيدة فى تفسير النومة من هــذا الأثر : الخامل الذكر الغامص فى الناس (اللسان مادة نوم) . (٢) جمع مذياع وهو الذى لا يكتم السرّ . (٣) جمع بذور وهو من يبذر السرّ أى يفشيه بين الناس . (٤) كذا بالأصل والسياق يقتضى أن يكون « ودنا به ممن » . (٥) رابه : شككه وأوجب عنده الريبة .

منه مأمونٌ ، إن رُجِىَ خاف ما يقولونَ واستغفرَ لمـا لا يعلمون ، إن عصته نفسُـه فيما كرِهَتْ لم يُطِعها فيما أحبت ، يَصمُتُ ليسلَمَ ويخلو ليغنَمَ وينطِقُ ليفهَمَ ويُخالطُ ليعْـلم . ولا تكن يا بُنىّ ممن يُعْجَبُ باليقين من نفســه فيما ذهبَ وينسَى اليقينَ فيما رجا وطلبَ ، يقول فيما ذهب : لو قُدّر شىء كان ، ويقول فيما بقى : ابتغِ أيها الانسانُ ، تغلبه نفسُه على ما يظنّ ولا يغلبُها على ما يستيقِنُ ، طال عليه الأملُ ففترَ ، وطال عليه الأمدُ فاغترّ ، وأُعذِرَ اليه[(١)] فيما عُمِّرَ وليس فيما عُمِّرَ بمعْذِرٍ[(٢)] ، عُمِّرَ فيما يتذكر فيه من تذكّر ، فهو من الذنب والنعمة مُوقَر ، إن أُعطِىَ لم يشكر ، وإن مُنِـعَ لم يَعذِرْ ، يُحبّ الصـالحينَ ولا يعمل عملَهـم ويُبغِضُ المسيئين وهو أحدُهم ، يرجو الأجرَ فى البغض على ظنّـه ولا يخشَى اليقينَ من نفسه ، يخشى الخلقَ فى ربه ولا يخشَى الربّ فى خلقه ، يَعوذ بالله ممن هو فوقه ، ولا يريد أن يُعيذَ اللهُ منه مَنْ هو تحتـه ، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسرَ من عمله ، يُبصر العورةَ من غيره ويُغفِلُها من نفسه ، إن صلّى اعترض[(٣)] ، وإن ركع ربَض ، وإن سجد نَقَر ، وإن جلس شَعَرَ ، وإن سألَ ألحفَ ، وإن سُئِلَ سَوَّفَ ، وإن حدّثَ أخلفَ[(٤)] ، وإن وُعِظَ كَلَحَ[(٥)] ، وإن مُدِحَ فَرِحَ ، يحسُدُ أن يُفضَـلَ ، ويزهَدُ أن يَفضُـلَ ، إن أُفيضَ فى الخير بَرِمَ[(٦)] وضَعُفَ واستسلمَ وقال : الصمتُ حُكْمٌ[(٧)] ، وهـذا ما ليس لى به عِلم ، وإن أُفيضَ فى الشرّ قال : يُحسَبُ بى عِىٌّ ، فتكلّم يجمع بين الأَراوِى[(٨)] والنعام وبين الخـال والعمّ ولاءَمَ ما لا يتلاءم ، يتعلّم للمِراءِ ، ويتفقّه للرياء ، ويبادِرُ ما يفنَى ، ويُواكِلُ ما يبقى .

(١) أى أعذر الله اليه ، يقال : أعذر الله الى من بلغ الستين من العمر ، أى لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدّة .

(٢) بثابت له عذر ، يقال : ما أعذر فلان أى لم يثبت له عذر .

(٣) اعترض : تكلف ، يقال : اعترض فلان الشىء أى تكلفه .

(٤) الإخلاف فى المستقبل كالكذب فى الماضى ، وهو أن يقول شيأ ولا يفعله .

(٥) كلح : كشر فى عبوس .

(٦) سئم وضجر .

(٧) حكم : حكمة .

(٨) جمع أروية تقع على الذكر والأنثى من الوعول .

حدّثنى محمد بن داود عن أبى شُرَيح الخُوارَزْمِى قال : سمعت أبا الرّبيع الأعرج عمرو بن سليمان يقول :

قال الحسنُ بن علىّ : ألا أخبركم عن صديق كان لى من أعظم الناس فى عينى، وكان رأسُ ما عَظُم به فى عينى صِغَرَ الدنيا فى عينــه ، كان خارجاً من سلطانِ بطنه فلا يَتَشَهّى ما لا يحلّ ولا يكثرُ اذا وجد، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يَمُدّ يدًا إلا على ثقــةٍ لمنفعة، كان لا يتشكّى ولا يتبرّمُ، كان أكثرَ دهرِه صامتــا ، فاذا قال بَذَّ القائلين، كان ضـعيفا مستضعَفًا فاذا جاء الجِـدُّ فهو الليث عاديا ، كان اذا جامع العلمــاء على أن يسمع أحرصَ منه على أن يقولَ ، كان اذا غُلِبَ على الكلام لم يُغلَب على السكوت، كان لا يقول ما يفعل ويفعَل ما لا يقول، كان اذا عَرَض له أمران لا يدرى أيّهما أقربُ الى الحق نظر أقربَهما من هواه فخالفه، كان لا يلومُ أحدًا على ما قد يَقع العذرُ فى مثله . زادنى غيره : كان لا يقول حتى يرى قاضيًا عَدْلًا وشهودًا عدولا (١) .

وفى كلام على رضى الله عنه لكُمَيْل حين ذكر حُجَجَ الله فى الأرض فقال : هَجَم بهم العلمُ على حقائق الأمور، فباشروا رَوْحَ اليقين، واستلانوا ما استوْعر المُتْرَفُون، وأَنِسوا بمــا استوْحش منه الجاهلون، وصَحِبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلّقةٌ بالمحــلّ الاعلى، هَاهْ (٢) شوقًا الى رؤيتهم .

قال رجلٌ ليونس بن عُبَيــد : تَعلمُ أحدًا يعمل بعمــل الحسن ؟ قال : والله ما أعرف أحدا يقول بقوله فكيف يعملُ بعمله ! قيل : فصِفْه لنــا ؛ قال : كان

(١) فى الادب الكبير ص ١٣٠ طبع مصر سنة ١٣٣٤ : « كان لا يدخل فى دعوى، ولا يشترك فى شراء، ولا يدلى بحجة، حتى يرى قاضيا الخ » . (٢) فى نهج البلاغة ص ١٠٨ ج ٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ « آه » وكلتا الكلمتين معناها التوجع .

اذا أقبل فكأنه اقبــل من دَفْن حَمِيمه ، واذا جلس فكأنه أسيرٌ أُمِر بضَرْب عُنُقه ، واذا ذُكِرت النارُ فكأنها لم تُخْلَق إلّا له .

حدّثنا حسين بن حسن المَرْوَزِيّ قال حدّثنـا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا مَعْمَر عن الأعمش عن شقيق بن سَلَمة قال : ما مَثَلُ قُرّاء هذا الزمان إلا كمثل غنم ضوائنَ ذاتِ صُـوفٍ عِجافٍ أكلتْ من الحَمْض(١) وشَرِبت من المـاء حتى انتفخت خواصرها ، فمرّتْ برجل فأعجبتْه ، فقام اليها فعَبَطَ(٢) منها شاةً فاذا هي لا تُنْقِي(٣) ، ثم عبط أخرى فاذا هي كذلك ، فقال : أُفٍّ لكِ ، سائرَ اليوم .

حدّثنا حسين قال حدّثنا عبدالله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : اذا شئتَ لَقِيتَه(٤) أبيضَ بضًّا(٥) حديد النظر مَيّتَ القلبِ والعمل ، أنت أبصرُ به من نفســه ، تَرَى أبدانًا ولا قلوب ، وتسمع الصوتَ ولا أُنس ، أخصبُ ألسنةٍ وأجدبُ قلوب .

حدّثني أبو سهل عن علي بن محمد عن وكيع قال :

قال سُفيان : الزهدُ في الدنيا قِصَرُ الأمل ، ليس بأكل الغَليظ ولا لُبْس الغَليظ .

قال : وقال يوسف بن أسباط : لو أنّ رجلًا في ترك الدنيا مثلُ أبي ذرّ وأبي الدَّرْداء وسَلْمان ، ماقلنا له : إنك زاهد ، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المَحْض ، والحلالُ المحض لا نعرفه اليوم ، وإنما الدنيا حلالٌ وحرامٌ وشُبُهات ؛ فالحلالُ حسابٌ ، والحرام

---

(١) الحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٢) عبطالشاة : ذبحها صحيحة من غير علة بها . (٣) لاتنق : ليس لها نقى لضعفها وهزالها . والنقى : المخ .

(٤) كذا في الأصل ، ولم يتقدّم ما يصلح أن يكون مرجعا للضمير في قوله «لقيته» . وفي النهاية لابن الأثير ولسان العرب في مادة «بض» : وفي حديث الحسن «تلقى أحدهم أبيض بضا» .

(٥) من البضاضة وهي رقة اللون وصفاؤه .

عذابٌ ،والشبهات عتابٌ ،فأنزِل الدنيا منزلةَ المَيْتة خُذْ منها ما يُقيمك ، فان كان ذلك حلالًا كنت زاهـدا فيها ، وإن كان حراما لم تكن أخذتَ منها إلا ما يُقيمك كما يأخذ المضطرّ من الميتة ، وإن كان عتابٌ كان العتابُ يسيرا . ومثله قولُ بعضهم : ليس الزهد بترك كلّ الدنيا ، ولكن الزهدَ التهاونُ بها وأخذُ البَلَاغ منها . قال الله تعالى ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ، فأخبر أنهم زَهِدوا فيه وقد أخذوا له ثمنا .

قال أبو سليمان الدارانيّ : الرضا عن الله والرحمـةُ للخَلْق درجةُ المرسَلين ، وما تعـرف الملائكةُ المقرّبون حدّ الرضا . وقال : أرجو أن أكون قـد نِلتُ من الرضا طَرَفا ، لو أنه تبـارك وتعالى أدخلنى النار كنتُ بذلك راضيا . قال : وليس الحمـد له أن تحمَده بلسانك وقلبُك مُقتصِرٌ على المصيبة ، ولكن هو أن تحمده بلسانك وقلبُك مسلِّمٌ راضٍ .

وقال آبن أبى الحَوَارىّ : قلت لأبى سـليمان : بلغنى فى قول الله تعـالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أنه الذى يلقَى ربَّه وليس فيـه أحدٌ غيرُه ؛ فبكى وقال : ما سمعتُ مذ ثلاثين سـنة أحسنَ من هذا . وقال : كلّ قلب فيه شِرْكٌ فهو ساقط . قال : وما فى الأرض أحدٌ أجِدُ له محبّةً ولكن رحمة . وقال : ينبغى للخوف أن يكون أغلبَ على الرجاء ، فاذا غَلَب الرجاءُ على الخوف فَسَـد القلبُ .

وقال الفُضَيْل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله .

الحسين بن على عن عبد الملك بن أبجر : أن رجلا يُكنى أبا سعيد كان يقول: والله ما رأيتُ قُرّاءَ زمان قطّ أغلظَ رقابًا ولا أدقَّ ثيابًا ولا آكلَ لُمخّ العيش منكم .

أبو أُسامة عن حمّاد بن زيد عن اسحاق بن سويد قال :

قال مطرّف: أُنظروا قوما اذا ذُكِرُوا ذُكروا بالقراءة فلا تكونوا منهـــم، وقوماً اذا ذُكروا ذُكروا بالفُجُور فلا تكونوا منهم، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء .

أوصى ابن مُحَيْرِيز رجلًا فقال : إن استطعتَ أن تعرِف ولا تُعْرَف وتَسأَل ولا تُسْأَل وتمشِي ولا يُمْشَى اليك، فافعل .

قال أيّوب : ما أحبَّ الله عبدًا الا أحبّ ألّا يُشْعَر به .

إسحاق بن سـليان عن جرير بن عثمان قال : جاء شُرَيح بن عبيد الى أبى عائذ الأزدىّ فقال : يا أبا عبـد الله ، لو أحييتَ سنةً قد تركها الناس : إرخاءَ طَرَف العِمامة من الجانب الأيسر! قال : يا بن أخى، ما كان أحسنها! تركـها الناس فتركناها ، ما أحِبّ أن أُعرَف فى خيرٍ ولا شرّ .

كلام من كلام الزهّاد

حدّثنا حسين بن حسن المروزىّ قال حدّثنا عبدالله بن المبارك قال أخبرنا عبدالله ابن عبد العزيز قال :

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل : يا فلانُ ، هل أنت على حالٍ أنت فيها مستعدّ للموت ؟ قال : لا ؛ قال : فهل أنت مُجمِـعٌ[(١)] على التحوّل الى حال ترضى بها ؟ قال : ما شَخَصتْ نفسى لذلك ؛ قال : فهل بعد الموت دارٌ فيها مُستعتَبٌ[(٢)] ؟ قال : لا؛ قال : فهل تأمنُ الموت أن يأتيَك ؟ قال : لا ؛ قال فهـل رضى بمثل هذا الحال عاقل ! .

حدثنا حسين قال حدّثنا عبد الله بن مبارك قال حدّثنى غير واحد عن مُعاوية ابن قُرّة قال :

---

(١) مجمع : عازم . (٢) المستعتب : الطلب الى المسىء أن يرجع عن إساءته .

قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاثٌ : أضحكني مؤمِّل الدنيا والموتُ يطلبه، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه، وضاحكٌ ملءَ فيه ولا يدري أراضٍ الله عنه أم ساخطٌ عليه. وأبكاني فراق الأحبّة: محمدٍ وحزبه، وهَوْلُ المُطَّلَع، والوقوفُ بين يدي الله يوم تبدو السرائر، ثم لا أدرى الى الجنة أو الى النـار .

كان عبد الله بن ثعلبة الحنفيّ يقول : تضحَكُ ولعـل أكفانَك قد خرجتْ من القصّار[1] . قال : وقال الفُضَيل : أصلُ الزهد الرضا عن الله ، وقال : ألا تراه كيف يَزْوِيها عنه ويُمَرْمِرُها[2] عليـه بالعُرْى مرّةً وبالجُوع مرة وبالحاجة مرة ، كما تصنع الوالدةُ الشفيقةُ بولدها : تسقيه مرّةً صَبِرًا[3] ومرة حُضَضًا[4] ، وإنمـا تريد بذلك ما هو خير له .

وقال السريّ : ليس من أعلام الحبّ أن تُحبّ ما يُبْغِضه حبيبُك . أوحى الله تعـالى الى بعض الأنبياء : أمّا زهدُك في الدنيـا فتَعَجَّلك الراحةَ لنفسـك، وأمّا انقطاعُك اليّ فتعزُّزك بي، ولكن هل عاديتَ لي عدوّا أو واليتَ لي وليّاً .

قال مالك بن دينـار : بلغَنا أن حَبْرًا من أحبار بني إسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء، فغَمَز بعضُ بنيه النساءَ، فرآهم فقال: مَهْلًا يابنيّ مهلا ! قال : فسَقَط عن سريره فانقطع نُخَاعه[5] وأسقطت امرأتُه وقُتِل بنوه في الجيوش . وقيل له : ما يكونُ من جنسك حبرٌ أبدا ، ما كان غضبُك لي إلا أن قلتَ يابنيّ مَهْـلًا يابنيّ مهلا .

(١) القصار : المحوّر للثياب، سمي بذلك لأنه يدقها بالقصرة التي هي قطعة من الخشب .

(٢) يمرمرها : يجيزها و يعذّبها . (٣) عصارة شجر مر . (٤) الحضض (بضم أوّله مع ضم ثانيه أو فتحه) : دواء يعقد من أبوال الإبل ؛ و يقال على صمغ من نحو الصنوبر والمر له ثمرة كالفلفل . (٥) النخاع : الخيط الابيض في جوف الفقار ينحدر من الدماغ وتتشعب منه شعب في الجسم .

ضَمْرة بن ربيعــة قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: اِرضَ بالله صاحبا ودَع الناس جانبا .

كان بِشْر بن الحارث يقول : أربعةٌ رفعهم الله بغير كبيرِ عملٍ فى الظّاهر إلا بِطيب المَطْعم : إبراهيم بن أدهم وسالِم الخــوّاص ووُهَيْب المكِّى ويوسف ابن أسباط .

وحدّثنى أبو حاتم أو غيره عن العُتْبِىّ قال: سمعت ابن عُيَينة يقول: أربعٌ ليس عليك فى واحدةٍ منهنّ حسابٌ: سَدُّ الجَوْعة، وبَرْدُ العَطْشة، وستر العورة، والآستكنان؛ ثم تلا : (إنّ لَكَ أَلّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى) .

بلغنى عن يَعْلى عن سُفْيان : قال علىٌّ عليــه السلام لرجل : كيف أنتم ؟ قال : نرجو ونخاف ؛ قال : من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف من شىء هَرَب منــه ، ما أدرى ما خوفُ رجلٍ عَرَضت له شهوة فلم يَدَعْها لمــا يخاف ! وما أدرى ما رجاءُ رجل نزل به بلاءٌ فلم يصبِر عليه لمــا يرجو .

بلغنى عن عيسى بن يونس عن الأوزاعىّ عن مكحول قال : إن كان الفضــلُ فى الجماعة فان السلامةَ فى العزلة . وبلغ الفُضَيلَ هذا فقال: سمعتم كلامًا أحسن منه !

قال ابن المبارك : رَكِبتُ مع محمــد بن النَّضْر الحارثىّ السفينةَ فقلتُ : بأىّ شىء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت: ما تقول فى الصوم فى السفر؟ فقال : إنمــا هى المبادَرة؛ فجاءنى والله بفتوى غير فتوى إبراهيم والشَّعبىّ .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعىّ قال: قيل لأبى حازم : ما مالُك؟ فقــال : الثقةُ بمــا فى يد الله واليأسُ ممــا فى أيدى الناس . وقال أبو حازم : إنه ليس شىء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلكم، فآثِرْ نفسك أيها المرءُ بالنصيحة على

ولدك، واعلم أنك إنما تُخلف مالك فى يد أحد رجلين: عامل فيه بمعصية الله فتشقى بما جمعتَ له، وعامل فيه بطاعة الله فتسعد بما شقيتَ له؛ فارجُ لمن قدّمتَ منهم رحمةَ الله، وثِق لمن خلّفت منهم برزق الله .

وقال أبو حازم: إن كنت انما تريد من الدنيا ما يكفيك ففى أدناها ما يكفيك، وان كنتَ لا ترضَى منها بما يكفيك فليس فيها شىء يُغنيك .

ونظر أبو حازم الى الفاكهة فى السوق فقال: موعدُك الجنّة . ومرّ بالجزّارين فقال له رجل منهم: يا أبا حازم، هذا سمينٌ فاشتر منه؛ قال: ليس عندى ثمنه؛ قال أنا أنظرُك؛ ففكّر ساعة ثم قال: أنا أنظرُ نفسى .

قال سُفيان: حلَف أبو حازم لجلسائه: إنى لأرضى أن يتّقى[1] أحدُكم على دِينه كما يتّقى[1] على نَعْله .

حدّثنى محمد بن زياد الزيادىّ قال حدّثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن سعيد ابن أبى هند عن أبيه عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصحّةُ والفَرَاغُ نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس" .

حدّثنى محمد بن عبيد قال حدّثنا أبو ربيعة فَهْد بن عَوْن عن حمّاد بن سَلَمة عن يعقوب قال: سمعتُ الحسن يقول: ابنَ آدم، إنما أنت عَدَدٌ، فاذا مضى يوم فقد مضى بعضُك .

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهمىّ عن الحسن بن ذَكْوان رفَعَ الحديثَ الى النبى صلى الله عليه وسلم قال: "أوصانى ربّى بتسع خِصالٍ وإنى مُوصيكم بها:

(١) كذا بالاصل. ولم نجد فيا بين أيدينا من المصادر أن «يتقى» يتعدّى بحرف «على» فلعله محرف من «يبقى» والإبقاء على الشىء: الإرعاء والمحافظة عليه .

بالإخلاص في السرّ والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وأن أعفو عمّن ظلمني، وأصل من قطعني وأعطي من حرمني، وأن يكون صمتي تفكّرا، ومنطقي ذكرا، ونظري عبرا» .

مسلم بن إبراهيم عن حمّاد بن سلمة عن حُميد قال : كان ابن عمر يقول : البرّ شيء هيّن : وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليّن .

جعفر بن سليمان قال : سمعت مالكا يقول : اتّقوا السحّارة، فإنها تسحر قلوبَ العلماء . قال : وسمعته يقول : وددتُ أنّ رزقي في حَصاة أمصّها حتى أموت، ولقد اختلفتُ الى الخلاء حتى استحييتُ من ربّي .

بِشْر بن مُصلح عن أبي سعيد المصّيصيّ عن أسد بن موسى قال : في الجوع ثلاثُ خلال : حياةُ القلب، ومذلّةُ النفس، ويُورث العقلَ الدقيق السماويّ .

سالم بن سالم البلخيّ عن السريّ بن يحيى قال : كان الحسن اذا عاد مريضًا لم ننتفع به يومًا وليلة، واذا شيّع جنازةً لم ينتفع به أهلُه وولدُه وإخوانُه ثلاثًا .

خَلَف بن تميم قال: قال رجل لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق، أُحبّ أن تقبل مني هذه الجُبّة كُسوةً ؛ قال إبراهيم : إن كنتَ غنيًّا قبلتُها منك ، وإن كنتَ فقيرا لم أقبلْها ؛ قال : فإني غنيٌّ ؛ قال : كم عندك ؟ قال : ألفان ؛ قال : فيسرُّك أن تكون أربعة آلاف؟ قال : نعم ؛ قال : أنت فقير، لا أقبلها » .

قال عُبيد الله بن عمر : دخلت أنا ويحيى بن سليمان على الفُضيل نعودُه ؛ فقال : زَوّجَك وخوّلك وصَرّف وجوهَ الناس اليك وأنت تشغلك عنه مَنْ أنت وما أنت ! ثم شَهَق شَهقةً، وأضجعه رجل كان عنده وغطّى عليه ثوبًا وهو لا يعقل، وتزلنا .

بكّار بن عبد الله عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال :

قال أبو حازم : السرُّ أملكُ بالعَلَانية من العَلَانية بالسرّ، والفعلُ أملكُ بالقول من القول بالفعل ، فاذا كنتَ فى زمانٍ يُرْضَى فيــه من الفعل بالقول ومن العمل بالعلم، فأنت فى شرِّ زمان وشرّ أناس .

ابن أبى الحوارىّ قال : ذكرت لأبى سـليمان امرأتى والشـغلَ بها، فقال: إنْ علم اللهُ من قلبك أنك تُريد الفراغَ له فرّغك، وإن كنت إنمـا[1] تريد الراحة منهـا لتستبدل بها، فهذه حماقة . قال : ورأيته حين أراد الإحرام فلم يُلَبِّ حتى سِرْنا ميلاً وأخذه كالغَشْى وجعـل رأسه عند رُكبته فجعـل مَحْمِله يَخِف ومَحْمِلى يثقُلُ حتى سرنا هوِيًّا[2]، ثم أفاق فقال: يا أحمد، بَلَغنى أن الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى عليـه السلام « يا موسى مُرْ ظَلَمةَ بنى إسرائيل أن يُقلُّوا من ذكرى، فإنى أذكُرُ مَنْ ذَكَرنى منهـم بلعنة حتى يسكت » . ويحك يا أحمد بلغنى أنه من حجّ من غير حِلّه ثم لبّى، قال له تبـارك وتعالى : لا لَبَّيكَ ولا سَعْدَيْكَ حتى تردّ ما فى يديك ؛ فـما يؤمِّننا أن يقال لنا ذلك . قال وقال أبو سليمان : يجيئك وأنت فى شىء من الخير فيُشير لك الى شىء من الخير دونه ليَرْبح عليك شَعيرةً؛ يعنى إبليس .

قال المسيح لأصحابه : بحق أقول لكم، إنّ مَنْ طلب الفردوسَ فخبزُ الشعير له والنومُ فى المزابل مع الكلاب كثير .

مسـلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبى هند عن مكحول قال : كنا أجنّةً فى بطون أمّهاتنا فسَقَط من سَقَط وكنا فيمن بَقِى ، ثم كنا مَرَاضع[3] فهَلَك منا

(١) وردت هذه الكلمة مرسـومة فى الأصل هكذا : «وانمـا كنت» . ومن المحتمل أن يكون صوابها « إما كنت » : على أنها « إن » الشرطية مدغمة فى « ما » الزائدة، فكتبها الناسخ « إنمـا »

(٢) هويا : ساعة من الليل . (٣) جمع مرضع (بفتح الضاد) أى رضيع .

من هلك وبَقِى من بقى، وكنا أيفاعًا، وذكر مثل ذلك، ثم صِرنا شبّانا، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخًا لا أبا لك فما ننتظر وما نريد! وهل بَقِيت حالةٌ ننتقل اليها .

قال وقال مكحول : الجنين فى بطن أمه لا يطلُب ولا يحزَن ولا يغتمّ، فيأتيه الله برزقه من قِبَـل سُرّته ، وغذاؤه فى بطن أمه من دم حيضها، فمن ثَمّ لا تحيض الحامل، فاذا سقط استهلّ استهلالة إنكاراً لمكانه، وقُطعت سُرّته وحوّل الله رزقه الى ثدى أمه ثم حوّله الى الشىء يُصْنع له ويتنـاوله بكفّه، حتى اذا اشتدّ وعقل قال : أين لى بالرزق! يا ويحـك! أنت فى بطن أمك وفى حِجْـرها تُرْزَق حتى اذا عقَلتَ وشبَبتَ قلتَ : هو الموت أو القتل وأين لى بالرزق! ثم قرأ ﴿يَعْـلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ .

عبد الملك بن عبد العزيز قال : كان محمد بن النّضْر الحارثىّ اذا لم يكن فى صلاة استقبل القِبْلةَ، فقَعَدنا اليه بعد العصر فقال : بلغنى أنه مَنْ قال : لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له له الملكُ وله الحمـدُ وهو على كلّ شىء قدير، ألفَ مرةٍ فى دُبُر صـلاة العصر، رُفِع له عملُ نبىٍّ؛ ثم قال : قد أكثرت الكلام .

وقال سعيد بن عمر الكِنْدىّ دخل رجلٌ على داود وهو يأكل خبزًا يابسا قد بلّه(١) فى المـاء بمِلْح جَرِيش(٢)، فقال له : كيف تشتهى هذا! قال : أدعُه حتّى أشتهيه . ونحو هذا قول هشام بن عبد الملك لسالم : ما أُدمك(٣)؟ قال : الزيت؛ قال : أما تأجمه(٤)؟ قال : اذا أَجَمْتُه تركته حتى أشتهيه . قال : وكان ماء داود فى دَنٍّ مُقيَّر(٥) فى الصّيف

(١) فى الأصل : «مله» . (٢) جريش : لم يطيب . (٣) الأدم (بالضم) : ما يؤكل به الخبز أى شىء كان . (٤) تأجمه : تكرهه وتمله . (٥) مقير : مطلى بالقار وهو شىء أسود تطلى به السفن، وقيل هو الزفت .

والشتاء، فقال له بعض أصحابه : لو بَرَّدتَ المـاء! فقال داود : اذا أصبْتَ فى مثل هذا اليوم ماءً باردا فمتى تُحِبّ الموت ! .

سعيد بن عمرو عن رجل قال: قال محمد بن واسع : لو كان للذنوب رِيحٌ ما جلس إلىّ منكم اثنان . وقال محمد بن واسع : لا يطيبُ المَـالُ إلا من أربع : سهم فى فَىْءِ المسلمين، أو عطيّـة عن ظَهْر يد، أو إرث بكتاب الله، أو تجارة من حلال؛ ولا يُقتَـل مسلم إلا بهذه الخصَال : كفر بعـد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قتَـل فيُقْتَل، أو حارب اللهَ ورسولَه وقَطَع الطريقَ .

قال سليمان بن المُغيرة سمعت ثابتـا يقول : واللهِ لَحَمْـلُ الكارَات أهونُ من العبادة . قال : ولا يُسَمَّى الرجلُ عابدًا وإن كانت فيـه خَصْلةٌ من كلّ خيرٍ حتى يكون فيه الصومُ والصلاةُ، فإنهما من لحمه ودمه .

أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حَيّان قال : كان عيسى بن عُقْبـة يسجُد حتى إن العصافير ليقَعن على ظَهْره وينزِلن، ما يَحْسَبْنَه إلا جِرْمَ حائط .

حدّثنى محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال: شكا أهل مكة الى الفُضَيل القَحْطَ ؛ فقال : أمدبِّرًا غيرالله تريدون! . قال : وسمعته يقول : استخيروا اللهَ ولا تَخَيّروا عليه ، فكم من عبـد تخيّر لنفسه أمرًا كان هلاكه فيه! أمّا رأيتموه سأل ربّه طَرَسُوسَ فأُعطِيَها فأُسِرَ فصار نَصْرانيًا (١) .

وحدّثنى أيضا عن سعيد بن نصير قال قال وكيع : أبو يونس، ومن أبو يونس! بَكَى حتى عَمِي، وطاف حتى أُقْعِد، وصلّى حتى حَدِب .

(١) طرسوس بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وكان الزهاد والصالحون يقصدونه لأنه من ثغور المسلمين . استولى عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ وتنصر وافتتن بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام، وأقام نفر يسير على الجزية (انظر معجم البلدان فى اسم طرسوس) .

حدّثنى محمد بن عبيد قال محمد بن عبد الله الأنصارىّ عن بَهْز بن حكيم قال : صلّى بنا زُرارةُ بن أوفى الغَداةَ ، فقرأ الإمامُ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ ، فخرّ مَغْشِيّاً عليه، فحملناه ميّتا .

ابن أبى الحَوَارىّ قال : سمعتُ عمر بن عبــد العزيز يقول : الصــلاةُ تبلّغك نصفَ الطريق ، والصومُ يبلّغك بابَ الملك ، والصَّدَقةُ تُدْخلك عليه .

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوبَ فقال : رحمه الله — ثلاثا — لقد قَدِم المدينةَ مرّةً وأنا بها، فقلت : لأقعُدنّ له ، لعلى أتعلّق عليه بسَقْطة، فقام من القبر مَقاماً ما ذكرتُه قطّ إلا آقشعرّ جلدى .

روى آبنُ عيّاش عن سعيد بن أبى عَرُوبَةَ قال : حجّ الحجّاج فنزل بعضَ المياه ودعا بالغَدَاء، فقال لحاجبه : انظر من يتغدّى معى وأسألُه عن بعض الأمر ؛ فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابىٍّ بين شَمْلتين من شَعَر نائم ، فضربه برجله وقال : آئت الأميرَ فأتاه؛ فقال له الحجاج : اغسلْ يدك وتَغَدَّ معى ؛ قال : إنه دعانى مَنْ هو خيرٌ منك فأجبته ؛ [1][فقال له الحجاج : من الذى دعاك ؟] . قال : اللهُ تعالى دعانى الى الصوم فصُمت ؛ قال : فى هــذا اليوم الحارّ ! قال : نعم صُمتُ ليومٍ أحرّ منه ؛ قال : فأفطرْ وتصــوم غدا ؛ قال : إن ضمنتَ لى البقاءَ الى غدٍ ؛ قال : ليس ذاك إلىّ ؛ قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجل لا تقدر عليه ! قال : إنه طعامٌ طيّبٌ ؛ قال : إنك لم تُطَيِّبه ولا الخبّاز ، ولكن طيّبته العافية .

ونحو هذا حدّث الأصمعىّ عن شَبيب بن شيبة قال : كنّا فى طريق مكة فجاء أعرابىٌّ فى يومٍ صائفٍ شــديد الحرّ ومعه جاريةٌ سوداء وصحيفةٌ ، فقال : أفيكم

(١) زيادة يقتضيها السياق .

كاتب ؟ قلنا : نعم؛ وحضر غداؤنا فقلنا : لو دخلتَ وأصبتَ من الطعام ! قال : إنى صائم؛ قلنا : فى الحر وشدّته وجَفَاء البادية! فقال : إن الدنيا كانت ولم أكن فيها ، وستكون ولا أكون فيها، ولا أُحِبّ أن أغْبَنَ أيّامى، ثم نبذ الينا الصحيفة ؛ وقال : أُكتب ولا تزيدنّ على ما أقول حرفا : هـذا ما أعتق عبـدُ الله بن عقيل الكلابىّ، أعتق جاريةً له سوداءَ يقال لها لؤلؤة، ابتغاءَ وجه الله تعالى وجوازِ العَقَبة، وإنه لا سبيلَ له عليها إلاسبيلَ الوَلَاء، المِنّةُ لله عليها وعليه واحدة . قال الأصمعىّ : فحدثت بها الرشيدَ، فأمر أن يُعتَق عنـه ألفُ نَسَمةٍ أو مائةُ نسمة ، ويُكتَبَ لهم هذا الكتاب .

قال خالد بن صَفْوان : بِتُّ أتمنّى ليلتى كلَّها ، فكَبَستُ البحرَ الأخضرَ بالذهب الأحمر، فإذا الذى يكفينى من ذلك رغيفان وكُوزان وطِمْران! .

رأى رجلٌ رجلا من وَلَد مُعاوية يعمَل على بعيرٍ له ، فقال : هـذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا ! فقال : رحمك الله ، ما فَقَدْنا إلا الفضولَ .

سمعتُ بعضَ العبّاد يقول : علامةُ التّـوبة الخروجُ من الجهـل ، والنَّدَمُ على الذنب ، والتّجافِى عن الشهوة ، واعتقادُ مَقْتِ نفسـك المسوِّلة[1] ، وإخراجُ المَظلمة ، وإصلاحُ الكَسْرة ، وتركُ الكذب ، وقطعُ الغِيبة ، والانتهاءُ عن خِدْن السَّوْء .

لَقِى زاهـدٌ زاهـدًا فقال له : يا أخى ، إنى لأُحبّـك فى الله ؛ قال الآخر : لو علمتَ منّى ما أعلم من نفسى لأبغضتَنى فى الله ؛ قال له الأوّل : لو علمتُ منك ما تعلم من نفسك، لكان لى فيما أعلم من نفسى شُغْلٌ عن بُغْضك .

---

(١) فى الأصل : « المسوولة » .

كان الثَّورىّ مستخفيًا بالبَصْرة، فورد عليه كتابٌ من أهله، وفيه : " قد بلَغ بنـا الجَهْد الى أن نأخُذ النَّوَى فنرُضّه ثم نخلِطه مع التبن فنأكلَه"، فحرّك ذلك من قلبه، ورَمَى بالكتاب الى أخ له ، فقرأه فدَمَعتْ عينُه، ثم قال : يا أبا عبـد الله، لو أنّك حدّثتَ النـاس اتّسعت واتّسع هؤلاء ! فأطرق مَلِيًّا ثم رفع رأسَـه وقال : اِسمعْ حديثًا أُحدّثُكَ به ثم لا أُكلِّمك بعده سـنة : رُئِيَ نورٌ فى الجنّـة تجـدّد ، فقيل : ما هـذا النور ؟ فقيل : حَوْراءُ ضَحِكتْ فى وجه زوجها فبدَتْ ثنـاياها ؛ فترَى لى أن أُغرِّرَ بتلك وأصيرَ الى ما تقول !

أراد قومٌ سفرًا فحادوا عن الطريق وانتهَوْا الى راهبٍ منفردٍ فى ناحية ، فنادَوْه فأشرف عليهم، فقالوا : إنا قد ضَلَلْنا فكيف الطريقُ ؟ قال لهم : ها هنـا، وأومأ الى السماء ، فعلِموا الذى أراد، فقالوا : إنا سائلوك، أفتُجيبنا أنت ؟ قال : سَـلوا ولا تُكثروا، فانّ النهار لن يرجع والعمرَ لن يعود والطالبَ حثيثٌ فى طلبه ذو اجتهاد؛ قالوا : ما الخلقُ عليه غدًا عند مليكهم ؟ فقال : على نيّاتهم؛ فقالوا: فإلامَ الموئلُ؟ قال : الى المُقدَّم؛ قالوا : أوصِنا؛ قال : تزوّدوا على قدر سـفركم ، فانّ خيرَ الزاد ما بَلَّغَ المَحَلَّ؛ ثم أرشدهم الى المَحَجَّة وانقمع (١) .

وقال آخر : قلت لراهب : عِظْنى عِظَةً نافعة؛ فقال : جميـعُ المواعظ منتظمةٌ فى حرف واحد؛ قلت : ما هو ؟ قال : تُجمِـعُ على طاعته، فاذا أنت قـد حَوَيْتَ المواعظ والأذكار .

الأصمعىّ : قيل لأعرابىٍّ معه ماشيةٌ : لمن هذه المـاشية ؟ قال : لله عندى .

كان ابن السماك يقول فى كلامه : لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم، أمَا تستحيُون من الله من طول مالا تستحيُون !

(١) انقمع المرء : جلس وحده .

قال بكر بن عبد الله : اجتهـدوا فى العَمَل ، فإنْ قَصَّر بكم ضعفٌ فكُفُّوا عن المعاصى .

كان مالك بن دينار يقول فى قَصَصه : ما أَشَدَّ فِطامَ الكبير ! ويُنشد :

وتَرُوضُ عِرْسَك بعد ما هَرِمَتْ * ومن العَناءِ رياضـةُ الهَـرِمِ

كان أعرابىٌّ يسرق الإبلَ يُسَمَّى يزيدَ، ثم تاب وقال :

أَلَا قُلْ لِرُعْيان الخَنائِصِ(١) أهمِلُوا * فقـد تاب مما تعلمـون يزيد

وإنَّ امرأً ينجو من النار بعد ما * تَزَوّد من أعمالهـا لسـعيدُ

وقال نصيح الأسدىّ :

كفى نَطَفًا(٢) بالمـرء يا أم صالح * ركوبُ المعاصى عامدًا واحتقارُها

كان خالد بن معدان يقول :

إذا أنتَ لم تزرَعْ وأبصرتَ حاصدًا * نَدِمتَ على التفريط فى زمن البَـذْرِ

قال منصور بن عَمّار : ما أرى إساءةً تكبُرُ عن عفو الله فلا تَأْيَس، وربما أخذ الله على الصغير فلا تأمن .

وروى وَكيع عن إبراهيم بن إسماعيل عن عُتَيبة بن سِمْعان عن مُسَيْكة عن عائشة رضى الله عنها أنها أتتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بصَحْفة فيها خبزُ شعيرٍ وقطعةٌ من الكَرِش، فقالت : يارسول الله، ذَبَحنا اليوم شاةً فما أمسكنا منها إلا هذا؛ قال : " بل كلّها أمسكتم إلا هذا " .

(١) فى اللسان (مادة بعر) : « لرعيان الأباعر » .

(٢) النطف (بالتحريك) : العيب .

استقبل عامرَ بن عبد قيس رجلٌ فى يوم حَلْبة ، فقال : من سَــبَق ياشيخ ؟ فقال : المقرّبون . وأُتى به عثمان وأُقْعِــد فى دهليزه ، فلما خرج رأى شـــيخا يطا[1] فى عباءة ، فأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابىّ أين ربُّك؟ قال : بالمِرْصاد .

قال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم : ما بالُنا نَكرَه الموت؟ قال : لأنكم عَمَّرتم الدنيا وأخربتم الآخرة ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العُمْران الى الخراب .

قال الحسن : نِعَمُ اللهِ أكثرُ من أن تُشْكَر إلا ما أعانَ عليــه ، وذُنوبُ آبن آدم أكثرُ من أن يُسْلَم منها إلا ما عفا الله عنه .

وقال الحسن : تنفق دِينَك فى شَهْوتك سَرَفا ، وتمنَعُ فى حق الله درهما ، ستعلَم بالُكَعُ .

خرج المسيح من بيت مُومسة ، فقيل له : يارُوحَ الله ، ما تصنَع عند هذه ؟ فقال : إنمــا يأتى الطبيبُ الى المَرْضى . ومرّ بقوم شَتَموه فقال خيرًا ، ومر بآخرين شتموه فقال خيرا ؛ فقال رجل من الحوارِيِّين : كلما زادوك شرًّا زِدت خيرًا ، كأنك تُغْريهم بنفسك! فقال : كل إنسان يُعطِى مما عنده .

أخبر أبو حازم سليمانَ بن عبــد الملك بوعيد الله للمذنبين ؛ فقال سليمانُ : فأين رحمةُ الله؟ قال : قريبٌ من المحسنين .

قال عمرُ بن عبد العزيز لمحمد بن كعب : عِظْنى ؛ فقال : لا أرضَى نفسى لك ، إنى لأُصَلِّى بين الغنىّ والفقير ، فأَميل على الفقير وأُوسِّع للغنىّ .

نظرت آمرأةٌ الى أخرى وحولهــا عشرةٌ من وَلَدها كأنهم الصقور ، فقالت : لقد وَلَدتْ أُمّكِ حزنًا طويلا .

---

(١) كذا بالأصل . وفى البيان والتبيين (ج ٣ ص ٧٤ طبعة القاهرة ١٣٣٢ هـ) : «أعرابيا أشغى فى بت» .

أُحتُضِر فتًى كان فيه زهوٌ، فرفع رأسه فإذا أبواه يبكيان، فقال لهما: ما يُبكيكما؟ قالا: الخوفُ عليك لإسرافك على نفسك؛ فقال: لا تبكيا، فوالله ما يسرُّنى أنّ الذى بيد الله من الرحمة بأيديكما.

قال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهــه: يا ابن آدم لا تحمِــلْ همّ يومك الذى لم يأتِ على يومك الذى أنت فيه، فإنْ يكُ من أجلك يأتِ فيه رزقُك، واعلم أنك لا تكسِبُ من المــال شيئًا فوق قُوتِك إلا كنت فيــه خازنًا لغيرك. قال النابغــةُ فى نحوه:

ولستُ بحابسٍ لِغَــــدٍ طعامًا * حِذَارَ غدٍ لكلِّ غــــدٍ طعامُ

تذاكر حُذَيفــة وسَلْمان أمرَ الدنيــا، فقال سَلْمان: ومن أعجب ما تذاكرْنا صعودُ غُنَيْمات الغامدىّ سريرَ كِسْرَى، وكان أعرابىّ من غامدٍ يَرْعَى شُوَيْهاتٍ له، فإذا كان الليلُ صيّرها الى عَرْصة إيوان كسرى، وفى العرصة سريرُ رُخامٍ كان يجلس عليه كسرى، فتصْعَد غُنَيمات الغامدىّ الى ذلك السرير.

دخل أبو حازم المسجدَ فوَسْوَس اليه الشيطانُ: إنك قد أحدثتَ بعد وُضُوئك، فقال: وقد بلَغ هذا من نُصحك!.

قال الزبير: يكفينا من خضمكم القضم، ومن نَصِّكم العَنَقُ[(١)]. قال رجلٌ لأم الدَّرداء: إنى لأجد فى قلبى دأءً لا أجد له دواء، أجد قسْوةً شــديدة وأملًا بعيدا؛ قالت: اِطلع فى القبور واشهد الموتى.

(١) الخضم: الأكل بأقصى الأضراس. والقضم: الأكل بأطراف الأسنان. والعنق (بالتحريك): سير مسبطر فسيح واسع الإبل. والنص: استقصاء ما عند الدابة من الســير. يريد أن يقول: يكفينا منكم القليل بدل الكثير.

قيل للربيع بن خُثَيْم : لو أرحتَ نفسَك ! قال : راحتَها أُريد .

قال رجل من الصالحين : لو أنزل الله كتابًا أنه معذِّبٌ رجلا واحدا لخفتُ أن أكونَه ، أو أنه راحمٌ رجلا واحدا لرجوتُ أن أكونه ، أو أنه مُعَذِّبى لا محالةَ ما ازددتُ إلا اجتهادًا لئلا أرجعَ على نفسى بلائمة .

أثنى قومٌ على عوف بن أبى جميلة ، فقال لهم : دَعُونا من الثنـاء ، وأمِدُّونا بالدعاء .

قيل لبعض العُبّاد : مَنْ شَرُّ الناس؟ قال : من لا يُبالى أن يراه الناسُ مسيئا .

قال المِسور بن مَخْرَمة : لقد وارت الأرضُ أقواما لو رأونى معكم لاستحييتُ منهـــم .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : عجبتُ لمن يَهْلِك والنجاةُ معه ؛ قيل : وما هى ؟ قال : الاستغفار .

كان فتًى يُجالس سُفيانَ الثورىَّ ولا يتكلّم ، وكان سفيان يحب أن يتكلم ليسمع كلامه ، فمرّ به يوما فقال له : يا فتى ، إن مَنْ كان قبلَنا مرُّوا على خيل وبَقِينا على حمير دَبِرة ؛ فقال الفتى : يا أبا عبد الله ، إنْ كنّا على الطريق فما أسرعَ لحُوقَنا بالقوم! .

قال الحسن : إن خَفْق النعالِ خلف الرجال قلَّ ما تَلْبَث الحمْق . وذُكِر عنده الذين يلبَسون الصـوفَ ، فقـال : ما لهم تفاقدوا (١) ! — ثلاثا — أكَنُّوا الكِبْرَ فى قلوبهم وأظهروا التواضُعَ فى لباسهم ، والله لأحدُهم أشدُّ عُجْبًا بكسائه من صاحب المِطْرَف بمِطرفه . ودخل عليه رجلٌ فوجد عنده ريحَ قِدْرٍ طَيِّبة ، فقال : يا أبا سعيد ، إنّ قِدْرَك لطيِّبة ؛ قال : نعم لا رغيفى مالك وصحناه فرقد (٢) .

---

(١) تفاقدوا : دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضا . (٢) كذا بالأصل والمعنى غير واضح .

طُلِب أبو قِلَابة للقضاء فلَحِق بالشام هَرَبا، فاقام حينًا ثم قَـدِم البَصْرة، قال أيّوب فقلت له : لوأنك وَلِيتَ القضاءَ وعَدَلْتَ بين النـاس رَجَوتُ لك فى ذلك أجرا، قال لى : يا أيوب، اذا وَقَع السابح فى البحر فَكَمْ[1] عسى أن يَسْبَح !

قالت امرأة أبى حازم يوما له : يا أبا حازم، هذا الشتاء قد هَجَم ولا بدّ لنا مما يُصلحنا فيه، فذكرتِ الثيابَ والطعامَ والحَطَبَ، فقال : من هذا كله بُدٌّ، ولكن خُذى ما لابدّ منه : الموتَ ثم البعثَ ثم الوقوفَ بين يَدَي الله تعالى ثم الجنّةَ أو النارَ .

قال أبو العَتَاهية :

أَطِـعِ اللهَ بجُهْــدِكْ * عامدًا أو دون جهـدِكْ
أعطِ مولاك كما تط * لب من طاعة عبـدِكْ

وقال أيضا :

أرى أُناسًا بأدنى الدِّين قـد قَنِعوا * ولا أراهم رَضُوا فى العيش بالدُّونِ
فاستغنِ بالدِّين عن دُنيا الملوك كما اسـ * ـتغنى المـلوكُ بدنيـاهم عن الدِّينِ

وقال محمد بن حازم :

ما الفقرُ عارٌ ولا الغِنَى شرفٌ * ولا سَخَـاءٌ فى طاعةٍ سَرَفُ
ما لكَ إلّا شيءٌ تُقَـدِّمُه * وكل شيء أخّرتَه تَلَفُ
تَرْكُكَ مالًا لـوارثٍ يتهـ * ـنّاه وتَصْلَى بحـره أَسَفُ

وقال أبو العَتَاهِيَة :

ألا إنما التّقوى هى العِزُّ والكَرَمْ * وحبُّكَ للدنيا هو الذُّلُّ والندمْ
وليس على عبـدٍ تقيٍّ نقيصـةٌ * اذا صَحَّحَ التقوى وإن حاكَ أو حَجَمْ

(١) فى الأصل « كم » من غير فاء .

قال عليّ بن الحسين : الرضا بمكروه القضاء أرفعُ درجات اليقين .

قيل لابن سيرين : ما أشدَّ الورَعَ! قال : ما أيسَرَه! اذا شككتَ فى شىء فدَعْه .

قال رجل لحُذَيْفة : أخشى أن أكونَ منافقا، فقال : لو كنتَ مُنافقا لم تخشَ .

وقال محمود الورّاق :

يا ناظـرًا يرنُو بعيـنَىْ راقـــدِ * ومُشاهِـدًا للأمر غيرَ مشـاهدِ
تصلُ الذنوبَ الى الذنوبِ وترتجى * دَرَكَ الجِنانِ بها وفوزَ العـابدِ
ونَسِيتَ أنّ الله أخرج آدمًا * منهـا الى الدنيـا بذنبٍ واحدِ

وقال وَضّاح اليمن :

مَالَكَ وَضّـاحُ دائمَ الغَـــزَلِ * ألستَ تخشَى تقـارُبَ الأجلِ
يا موتُ ما إن تزالُ معترضًـا * لآملٍ دونَ منتهى الأمَـلِ [1] .
تنـال كَفّاك كلَّ مُسْهِلةٍ * وحُوتَ بحـرٍ ومَعْقِلَ الوَعِلِ
صلِّ لذى العرشِ واتّخذْ قدَمًا * تُنْجيك بعـد العِثـار والزَّلَلِ

قيل ليوسف عليه السـلام : مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال : أخاف أن أشبَع فأنسَى الجائعَ .

وقال أُميّة بن أبى الصَّلْت :

همـا طريقان فائزٌ دخلَ الـ * ـجنّة حفّتْ به حـــدائقُهـا
وفِـرقةٌ فى الجحيم مَعْ فـــرَق الشّـيطان يَشـــقَى بهـا مُرَافقُها
تعرِف هـذا القلوبُ حقًّا اذا * همّتْ بخـــير فـا غوائقُهـا
وصـدّها للشقاء عن طلب الـ * ـجنة دنيـا والله ماحِقُهـا

(١) لم يوجد فى الأصـل من هـذا الشطر الا كلمة « الأمل » وقد أثبتناه عن الأغانى فى ترجمة وضاح اليمن .

عبـــدٌ دعا نفسَـــه فعاتبهـا * يعـــلم أنّ البصـــيرَ رامقُها
اقترب الوعد والقـلوبُ الى اللّهـو وحبُّ الحيـــاة ســائقُها
ما رغبـــةُ النفس فى البقاء وأن * تحيا قليلًا والمـوتُ لاحقُهـا
أمامهـا قائدٌ اليـــه ويحـ * ـدوها حثيثًـا اليـــه سـائقها
قد أيقنت أنهـا تصـــير كما * كان يراها بالأمس خالقُهـا
وأنّ ما جمّعتْ وأعجبهـا * من عيشـــةٍ مُرّةٍ مُفارقُهـا
مَنْ لم يَمُتْ عَبْطةً[1] يمت هَرَمًا * للموتِ كأسٌ والمـــرءُ ذائقُهـا

قال بعض الزهّاد : إنّ صفاء الزهد فى الدنيا وكمالَه أَلّا تأخذ من الدنيا شيئًا ولا تتركه إلا لله ، فاذا كنت كذلك كان أخذُكَ تركًا ومعاملتُك لله فيها ربحًا ، وإنّ صفاء الرغبة فى الدنيا وكمالَها ألّا تأخذ منها شيئا ولا تتركه إلا لهـا ، فاذا كنت كذلك كان تركُكَ أخذًا وفوتُ ما فات عليك منها حسرةً .

حَبَس بعضُ الملوك رجلا ثم غفَل عنه الى أن مَضَى عليــه زمان ، فقال لموكَّل به : قل له : إنّ كلّ يوم يمضى من نعيمك يمضى من بؤسى ، والأمرُ قريبٌ ، والحَكَمُ الله عزّ وجلّ . والسلام .

---

(١) يقال : مات عبطة اذا مات شابا صحيحا .

جاء فى آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه :

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله، ويتلوه فى الكتاب السابع كتاب الإخوان . والحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاما على سيدنا محمد النبى وآله أجمعين .

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى ابراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرى، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

يوجد فى النسخة الفتوغرافية عقب هــذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع شــعرية ونثرية فى نحو ست صفحات منقول جلها عن العقد ، وليست من تأليف ابن قتيبة .

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

ʿUYŪN AL-AḪBĀR

BY

IBN QUTAYBA

Abū Muhammad ʿAbdullāh b. Muslim al-Dinawarī

(d. 276 H.)

Vol. II

[2nd EDITION]

NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1996